جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

جهـــود الفـــراء الصـــرفية

إعداد الطالب

أيمن عبد الفتاح عبد الهادي أسعد

بإشـراف

أ.د. أحمد حسن حـامد

"قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين" .

2003م

جهود الفراء الصرفية

إعداد

أيمن عبد الفتاح عبد الهادي أسعد

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 23004/2/10 وأجيزت

أعضاء اللجنة : التوقيع

1. الأستاذ الدكتور أحمد حامد رئيساً ....

2. الدكتور زهير إبراهيم ممتحناً خارجياً ....

3. الأستاذ الدكتور يحيى جبر ممتحناً داخلياً ....

الإهـــداء

إلى والديّ اللذين غرسا فيّ حب العلم وطلبه

إلى زوجتي وابنتي الصغيرة ثناء اللتين أبعدتني عنهما مشاغل البحث

مع قربي منهما

إلى الأخوة والأحبة والأصدقاء

أهدي ثمرة جهدي

شـكر وتقـديـر

الشكر من قبل ومن بعد العلي القدير، ثم لأستاذي الفاضل الدكتور أحمد حسن حامد الذي تابعني في هذا البحث منذ أن ولد فكرة إلى أن غـدا عملاً لغويا، ثم للأستاذين الفاضلين الأستاذ الدكتور يحيى عبـد الـرؤوف جبر، والدكتور زهير إبراهيم اللذين تفضلا بقراءة البحث، ومناقشته.

كما أنني أتقدم بالشكر والتقدير لكل من أسهم في هذا العمل بإسـداء نصيحة أو تقديم معونة، وأخص بالشكر القائمين علـى مكتبتـي جامعـة النجاح الوطنية، ومكتبة بلدية نابلس، فقد أسهموا بما أولياني من الرعايـة والاهتمام في تذليل عقبات البحث .

كما أتقدم بخالص شكري وتقديري للعاملين في مؤسسـة سلسـبيل لخدمات الحاسوب الذين أسهموا في إخراج البحث على هذه الصورة .

وأشكر كل من مد لي يد العون والمساعدة، بتذليل عقبة، أو توضيح غامض، أو إبداء مشورة وتوجيه.



فهـــرس المحتويات

جهود الفراء الصرفية

إعداد الطالب

أيمن عبد الفتاح عبد الهادي أسعد

بإشراف

أ.د. أحمد حسن حامد

الملخص

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل الجهود الصرفية لواحد من أشهر علماء المدرسة الكوفية، وُصف بأنه مكمل بنائها بعد أستاذه الكسائي، وهو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء الديلمي.

ويعد هذا البحث خطوة طيبة في دراسة القدماء، ولا سيما أن الأبحاث والرسائل الجامعية ركزت اهتمامها –في الغالب- على الجوانب اللامعة من حياتهم، في حين أهملوا الجوانب الأقل شهرة، والتي تضاءلت أهميتها مع الشهرة المحققة من الجانب اللامع، فكانت دراسة الجهود الصرفية للفراء فاتحة خير لدراسات مستقبلية تتناول أعلام العربية بالدراسة الصوتية والصرفية والدلالية والأسلوبية.

ومن أجل تحقيق هذه الغاية، فقد حاولت أن ألم بالموضوع من جميع جوانبه، فقمت بجمع المادة الصرفية المنسوبة إلى الفراء في كتب اللغة القديمة والحديثة، وعملت على تحليلها وتقسيمها وتبويبها، وقارنتها في بعض الأحيان بآراء غيره من العلماء. وقد تعرضت في مقدمة هذه الدراسة للحديث عن : أسباب البحث وأهدافه، وأهميته، والدراسات السابقة له، والمنهج الذي سرتُ عليه في الدراسة، وتناولت في التمهيد: حياة الفراء: مولده ونشأته، ومصادر ثقافته

المتمثلة في العلماء، والخلفاء، والأحزاب السياسية، والقراءة، وتحدثت عن تلاميذه، ومؤلفاتـه، وأقوال العلماء فيه، ووفاته.

وعنونت الفصل الأول بمصادر الدراسة الصرفية عنـده، فكانـت : القـرآن الكـريم وقراءاته، والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب، والشعر. وأما الفصل الثاني، فكان بعنـوان المصطلح الصرفي، وفيه درست المصطلحات الصرفية التي بدا فيها مخالفاً للبصريين إلى حـد ما. وفي الفصل الثالث تناولت جهوده الصرفية المتمثلة في: مفهوم علم الصرف، وأقسام الكلمة، والأفعال، والمصادر، والمشتقات، والنحت، والاشتقاق، والأسماء، وقضايا صوتية صرفية؛ ذلك أن القدماء، وفي مقدمتهم الفراء لم يكونوا يفرقون بين الدراسة الصوتية والصـرفية، فانتظمـتْ مادة الدراسة الصوتية عنده في إطار علم الصرف.

وقد قصدت لهذا البحث أن يغدو مرجعاً سهلاً يتضمن جهوده الصـرفية، فينتفـع بـه الدارسون، ولا سيما المبتدئين منهم، ففيه من القضايا الصرفية مـا يجعلـه جـديراً بـالقراءة والدراسة. كما أن المادة الصرفية عنده تنتظم في إطارها جميع موضوعات الصرف، فهـو-إن جاز لنا التعبير- صورة واضحة للدراسة الصرفية عند الكوفيين.

المقـــدمة

الحمد رب العالمين الذي زين البشر بنور العلم والمعرفة، والصلاة والسـلام علـى أفضل من نطق بالضاد سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبعد، فهذا بحث بعنوان (جهود الفراء الصرفية) يتناول بالدرس أحد أشهر علماء المدرسـة الكوفيـة، الذي وصف بأنه مكمل بنائها بعد أستاذه الكسائي، وقد ناقش البحث جملة من القضايا المسـتقلة بجهوده كحياته ونشأته، ومصادر دراسته الصرفية، والمصطلح الصرفي، وجهوده الصرفية.

أسباب البحث وأهدافه

يبدو أن الدراسات الصرفية واللغوية التي تناولت المدرسة الكوفية بشكل عام لـم تكـن بالقدر الذي شهدته المدرسة البصرية، مما جعلني أميل إلى أن هؤلاء العلماء لم يعطَوا حقهم من البحث، وأبو زكريا الفراء واحد من العلماء الذين وجدت في أثناء دراستي لبعض الكتب اللغوية والنحوية القديمة أنه على جلال قدره، وغزارة علمه، وكمال فضله، وسعة اطلاعه، قد أُنفد كثير من المداد حول أفكاره النحوية، فلا نكاد نذكر المدرسة الكوفيـة إلا نتـذكر أقطابهـا الكسـائي والفراء وثعلبا، الذين أرسوا دعائمها ووضعوا أسسها، ولم أجد كتاباً جامعاً قد تنـاول جهـوده الصرفية بالدراسة والبحث، والتصنيف، والتبويب، فبقيت أفكاره الصرفية متناثرة في كتب اللغة قديمها وحديثها.

وبالنظر إلى أن الفراء أحد أئمة المدرسة الكوفية فإن اسمه قد اقترن بالنحو على حساب فروع اللغة الأخرى التي نبغ فيها أيضاً، فقد شهد له ذلك الزمان في باب من أبـواب العربيـة النحو، ومع ذلك فإننا لا نعدم اجتهادات صرفية وصوتية لهذا العالم، ومـن الغريـب أن عـدم الالتفات إليه في جوانب اللغة الأخرى لم يقتصر على عصره بل وجدناه يمتد إلى وقتنا الحاضر.

والواقع أن الفراء ليس بدعا في هذا الباب؛ ذلك أن كثيراً من العلماء الذين نبغوا في مواضيع عدة قد ركزت عليهم الأقلام في الجانب المضيء من علومهم، في حين بقيت الجوانب الأخرى مظلمة تحتاج إلى من يكشف عنها ويضيء طريقها، فهناك من لمعت أسماؤهم في التفسير واللغة والنحو علماً أنهم قد جمعوا إلى العلم الذي اشتهروا به علوماً أخرى.

وقد اجتهدت في هذا البحث لتحقيق عدة أهداف هي :-

1- جمع الشذرات المتناثرة في كتب اللغة قديمها وحديثها، التي هي جهوده الصرفية، ونتاج تفكيره في كتاب واحد يسهل على الدارسين تناوله والانتفاع به.

2- التعرف إلى ما عند هذا العالم من طبيعة البحث اللغوي بعامة، والصرفي بخاصة.

3- لفت نظر الباحثين والدارسين إلى ضرورة دراسة بعض العلماء الذين برزوا في جانب من جوانب اللغة، واستنفد حول ذلك الجانب كثيراً من المداد في حين بقيت الجوانب الأخرى بحاجة إلى الدراسة والبحث .

4- الوقوف على أهم مصادر البحث عند هذا العالم، والتعرف إلى كيفية استفادته منها.

5- الوقوف على المصطلح الصرفي عنده، ومحاولة تلمس جوانب التجديد، والنزوع إلى الاستقلالية والتفرد في هذا الباب.

6- بيان أثر الفراء في الصرف العربي بعامة، والصرف الكوفي بخاصة.

الدراسات السابقة

يمكن القول إن جهود الفراء الصرفية لم يتناولها باحث من قبل بالدراسة من أجل الحصول على درجة الماجستير أو الدكتوراه، ومع ذلك فقد عكف بعض الباحثين على دراسته نحوياً في رسائلهم، إضافة إلى بعض الرسائل المقارنة بين النحو البصري والكوفي التي كان فيها الفراء يتصدر البحث، علاوة على ذلك فإن الذين تناولوا النحو البصري، والكوفي بالوصف والتأريخ قد وجدوا أنه لا مجال لغض الطرف عن جهود هذا العالم الجليل، وأهم الدراسات التي تناولت هذا العالِم بالدراسة هي :-

1- دراسة لأحمد مكي الأنصاري، بعنوان (أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة) في العام 1964م.

2- دراسة لمازن أحمد فارس المحمود، بعنوان (علل اختيارات الفراء في القراءات القرآنية في كتابه معاني القرآن) حصل بها الباحث على درجة الماجستير في العام 1987م.

3- دراسة لإيمان محمد أمين خضر الكيلاني، بعنوان (القاعدة النحوية بين النظرية والتطبيق من خلال معاني القرآن للفراء ومعاني القرآن للأخفش): دراسة تحليلية، حصلت بها الباحثة على درجة الماجستير في العام 1990م.

4- دراسة لشرف الدين الراجحي، بعنوان (في المصطلح الصرفي عند الفراء) في كتابه (معاني القرآن) في العام 1991م.

5- دراسة لزياد محمود حمد الجبالي، بعنوان (معاني القرآن بين الفراء والزجاج دراسة نحوية) حصل بها الباحث على درجة الماجستير في العام 2001م.

منهج البحث ومادته

من أجل تحقيق الأهداف التي أردتها من هذه الدراسة قمت بتتبع آراء الفراء الصرفية في مؤلفاته المتوافرة في الأسواق والمكتبات العامة، كـ (معاني القرآن، والمذكر والمؤنث، والمقصور والممدود، والمنقوص والممدود، والأيام والليالي والشهور). إضافة إلى الكتب اللغوية القديمة، التي تناثرت فيها آراؤه، كـ (شرح شافية ابن الحاجب، والإنصاف في مسائل الخلاف، ومجالس ثعلب، والممتع في التصريف، وشرح المازني)، وغيرها من الكتب التي أشرنا إليها في أثناء البحث.

وقد سار اعتمادي على هذه المصادر جنباً إلى جنب مع الكتب اللغوية الحديثة التي تناولت الكوفيين بالدراسة، كـ (الموفي في النحو الكوفي، ومدرسة الكوفة، وأبي زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة، وفي المصطلح الصرفي عند الفراء في كتابه معاني القرآن)، وغير ذلك من الكتب اللغوية التي ساهمت في إعداد البحث وتصنيفه وتبويبه.

وقد وجدت في أثناء دراسة كتب اللغة القديمة أن كثيراً من آراء الفراء الصرفية قد نسبت إلى الكوفيين؛ لأنه الممثل الحقيقي لهذه المدرسة، فقمت بإثبات بعضها له من خلال كتبه، واكتفيت فيما لم أعثر له على شبيه في كتبه بالقول: (يذهب الفراء وجمهور الكوفيين)، أو أنني كنت أكتفي في بعض الأحيان بالقول (يذهب الكوفيون) على اعتبار أن الفراء واحد منهم. وقد كان مما دفعني إلى ذلك أن كتب اللغة القديمة كانت أمينة إلى حد كبير في نسبة الآراء، فعندما ينسبون رأياً إلى الكوفيين، وأحد الكوفيين يعارض هذا الرأي، ويذهب مذهباً آخر كانوا يشيرون إلى ذلك، بقولهم : يذهب الكوفيين إلى كذا إلا فلانا، فكان ذلك مما دفعني إلى أن أثبت بعض هذه الآراء ضمن جهوده الصرفية، بوصفه أحد الكوفيين الذين يشار إليهم بالبنان.

وبما أن كتب هذا العالم هي الأساس في هذا البحث فقد عدت إليها من أجل استخراج المـادة اللغوية ودراستها وتحليليها ومقارنتها. على أن عملي عند الحصول على المادة اللغوية مـن أي مصدر كان قد اقتصر على ما يلي :-

1- استخراج المادة الصرفية من كتب اللغة القديمة ومقارنتها بقضايا شبيهة لها في كتبه.

2- مقارنة المادة الصرفية الواردة في كتب اللغة وكتبه بآراء الكوفيين، إن كـان لـه رأي مخالف لرأيهم، وخصوصاً ما يتعلق بأستاذه الكسائي.

3- مقارنة آرائه الصرفية بآراء المدرسة البصرية، مع إجرائها في بعـض الأحيـان بـين البصريين والكوفيين على اعتبار أن اسم الكوفيين يندرج الفراء في إطاره.

4- دراسة المادة الصرفية بهدف تحليلها وتصنيفها وتبويبها.

5- من خلال آرائه الصرفية التي وفقت في الوقوف عليها توصلت للحديث عما يلي:-

1. جهود هذا العالِم في جانب من جوانب اللغة وهو الصرف الـذي يعـد أشـرف شطري العربية على ما يقول ابن عصفور.

2. مصادر دراسته الصرفية وكيفية استفادته من القرآن الكريم، والقراءات القرآنية، والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب، وأشعارها.

3. ثقافته اللغوية وأثر سيبويه والبصريين في تكوينه وفكره اللغـوي مـن جهـة والكسائي من جهة أخرى، وبيان كيف كان يخالفهم في كثير من المسائل.

4. أثر الاتجاه العقلي والفلسفي الذي ساد في تلك الفتـرة علـى تفكيـره اللغـوي والصرفي، وقد بدا ذلك واضحاً في حديثنا عن ثقافته الاعتزالية.

5. المصطلحات الصرفية عنده، ورغبته في التجديد والتميز عن البصريين.

6. أثر الفراء في الصرف العربي وقد كان ذلك من خلال القضايا التي لـم يسـبق إليها، والتي غدت فيما بعد مقترنة باسمه.

وقد اشتملت خطة بحثي على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة. وقد ضمنت المقدمة عدة قضايا هي: أسباب البحث وأهدافه، والدارسات السابقة له، ومنهج البحث ومادته.

أما التمهيد الذي جاء بعنوان (حياة الفراء)، فقد تناولت فيه مولده ونشأته، ومصـادر ثقافته التي تمثلت في العلماء، والخلفاء، والأحزاب السياسية، والقراءة. كما تحدثت عن تلاميذه، ومؤلفاته، وأقوال العلماء فيه، ووفاته.

الفصل الأول : وعنوانه : (مصادر الدراسة الصرفية عند الفراء)، وقد قسـمت هـذه المصادر إلى: القرآن الكريم، وقراءاته، والحديث النبوي الشريف، وكلام العـرب، وأشـعارها، وقد حاولت أن أتعرف إلى كيفية استفادته منها، وقارنت بين منهجه ومنهج البصريين في ذلـك، وأثبت أن منهجه لا يختلف كثيراً عن منهج سيبويه في الاستفادة منها، إلا ما كـان مـن قبـول لبعض اللغات التي رفض البصريون الاحتجاج بها.

الفصل الثاني: وعنوانه : (المصطلح الصرفي)، وفيه تناولت المصطلحات الصـرفية التي أظهر فيها الفراء رغبه في التميز والاستقلالية، وقارنت في بعض الأحيـان بينهـا وبـين مصطلحات البصريين، وقد أثبت أن هذه المصطلحات تنتظم في إطارها معظـم موضـوعات الصرف العربي ومباحثه.

الفصل الثالث : وعنوانه : (جهود الفراء الصرفية)، وقد قسمته إلى عدة أقسـام تغطـي الموضوعات الصرفية التي تعرض للحديث عنها، وهذه الأقسام هي:-

1- مفهوم علم الصرف

2- أقسام الكلمة

3- الأفعال

4- المصادر

5- المشتقات

6- النحت

7- الاشتقاق

8- الأسماء

9- القضايا الصرفية الصوتية؛ ذلك أن القدماء لم يفصلوا في دراستهم بين الصوت والصرف؛ فجاءت دراساتهم الصوتية مدرجة في إطار الدراسة الصرفية.

كما أنني حاولت أن أجمع المادة الصرفية وأصنفها وأبوبها ثم قمت بتوثيقها توثيقاً دقيقاً، وقد أجريت مقارنات بين جهوده الصرفية وجهود البصريين والكوفيين، فقد بدا من خلالها وكأنه يحاول أن يكون للكوفة دراسة لغوية متميزة عن دراسة البصريين يكون هو رائدها، كما أشرت إلى آراء العلماء في بعض جهوده، واتضح لي أن جهوده خاصة، وجهود الكوفيين عامة قد تعرض لها كثيرون بالطعن والتجريح.

وقد ذيلت البحث بخاتمة، وملخص بالعربية، والإنجليزية، وفهارس للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، والأشعار والأمثال، وفهرس للموضوعات، وثبت بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في إعداد هذه الدراسة.

أما الشواهد التي استعنت بها في هذه الدراسة، فقد قمت بتوثيق الآيات القرآنية وضبطها، وخرجت الأحاديث والأمثال، كما أنني قمت بذكر بحور الأشعار التي استشهدت بها، وتحققت

من قائليها بالعودة إلى المصادر المتخصصة في ذلك، وقد عرفت ببعض قائليها، ووضحت بعض غريبها، كما أنني عرفت بالعلماء غير المعروفين لدى كثير من الباحثين، ووضحت الغامض من المفردات التي تناقلتها الكتب القديمة من خلال الاستعانة بمعاجم اللغة، وضبطت كثيراً من المفردات التي يصعب على القارئ ضبطها.

على أية حال فهذه محاولة أدعو ا تعالى أن أكون قد وفقت فيها، وأنجزت ما وضعت لها، فقد كان الظرف الذي يعيشه شعبنا وأمتنا في غير صالحي، ولا أبالغ إذا قلت: إنني قد ذقت الأمرين في إعداد هذه الرسالة، فقد كابدت مشقات السفر وويلاته، فكنت أتوجه إلى مدينة نابلس في بعض الأحيان ثلاث مرات؛ لأوفق في الوصول إليها في المرة الرابعة، عدا عن قطع عشرات الكيلومترات مشياً على الأقدام.

فإن يكن هذا العمل قد جاء وافياً بما قصدت إليه، مؤدياً ما رجوت أن يؤديه، فإن ذلك غاية أملي، ومنتهى سؤلي، وإن كانت الأخرى فحسبي أنني بذلت فيه كل جهد مستطاع إلى أن غدا على هذه الصورة من الضبط والترتيب والتبويب. وا أسأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه، مقرباً منه، وإن يمنحني شرف الرفعة والعلو في الدنيا والآخرة، إنه هو الهادي والموفق إلى سواء السبيل.

وآخر دعوانا أن الحمد رب العالمين

التمهيـــد

حيـــاة الفـــراء

- مولده ونشأته

- مصادر ثقافته

1- العلماء

2- الخلفاء

3- الأحزاب السياسية

4- القراءة

- تلاميذه

- مؤلفاته

- أقوال العلماء فيه

- وفاته

مولـــده ونشـأته

تكاد المصادر[1] التي ترجمت للفراء تتفق على أن اسمه يحيى بن زياد بن عبد ا بـن منظور [2] الديلمي، وأن كنيته أبو زكريا، و شهرته الفراء، وكما يلاحظ من النسبة الأخيرة فإنه ينسب إلى أصل غير عربي، حيث انحدر إلى العراق من الديلم، وهو إقليم فـي بـلاد فـارس، وكان مولى لبني أسد [3].

أما لقبه فمن "المعروف أن الفراء لقب من يخيط الفراء أو يبيعها، كما يتبادر من صيغة النسب، كبزاز وعطّار، ولم يكن صاحبنا ولا أحد آبائه في شيء من هذا "[4]، والواضح أن هذا اللقب مثار خلاف بين الدارسين، إلا أن معظمهم يذهب إلى أنه لقب بذلك؛ لأنه كان يفري الكلام أي أنه لم يكن يعمل بالفراء ولا يبيعها[5]، وإلى مثل هذا يذهب ابن الأنبـاري فـي الأضـداد، فيقول: "وبعض أصحابنا يقول : إنما سمي الفراء فراء، لأنه كان يحسن نظم المسـائل، فشـبه بالخارز الذي يخرز الأديم، وما عرف ببيع الفراء ولا شرائها قط، وقال بعضهم سـمي فـراء؛

1- ا صادر ال تر ت للفراء كث ة من أشهرها :-
- ابن خلكان : وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان 225/5 .
- السمعا : الأنساب 352/4.
- الزبيدي : طبقات النحوي واللغوي 130.
- ابن الأنباري : نزهة الألباء طبقات الأدباء 98.

2- وردت عبارة " ..... عبد ا بن منظور الديلمي" رفة إ " .... عبد ا بن منصور" البداية والنهايـة، وطبقـات الزبيـدي، وغ ها.

3- ذكر صاحب الفهرست أنه كان مو لب منقر إلا أن معظم كتب التراجم تضعف هذه الرواية مؤكدة أنه كان مو لب أسد، وقد ذكر صاحب البداية والنهاية أنه كان مو لب سعد، إضافة إ روايات أخرى وردت كتب التراجم.

4- الفراء : مقدمة قق معا القرآن 7/1.

5- عبد ا ي ابن العماد ا نبلي: شذرات الذهب أخبار من ذهب 19/2.

لقطعه الخصوم بالمسائل التي يعنت بها، من قولهم قد فرى، إذا قطـع" [1]، أمـا أحمـد مكـي الأنصاري فيرى أن هذه التسمية قد انحدرت إليه من الأجداد[2].

وتجمع المصادر على أنه ولد في الكوفة سنة 144هـ، ونشأ فيها نشأته الأولى، وبالرغم من شهرته العلمية وصيته الذائع فإن كتب التراجم لم تذكر أشياء كثيرة عن عائلته، مما يجعلنـا نستنتج أنه كان مغمور النسب، ولم تسعفنا المصادر- على كثرتها- في الوقوف علـى نشـأته الأولى في كنف أبيه وأمه، فلا تذكر عن والده إلا أنه كان أقطع؛ لأنه حضر وقعة الحسين بـن علي – رضي ا عنهما- فقطعت يده في تلك الحرب[3]. إلا أن ابن خلكان في وفيات الأعيـان يشك في صحة هذا الجزء، ويرى أن لقب الأقطع هو لوالد زياد لا لزياد نفسه، فيقـول: "وهـذا عندي فيه نظر، لأن الفراء عاش ثلاثا وستين سنة، فتكون ولادته سنه أربع وأربعـين ومائـة، وحرب الحسين كانت سنة إحدى وستين للهجرة، فبين حـرب الحسـين وولادة الفـراء أربـع وثمانون سنة، فكم كان قد عاش أبوه، فإن كان الأقطع جده فيمكن"[4].

وكما أسلفنا فإن نشأته الأولى كانت بالكوفة، وبقي فيها حتى ظهرت مواهبه، وبانت عليه ملامح الفراسة والذكاء، ويذكر أنه عاش في فترة تُعرف بالتاريخ الإسلامي بالعصـر الـذهبي للدولة العباسية، فعاصر الرشيد وتوفي في خلافة المأمون [5].

أما عن رحلاته فيذكر أنه رحل إلى بغداد مقر الخلافة، ويدل على أنه سافر إليها قولـه: "لما خرج الكسائي إلى بغداد، قال لي الرؤاسي: قد خرج الكسائي إلى بغداد، وأنت أسـن منـه، فجئت إلى بغداد فرأيت الكسائي فسألته عن مسائل عندي، فغمزت قوماً من علماء الكوفيين كانوا

1- ابن الأنباري : الأضداد 159.

2- أ د مكي الأنصاري: أبو زكريا الفراء ومذهبه النحو واللغة 34.

3- ابن خلكان: وفيات الأعيان 229/5.

4- ا صدر السابق 230./5

5- أ د مكي الأنصاري : أبو زكريا الفراء ومذهبه النحو واللغة 53.

معي، فقال: مالك قد أنكرت ! لعلك من أهل الكوفة، فقلت : نعم، فقال، وسمعت العـرب تقـول كذا وكذا؛ حتى أتى على مسائلي، فلزمته" [1]، وتطلعنا بعض أخباره على أنه رحل الى البصرة، ولقي فيها سيبويه في داره، ورحل إلى مكة والمدينة، وروى كثيراً من كتاب المعاني عن قـراء هاتين المدينتين، ويؤكد هذه الرحلة قوله :" سمعت أعرابياً يقول لبزاز ونحـن بطريـق مكـة أعطني كسفة أي قطعة "[2]، كما أنه هاجر إلى الشام وسمع عن أهلها[3] .

مما تقدم نستنتج أن الفراء قد شغف بطلب العلم، فأكثر من الترحال في سـبيله إلا أنـه اتخذ من بغداد موطناً له في آخر حياته، فيقيم فيها العام ولا يعود إلى موطنه الأصلي (الكوفـة) إلا أربعين يوماً يوزع فيها ما جمعه على أهله ويبرهم[4].

1- ابن الأنباري: نزهة الألباء طبقات الأدباء 54، 55.

2- الفراء : معا القرآن 131/2.

3- أ د مكي الأنصاري : أبو زكريا الفراء ومذهبه النحو واللغة 54.

4- ابن الند : الفهرست 99.

مصـــادر ثقافتـــه

تضافرت مجموعة من العوامل أتاحت للفراء أن يكون إمام المدرسة الكوفية، وأن يلقب أمير المؤمنين في النحو، علماً بأنه قد عاش في عصر التألق الفكري والحضاري، بحيث تجلت روعة التفكير العربي والإسلامي في أبهى صورها، وارتفعت منارة العلم في بقاع شـتى مـن العالم الإسلامي، وقد كانت اللغة إحدى مقومات هذا التألق، فأنجب ذلك العصر مجموعـة مـن العلماء الأجلاء الذين قدموا للعربية مئات الكتب التي أغنت رفوف المكتبة العربيـة، وأصـلت للتفكير النحوي عند العرب، ودرأت شر داء عضال داهم اللسان العربي وهو اللحن، ومع ذلـك فإن أحداً لم يلقب بأمير المؤمنين في النحو إلا الفراء.

وشهرة الفراء ووصوله إلى أعلى الدرجات العلمية- إن جاز لنا التعبير- تـدفعنا إلـى التساؤل عن أهم المشارب الثقافية التي استقى منها علومه، وجعلت منه شخصية لهـا تفكيرهـا اللغوي المستقل، ومنهجها الفريد، ثم هل كان الفراء حريصاً على الأخذ مـن جانـب، وتـرك الجوانب الثقافية الأخرى الشائعة في عصره ؟ إضافة إلى ذلك فإننا نطرح السؤال المعهود الذي يثيره الحديث عن علماء المدرسة الكوفية، وهو إلى أي حد وفق خلفاء بني العباس في اختيارهم الفراء وغيره من علماء الكوفة مؤدبين لأبنائهم ؟

ربما يكون في حديثنا عن مشارب ثقافته وتقسيمها إلى عدة أقسام ما يجيب عـن هـذه الأسئلة، واعتماداً على الأهمية فإننا نبدأ بالحديث عن العلماء والشيوخ لا سيما أنهم الأكثر تأثيراً في شخصيته وثقافته .

العـلمـ ـ ـ ـاء

تجمع المصادر على أن الفراء كان ذا ذكاء مفرط وعبقرية نادرة، وأن حضوره لمجالس الشيوخ والعلماء كان عاملاً مهماً في صقل عبقريته وتوجيهها، وفي ذلك يقول هناد السـ ـري[1]: "كان الفراء يطوف معنا على الشيوخ، فما رأيناه أثبت سوداء في بيضاء قط، لكنه إذا مر حديث فيه شيء من التفسير، أو يتعلق بشيء من اللغة، قال للشيخ : أعده علي، وظننا أنه كان يحفظ ما يحتاج إليه "[2]، ويؤيد ذلك ما يرويه تلميذه محمد بن الجهم السمري :"وما رأيت مع الفراء كتابا قط، إلا كتاب يافع ويفعة"[3] وما يرويه سلمة بن عاصم "الفراء كتبه كلها حفظ، لم يأخـ ـذ بيـ ـده نسخة إلا في كتابين (ملازم ويافع ويفعة)" [4]، وما يرويه ثعلب من أنه "لما مات الفراء لم يوجد له إلا رؤوس أسفاط، فيها مسائل تذكره، وأبيات شعر"[5]، ومن ذلك قول ابن الأنباري "مقـ ـدار الكتابين خمسون ورقة، ومقدار كتب الفراء ثلاثة آلاف ورقة، وشهرته بالعربية ومعرفته غيـ ـر محتاجة إلى إكثار "[6].

ونظراً لأن التخصص في العلوم لم يكن قد وجد في ذلك العصر، فإن الفراء نهل مـ ـن شـ ـيوخ علماء عصره علوماً شتى، وقد عكست مؤلفاته التنوع المعرفي الذي يمتلكه، فقـ ـد تعلـ ـم فـ ـي مجالسهم اللغة بنحوها وصرفها وصوتها، وعلوم القرآن والحديث الشـ ـريف تفسـ ـيراً وقـ ـراءة وتخريجا؛ ذلك أن القرآن الكريم والحديث الشريف يعدان مصدراً مهماً من مصـ ـادر التشـ ـريع

1- هو هناد بن السري بن يحيى الكوفي الصغير، روى عن أبي سعيد الأشج، وعن شريك، وإسماعيل بن عياش وطبقتهما فأكثر، وله كتاب (الزهد) توفي سنة 218هـ. ينظر الحافظ الذهبي: العبر في خبر من غبر، 41/1 ، 347 .

2- العسقلاني : تهذيب التهذيب 187/11.

3- المصدر السابق 187/11.

4- المصدر السابق 187/11 .

5- البغدادي : تاريخ بغداد 14 /153 .

6- العسقلاني : تهذيب التهذيب 187/11 .

الإسلامي، والاحتجاج اللغوي، إضافة إلى أنه قد نهل من مجالس الأدباء والشعراء، ويظهر ذلك في إكثاره من الشواهد الشعرية، وأهم العلماء الذين تتلمذ عليهم الفراء، ونهل من علومهم اللغة، وعلوم القرآن الكريم، والحديث الشريف، والآداب هم * :-

1- أبو الأحوص سلام بن سليم، توفي سنة 179هـ .

2- أبو بكْر بن عياش (شعبة من عياش بن سالم أبو بكر الحناط،193هـ).

3- أبو ثروان العكلي، صاحب كتاب خلق الانسان، وكتاب معاني الشعر .

4- أبو جعفر الرؤاسي (محمد بن أبي سارة ابن أخي معاذ الهراء) .

5- خَازِم بن الحسين البصري (أبو إسحق الخميس، وقد روي اسمه فيما عـدا تـاريخ بغـداد مصحفاً إلى (حازم) .

6- أبو الجراح العقيلي، أحد فصحاء العرب المشهورين.

7- أبو زيد الكلابي (يزيد بن عبد ا بن الحر).

8- سفيان بن عينية (أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي الأعور، 198هـ).

9- قَيس بن الربيع، 165هـ.

10- الكسائي (أبو الحسن علي بن حمزة، رأس المدرسة الكوفية، وأحد القراء السبعة).

11- محمد بن حفص بن جعفر الحنَفي الكوفي، وقد ذكر أن روى عنه الحروف .

12- مندل بن علي (العنْزي أبو عبد ا الكوفي واسمه عمرو، 167هـ).

13- يوسف بن حبيب البصري، 182هـ.

---

* رمضان عبد التواب : مقدمة المذكر والمؤنث 11-15.

هؤلاء هم أهم العلماء الذين نهل عنهم علومه، وقد حدث في مصنفاته عن علماء كثيرين تعرض لذكرهم أحمد مكي الأنصاري في كتابه أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة *.

* ينظر أحمد مكي الأنصاري : أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة 125 .

الخـــــلفاء

كنا قد أشرنا في الصفحات الماضية إلى أن الفراء عاش في فترة تعرف فـي التـاريخ الاسلامي بالعصر الذهبي، فعاصر الرشيد، ومات في خلافة المأمون، والواضح مما ترويه كتب التراجم والطبقات أن الرشيد كان معجباً بالفراء، قال قطرب: "دخل الفراء على الرشـيد فـتكلم بكلام لحن فيه مرات، فقال جعفر بن يحيى البرمكي: إنه قد لحن يا أمير المؤمنين، فقال الرشيد: أتلحن ؟ فقال الفراء: يا أمير المؤمنين إن طباع أهل البدو الإعـراب، وطبـاع أهـل الحضـر اللحن،فإذا تحفظت لم ألحن، وإذا رجعت إلى الطباع لحنت، فاستحسن الرشيد قوله"[1].

وكما هو معروف فإن للخلفاء أثراً واضحاً في صقل شخصيته وذيوع اسمه وانتشاره في الآفاق والأمصار، فتروي كتب التراجم والطبقات أنه: " لما تصدى أبو زكريا يحيى بـن زيـاد الفراء للاتصال بالمأمون، كان يتردد إلى الباب، فلما أن كان ذات يوم جاء ثُمامة[2]، قال: فرأيت أبهة أدب، فجلست إليه ففاتشته عن النحو فشاهدته نسيج وحده، وعن الفقه فوجدت فقيها عارفـا باختلاف القوم، وبالنجوم ماهرا، وبالطب خبيرا، وبأيام العرب وأشعارها حاذقا، فقلـت : مـن تكون ؟ وما أظنك إلا الفراء ! فقال : أنا هو، فدخلت على أمير المؤمنين فأعلمته فأمر بإحضاره لوقته، فكان سبب اتصاله بالمأمون"[3].

1- ابن خلكان : وفيات الأعيان 225/5 .

2- هو أبو بشر، ثُمامة بن أشرس النميري، من جلة المتكلمين من المعتزلة، كاتب بليغ، بلغ من المأمون منزلة مرموقـة، عرض عليه الوزارة، فامتنع، وله من الكتب كتاب الحجة، وكتاب الخصوص والعموم في الوعيد، وكتاب المعارف وهـو المعرفة، وكتاب على جميع من قال بالمخلوق، وكتاب نعيم أهل الجنة، وكتاب المخلوق على المجبرة، وكتـاب السـنن . توفي سنة 213هـ. ينظر ابن النديم : الفهرست، طبعة دار الكتب العلمية 290.

3- ابن الأنباري : نزهة الألباء في طبقات الأدباء 99 .

ومما يروى في إعجاب الخلفاء به وتسهيلهم له طرق التأليف والكتابة ما يرويه أبو بريد الوضاحي[1] " أمر أمير المؤمنين المأمون الفراء أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو، وما سمع من العرب، فأمر أن تفرد له حجرة من حجر الدور، ووكل به جواري وخدما للقيام بما يحتاج إليه حتى لا يتعلق قلبه، ولا تتشوق نفسه إلى شيء، حتى إنهم كانوا يؤذنونه بأوقات الصلوات، وصير الوارقين، وألزمه الأمناء والمنفقين؛ فكان الوراقون يكتبون، حتى صنف الحدود، وأمر المأمون بكتبه في الخزائن"[2]. مما تقدم نلاحظ الاهتمام الشديد به من قبل المأمون، وكيف أنه وفر له ما يحتاج، فافرد له حجرة في الدور، وجعل له خدماً، ووصل به الأمر أن جعل مؤذنين يؤذنونه للصلاة، ثم أمر بكتبه في الخزائن.

وقد بلغ من شدة إعجاب المأمون به أن وكل إليه مهمة تأديب ابنيه وتلقينهما النحو "فلما أن كان يوماً أراد الفراء أن ينهض إلى بعض حوائجه، فابتدرا إلى نعل الفراء ليقدمانها له، فتنازعا أيهما يقدمها، فاصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فردة، فقدماها، وكان المأمون له على كل شيء صاحب خبر، فرفع ذلك الخبر إليه، فوجه إلى الفراء، فاستدعاه، فلما دخل عليه قال : من أعز الناس ؟ قال ما أعرف أعز من أمير المؤمنين، قال : بلى من إذا نهض يقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين حتى رضي كل واحد منهما أن يقدم له فرداً، قال: يا أمير المؤمنين، لقد أردت منعهما عن ذلك، ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها أو أكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها، وقد روي عن ابن عباس رضي ا عنهما "أنه أمسك للحسن والحسين رضي ا عنهما ركابيهما، حين خرجا من عنده" فقال له بعض من حضر : أتمسك لهذين الحدثين ركابيهما وأنت أسن منهما ؟ فقال : اسكت يا جاهل، لا يعرف الفضل لأهل

1- ذكر صاحب نزهة الألباء أن اسمه قد ورد في تاريخ بغداد "أبو بديل"، وفي معجم الأدباء "أبو بريدة". ينظر ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء .99

2- ابن الأنباري : نزهة الألباء في طبقات الأدباء .101

الفضل إلا ذوو الفضل، فقال له المأمون: لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لوماً وعتباً، وألزمتـك ذنباً، وما وضع ما فعلاه من شرفهما، بل رفع من قدرهما، وبين عن جوهرهما، ولقد ظهـرت مخيلة الفراسة بفعلهما، فليس يكبر الرجل وإن كان كبيراً عن ثلاث : عن تواضـعه لسـلطانه ووالده ومعلمه العلم، وقد عوضتهما بما فعلاه عشرين ألف دينار، ولك عشرة آلاف درهم على حسن أدبك لهما "[1].

من هذه الأخبار نرى كيف أن الفراء وجد ظروفاً مواتية له، وتسهيلاً للسبل من خلفـاء بني العباس، إذ استطاع أن ينال ثقتهم ومحبتهم، فكان دافعاً له على مواصلة الطريق، والإكثـار من المؤلفات.

أما ثقافة الخلفاء، وكيف أثرت عليه فإننا سنفصل القول فيها فـي أثنـاء حـديثنا عـن الأحزاب السياسية، لا سيما أن الخليفة العباسي المأمون كان معتزلياً يحب المعتزلـة، ويقـربهم منه وينتصر لأفكارهم ويدافع عنها.

1- ابن خلكان : وفيات الأعيان 227/5.

الأحــزاب السيـاسيــة

يبدو أن الفراء قد عاش في عصر خطا فيه علم الكلام خطوات واسعة، فأخذ يطغى على التدريس، ولا يبعد أن يكون الفراء قد وقف على شيء منه، فقد ذكر الجاحظ أن الفـراء كـان يميل إلى الاعتزال، فقال : "دخلت بغداد حين قدمها المأمون، في سنة أربـع ومـائتين، وكـان الفراء يجيئني، ويشتهي أن يتعلم شيئاً من علم الكلام، فلم يكن له فيه طبع"[1].

وتذكر الروايات أنه قد وقف على ثقافات عصره، بالإضافة إلى تخصصه في العربيـة وعلوم القرآن، ويظهر ذلك حين تصدى للاتصال بالمأمون وفاتشه ثمامة بن أشرس عن بعـض القضايا الثقافية، فنال إعجاب المأمون، وقربه منه، وعهد إليه تأديب ابنيه وتلقينهما النحو، حتى بلغ بالمأمون الأمر أن يسأله من أعز الناس، فقال الفراء : أعز الناس أميـر المـؤمنين. فقـال المأمون : بل أعزهم من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين، حتى يرضى كـل واحد منهما أن يقدم له فرداً، في قصة ذكرناها آنفاً [2].

والواضح أنه كان بينه وبين ثُمامة بن أشرس أحد أئمة المعتزلة صحبة، وقد بدأت بينهما يوم تصدى الفراء للاتصال بالمأمون، واختلف إلى بابه [3]" فلما أن كان ذات يوم جاء ثمامـة، قال: فرأيت أبهة أدب، فجلست إليه ففاتشته عن النحو فشاهدته نسيج وحده، وعن الفقه فوجـدت فقيهاً عارفاً باختلاف القوم، وبالنجوم ماهراً، وبالطب خبيراً، وبأيام العرب وأشـعارها حاذقـاً، فقلت من تكون ؟ وما أظنك إلا الفراء ! فقال : أنا هو فدخلت على أمير المؤمنين فأعلمته، فأمر بإحضاره لوقته، فكان سبب اتصاله به "[4].

1- ابن خلكان : وفيات الأعيان 228/5.

2- مهدي المخزومي : مدرسة الكوفة 125.

3- المصدر السابق 124.

4- البغدادي : تاريخ بغداد 151/14.

ومن العلماء المحدثين من قال بميل الفراء للاعتزال، وتعلمه لمبادئـه، يقـول شـوقي ضيف: " نظن ظناً أنه اختلف حينئذ إلى حلقات المعتزلة التي كانت مهوى قرط قلوب الشـباب والمثقفين والأدباء في البصرة، وأنه تلقن حينئذ مبادئ الاعتزال، وظل مؤمناً بها حفياً مما جعل مترجموه يقولون إنه كان متكلماً يميل إلى الاعتزال، وآثار اعتزاله واضحة في كتابـه معـاني القرآن، إذ نراه يتوقف فيه مراراً للرد على الجبرية. ولعل صلته بالاعتزال واعتزاله هي التـي دفعته إلى قراءة كتب الفلسفة والطب والنجوم، فقد كان المعتزلة يحرصون علـى قـراءة هـذه الكتب "[1].

ولعل في احترام المأمون له وتقديره لأفكاره وعلومه ما يجعلنا نؤيد ما ذهب إليه مهدي المخزومي من أن الفراء كان يميل إلى الاعتزال ذلك "أن موقف المأمون من المتكلمين وتقريبه أتباع المعتزلة معروف؛ لأنه كان معهم، وكان شديد التعصب لمذهبهم، وكان ممن قـال بخلـق القرآن، وبالغ في ذلك، حتى عمد إلى تسخير قوة الدولة في فرض هذا الرأي، وأمر أن يؤخـذ على قضاة الدولة عهد، ألا يقبلوا شهادة من لا يقول بخلق القرآن "[2].

وبالرغم من أنه كان يميل إلى المعتزلة، ويشايعهم إلا أنه خالفهم فـي بعـض الأمـور خصوصاً أنه سار وفق منهج أستاذه الكسائي في دراسة النحو واللغة، ولم يخالفهم فـي المـنهج وحسب بل كان يشايع طائفة السنة في قوله بإعجاز القرآن، وأن إعجازه يقوم على أنـه نـزل بأفصح اللغات، وهذه المقولة تختلف عن مقولة المعتزلة التي تقول بخلق القرآن، وهـي مقولـة تتعلق بالعقيدة، لا سيما أنه كان يرى أن القرآن الكريم نزل بأفصح اللغات وأرقاها أسلوباً حيث

1- شوقي ضيف: المدارس النحوية 192.

2- مهدي المخزومي : مدرسة الكوفة 125.

نزل بلغة قريش[1]" التي ارتفعت عن عنعنة تميم، وتلتلة بهراء، وكسكسـة ربيعـة، وكشكشـة هوازن، وتضجع قريش، وعجرفة ضبة [2]"، ويرى يوهان فك أنه كان "يرد على علماء الشـعر ورواة الأخبار التاريخية، من عرب البادية الذين لا يريدون أن يلتمسوا إعجاز القرآن في قوالبه اللغوية، بل يرون كمال الفصاحة في لغة عرب البادية[3]".

ولا يعني قوله بإعجاز القرآن أن الفلسفة الكلامية لم تؤثر على طريقته فـي عـرض المادة اللغوية ومناقشتها، فالمتتبع لكلامه حول بعض القضايا الإعرابية يجد أثر التفكير الكلامي والاعتزالي واضحاً جلياً، فهو يتناول المسألة ويقلبها على وجوهها، وأبرز القضايا التي تجلـى فيها تأثره بالمعتزلة وعلماء الكلام قوله في حتى :" ولحتى ثلاثة معان في يفعل، وثلاثة معـان في الأسماء .

فإذا رأيت (فَعل) ماضياً وبعدها (يفعل) في معنى مضي، وليس ما قبل (حتـى يفعـل) يطول، فارفع (يفعلُ) بعدها؛ كقولك جئت حتى أكون معك قريباً.

وكان أكثر النحويين ينصبون الفعل بعد حتى وإن كان ماضـياً إذا كـان لغيـر الأول، فيقولون: سرت حتى يدخلَها زيد، فزعم الكسائي أنه سمع العرب تقول: سرنا حتى تطلع الشمس بزبالة، فرفع والفعل للشمس، وسمع : إنا لجلوس فما نَشْعر حتى يسقطُ حجر بيتنا، رفعاً قـال : وأنشدني الكسائي :

(الوافر)

وقد خُضن الهجير وعمن حتى يفرج ذاك عنهن المساء

وأنشد قول الآخر :

1- يوهان فك: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب 5 .

2- السيوطي: المزهر في علوم اللغة وآدابها 211./1

3- يوهان فك: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب 4، 5 .

(الطويل)

ونُنكر يوم الروع ألوان خيلنا   من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا [1]

فنصب هاهنا؛ لأن الإنكار يتطاول، وهو الوجه الثاني من باب حتى، وذلك أن يكون ما قبل حتى وما بعدها ماضيين، وهما مما يتطاول، فيكون (يفعل) فيه وهو ماضٍ في المعنى أحسن من (فعل)، فنصب، وهو ماضٍ ليحسن (يفعل) فيه، قال الكسائي: سـمعت العـرب تقـول وإن البعير ليهرم حتى يجعلَ إذا شرب الماء مجه. وهو أمر قد مضى، و(يجعل) فيـه أحسـن مـن (جعل). وإنما حسنت لأنها صفة تكون في الواحد على معنى الجميع، معناه : إن هـذا ليكـون كثيراً في الإبل. ومثله : إن الرجل ليتعظّم حتى يمر فلا يسلم على الناس. فتنصب (يمر) لحسن (يفعل) فيه وهو ماضٍ... .

والوجه الثالث في (يفعل) من (حتى) أن يكون ما بعد (حتى) مستقبلاً، ولا تبـال كيـف الذي قبلها فتنصب، كقول ا جل وعز: (لن نَبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) [2]، و (فلن أبرح الأرض حتّى يأْذَن لي أبي) [3] وهو كثير في القرآن [4].

مما سبق نلاحظ أن الجدل والمنطق قد أثرا في مناقشته لبعض القضايا اللغوية، وإثبـات ما يرمي إليه، وربما وصل به الأمر إلى إفساد اللغة، إذ إن الباحث حين يجري هـذا المجـرى فإن مادة بحثه تشكل على القراء والدارسين .

1- هذا البيت من قصيدة للنابغة الجعدي قالها في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، ومطلعها :

خليلي عوجا ساعةً وتهجرا   ولوما على ما أحدثَ الدهر أو ذَرا

2- آية 91 سورة طه.

3- آية 80 سورة يوسف.

4- الفراء : معاني القرآن 134/1-137.

القـــــــراءة

سبق أن الفراء كان مطلعاً على ثقافات عصره محيطاً بها، لما يمليه عليـه ميلـه إلـى الاعتزال وانتصاره للمتكلمين وإيمانه بهم، فقد كانت هذه الفرقة تشترط في أصحابها الجمع بين كلام الدين والفلسفة، لذلك كان الفراء متديناً ورِعاً على تيه وعجب وتعظـم، حتـى أن بعـض الروايات تشير إلى أنه كان متخصصاً في اللغة وعلوم القرآن، وهو أول من تناول مسائل اللغة في القرآن على نحو متسلسل، وله في معاني القرآن من الآراء والاجتهادات ما يوحي ببراعتـه اللغوية وسعة ثقافته الدينية.

وقصة الفراء مع ابن خالته في الفقه مشهورة، إذ يروي بشر المريسي[1] أنه قال للفراء: "يا أبا زكريا، أريد أن أسألك مسألة في الفقه ؟ فقال : سل، فقال : ما تقول في رجل سـها فـي سجدتي السهو ؟ قال : لا شيء عليه، قال : من أين قلت ذلك ؟ قال : قسته على مـذاهبنا فـي العربية، وذلك أن المصغّر لا يصغر، وكذلك لا يلتفت إلى السهو فـي السـهو، فسـكت "[2]، ويروى أن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة سأله عن ذلك، فأجاب بهذا الجواب، فقال له مـا ظننت آدمياً يلد مثلك [3].

والواقع أن ذلك يدفعنا إلى التساؤل عن إمكانية استغلاله للقراءة المتنوعة من أجل تثقيف ذاته، وإثراء عقله لغوياً ودينياً وكلامياً، ثم هل كان بإمكان قراءاته أن تصل به إلى ما وصـل إليه من غزارة علم، وزخم تأليف ؟

1- هو بشر بن غياث المريسي، بفتح الميم، منسوب إلى مريس، وهي قرية، ينظر ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء 101.

2- المصدر السابق 101، 102.

3- المصدر السابق 102.

تكمن الاجابة عن هذا السؤال في أن الإقبال على التعلم بالقراءة كان ضئيلاً بالنسبة لهذا العالم، وأغلب الظن أن القدماء كانوا يعيبون على من يتعلمون بالكتب، ويشكون في علومهم، وربما يكون عزوفه عن الكتب وميله إلى الشيوخ والعلماء الأجلاء نابعاً من كثرة العلماء الذين كانوا يتصدرون الحلقات العلمية في المساجد، ودور العلم المعهودة إذ ذاك .

ومع ذلك فقد اطلع على بعض الكتب وتأثر بها، ومن ذلك كتاب سيبويه، فقد حكى أبو جعفر النحاس "أن كتاب سيبويه وجد تحت وسادة الفراء التي كان يجلس عليها "[1]، كما يفهم من الروايات أن الفراء كان زائد العصبية على سيبويه ويعارضه في أحيان كثيرة"[2].

ومن الكتب التي اطلع عليها وتأثر بها كتابا معاني القرآن للأخفش والكسائي، إذ يروى أن الأخفش قد ألف كتابه بناء على طلب الكسائي "فلما اتصلت الأيام بالاجتماع سألني أن أؤلف له كتاباً في معاني القرآن، فألفت كتابي في المعاني، فجعله إماما لنفسه، وعمل الفراء كتابه في المعاني عليهما، فأقام سيبويه مديدة في الأهواز، ثم مات من ذرب أصابه، وما قتله إلا الغم لما جرى عليه "[3]، فهذه الرواية تطلعنا على أن الفراء قد تأثر بكتابي معاني القرآن للأخفش والكسائي، وحاول أن يأتي بشيء جديد، لم يسبق إليه من حيث المادة، وطريقة البحث.

نجمل القول بأن الفراء شخصية اجتمعت لتكسبها النبوغ والشهرة عدة عوامل، فغدت مثار مدح أو ذم من قبل الباحثين القدماء والمحدثين والمستشرقين، وهو ما سنتناوله في الصفحات القادمة إن شاء ا تعالى .

1- الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين 72.

2- السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة 411.

3- الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين 70.

تـلاميـــــذه

بعد أن ظهرت ملامح نبوغه، وذاع صيته بين أساتذته وأقرانه، تصدر للتـدريس فـي المساجد ودور العلم، فأمه الطلاب والمريدون من كل مكان ينهلون من علمه ويسجلون مسائله، وأشهرهم[1]:

1- سلمة بن عاصم (أبو محمد البغدادي، 270هـ) .

2- أبو عبد ا الطوال (محمد بن أحمد بن عبد ا الطوال، 243هـ).

3- أبو عبيد القاسم بن سلام (224هـ) .

4- أبو جعفر محمد بن قادم (محمد بن عبد ا بن قادم النحوي، وقيل اسمه أحمد، 251هـ).

5- أبو محمد عبد ا محمد بن الجهم السمري(277هـ) .

6- محمد بن عبد ا بن مالك (أبو عبد ا النخعي الكوفي).

7- هارون عبد ا بن مروان البغدادي (243هـ).

8- أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت (244هـ).

هؤلاء هم أشهر تلاميذه الذين ذكرتهم كتب التراجم والطبقات، على أن طلابه كثيـرون، ويكفي أن نشير إلى أن معظم معاصريه، قد أخذوا عنه، كما أن المحدثين من علماء اللغـة قـد تأثروا بمؤلفاته، فلا يكاد يخلو كتاب من اسم الفراء بين المصادر والمراجع التي أسـهمت فـي إنجازه .

1- رمضان عبد التواب : مقدمة المذكر والمؤنث 15، 16.

مـؤلفاتـــــه

ترك الفراء زاداً لغوياً للأجيال من بعده أغنى رفوف المكتبة العربية، إذ تقدر كتبه بثلاثة آلاف ورقة، وصفت بأنها لا يوازى بها كتاب، واتهم فيها بأنه كـان يتفلسـف ويسـلك كـلام الفلاسفة، وهذه لائحة بأهم كتبه كما ذكرها رمضان عبد التواب فـي مقدمـة كتـاب المـذكر والمؤنث، وهي[1]:

1- كتاب آلة الكتاب
2- الأحزاب السياسية
3- كتاب اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف
4- كتاب الأيام والليالي والشهور
5-كتاب البهي
6- كتاب التصريف
7- كتاب الجمع والتثنية في القرآن
8- كتاب الحدود
9- كتاب حروف المعجم
10- كتاب غريب الحديث
11- كتاب الفاخر
12- كتاب فعل وأفعل
13- كتاب الكافي في النحو
14- كتاب اللغات
15- كتاب لغات القرآن
16- كتاب المذكر والمؤنث
17- كتاب مشكل اللغة الصغير
18- كتاب مشكل اللغة الكبير
19- كتاب المصادر في القرآن
20- كتاب معاني القرآن
21- كتاب المقصور والممدود
22- كتاب ملازم
23- كتاب النوادر
24- كتاب الواو
25- كتاب الوقف والابتداء
26- كتاب يافع ويفعة

1- ينظر رمضان عبد التواب : مقدمة المذكر والمؤنث 24، 25.

أقـوال العـلمـاء

يجدر بنا أن نشير إلى أن مجالس العلم محك اختبار للعلماء، فيها تظهر براعـة العـالم ومقدرته، فينال من طلابه المدح أو الذم، والفراء واحد من العلماء الذين تصـدروا للتـدريس، وتلقين النحو، فنالوا إعجاب المحبين، وذم المهاجمين، ومعظم الذين قالوا فيه عبـارات المـدح كانوا من علماء الكوفة ومن والاهم من الباحثين المعاصرين والمستشرقين، في حين نجد الـذين تعرضوا له بالذم كانوا من البصريين، ومن والاهم، على أننا سنقتصر حديثنا في هـذه القضـية على ذكر بعض المقتطفات التي نلمح فيها المدح أو الذم، فمن القدماء الذين مدحوه أبو بكر بـن الأنباري الذي يقول :" لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية إلا الكسائي والفراء لكان بهما الافتخار على جميع الناس؛ إذ انتهت العلوم إليهما"[1].

ويحكى عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، أنه قال :"لولا الفراء لسـقطت العربيـة؛ لأنه خلصها وضبطها، ولولا الفراء لسقطت العربية؛ لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل مـن أراد، ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب " [2].

وهذا أبو عمر الجرمي يشهد له بالبراعة والعلم والغلبة في الجدال، فيروي سـلمة بـن عاصم قصة له مع الفراء يقول فيها : "خرجت من منزلي فرأيت أبا عمر الجرمي واقفا علـى بابي، فقال لي : يا أبا محمد: امض بي إلى فرائكم هذا، فقلت له : امض، فانتهينا إلى الفـراء، وهو جالس على بابه يخاطب قوما من أصحابه في النحو؛ فلما عزم على النهوض، قلت : يا أبا زكريا، هذا أبو عمر صاحب البصريين، تحب أن تكلمه في شيء ؟ فقـال : نعـم، مـا يقـول أصحابك في كذا وكذا ؟ قال كذا وكذا ، فقال يلزمهم كذا وكذا، ويفسد هذا من جهة كذا وكـذا،

1- ابن الأنباري : نزهة الألباء في طبقات الأدباء 101 .

2- المصدر السابق 98 .

قال: فألقى عليه مسائل، وعرفه الإلزامات فيها، فنهض وهو يقول: يا أبا محمـد، مـا هـذا إلا شيطان، يكرر ذلك (ثلاثاً) "[1].

كما وصف بأنه "أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب"[2]، وأنه "كان متديناً متورعاً، على تيه وتعظم "[3].

وأنشد أبو عيسى بن زهير التغلبي عن محمد بن الجهم السمري يمدح الفراء في قصيدة منها :

يا طالب النحوِ الْتَمس علم ما	ألـفَه الفراء في نَحوه	(السريع)
أفـاد مـن تَـأْتيه ما لَم يكُن	يـعلَم من قَبلُ ولَم يحوِه	
ســتين حدا ، قَاسها عالِما	أَصلها بِالحفْظ من شَدوِه [4]	

ويرى ابن حجر أن "شهرته بالعربية ومعرفته غير محتاجة إلى إكثار" [5]، ويقول فيـه الذهبي إنه "أجل أصحاب الكسائي، وكان رأساً في النحو واللغة "[6].

وقال أبو العباس (ثعلب): "كان الفراء يجلس في مسجده إلى جانب منزله، وكان يتفلسف في تصانيفه حتى يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة "[7].

ويحكى عن سلمة بن عاصم أنه قال حين قدمه للمأمون وعرفه له :" رأيت أبهـة أدب، فجلس إليه ففاتشته عن اللغة، فوجدته بحرا، وفاتشته عن النحو فشاهدته نسيج وحده، وعن الفقه

1- ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء 102، 103 .
2- المصدر السابق 102، 103.
3- السيوطي : بغية الوعاة 411.
4- البغدادي : تاريخ بغداد 155/14.
5- العسقلاني : تهذيب التهذيب 187/11.
6- البغدادي: تاريخ بغداد 14 /152.
7- ابن خلكان: وفيات الأعيان 228/5.

فوجدته فقيها عارفاً باختلاف القوم، وبالنجوم ماهراً، وبالطب خبيراً، وبأيام العرب وأشـعارها حاذقاً "[1].

وقيل للكسائي: "الفراء أعلم أم الأحمر ؟ فقال : الأحمر أكثر حفظاً، والفـراء أحسـن عقلاً، وأبعد فكراً، وأعلم بما يخرج من رأسه "[2].

ويروي عن ابن الأنباري أنه قال: "ما آسيت على شيء كما آسيت على تركي السـماع لكتاب معاني القرآن للفراء على أبي العباس أحمد بن يحيى، وإنما كان يقطعني عنه الحـديث، وكان يقرأ بالعشيات على باب داره "[3].

وحين سأله محمد بن الحسن الفقيه ابن خالته مسألة في الفقه وفسرها له اعتمـاداً علـى ثقافته اللغوية، قال فيه: "ما ظننت آدمياً يلد مثلك "[4].

ونرى أن نختم الحديث حول قضية مدح القدماء له وإعجابهم به بمقولة لأبـي العبـاس أحمد بن يحيى (ثعلب)، التي يتحدث فيها عن تخريجه للإعراب على اللفظ والمعنـى، فيقـول: "العرب تخرج الإعراب على اللفظ دون المعنى، فإذا كان الإعراب يفسد المعنى فليس من كلام العرب، وإنما صح قول الفراء لأنه عمل العربية والنحو على كلام العرب وقال : كـل مسـألة وافق إعرابها معناها، ومعناها إعرابها فهو الصحيح "[5].

1- ابن الأنباري : نزهة الألباء في طبقات الأدباء 101.
2- المصدر السابق 102.
3- الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين 137.
4- ابن خلكان: وفيات الأعيان 228/5.
5- الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين 131.

أما علماء اللغة المحدثون من العرب والمستشرقين، الذين والوا المدرسة الكوفية فإنهم قد ضمنوا كتبهم عبارات مدح وإعجاب به على نحو ما نجد عند مهدي المخزومي، الذي اهتم "بالفراء في استعراضه لمدرسة الكوفة، وحاول تطبيق بعض المصطلحات "[1].

وقد أفرد أحمد مكي الأنصاري كتاباً خاصاً عن حياة الفراء ومنهجه، وعده رائداً في تيسير النحو العربي، وأنه كان أسبق من ابن السراج المتوفى سنة 316هـ إلى وضع النحو وأصوله، كما جعله مؤسساً وسباقاً للاحتجاج بالحديث الشريف [2].

وقد جعله شوقي ضيف مشاركاً مع أستاذه الكسائي في تأسيس المدرسة الكوفية[3]. أما خديجة الحديثي فقد ناقشت مسألة أسبقيته إلى الاستشهاد بالحديث الشريف، ورأت أنه لم يفضل سيبويه في الاحتجاج به، لكنه تميز بتصريحه بنسبة الأحاديث إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فلم يفضل سيبويه بعدد الأحاديث التي استشهد بها، ولا يوجد في كتبه أحاديث تفوت الأحاديث الموجودة في كتاب سيبويه عدداً [4].

ومن المستشرقين الذين درسوا الفراء وأثنوا عليه المستشرق الألماني يوهان فك، الذي نعته بـ "الفراء العظيم " [5].

ومع كل ذلك فإن الفراء لم يعدم الطعن والذم من قبل العلماء القدماء والمحدثين الموالين للمدرسة البصرية، فنجد الجاحظ يتهمه بالتعصب والجحود وسرقة العلم بقوله :"قدمت بغداد قدمة، ولم يكن معي شيء أهديه إلى محمد بن عبد الملك الزيات، فلما خرجت من السفينة سمعت منادياً ينادي : من أراد أن يحضر بيع كتب الفراء فليحضر فقلت : لأذهبن لعلي أشتري

1- شرف الدين الراجحي: في المصطلح الصرفي عند الفراء في كتابه (معاني القرآن) 19.
2- أحمد مكي الأنصاري : أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة 70 .
3- شوقي ضيف : المدارس النحوية 57 .
4- خديجة الحديثي : موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف 86.
5- يوهان فك : العربية 85 .

كتاباً فأهديه إليه :فحضرت فلم أجد في كتبه شيئاً أستحسنه، فلما بيعت كتبه، رفع فراشه الـذي كان ينام عليه ليباع، فوجد تحت وسادته كتاب سيبويه، فنودي عليه فبالغت الثناء فيه واشتريته، وأهديته إلى محمد بن عبد الملك الزيات، فسر به، وقال: شهد الكتاب عندي على مقدار سيبويه، ودلني على فضله الفراء، إذ نظر فيه، ولم يعلم محمد أن الفراء لم ينتفع بالنظر في هذا الكتـاب كبير نفع، لأنه لم ينظر فيه نظر ناصح لنفسه، ولا مسألةً لمن وصل إليه العلم من جهتـه، ولا معترف بالحق فيه، ولا صادق في روايته عنه ما أخذه منه، فإنه سرق بعضاً وادعـاه لنفسـه، وستر حقّ صاحبه فلم يشكره، ونقل عنه مسائل وعزاها إلى الخليـل" [1]، وكـان البصـريون يقولون إنه زائد العصبية على سيبويه، ويعارضه في أحيان كثيرة "[2].

وزعم قطرب أن الفراء كان يلحن في كلامه، فيقول :"دخل الفراء على الرشـيد فـتكلم بكلام لحن فيه مرات، فقال جعفر بن يحيى البرمكي إنه قد لحن يا أمير المؤمنين، فقال الرشـيد للفراء: أتلحن ؟ فقال الفراء: يا أمير المؤمنين إن طباع أهل البدو الإعراب، وطباع أهل الحضر اللحن، فإذا تحفظت لم ألحن، وإذا رجعت إلى الطباع لحنت، واستحسن الرشيد قوله"[3].

وقد ذكره كل من التوزي المتوفى عام 230هـ ، وأبي حاتم السجستاني المتوفى عـام 205هـ الذي يقول : "ولا ألتفت إلى رواية الكسائي والأحمر الأموي ونحوهم، وأعوذ با من شرهم "[4].

أما المحدثون فلا نجد في مؤلفاتهم إشارة ذم صريح لهذا العالم، فكل ما ذكروه يتمثل في أنه كان يميل إلى الاعتزال، ويتفلسف في مؤلفاته، فمهدي المخزومي يرى أنه بالرغم من هـذا

1- القفطي : إنباه الرواة على أنباه النحاة 743./3

2- السيوطي : بغية الوعاة 411.

3- ابن خلكان : وفيات الأعيان 225/5.

4- أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين 157.

الأثر الذي تركته فيه فرقة المعتزلة إلاّ أنه قد خالفهم في بعض المشكلات الخاصة بالعقائد مثل: خلق القرآن، وقوله بأن القرآن معجز؛ لأنه نزل بأفصح اللغات وأنقاها[1]، كما حاول أحمد أمين، إثبات ميله إلى الكلام والتفلسف، فيرى أن عنوان كتابه (الحدود) يدل على الفلسفة والميل إلـى المعتزلة :"فهو يريد بالحدود التعاريف كحد المعرفة والنكرة وحد النداء وهو التـرخيم...إلـخ ، وهذه أمور لم يعن بها سيبويه في كتابه كثيراً، وهي آثار الفلسفة والمنطق"[2].

1- مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة 136، 137.

2- أحمد أمين : ضحى الإسلام 308/2

وفـــاتـه

ذكرت كتب التراجم والطبقات أن الفراء توفي سنة 207هـ [1]، بعـد أن أدى فريضـة الحج ويؤيد ذلك قول محمد بن الجهم: "وسألته في طريق مكة في ذي العقدة سنة ست ومـائتين كيف تقرأ هذا الحرف تعدوا بالتشديد" [2]، فيكون قد عاش 63 سنة، وتروي المصادر أنه فقـد عقله في آخر حياته، وفي ذلك يقول سلمة بن عاصم :"دخلت عليه في مرضه، وقد زال عقلـه، وهو يقول : إن نصباً فنصبا وإن رفعاً فرفعا "[3].

1- ابن خلكان : وفيات الأعيان 229/5.

2- ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء 371.

3- السيوطي : بغية الوعاة 412.

الفصـــــــــــل الأول

مصـــادر الدراســـة الصـــرفية عنـــد الفـــراء

1- القـــرآن الكـــريم وقراءته

2- الحـــديث النبوي الشريف

3- كـــلام العـــرب

4- الشــــــعر

1- القــرآن الكــريم وقــراءته

يعد القرآن الكريم المصدر الأول في مصادر الاحتجاج اللغوي، وهـو الدعامـة التـي ترتكز عليها أصول الاستشهاد الأخرى؛ ذلك أنه المصدر الأول في مصادر الدراسـة اللغويـة المتمثلة في الحديث الشريف، والشعر، وكلام العرب. وقد كانت أولية الاستشهاد بالقرآن الكريم موضع اتفاق جميع علماء اللغة فقد "أجمعت الأمة، وتضافرت أقوال الأئمة على أن القرآن فـي الذروة من البلاغة والفصاحة لأجل هذا اتجهت إليه أنظار النحويين، واستقوا منه مـادة نحويـة غزيرة، يساعدهم على ذلك أن القرآن حاضر بين أيديهم يقرأونه كل حين للتعبر والتفقـه فـي أمور الدين "[1].

وكان من الطبيعي جداً أن يكون القرآن الكريم أهم المصادر التي استقى منهـا علمـاء العربية والنحاة الأوائل؛ نظراً لإجماعهم على أنه في أعلى درجات الفصاحة، وخير سجل للغـة الأدبية فهو "أبلغ كلام نزل، وأوثق نص وصل، ولأنه يمثل العربية الأصيلة، والأساليب الرفيعة، ويخاطب العرب بلغتهم على ما يعنون "[2].

وقد نص العلماء على ضرورة أن "تبنى القاعدة على ما جاء في القرآن لأنه نص تتوافر فيه جميع شروط السند، فهو ينتمي إلى الفصحى النموذجية المشتركة، وهو موثوق لا يرقى إليه شك ولا يمكن أن يطعن فيه إمكان تزيد أو نحل، وهو المجمع على أنه لـيس فـوق فصـاحته فصاحة، ولا بعد بيانه بيان "[3].

---

[1] جعفر نايف عبابنة : مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي 44.

[2] خديجة الحديثي: دراسات في كتاب سيبويه 11.

[3] عفيفة دمشقية : المنطلقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربي 41.

وكانت قداسته سبباً حدا بعلماء اللغة إلى الأخذ بمختلف رواياته، إذ لم نجد في الحـديث الشريف، ولا في كلام العرب وأشعارها، و "لا نجد عجباً في أن يكون القرآن مصدراً كبيراً في اللغة من حيث ألفاظها وصرفها ونحوها لأن قداسته التي لا مجال ليشك فيها تعطي لمصـدريته صفة السلامة الراسخة والصحة الثابتة المطردة. ولا غرو في ذلك فما ورد في القرآن هو أصح ما استعملته العرب من أساليب وألفاظ كانت أصح مصدر لعلماء اللغة" [1].

كما أن علماء اللغة نظروا إلى القرآن الكريم "نظرة الكلام المعجز الذي لا يدانيه كـلام آخر، وهذا هو ما يعتقد جميع المسلمين في الكتاب المجيد، ويقبلون كل مـا ورد فـي القـرآن ويستشهدون به بوصفه أفصح ما جاء عن العرب سواء أكان لغةً أم نحواً، ولما كان نص القرآن الكريم أدى إلينا بطرق متعددة هي القراءات، فأولى للغويين أن يقبلوا جميـع تلـك القـراءات المستفيض منها والشاذ وهذا ما صرح به الطبري إذ يقول[2] :" كل ما صح عندنا من القراءات أنه علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته، من الأحرف السبعة التي أذن الله لـه ولهـم أن يقرؤا بها القرآن، فليس لنا أن نخطئ من قرأ إذا كان ذلك به موافقاً لخط المصحف "[3].

وقد التفت علماء اللغة إلى ضرورة الأخذ بقراءاته المختلفة؛ لأنه كلام الله عزوجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد تضافرت للذب عن حماه جهود المخلصين مـن أبناء هذه الأمة، فقد "جرى عرف علماء اللغة على الاحتجاج برواياته سواء أكانت متـواترة أم روايات آحاد أم شاذة. والقراءة الشاذة التي منع القراء قراءتها في التلاوة يحتج بها فـي اللغـة والنحو. إذ هي – على كل حال – أقوى سنداً وأصح نقلاً من كل ما احتج به العلماء في الكـلام العربي غير القرآن. ولئن كان القراء أسقطوا القراءة بها لعدم وثوقهم أنها قراءة النبي نفسه، إن

---

[1] محمد سمير نجيب اللّبدي: أثر القرآن والقراءات في النحو العربي العربي 32، 33.

[2] صباح عباس السالم : عيسى بن عمرو الثقفي نحوه من خلال قراءاته 96.

[3] مكي بن أبي طالب حموش القيسي : الإبانة عن معاني القراءات 20.

على علماء اللغة والنحو أن يعضوا عليها؛ بالنواجذ إذ كان رواتها الأعلَون عرباً فصحاء سليمة سلائقهم، تبنى على أقوالهم قواعد العربية. وأنت تعرف أن النحاة يحتجون بكلام من لـم تفسـد سلائقهم من تابعي التابعين فلأن يحتجوا بقراءة أعيان التـابعين والصـحابة أولـى، ورجحـان قراءات القرآن في حجيتها اللغوية والنحوية على شواهد النحاة عرفٌ قديم تعاوره العلماء "[1].

وقد تنبه الفراء كغيره من علماء اللغة إلى هذه الأهمية، التي يحتلها القرآن الكريم فـي مجال الاحتجاج اللغوي، فحفلت كتبه بكثير من الشواهد القرآنية التي تشير إلى أنه كـان يعـده المصدر الأول من مصادره، وقد نص على هذه الأهمية صراحة حين تعرض لإعراب قولـه تعالى: (وفَاكِهة مما يتَخَيرون. ولَحمِ طَيرٍ مما يشْتَهون. و حورٍ عينٍ)[2]، فيقول: " فخفض بعض القراء، ورفع بعضهم الحور العين. قال الذين رفعوا : الحور العين لا يطاف بهن، فرفعوا على معنى قولهم: وعندهم حور عين، أو مع ذلك حور عين؛ فقيل : الفاكهة واللحم لا يطـاف بهمـا إنما يطاف بالخمر وحدها – والله أعلم – ثم أُتبع آخر الكلام أوله. وهو كثير في كلام العـرب وأشعارهم، وأنشدني بعض بني أسد يصف فرسه :

(البسيط)

علَفْتُها تبناً وماء بارداً   حتى شَتَتْ همالةً عينَاها [3]

والكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر"[4].

كما أشار الفراء إلى المعنى نفسه في أثناء حديثه عن أن العرب قد تترك جواب الشـيء المعروف معناه، وإن تُرك الجواب كما هو الحال في قوله تعالى : (أَفَمن كان علَى بينَة من ربه

---

(1) سعيد الأفغاني : في أصول النحو، ط3، 1964م، دار الفكر 29.

(2) آية 19-22 سورة الواقعة .

(3) البيت ينسبه محيي الدين عبد الحميد لشعبة بن قمير في نوادر أبي زيد، وللأقرع بن معاذ في سمط اللآلئ؛ وبلا نسبة في الدرر، وسر صناعة الإعراب. ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 298/1.

(4) الفراء : معاني القرآن 14/1.

ويتلوه شَاهد منْه)[1]." .... ولم يأت لقوله تعالى: (أفَمن كان علَى بينَة من ربه) جـواب بـين، كقوله تعالى في سورة محمد -صلى ا عليه وسلم- : (أفَمن كان علَى بينَة من ربه كَمن زين لَه سوء عمله) وربما تركت العرب جواب الشيء المعروف معناه وإن تُـرِك الجـواب؛ قـال الشاعر امرؤ القيس:

(الطويل)

فَأُقسم لو شَيء أَتانا رسولُه سواك ولكن لَم نَجِد لَك مدفَعا [2]

وقال ا – تبارك وتعالى وهو أصدق من قول الشاعر- : (ولو أن قرآناً سيرتْ به الجبـال أو قُطعت به الأرض)[3] فلم يؤت بجواب وا أعلم[4].

وقوله : (فما آتَانِ اللّه) [5] ..... فكذلك يجوز (فَما آتَاني اللّه) ولست أشتهي ذلك ولا آخذ بـه. واتباع المصحف إذا وجدت له وجهاً من كلام العرب وقراءة القراء أحب إلي من خلافه. وقـد كان أبو عمرو يقرأ (إن هذَينِ لَساحرانِ)[6] ولست أجترئ على ذلك، وقرأ (فأصدقَ وأكُـون)[7] فزادوا واواً * في الكتاب. ولست أستحب ذلك" [8].

على أن الحقيقة التي تتراءى لدارس كتابه (معاني القرآن) تتمثل في أنه قد قبل كل ما جاء مـن القرآن الكريم، مؤثراً في كثير من الأحايين عدم التأويل والتخريج والأخذ بظواهر الآيات، وهذا

---

(1) آية 17 سورة هود .

(2) البيت لامرئ القيس . وفي الديوان "أجدك لو شيء ....." . والمعنى لو أحد أتانا رسوله لما أجبناه؛ ولكنّا لم ندفعك عن ذلك. ينظر ديوان امرؤ القيس 242.

(3) الآية 31 سورة الرعد .

(4) الفراء : معاني القرآن 6/2 ، 7 .

(5) الآية 36 سورة النمل .

(6) الآية 63 سورة طه .

(7) الاية 10 سورة المنافقين .

(8) الفراء : معاني القرآن 293/2، 294.

* يريد واو أكون .

النهج قد سار عليه معظم علماء المدرسة الكوفية، وقد تنبه إلى ذلك عبد العال سالم مكرم حين أشار إلى أن الكوفيين "كانوا أوسع أفقاً في مجال القرآن مؤثرين في أحايين كثيرة عدم التأويل والتخريج والأخذ بظواهر الآيات "[1]. والأمثلة على ذلك في كتابه (معاني القرآن) كثيرة، لا تكاد تخلو منها صفحة من صفحاته.

وكتابه (معاني القرآن)، من أقدم الكتب النحوية التي وصلت إلينا، إذ جمع فيه مؤلفه أكثر علوم اللغة كالأصوات، والصرف، والنحو، والقراءات، والدلالة، والضرورات الشعرية، ويعد أهم مصدر في الدراسة التطبيقية لفروع اللغة المختلفة التي تضافرت على بنائها الأجيال، وإليه يرجع الدارسون في كثير مما يكتبون. فقد اتخذ الفراء القرآن الكريم مجالاً لتطبيق قواعد لغوية تشمل جميع مباحث علوم اللغة، التي يعنينا منها ما هو خاص بمبحث الصرف، كالتذكير والتأنيث، والمقصور والممدود، والصحة والاعتلال، والإفراد والتثنية والجمع، والجمود والاشتقاق، والتصغير، والنسب، والادغام، والمماثلة، والمخالفة مما له ارتباط بعلم الأصوات أيضاً. وهذه المباحث تتعلق بالأسماء، أما فيما يتعلق بالأفعال التي وجد فيها مجالاً للتطبيق: الأفعال باعتبار الزمن، والصحة والاعتلال، والتعدية واللزوم، والإسناد، والتجريد والزيادة، والبناء للمجهول، إلى غير ذلك من الجزئيات التي تناولها على هامش فروع الدراسة الأخرى، التي جاءت من أجل زيادة توضيح قضية من القضايا، أو ترسيخ قاعدة من القواعد.

ويبدو من خلال دراسة الكتاب أنه قد تناول القرآن الكريم بالتفسير اللغوي على نحو متسلسل، فكان يأتي بالآية الكريمة موضوع الدرس ثم يقوم بحشد فروع اللغة، إضافة إلى توظيف غير مصدر من مصادر الاحتجاج، ولو أن الفراء تناول جميع آيات القرآن الكريم وسار

---

[1] عبد العال سالم مكرم : القرآن وأثره في الدراسات النحوية 124.

على نفس النمط من الدراسة، لأمكننا أن نصنف كتابه ضمن كتب التفسير اللغوي، أو ما يطلـق عليه لدى معظم الباحثين المعاصرين بالدراسة الأسلوبية.

وأهمية القرآن الكريم، في اعتماد الفراء عليه كثيراً لتخريج الظواهر الصرفية، تجعلنـا نتساءل عن المنهج الذي سار عليه في احتجاجه بهذا المصدر. حاولنا بعد دراسة فاحصة لكتاب معاني القرآن أن نرصد بعض الظواهر التي توضح نهجه في الاستفادة من القرآن الكريم. ولعل في مقدمتها ما كان يفعله في بداية كل سورة، إذ يصدرها بعبارة توحي بأن الدراسة تشمل بعض آيات السورة لا السورة جميعها، فيقول :" ومن سورة البقرة "بسم الله الرحمن الـرحيم " قولـه تعالى: ..."[1]، وهذه العبارة تتكرر في بداية كل سورة من سور القرآن التـي تعـرض لهـا بالتفسير .

وفي أحيان كثيرة يلجأ إلى الاجتزاء ببعض الآية الكريمة موضع التفسير، فيكتفي بـذكر جزء منها كما هي الحال في حديثه عن قوله تعالى: (يا عيسى ابن مريم) [2]، وقوله تعالى: (ولا يجِدن) [3]. كأنه بذلك يكتفي بالإشارة إلى الآية الكريمة إشارة دون أن يقـوم بتـدوينها كاملـة، إضافة إلى أنه لم يكن يلجأ إلى التفسير الشامل للآيات، فقد يكتفي من الآية موضـع الـدرس أو التفسير بكلمة يقيم عليها ظاهرة لغوية، ويتضح ذلك في أثناء تعرضه لقوله تعـالى: (طـائِركُم معكُم) [4]، فالقراء مجتمعون على (طائركم) بالألف. والعرب تقول: طيركم معكم"[5]، ومن خلال

---

[1] الفراء : معاني القرآن 9/1 .

[2] آية 116 سورة المائدة .

[3] آية 173 سورة النساء .

[4] آية 19 سورة يس .

[5] الفراء : معاني القرآن 374/2.

كلمة يأخذها من آية كريمة يقيم في بعض الأحيان قاعدة صرفية- يحتج عليها بغير مصدر مـن مصادر الاحتجاج، مثال ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى: (النبوة) [1].

"وفي مصحف عبد ا بالياء بياءين: النبيية بياءين والهمزة في كتابه تثبت بالألف في كل نوع، فلو كانت همزة لأثبتَت بالألف، ولو كانت الفعولة بالألف، ولو كانت الفعولة لكانت بـالواو، ولا تخلو أن تكون مصدر النبأ أو النّبيية مصدر فنسبت إلى النبي صلى ا عليه وسلم.

والعرب تقول : فعل ذلك في غُلوميته، وفي غلومته، وفي غلاميتـه، وسـمع الكسـائي العرب تقول : فعل ذلك في وليديته يريد: وهو وليد أي : مولود، فما جاءك من مصـدر لاسـم موضوع، فلك فيه : الفُعولة والفُعولية، وأن تجعله منسوباً على صورة الاسـم، ومـن ذلـك أن تقول: عبد بين العبودية، والعبودة والعبدية، فقس على هذا "[2].

كما كان يعمد إلى تقديم الآيات القرآنية الكريمة موضع التفسير بعبارة "وقوله تعـالى : ...." [3]، أو "وأما قوله تعالى : .... " [4]، أو "وقوله : ... " [5]، أو " ثم قـال : .... "[6] إلـى غير ذلك من العبارات التي كان يقدم بها الآيات القرآنية المراد تفسيرها. وقد يستعمل عبـارات أخرى للايحاء بأنه يستشهد على الظاهرة اللغوية الشيء من القرآن الكريم: "وقال ا جل وعـز ... "[7]، أو " ألا ترى قول ا ... " [8]، أو "ومثله في قول ا تبارك وتعالى... "[9]، أو "ومنـه

---

(1) آية 26 سورة الحديد .
(2) الفراء : معاني القرآن 136/3 ، 137.
(3) المصدر السابق 3/1.
(4) المصدر السابق 11/1.
(5) المصدر السابق 14/1.
(6) المصدر السابق 452/1.
(7) الفراء : معاني القرآن 183/3.
(8) المصدر السابق 128/1.
(9) المصدر السابق 135/1.

"ومنه قوله..."[1]، أو "فأنزل ا ... "[2]، أو "والذي في الحديد مثلها ... "[3]. إضافة إلى أمثلـة أمثلة كثيرة من العبارات التي يرى الفراء أنه ومن الضروري أن تسبق الآيات القرآنية؛ لتميزها عن غيرها من الكلام المحتج به.

ويلجأ في بعض الأحيان عند الاحتجاج بالقرآن على الظاهرة التي يدرسها إلى الإشـارة إلى أن أمثلة هذه الظاهرة في القرآن كثيرة، بقوله :"وهو كثير في كتاب ا عز وجـل"[4]، ثـم يتبع العبارة بالآيات المحتج بها على الظاهرة موضع التفسير. وربما اكتفى بالقول إن الظـاهرة كثيرة في القرآن دون أن يذكر بعدها الشواهد القرآنية على نحو ما فعل عند تفسيره لقوله تعالى: (لأهب لَك) [5] "الهبة من ا ، حكاها جبريل لها، كأنه هو الواهب. وذلك كثير في القرآن خاصة. خاصة. وفي قراءة عبد ا (ليهب لَك) والمعنى : ليهب اللّه لك. وأما تفسير (لأهب لَـك) فإنـه كقولك أرسلني بالقول لأهب لك فكأنه قال: "ذا لأهب لك والفعل تعالى"[6].

وعلى طرفي نقيض فإنه في بعض الأحيان قد ينص على أن الظاهرة لا نظير لها مـن القرآن، كما هي الحال عند تفسيره لقوله تعالى: (و لا أَوضعوا خلالَكُم) [7]، فيقول :"الإيضـاع: السير بين القوم. وكتبت بلام ألف وألف بعد ذلك، ولم يكتب في القرآن لها نظير. وذلك أنهـم لا يكادون يستمرون في الكتاب على جهة واحدة "[8].

---

(1) المصدر السابق 158/1.
(2) المصدر السابق 186/3.
(3) المصدر السابق 107/1.
(4) المصدر السابق 103/1.
(5) آية 19 سورة مريم.
(6) الفراء : معاني القرآن 231/1.
(7) آية 47 سورة براءة .
(8) الفراء : معاني القرآن 439/1.

ومما يلاحظ على أسلوبه في الاحتجاج من القرآن الكريم أنه قد يأتي بالآية الكريمة التي يود تفسيرها، ثم يعززها بأمثلة من القرآن الكريم، فيشبه الآيات القرآنية بعضها ببعض، ويحمل إحداها على الأخرى، كما هو الحال في أثناء حديثه عن قوله تعالى: (قَد بـدت الْبغْضـاء مـن أفواههم)[1] "وفي قراءة عبد ا (وقد بدا البغضاء من أفواههم) ذَكـر لأن البغضـاء مصـدر، والمصدر إذا كان مؤنثاً جاز تذكير فعله إذا تقدم؛ مثل (وأَخَذَ الذين ظَلَموا الصـيحةُ)[2] و (قَـد جاءكُم بينةٌ من ربكُم)[3] وأشباه ذلك" [4]. وقوله تعالى: (إن يمسسكُم قَرح)[5] و"قُـرح. وأكثـر القراء على فتح القاف. وقد قرأ أصحاب عبد ا : قُرح، وكأن القُرح ألـم الجراحـات، وكـأن القَرح الجِراح بأعيانها. وهو في ذاته مثل قوله تعالى: (أَسكنُوهن من حيثُ سكَنْتُم من وجدكُم)[6] وجدكُم)[6] ووجدكُم (والّذين لاَ يجِدون ٳّلا جهدهم) [7] وجهـدهم، و (لا يكلّـفُ الّلّـه نَفْسـاً ٳّلا وسعها)[8] و وسعها"[9]، والأمثلة التي يعتمد الفراء في مناقشتها على الشواهد القرآنيـة فحسـب كثيرة في الكتاب.

ولم يكن يسوي القرآن الكريم بكلام العرب، فيأتي بالآية الكريمة موضع التفسـير ثـم يتبعها بوجوه القراءات المختلفة، ثم يحتج عليها من كلام العرب، ولعل فيما قاله بعد قوله تعالى: (وما تَدخرون)[10] خير دليل على ما نذهب إليه، إذ يقول : "وهي تفتعلون من ذخـرت، وتقـرأ

---

[1] آية 118 سورة آل عمران.
[2] آية 67 سورة هود.
[3] آية 157 سورة الأنعام.
[4] الفراء : معاني القرآن 231/1.
[5] آية 140 سورة آل عمران.
[6] آية 6 سورة الطلاق .
[7] آية 79 سورة التوبة.
[8] آية 286 سورة البقرة.
[9] الفراء : معاني القرآن 234/1.
[10] آية 49 سورة آل عمران .

(وما تَدخَرون) خفيفة على تَفْعلون، وبعض العرب يقول : تدخرون فيجعل الدال والذال يعتقبـان في تفتعلون من ذخرت، وظَلمت تقول: مظلم، مطّلم، و مذكر، ومدكر، وسمعت بعض بني أسد يقول : قد اتغر وهذه اللغة كثيرة فيهم خاصة . وغيرهم قد اثغر .

فأما الذين يقولون: يدخر ويدكر ومدكر فإنهم وجدوا التـاء إذا سـكنت واسـتقبلتها ذال دخلت التاء في الذال فصارت ذالاً، فكرهوا أن تصير التاء ذالا فلا يعرفُ الافتعال مـن ذلـك، فنظروا إلى حرف يكون عدلا بينهما في المقاربة، فجعلوه مكان التاء ومكان الذال "[1].

وربما يساوي بين القرآن وكلام العرب، فيأتي الفراء بما سمعه عن العرب مباشرة بعـد الآية موضع التفسير، ثم يعود للاحتجاج من القرآن الكريم كما فعل مع قوله تعالى: (ثُم اسـتَوى إلى السماء فَسواهن)[2] "الاستواء في كلام العرب على جهتين : إحداهما أن يسـتوي الرجـلُ وينتهي شبابه، أو يستوي عن اعوجاج، فهذان وجهان . ووجه ثالث أن تقول : كان مقبلاً علـي فلان ثم استوى علي يشاتمني وإلي سواء، على معنى أقْبلَ إلي وعلي؛ فهذا معنى قولـه: (ثُـم استَوى إلى السماء) وا أعلم. وقال ابن عباس : ثم استوى إلى السماء صـعد، وهـذا كقولـك للرجل: كان قائماً فاستوى قاعداً، وكان قاعداً فاستوى قائماً. وكل في كلام العرب جائز.

فأما قوله: (ثُم استَوى إلى السماء فَسواهن) فإن السماء في معنى جمع، فقال (فَسـواهن) للمعنى المعروف أنهن سبع سموات، وكذلك الأرض يقع عليها- وهي واحدة- والجمـع. ويقـع عليهما التوحيد وهما مجموعتان، قال اللّه عزوجل: (رب السموات والْأَرضِ)[3]. ثم قال: (ومـا بينَهما) ولم يقل بينهن ، فهذا دليل على ما قلت لك" [4].

---

[1] الفراء : معاني القرآن 215/1.

[2] آية 29 سورة البقرة .

[3] آية 5 سورة الصافات .

[4] الفراء : معاني القرآن 25/1.

قد يأتي بالآية القرآنية المحتج بها ليدعم القاعدة التي بناها، وما يندرج تحتها من الجائز وخصوصاً عند إثبات قاعدة، أو استنباط حكم، أو رد وهم، كما هو الحال في قوله: (في بـروجٍ مشَيدة) [1]. يشدد ما كان من جمع؛ مثل قولك : مررت بثياب مصبغة وأكبشٍ مذبحة . فجـاز التشديد لأن الفعل متفرق في جمع. فإذا أفردت الواحد من ذلك فإن كان الفعل يتردد في الواحـد ويكثر جاز فيه التشديد والتخفيف؛ مثل الفعل مثل قولك: مررت برجل مشجج، وبثوب ممـزق جاز التشديد لأن الفعل قد تردد فيه وكثر.

وتقول : مررت بكبشٍ مذبوح، ولا تقل مذّبح لأن الذبح لا يتردد كتردد التخرق، وقوله: (وبئْـرٍ معطلَة وقصرٍ مشيد) [2]يجوز فيه التشديد؛ لأن التشييد بناء فهو يتطاول ويتردد. ويقاس على هذا ما ورد "[3].

وإذا ورد من الآيات ما يشبه الآية موضع التفسير ذكره بعدها، مثـال ذلـك "وقولـه: (لَنَرجمنّكُم) [4]. يريد لنقتلنكم. وعامة القراء* مما كان في القرآن من الرجم فهو قتـل، كقولـه (فلولا رهطك لرجمناك) [5] "[6].

ولم يقتصر اهتمامه بالقرآن الكريم بجعله الأساس الأول في الاستشهاد فحسب، ولكنـه يرى فيه الأصل الذي يجب أن يقاس عليه، كما هو الحال في أثناء حديثه عـن قولـه تعـالى:

---

(1) آية 78 سورة النساء .

(2) آية 45 سورة الحج .

(3) الفراء : معاني القرآن 277/1 .

(4) آية 18 سورة يس .

* المقصود بعامة القراء "ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة، فذلك عندهم حجة قوية، وربما جعلوا العامة ما اجتمع عليه أهل الحرمين (مكة والمدينة) ". ينظر مكي ابن أبي طالب : الإبانة عن معاني القراءات 49، 50 .

(5) آية 91 سورة هود.

(6) الفراء : معاني القرآن 374/2.

(والسارِقُ والسارِقَةُ فَاقْطَعوا أَيديهما) [1]. "وإنما قال (أيديهما) لأن كل شيء موحد مـن خلـق الإنسان إذا ذكر مضافاً إلى اثنين فصاعداً جمع. فقيل : قد هشمت رؤوسهما، وملأت ظهورهما وبطونهما ضرباً. ومثله : (إن تَتُوبا إلى اللّه فَقَد صغَتْ قُلُوبكُما) [2].

وإنما اختير الجمع على التثنية لأن أكثر ما تكون عليه الجوارح اثنين في الإنسان اليدان والرجلان والعينان. فلما جرى أكثره على هذا ذهب بالواحد منه إذا أضيف إلى اثنـان مـذهب التثنية وقد يجوز تثنيتهما. قال أبو ذؤيب :-

(الكامل)

فَتَخالَسا نَفْسيهما بنوافذ كنوافذ العبط التي لا تُرقّع [3]

وقد يجوز هذا فيما ليس من خَلْق الإنسان. وذلك أن تقول للرجلين: خليتمـا نسـاءكما، وأنت تريد امرأتين، وخرقتما قُمصكما .

وإنما ذكرت ذلك لأن من النحويين من كان لا يجيزه إلا في خَلْق الإنسان، وكل سـواء وقد يجوز أن تقول في الكلام : السارق والسارقة فاقطعوا يمينهما؛ لأن المعنى: اليمين من كـل واحد منهما؛ كما قال الشاعر :

(الوافر)

كُلوا في نصف بطنكُم تَعيشُوا فإن زمانَكُم زمن خَميص [4]

---

[1] آية 38 سورة المائدة.

[2] آية 4 سورة التحريم .

[3] هذا البيت لأبي ذؤيب الهذلي من عينيته المشهورة في رثاء بنيه. و"تخالسا نفسيهما" : أي جعل كل واحد منهما يخـتلس نفس صاحبه وانتهاز الفرصة فيه، والنوافذ: هي الطعنات النافذة، والعبط : شقوقٌ في ثياب جدد وجمعها عبيط وهـو مـا يشق، ينظر ديوان الهذليين: نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب 20/1.

[4] الخميص : الجائع طوى بطنه على غير زاد . ويروى : * كلوا في بعض بطنكم تعفوا *
ينظر سيبويه : الكتاب 271/1، والبغدادي : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية 379/3.

وقال الآخر [1]:

(البسيط)

الواردون وتَيم في ذرى سبأٍ   قد عض أعناقهم جِلد الجواميس [2]

ويجوز في الكلام أن تقول : أتتني برأس شاتين، ورأسي شاة. فإذا قلت: برأسي شاة فإنما أردت رأسي هذا الجنس، وإذا قلت برأس شاتين فإنك تريد به الرأس من كل شاة؛ قال الشـاعر في غير ذلك :

(البسيط)

كأنه وجه تركيين قد غضبا   مستهدفٌ لِطعانٍ غيرِ تذبيبِ [3]

وإذا أراد أن يثبت صحة تعبير ورد في لغة من لغات العرب استدل على ذلك بآيات من القرآن الكريم، دون أن يشير إلى القبيلة التي تنطق بهذا التعبير، كما فعل عند كلامه عن الآيـة الكريمة (إلا على أزواجِهم)[4]. "يقول القائل : هل يجوز في الكلام أن تقول : مررت بالقوم إلا بزيد، تريد : إلا أني لم أمرر بزيد ؟ قلت : لا يجوز هذا، والذي في كتاب ا صواب جيد؛ لأن أول الكلام فيه كالنهي إذ ذُكر: (والذين هم لِفُروجِهم حافظُون)[5]. يقول : فلا يلامون إلاّ علـى

---

[1] البيت لجرير من قصيدة له في هجاء تيم بن قيس بن بكر بن وائل. وقد أراد أنهم أسرى، وفي أعناقهم أطواق من جلد الجواميس. ويروى :   تَدعوك تَيم وتَيم في قُرى سبأٍ   قد عض أعناقَهم جلْد الجواميس

[2] ينظر جرير: الديوان 394.

[3] البيت للفرزدق، وهو من قصيدة يهجو فيها جريراً أولها :

(البسيط)

ما تأمرون عباد الله أسألكم   بشاعر حوله درجان مختمر

وقد بحثت عن هذا البيت في الديوان ولم أجده . و "ذب فلان عن فلان دفع عنه، وذبب في الطعن والـدفع إذا لـم يبـالغ فيهما". ينظر ابن الشجري : الأمالي الشجرية، 12/1. وفي اللسان : "ذب عنه يذب ذبا : دفع ومنع. ويقال طعـان غيـر تذبيب إذا بولغ فيه ". ينظر ابن منظور : لسان العرب، 1054/1. وانظر الفراء : معاني القرآن 306/1 -308.

[4] آية 30 سورة المعارج .

[5] آية 28 سورة المعارج .

غير أزواجهم، فجرى الكلام على ملومين التي في آخره. ومثله أن تقول للرجل : اصنع ما شئت إلا على قتل النفس، فإنك معذب، أو في قتل النفس، فمعناه إلا أنك معذب في قتل الـنفس " [(1)].

وقد تتضح الصورة أكثر في قوله تعالى: (وما أَلَتْنَاهم) [(2)] "الألت : النقص، وفي لغة أخـرى : (وما لِتْناهم من عملهم من شيء)، وكذلك هي في قراءة عبد الله، وأبي بن كعب قال الشاعر:

(البسيط)

أبلغْ بني ثُعلٍ عني مغَلْغَلة   جهد الرسالة لا ألْتاً ولا كذبا [(3)]

يقول : لا نقصان ولا زيادةٌ، وقال الآخر :

(الرجز)

وليلة ذات نَدى سريتُ   ولم يلتني عن سراها لَيتُ [(4)]

والليتُ هاهنا مصدر لم يثْنني عنها نقص بي ولا عجز عنها " [(5)]

وإذا أورد بعد الآية موضع التفسير ما يجوز فيه أوجه متعددة قلبها على الأوجه الحسنة، وعلى الأكثر الأشهر من كلام العرب، كما هي الحال في أثناء حديثه عن قوله تعالى: (وتَـرى الناس سكْرى وما هم بسكْرى)[(6)] "اجتمع الناس والقراء على (سكَارى وما هم بِسكارى) حـدثنا أبو العباس، قال: حدثنا محمد، قال: حدثنا الفراء قال: حدثني هشَيم عن مغيرة عن إبراهيم عـن

---

(1) الفراء : معاني القرآن 185/3، 186.

(2) آية 21 سورة الطور .

(3) نسبه ابن جني إلى الحطيئة وقد جاءت رواية الشطر الأول على النحو التالي :

أَبلغْ لديك سراةَ بني سعد مغلغةً

والألت : النقصان، يقال منه : "ألته يألته ألتاً وآلته يؤلته إيلاتاً ". ينظر : ابن جني : المحتَسب في تبيين شـواذ القـراءات والإيضاح عنها 304/2، والسكري: شرح ديوان الحطيئة 17.

(4) نسبه صاحب المحتَسب لرؤبة. وقد أشار المحقق إلى أنه لم يعثر عليه في ديوان رؤبة،ولا في ديوان العجـاج. ينظـر ابن جني : المحتَسب 341/2.

(5) الفراء: معاني القرآن 92/3، 93 .

(6) آية 2 سورة الحج.

عبد اللّه بن مسعود أنه قرأ (وترى الناس سكْرى وما هم بِسكْرى) وهو وجه جيد في العربية : " لأنه بمنزلة الهلْكى والجرحى، وليس بمذهب النشوان والنَشاوى، والعرب تذهب بفاعل وفعيـل وفَعِل إذا كان صاحبه كالمريض أو الصريع أو الجريح فيجمعونه على الفَعلى، فجعلـوا الفعلـى علامة لجمع كل ذي زمانة وضررٍ وهلاك. ولا يبالون أكان واحده فاعلاً أم فعـيلاً أم فعـلان فاختير سكرى بطرح الألف من هول ذلك اليوم وفزعه. ولو قيل (سكْرى) على الجمع أن الجمع يقع عليه التأنيث فيكون كالواحدة كان وجها، كما قال ا : (ولّله الأسماء الحسنَى)[1] (والقُـرون الأولى)[2] والناس جماعة فجائز أن يقع ذلك عليهم. وقد قالت العرب : قـد جاءتـك النـاس : وأنشدني بعضهم :

(البسيط)

أضحت بنو عامرٍ غضبى أنوفُهم   أنّى عفوت فلا عار ولا باس

فقال غضبى للأنوف على ما فسرت لك .

وقد ذُكر أن بعض القراء قرأ (وتُرى الناس) وهو وجه جيد يريد : مثل قولك ُ رئيت أنك قائم ورئيتُك قائماً فتجعل (سكارى) في موضع نصب لأن (تُرى) تحتاج إلى شـيئين تنصـبهما. كما يحتاج الظن " [3].

وإذا عرض مسألة جاز فيها أكثر من وجه أو رأي احتج لكل رأي من القرآن الكريم، كما هـو عليه الحال في قوله (تُسبح له السمواتُ السبع)[4] "أكثر القراء على التاء. وهي في قراءة عبـد اللّه (سبحتْ له السموات السبع) فهذا يقوي الذين قرؤوا بالتاء. ولو قرئت بالياء كان صواباً؛ كما

---

[1] آية 180 سورة الأعراف .

[2] آية 43 سورة القصص .

[3] الفراء : معاني القرآن 214/2، 215.

[4] آية 44 سورة الإسراء .

قرءوا (تَكاد السمواتُ)[1] و (يكاد) وإنما حسنت الياء لأنه عدد قليل، وإذا قلّ العدد من المؤنـث والمذكر كانت الياء فيه أحسن من التاء قال اللّه عز وجل في المؤنث القليل (وقالَ نسـوةٌ فـي المدينَة)[2] ،وقال في المذكر (فإذا انْسلَخَ الأشْهر الحرم)[3] فجاء بالتذكير. وذلـك أن أول فعـل المؤنث إذا قل يكون بالياء، فيقال : النسوة يقمن. فإذا تقدم الفعل سقطت النون مـن آخـره لأن الاسم ظاهر فثبت الفعل من أوله على الياء، ومن أنث ذهب إلى أن الجمع يقع عليه... " [4].

وإذا حاول بعضهم حمل الآية على وجه غير الظاهر الواضح من الأوجه رد عليه، كما هو الحال حين رد على الكسائي عند تفسير قوله تعالى: (والنجم والشّجر يسجدان) [5]. النجم: ما نجم مثل: العشب، والبقل وشبهه. والشجر: ما قام على ساق. ثم قال: يسجدان، وسجودهما أنهما يستقبلان الشمس إذا طلعت، ثم يميلان معها حتى ينكسر الفيء، والعرب إذا جمعت الجمعين من غير الناس مثل : السدر ، والنخل جعلوا فعلهما واحداً، فيقولون: الشاء والنعم قد أقبل، والنخـل والسدر قد ارتوى فهذا أكثر كلامهم، وتثنيته جائزة.

قال الكسائي : سمعت العرب تقول : مرت بنا غنمان سودان وسود .

قال الفراء : وسود أجود من سودان؛ لأنه نعت تأتي على الاثنين، فإذا كان أحد الاثنـين مؤنثاً مثل : الشاء والإبل قالوا : الشاء والإبل مقبلة؛ لأن الشاء ذكر، والإبل أنثى، ولـو قلـت: مقبلان لجاز، ولو قلت : مقبلتان تذهب إلى تأنيث الشاء، مع تأنيث الإبل كـان صـواباً، إلا أن التوحيد أكثر وأجود. فإذا قلت : هؤلاء قومك وإبلهم قد أقبلوا ذهبت بالفعل إلى الناس خاصـة؛ لأن الفعل لهم، وهم الذين يقبلون بالإبل، ولو أردت إقبال هؤلاء وهؤلاء لجاز- قد أقبلـوا؛ لأن

---

[1] آية 90 سورة مريم .

[2] آية 30 سورة يوسف .

[3] آية 5 سورة التوبة .

[4] الفراء : معاني القرآن 124/2، 125.

[5] آية 6 سورة الرحمن .

الناس إذا خالطهم شيء من البهائم، صار فعلهم كفعل الناس كما قال: (ونبئهم أن المـاء قسـمة بينهم) [1] فصارت الناقة بمنزلة الناس" .

ومنه قول الله عزوجل: (فَمِنْهم من يمشي على بطْنه) [2]،"و(من) إنما تكون للناس، فلما فسرهم وقد كانوا اجتمعوا في قوله : (وا خالِق كل دابة من ماء) فسرهم بتفسير الناس"[3].

وقد يستشهد بالآيات القرآنية لتخريج بعض القراءات، كما هي الحال عند حديثه عن قوله تعالى: (فإن لَكَ في الحياة أن تَقول لا مساس)[4] .أي لا أُمس ولا أَمس ، أُول ذلك أن موسـى أمرهم ألا يؤاكلوه، ولا يخالطوه ولا يبايعوه . وتقرأ :(لا مساسِ) وهي لغة فاشية. لا مساسِ مثل نزال ونظارِ من الانتظار. وقوله : (الذي ظَلْتَ عليه عاكفاً) و(ظلْتَ) و (فَظَلْتُم تَفكهـون)[5] و (فَظلتم) إنما جاز الفتح والكسر لأن معناهما ظللتم فحذفت اللام الأولى : فمن كسر الظاء جعـل كسرة اللام الساقطة في الظاء. ومن فتح الظاء قال : كانت مفتوحة فتركتها على فتحها. ومثلـه مسست ومسست تقول العرب قد مستُ ذاك ومسته ، وهممت بذاك وهمتَ، ووَددت أنك فعلـت ذاك، وهل أحسست صاحبك وهل أحست " [6].

ويستشهد من القرآن الكريم على الوجه الحسن الجائز الخالي من القبح من أوجه التعبير، كما هو الحال في قوله : (نُسقيكُم مما في بطُونه) [7] العرب تقول لكلّ ما كان من بطون الأنعام ومن السماء أو نهر يجري لقوم : أسقَيت . فإذا سقاك الرجل ماء لشفتك قـالوا : سـقاه. ولـم

---

(1) آية 28 سورة القمر .

(2) آية 45 سورة النور .

(3) الفراء : معاني القرآن 112/3، 113.

(4) آية 97 سورة طه .

(5) آية 65 سورة الواقعة .

(6) الفراء : معاني القرآن 190/2 ، 191 .

(7) آية 66 سورة النحل .

يقولوا: أسقاه؛ كما قال اللّه عزوجل (وسقَاهم ربهم شَراباً طَهوراً)[1] وقال (والّذي هو يطْعمني ويسقين)[2] وربما قالوا لما في بطون الأنعام ولماء السماء سقى وأسقى " [3].

في بعض الأحيان يقدم كلام العرب والشعر على ما يستشهد من الآيات القرآنيـة مـع تسويته بينهما، إذ يبدأ بالآية الكريمة موضع التفسير، ثم يحتج بكلام العرب، ثم بالقرآن الكـريم، ثم ينتقل إلى الشعر، كما هو الحال عند تعرضه لقوله تعالى: (لا يرجون لِقَاءنا) [4] "لا يخـافون لقاءنا وهي لغة تهامية : يضعون الرجاء في موضع الخوف إذا كان معه جحد من ذلك قول اللّه: "مالَكُم لا تَرجون ـ وقَارا "[5] أي لا تخافون له عظمته. وأنشدني بعضهم:

(الرجز)

لا تَرتجي حين تلاقي الذائِدا   أَسبعةً لاقَتْ معاً أم واحدا

يريد لا تخاف ولا تبالي. وقال لآخر :

(الطويل)

إِذا لَسعتْه النحلُ لَم يرج لَسعها   وحالَفها في بيت نُوب عوامل [6]

يقال : نَوب و نُوب. ويقال أَوب وُأوب من الرجوع. قال الفراء : والنوب ذكر النحل "[7].

---

(1) آية 21 سورة الإنسان .

(2) آية 79 سورة الشعراء .

(3) الفراء : معاني القرآن 108/2.

(4) آية 21 سورة الفرقان .

(5) آية 13 سورة نوح .

(6) هذا البيت لأبي ذؤيب الهذلي وروايته في ديوان الهذليين :

إذا لَسعتْه الدبر لم يرج لَسعها   وخَالَفها في بيت نوبٍ عواسل

ولم يرج لسعها : أي لم يخفه، والنوب : هي التي تنوب أي تجيء وتذهب وهي النحل، وخالفها : أي دخل عليهـا وأخـذ عسلها مراغماً لها وهي لا تشتهي، وعوامل : أي تعمل في الأكل من الثمار والزهر . ينظر ديوان الهذليين 143/1 .

(7) الفراء : معاني القرآن 265/2.

هذه هي بعض الظواهر التي حاولنا الوقوف عليها في كتابه، إذ اتضح لنا مـن خلالهـا موقفه من القرآن ومنهجه في الاستشهاد منه وهو منهج محمود، وطريقة قويمة ليس فيها نبو ولا شذوذ، وقد بدا لنا من خلالها أن القرآن الكريم مصدره الأول، ومرجعه الذي لا ينضـب. إلا أن الوقوف على أهمية القرآن الكريم عند هذا العالم لا تتحقق إلا من خلال الاطـلاع علـى كتبـه الأخرى (كالمنقوص والممدود، والمقصور والممدود، والمـذكر والمؤنـث). علـى أن مـادة المقصور والممدود مشابهة لمادة المنقوص والممدود؛ لذا فإننا سنقصر عملية إحصـاء الآيـات الكريمة التي احتج بها على أحد هذين الكتابين. فبالوقوف على هذه الكتب نتعرف إلـى طبيعـة استفادته من هذا المصدر، الذي يشكل رأس الهرم في باب الاحتجاج اللغوي، ثم نسأل السـؤال الوجيه الذي هو عبارة عن مدى استفادته من القرآن كمصدر يعول عليه كثيراً لتخريج القواعـد وتثبيتها، وخصوصاً أننا أمام كتب صرفية بحتة كما يبدو لنا من عناوينها ومادتها.

وعودة إلى هذه الكتب يتضح لنا أن اعتماده على القرآن فيها لم يكن بالقدر الذي ألفنـاه في معاني القرآن؛ ذلك أن القرآن الكريم في هذا الكتاب هو مادة الدراسة والتفسير. فنلاحظ فـي هذه الكتب ضآلة الاعتماد عليه مع الاطمئنان إلى أنه المصدر الذي لا يرقى إليه أدنى شـك أو تجريح، والآيات التي يحتج بها في هذه الكتب يمكن للباحث أن يقوم بإحصـائها؛ لأن اعتمـاده على الشعر وكلام العرب فيها أكثر، وقد أمكن حصر الآيات التي احتج بها من القرآن الكـريم على قضايا لغوية في كتابه المقصور والممدود فيما يلي :-

1- قراءة قوله تعالى: (علمه شديد القوى) [1] .

والشاهد فيها " قصرهم الكوى من لغة من قال كُوة كما قالوا قُوةٌ وقوى " [2].

---

(1) آية 5 سورة النجم .

(2) الفراء : المقصور والممدود 58 .

2- قراءة قوله تعالى: (لا يرتد إليهم طرفُهم وأفئدتُهم هواء) [1].

والشاهد فيها أن "كل منخرق خرقاً فهو هواء ممدود يكتب بالألف " [2].

3- قوله تعالى: (والملَك على أرجائِها) [3] .

والشاهد فيها قصر الواحد من الأرجاء، وكتابته بالألف لأنه من الواو رجا، ويثنى بالواو أيضاً رجوان، وهو الناحية [4].

4- قوله تعالى: (كمثَل صفْوانٍ عليه تُراب)[5] .

والشاهد فيها أن "الصفا من الحجارة مقصور يكتب بالألف ويثنى بالواو فيقال صفَوان "[6]، أما صفوان في الآية الكريمة فمذكر صفواء مفرد والألف والنون زائدتان.

5- قوله تعالى: (ودخَلَ معه السجن فَتَيانِ)[7].

والشاهد فيها أن "الفتى من الفتيان مقصور يكتب بالألف ويثنى بالياء "[8].

6- قوله تعالى: (إلى طَعامٍ غير ناظرين إناه)[9] .

والشاهد فيها أن "الإنى على جهتين : الإنى الواحد من آناء الليل والساعات، وبلوغ الشيء إلى منتهاه مقصور يكتب بالياء "[10].

7- قوله تعالى: (فَنَبذْنَاه بالعراء وهو سقيم) [1].

---

(1) آية 43 سورة إبراهيم .

(2) الفراء : المقصور والممدود 16.

(3) آية 17 سورة الحاقة.

(4) الفراء : المقصور والممدود 16.

(5) آية 264 سورة البقرة .

(6) الفراء : المقصور والممدود 17.

(7) آية 36 سورة يوسف .

(8) الفراء : المقصور والممدود 17.

(9) آية 53 سورة الأحزاب.

(10) الفراء : المقصور والممدود 20.

والشاهد فيها أن "العرى على وجهين، تقول كنا في عرا فلان مقصور يكتب بالألف، لأن العرب إذا أنثته، تقول: كنا بقروته وعقوته أي في كنفه، والعراء المكان الخالي" [2].

8- قوله تعالى: (فَبشرناه بإسحقَ ومن وراءِ إسحقَ يعقوب)[3].

والشاهد فيها أن وراء يعني ولد الولد "حكي عن الفراء عن بعض المشيخة عن الشـعبي قـال : أقبل الشعبي ومعه ابن ابنٍ له، فقيل له : هذا ابنك ؟ فقال : هذا ابني من الوراء "[4].

9- قوله تعالى: (إنّني براء مما تعبدون) [5].

والشاهد فيها مد البراء "والبراء من قول ا عزوجل : (إنّني براء مما تَعبدون) والاثنان والثلاثة والمؤنث في البراء موحد. تقول نحن البراء منك، والنساء أيضاً يقلن نحن البراء منـك ممـدود "[6].

10- قوله تعالى: (ولَئِن أَذَقْناه نَعماء بعد ضراء مسّته) [7].

والشاهد فيها فتح أول النعماء ومدها، وقد وردت هذه الآية تحت باب "هذا باب ما يفـتح فيمـد ويضم فيقصر "[8].

11- قوله تعالى: (من حمإٍ مسنونٍ) [9] .

والشاهد فيها أن الحمأ والحمأة مهموز مقصور يكتب بالألف [10].

---

(1) آية 145 سورة الصافات.

(2) الفراء : المقصور والممدود 21.

(3) آية 71 سورة هود .

(4) الفراء : المقصور والممدود 22، 23.

(5) آية 26 سورة الزخرف .

(6) الفراء : المقصور والممدود 26.

(7) آية 10 سورة هود.

(8) الفراء : المقصور والممدود 40 .

(9) آية 26 سورة الحجر.

(10) الفراء : المقصور والممدود 49.

12- قوله تعالى: (وجِئْتُك من سبأٍ)[1] .

والشاهد فيها أن الخطأ والنبأ من المهموز المقصور الذي لا نظير له "هذه تهمز لا غيـر. وقـد أجمعت العرب على أيدي سبا وأيادي سبا بلا همز، وأصله الهمز، ولكنه جرى على هذا المثـل على السكون فتُرك همزه "[2].

هذه هي الآيات التي احتج بها الفراء على قضايا المقصور والممدود، التي يتضح مـن خلالها أن الفراء يعد القرآن الكريم المصدر الأول من مصادر الاحتجاج اللغوي، وقد سار على هذا النهج في كتابه المذكر والمؤنث، إذ احتج من القرآن الكريم على بعض الظواهر الخاصـة بقضية التذكير والتأنيث في اللغة العربية. وأبرز الآيات التي احتج بها في كتابه هي:-

1- قوله تعالى: (والنطيحةُ)[3] .

والشاهد فيها كما قال: "فإذا أفردت فقلت: (مررت بقتيل) وأنت تريد امـرأة، قلـت: (مـررت بقتيلة)، وإن أضفتها قلت : (قتيلة بني فلان)، ولا تذكرن قبلها اسماً مؤنثاً: (هـذه) ولا غيرهـا، إنما يقولونها إذا أفردوا، كما قال الله عزوجل : (النطيحةُ) وكذلك (الذبيحة) و (فريسـة الأسـد) و"أكيلة السبع، وقولهم: كما يمرق السهم من الرمية، جعلوها بالهاء لما صيرت اسماً مفرداً"[4].

2- قراءة قوله تعالى: (فمنها ركُوبتُهم ومنها يأْكُلون)[5].

والشاهد فيها إظهار التأنيث وعدمه في ركوبتهم "وفي قراءة عبد الله (فَمنهـا ركُـوبهم ومنْهـا يأكْلون) فهذا لمن أظهر التأنيث. وفي قراءتنا : فمنها ركوبتهم "والركوب ها هنـا مـبهم : أي فمنها ما يركبون، فجرى على التذكير؛ إذا لم يقصد به قصد تأنيث "[1].

---

(1) آية 22 سورة النمل.

(2) الفراء : المقصور والممدود 50.

(3) آية 3 سورة المائدة .

(4) الفراء : المذكر والمؤنث 60 ، 61.

(5) آية 72 سورة يس .

3- **قوله** تعالى: (وإن جنَحوا ِللسلْمِ فَاجنَح لَها) [2].

والشاهد فيها "أن السلم ُأنثى، وهي الصلح" [3].

4- **قوله** تعالى : (وَأوحى ربك ِإلى النحل أن اتخذي من الْجِبال بيوتاً)[4].

والشاهد فيها أن النحل أنثى "وتصغيرها: نُحيل كأنه للجميع، كما يصغر النخل إن أنث نُخَيل"[5].

5- **قوله** تعالى: (بكَأْسٍ من معينٍ لَذة للشاربين لا فيها غَولٌ ولا هم عنْها ينْزفُون)[6]. والشـاهد في هذه الآيات أن الكأس مؤنثة ويصغرها العرب كُويسة [7].

6- **قوله** تعالى : (هذه سبيلي) [8]. وقوله: (وإن يروا سبيلَ الغي يتخذُوه سبيلاً) [9]، وفي قراءة ُأبي: (يتخذُوها).

والشاهد في هاتين الآيتين هو أن السبيل يؤنث ويذكر [10].

7- **قوله** تعالى: (وإذّا الجحيم سعرتْ)[11]، وقال (فإن الجحيم هي المْأوى)[12].

والشاهد في هاتين الآيتين يتمثل في قوله :"الجحيم ذكر. قال أبو عبد اللّه : أرى أن الفـراء أراد بقوله في الجحيم أنه ذكر، أنه مصدر : جحمتُه جحيماً . والتنزيل بالتأنيث "[13].

---

(1) الفراء : المذكر والمؤنث 64، 65.

(2) آية 61 سورة الأنفال .

(3) الفراء : المذكر والمؤنث 84.

(4) آية 68 سورة ا لنحل .

(5) الفراء : المذكر والمؤنث 84.

(6) الآيات من 45 –47 سورة الصافات .

(7) الفراء : المذكر والمؤنث 85، 86 .

(8) آية 108 سورة يوسف .

(9) آية 146 سورة الأعراف .

(10) الفراء : المذكر والمؤنث 87.

(11) آية 12 سورة التكوير .

(12) آية 39 سورة النازعات .

(13) الفراء : المذكر والمؤنث 93، 94.

8- قوله تعالى: (أمسك علَيك زوجك) [1].

والشاهد فيها أن "الزوج يقع على المرأة والرجل"[2].

9- قوله تعالى: (قُلْ لأزواجِك وبنَاتك)[3].

والشاهد فيها أن "من قال زوجة قال في الجمع: زوجات ومن قـال: زوج قـال فـي الجمـع : أزواج"[4].

10- قوله تعالى: (أم لَهم سلم يستَمعون فيه) [5].

والشاهد فيها على أن السلم ذكر [6].

11- قوله تعالى: (أولياؤُهم الطاغُوت يخرِجونَهم) [7].

والشاهد فيها أن "الطاغوت أنثى، وربما ذهب بها إلى الجمع؛ قال اللّه عـز وجـل: (أوليـاؤُهم الطّاغُوتُ يخْرِجونَهم) قال: وهي فيما أحسب في قـراءة أبـي: (يخـرجهم مـن النّـور إلـى الظلمات)[8].

12- قوله تعالى : (في الفُلْك المشْحونِ)[9]. وقوله : (قُلنا احمل فيها من كل زوجين اثنـين)[10]، وقوله: (حتى إذا كُنْتُم في الفُلْك وجرين بِهم) [11].

---

[1] آية 37 سورة الأحزاب .

[2] الفراء : المذكر والمؤنث 95.

[3] آية 59 سورة الأحزاب .

[4] الفراء : المذكر والمؤنث 95.

[5] آية 38 سورة الطور .

[6] الفراء : المذكر والمؤنث 97.

[7] آية 257 سورة البقرة .

[8] الفراء : المذكر والمؤنث 98 .

[9] آية 41 سورة يس.

[10] آية 40 سورة هود .

[11] آية 22 سورة يونس .

والشاهد في هذه الآيات على أن الفُلك تذكر وتؤنث [1].

13- قوله تعالى: (السماء منْفَطر بِه) [2].

والشاهد فيها أن "السماء يؤنث ويذكر، والتذكير قليل، كأنها جمع سماوة وسماءة [3]".

14- قوله تعالى: (كمثَل العنْكبوت اتخذَتْ بيتاً) [4].

والشاهد فيها أن العنكبوت يؤنث ويذكر، والتأنيث أكثر "[5].

15- قوله تعالى: (فَعموا وصموا ثُم تَاب اللّه عليهم ثُم عموا وصموا كثير منْهم)[6].

والشاهد فيها كما قال :"أراد، واللّه أعلم : عموا وصموا " ثم خص به الكثير بفعل مضمر"[7].

16- قوله تعالى: (إن رحمةَ اللّه قَريب من المحسنين)[8].

والشاهد فيها كما يقول :"وقريبة، لغتان مقولتان في القُرب والبعد، فإذا صاروا إلى النسب قالوا: قريبة منك وبعيدة، لا غير"[9].

هذه هي الآيات التي احتج بها الفراء على القضايا الخاصة بالتذكير والتأنيث، وهي كما هو عليه الحال في المقصور والممدود قليلة، إذا ما قورنت بمصادر الاحتجاج الأخرى.

---

(1) الفراء : المذكر والمؤنث 98.
(2) آية 18 سورة المزمل .
(3) الفراء : المذكر والمؤنث 102.
(4) آية 41 سورة العنكبوت .
(5) الفراء : المذكر والمؤنث 102.
(6) آية 71 سورة المائدة.
(7) الفراء : المذكر والمؤنث 114.
(8) آية 56 سورة الأعراف .
(9) الفراء : المذكر والمؤنث 123.

القــراءات القــرآنية

القراءات هي "اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشـديد وغيرهما"[1]، أو هي "طريقة أداء النص القرآني مثلما نطق الرسول-صلى الله عليه وسـلم- أو قرأ به أصحابه-رضي الله عنهم- فأجازه"[2]. "فصح من ذلك أن الذي يقرأ الأئمـة، وكـل مـا صحت روايته مما يوافق خط المصحف إنما هو كله حرف من الأحرف السبعة التي نزل بهـا القرآن، ووافق لفظها-على اختلافه- خط المصحف، وجازت القراءة بذلك؛ إذ هو غير خـارج عن خط المصاحف التي وجه بها عثمان إلى الأمصار، وجمعهم على ذلك" [3].

وقد كان الحديث النبوي الشريف الذي روي عن النبي-صلى الله عليه وسلم- (إن هـذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه)، أو (قرئ القرآن على سبعة أحرف فاقرؤا كيف شئتم)، أو (إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قـرؤا فقـد أصابوا) [4] إلى غير ذلك من الروايات- مثار خلاف بين العلماء والمفسرين والقراء. إذ فسـره كل منهم حسبما يراه. ويرى ابن قتيبة أن المقصود من هذا الحديث أنه نزل على سـبع لغـات متفرقة في القرآن[5]، ودليله على هذا قوله –صلى الله عليه وسلم- في رواية أخرى (فاقرؤا مـا

---

[1] السيوطي: الإتقان في علوم القرآن 80/1.

[2] صباح عباس السالم : عيسى بن عمرو الثقفي نحوه من خلال قراءاته 85.

[3] مكي ابن أبي طالب: الإبانة عن معاني القراءات 4.

[4] ينظر البخاري: صحيح البخاري 100/6.

[5] خديجة الحديثي: دراسات في كتاب سيبويه 25.

تفرق منه)، وقول عمر-رضي ا عنه- "سمعت هشام بن حكيم بن حزام[1] يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وقد كان النبي –صلى ا عليه وسلم- أقرأنيها، فأتيت به النبي –صلى ا عليه وسلم- فأخبرته فقال له :اقرأ، فقرأ تلك القراءة، فقال هكذا أُنزلت. ثم قال إن هذا القـرآن نزل على سبعة أحرف فاقرؤا منه ما تيسر، فمن قرأه قراءة عبد ا فقد قرأ بحرفه، ومن قـرأ قراءة زيد فقد قرأ بحرفه "[2].

وأهم مصادر القراءات :

1- الحديث النبوي الشريف الذي جاء فيه: (أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرؤا مـا تيسـر منه).

2- الاختلافات التي حدثت بين الصحابة في القراءة في عهد الرسـول وكـان – صـلوات ا عليه- حكماً فيها .

3- الاختلافات التي حدثت بين الصحابة في عهد عثمان-رضي ا عنه- وكانت حاملاً له على جمع المصحف الإمام.

4- الاختلافات التي رويت بين المصاحف العثمانية، والتي أرسلها إلى الآفاق، وهذا الاخـتلاف إنما هو أثر من آثار القراءات.

5- الروايات التي رويت عن الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، ونقلها عن ثقات الأئمة، وتلقتهـا الأمة بالقبول [3].

أما أوجه الاختلافات بين القراءات، فهي سبعة أوجه :

---

[1] هو هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد القرشي، الأسدي، من صحابة رسول ا -صلى ا عليه وسلم-، له ذكر في "الصحيحين" مات قبل أبيه، وقد وهم من زعم أنه استشهد في معركة أجنادين. ينظر العسقلاني: تحرير تقريب التهذيب 39/4.

[2] ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن 26، 27.

[3] عبد الوهاب حمودة : القراءات واللهجات 5.

1- أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة، أو في حركات بنائها، مما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها، نحو قوله تعالى: (ويأْمرون الناس بالبخْل) و (البخْل) [1]، و (فَنَظِرةٌ إلى ميسرة) و (ميسرة) [2]، و (ما هن أُمهاتهم) (ما هن أُمهاتُهم) [3]، و (هل يجازي إلا الكفـور) و (هل نُجازي إلا الكفور) [4]. وهذا النحو كثير يقرأ منه ما صحت روايته، أو صح في العربيـة؛ لأنه غير مخالف للخط.

2- أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها، بما يغير معناهـا ولا يزيلهـا عـن صورتها في الكتاب، نحو قوله تعالى :(ربنا باعد بين أسفارنا) و (ربنا باعد بين أسفارنا) [5]، و (إذ تَلَقونَه بِألسنَتكم) و (تَلقُونَه) [6]، و (ادكر بعد أُمة) و (ادكر بعد أَمه)[7].

3- أن يكون الاختلاف في تبديل حرف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها، ولا يغير صـورة الخط بها في رأي العين، نحو :(وانْظر إلى العظَامِ كيفَ نُنْشزها) و (ننشـرها)[8]، و (حتـى إذا فُزع عن قُلُوبهم) و (فُرغَ)[9]، و (يقُص الحق وهو خَير الفاصلين) و (يقض الحق) [10]. وهـو كثير، ويقرأ به إذا صح سنده لموافقته لصورة الخط في رأس العين.

---

[1] آية 38 سورة النساء .
[2] آية 280 سورة البقرة.
[3] آية 2 سورة المجادلة.
[4] آية 17 سورة سبأ.
[5] آية 19 سورة سبأ.
[6] آية 15 سورة النور.
[7] آية 45 سورة يوسف.
[8] آية 259 سورة البقرة.
[9] آية 23 سورة سبأ.
[10] آية 57 سورة الأنعام.

4- أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب، ولا يغير معناها نحـو قولـه تعالى: (إن كانَتْ إلا صيحةً واحدةً) و (زقْيةً واحدةً)[1]، و (كالصوف المنْفوش) و (كالْعهن)[2].

(كالْعهن)[2].

[1] آية 29 سورة يس.

[2] آية 5 سورة القارعة.

ومثل هذا يقرأ به ويقبل إذا صحت روايته، ولا يقرأ به اليوم لمخالفته لخط المصحف؛ لأنه إنما ثبت بخبر الآحاد .

5- أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها في الخط، ويزيل معناها نحو :(ألم تَنْزِيـلُ الكتابِ) في موضع (ألم ذلك الكتاب) [1]، و (طَلْعٍ منْضود) و (طَلْحٍ منْضود) [2]. فهذا لا يقرأ به أيضاً؛ لمخالفته للخط، ويقبل منه ما لم يكن فيه تضاد لما عليه المصحف. وهذه الأقسـام كلّهـا كثيرة لو أراد الباحث أن يؤلف في كل قسم منها باباً مما جاء منه وروى لاستطاع ذلك لكثرته.

6- أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو ما روي عن أبي بكر- رحمه ا - أنه قرأ عنـد الموت : (وجاءتْ سكْرةُ الموت بالْحق) و (جاءتْ سكْرةُ الْحق بِالْموت) [3]، و (فأذاقها ا لباس الجوع والخوف) و(لباس الخوف والجوع) [4]. وهذا يقبل لصحة معناه إذا صحت روايتـه. ولا يقرأ به لمخالفته المصحف؛ ولأنه أتى بخبر الآحاد.

7- أن يكون الاختلاف بالزيادة أو النقص في الحروف والكلم، فهذا يقبل منه ما لم يحدث حكما لم يقبله أحد. ويقرأ منه بما اختلفت المصاحف في إثباته وحذفه، نحو: (وما عملَتْ أيديهم) و (ما عملَتْه أيديهم) [5]، و (إن اللّه هو الْغَني الحميد) و (إن اللّه الغَني الحميد) [6]، و(ووصـى بهـا إبراهيم بنيه ويعقُوب) و (أوصى بها) [7][8] .

---

[1] آية 2 سورة البقرة.

[2] آية 29 سورة الواقعة.

[3] آية 19 سورة ق.

[4] آية 112 سورة النحل.

[5] آية 35 سورة يس.

[6] آية 26 سورة لقمان.

[7] آية 131 سورة البقرة.

[8] ينظر ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن 28، 29، ومكي ابن أبي طالب: الإبانة عن معاني القراءات 36-40.

وقد وضع العلماء لقبول القراءات والاحتجاج بها مجموعـة مـن الشـروط. ويـذكر السيوطي أن ابن الجزري أشار إليها في أول كتابه النشر في القراءات العشر، وهو أحسن مـن تكلم في هذا النوع من القراءات، فيقول :"كل قراءة وافقت العربية ولو بوجـه ووافقـت أحـد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجـوز ردهـا ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سـواء أكانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين. ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عمن هو أكبر منهم هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف"[1].فيكون ما يقرأ به اليـوم ما اجتمع فيه ثلاث خلال هن : أن ينقل عن الثقات عن النبي-صلى ا عليه وسـلم-، ويكـون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن سائغاً، ويكون موافقاً لخط المصحف. وقد عقـب عبـد الصبور شاهين على هذه الشروط بقوله :" ... ليس هذا أمراً مستحدثاً على يد المتأخرين، وإنما هو كما وجدنا قديم، غاية ما يمكن أن نقول إنه لا جديد في هذه الشروط سوى ما بعد (لو) فـي الشرطين الأولين أما الأسس فمتفق على الأخذ بها ابتداء ... "[2].

أما موقف علماء اللغة من الاحتجاج بالقراءات فيتضح فيه خلافهم وانقسامهم حول هـذه القضية؛ فكان قوم منهم يعيبون على عاصم وحمزة وابن عامر قراءات بعيـدة فـي العربيـة، وينسبونهم إلى اللحن، مع أن قراءاتهم ثابتة بالأسانيد الصحيحة، وثبوت ذلك دليل على جـوازه، كما يذهب السيوطي الذي أجاز الاستشهاد بكل ما ورد أنه قرئ به سواء كان متواتراً أم آحادا أم

---

(1) السيوطي : الإتقان في علوم القرآن 75/1.

(2) عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن. نقلاً عن صباح عباس السالم: عيسى بن عمرو الثقفي نحوه من خلال قراءاته 90.

شاذا، وفي ذلك يقول :"وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياسا معروفاً بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه"[1].

ومع الخلاف الحاصل بين علماء اللغة في هذه القضية، فإن القراءات مصدر مهم من مصادر الاحتجاج اللغوي عند علماء المدرستين ومن جاء بعدهم من المتأخرين؛ وتأتي أهميتها من أن علماء اللغة قد أحاطوها بسياج منيع يبعد عنها احتمال الخطأ والشذوذ، فمما يعرف عن البصريين أنهم لا يقبلون كل قراءة إلا ما كان منها متواترا غير مخالف لأقيستهم وأصولهم، فيرفضون القراءات الشاذة أو البعيدة، في حين نجد الكوفيين يتوسعون في الأخذ من هذا المصدر، فيأخذون بالقراءات الشاذة ويعدونها أصلاً من أصولهم التي تختلف عن أصول البصريين ومنهجهم. فلم يكن البصريون يعدون من القراءات حجة إلا ما كان متفقاً مع قواعدهم وأقيستهم وأصولهم، فإن خالفها ردوه، وهذا المنهج يختلف كثيراً عن منهج الكوفيين، وفي ذلك يقول مهدي المخزومي :"والقراءات مصدر هام من مصادر النحو الكوفي، ولكن البصريين كانوا قد وقفوا منها موقفهم من سائر النصوص اللغوية، وأخضعوها لأصولهم وأقيستهم، فما وافق منها أصولهم، ولو بالتأويل، قبلوه، وما أباها رفضوا الاحتجاج به ووصفوه بالشذوذ، كما رفضوا الاحتجاج بكثير من الروايات اللغوية وعدوها شاذة تحفظ ولا يقاس عليها "[2].

وكما هو واضح فإن علماء المدرستين ومن جاء بعدهم قد استشهدوا بالمتواتر من القراءات وعدوه أصلاً من أصولهم التي يقيسون عليها، مع تشدد البصريين فيما يتعلق بالقراءات الشاذة، وعدم الأخذ بها، واستبعادها من مصادرهم، ومع ذلك فإنه "ليس هنالك فرق كبير بين

---

[1] ينظر السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو 48، 49.

[2] مهدي المخزومي : مدرسة الكوفة 337.

البصريين والكوفيين في احتجاجهم بالقراءات [1]، إلا أن أحد الباحثين قد خص البصريين بـأنهم استبعدوا من منهجهم الاستشهاد بها إلا إذا كان هناك شعر يسندها، أو كلام عربي يؤيـدها، أو قياس يدعمها[2]، ولا أرى ذلك صحيحاً إذ تقف القراءة وحدها أحياناً لتثبيت قاعـدة، أو تقريـر حكم، إذ ليس هناك خلاف في أن القرآن الكريم أصل من أصول الدراسات اللغويـة بمختلـف فروعها، وكان يجب أن يبنى كثير من قواعد النحو على شـواهده بمختلـف وجـوه قراءاتـه المتواترة التي صح سندها، بدلاً من الاعتذار بأن القراءة سنة لا يجوز التعـرض لهـا بنقـد أو تخطئة، وليتهم التزموا بهذا "[3].

ويعلل مهدي المخزومي سبب فتح باب الاحتجاج بالقراءات عند الكـوفيين بمجموعـة أسباب أبرزها "أن الكوفة كانت مهبط الصحابة، ففيها نزل عدد كبير مـنهم، وهـم أو أكثـرهم عرب، لا يتهمون في فصاحتهم، وأصبحت الكوفة بهم موطن القراءات، وظهر فيها ثلاثة مـن أربعة قراء كانوا أئمة القراء في العراق، وهم : عاصم بن أبي النجود، وحمزة بن حبيب، وعلي بن حمزة الكسائي"[4]، والسبب الثاني :"أن مؤسس هذه المدرسة وأستاذها إمام من أئمة القـراءة، وهو علي بن حمزة الكسائي، وثقافته عربية إسلامية محضة، لم يعرف أنـه اتصـل بالثقافـات الأجنبية، أو تأثر بها"[5]، وسبب آخر هو "أن طابع الكوفيين في دراستهم ديني، ومن مظاهر هذا : عنايتهم بالقرآن، وصلة الكسائي به واضحة كل الوضوح، فهو من أئمة القراءة. وصلة الفراء

---

[1] ينظر عفاف حسانين: في أدلة النحو 27. نقلاً عن سعيد جاسم الزبيدي: القياس في النحو العربي نشأته وتطوره 82.

[2] ينظر عبد العال سالم مكرم: القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية 97.

[3] سعيد جاسم الزبيدي : القياس في النحو العربي نشأته وتطوره 82.

[4] مهدي المخزومي : مدرسة الكوفة 345.

[5] المصدر السابق 346.

به واضحة أيضاً وهو وإن لم يكن من القراء إلا أن له أعمالاً تتصل بالقرآن، وكتابـه (معـاني القرآن) شاهد ناطق بعناية الرجل بالأعمال القرآنية" [1].

يتبين لنا أن القراءات مصدر مهم من مصادر الاحتجاج اللغوي، وقد استعان بها علماء اللغة في بناء قواعدهم وأقيستهم، على اختلاف في درجة الاستفادة منها وقبولهـا عنـد علمـاء المدرستين. وليس من موضوع البحث تتبع خلافات العلماء في قبول القراءات أو رفضها؛ لذلك نؤثر الحديث عن موقف الفراء من هذا المصدر الغزير والينبوع الصافي.

كما أنه قد جعل القرآن الكريم الأساس الأول في شرح القواعد اللغويـة، فطبـق عليـه قواعد وقضايا لغوية كالتذكير والتأنيث، والإفراد والجمع والتثنية، والتعدية واللزوم إلى غير ذلك من القضايا التي أشرنا إليها في أثناء حديثنا عن القرآن الكريم. وقد ناقش شرف الدين الراجحي موقفه من القراءات القرآنية بقوله: "اهتم الفراء بالقراءات اهتماماً كبيراً وجعل محـور الكتـاب حولها وحاول استنباط القواعد النحوية والصرفية منها وهو ينسبها غالبـاً وأقلهـا غفـل عـن النسبة"[2].

ويبدو أنه يسير في دراسته اللغوية وفقاً للمنهج الذي اختطه الكسائي إذ يقوم هذا المنهج على أسس ثلاثة هي الاتساع في الرواية. بحيث يفتح الأبواب على مصاريعها لرواية الأشـعار والأقوال والقراءات الشاذة، والاتساع في القياس بحيث يعتد في قواعد النحـو بالشـاذ والقليـل النادر، والاتساع في مخالفة البصريين اتساعاً قد يؤول إلى مد القواعد وبسطها بآراء لا تسـندها الشواهد اللغوية، بل قد يؤول أحياناً إلى رفض المسموع الشائع على نحو موقفه وموقف الفـراء

---

[1] مهدي المخزومي : مدرسة الكوفة 347.

[2] شرف الدين الراجحي: في المصطلح الصرفي عند الفراء في كتابه (معاني القرآن) 34.

من إعمال أسماء المبالغة" [1].وقد عد جميع آيات القرآن الكريم شواهد يحتج بهـا فـي أثنـاء دراساته اللغوية وفي ذلك يقول سليمان ياقوت: "آيات الذكر الحكيم تعد كلها شواهد اعتمد عليها الفراء في تعبيره عن تفكيره اللغوي في بيان آراء مدرسة الكوفة في النحو والصـرف، وكـان دائماً يقول[2]: "الكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر" [3].

ويصح لنا القول إن القراءات القرآنية في كتابه (معاني القرآن) كانت "محور الكتـاب، وقد أدار عليها توجيهاته لها من أساليب العرب؛ متحدثاً عن لغاتهم التي تجري علـى القيـاس والتي تشذ عنه في رأيه، مما جعله يرد بعضها أحياناً، كما رد بعض القراءات"[4]. وقـد رسـم لنفسه منهجاً يسير عليه في أثناء الاستفادة من هذا المصدر، إذ نلحـظ فيـه التميـز والتفـرد والاستقلالية التي كان يطمح إليها. إلا أن الشيء اللافت للنظر أنه لم يكن صاحب قراءة مستقلة كما هو الحال عليه عند أئمة القراءات السبعة أو العشرة أو من هم أكبر منهم، وقد حرص على الإتيان بوجوه القراءات المختلفة وتوجيهها، وذكر بعض الشواهد التي تؤيد هذا التوجيـه أو ذاك من الشعر وكلام العرب، كما عمد إلى تقرير الأحكام واستنباط القواعد من خلالها، ويظهر ذلك في قوله :(قُلْ هلْ تَربصون بِنَا إلا إحدى الحسنَيين) [5].....والعرب تدغم اللام من "هل" و "بل" عند التاء خاصة. وهو في كلامهم عالٍ كثير؛ يقول : هلْ تدري، وهتدري. فقرأ القـراء علـى ذلك، وإنما أستحب في القراءة خاصة بيان ذلك، لأنهما منفصلان ليسا من حرف واحد؛ وإنمـا بني القرآن على الترسل والترتيل وإشباع الكلام، فتبيانه أحب إلي من إدغامه، وقد أدغم القـراء

---

(1) شوقي ضيف : المدارس النحوية 166.

(2) محمود سليمان ياقوت : أصول النحو العربي 412.

(3) الفراء : معاني القرآن 14/1.

(4) شوقي ضيف: المدارس النحوية 195، 196.

(5) آية 52 سورة التوبة.

الكبار، كل صواب" [1]، وقوله: (والذي خَبثَ لا يخْرج ِإلا نَكداً) [2]. قراءة العامة؛ وقرأ بعـض أهل المدينة: نَكَدا؛ يريد: لا يخرج إلا في نَكَد. والنكد والنكَد مثل الدنف والدنَف. قال : ما ُأبعـد أن يكون فيها نكُد، ولم أسمعها، ولكني سمعت حذر وحذُر وأشر وأشُر وعجِل وعجل"[3].

وبالرغم من أنه لم يكن صاحب قراءة مستقلة، إلا أنه ينبه في كثير من الأحيـان علـى جواز قراءة لم يقرأ بها أحد القراء، ولو قرأ بها القراء لكان صوابا لجوازها في العربية، مثـال ذلك قوله: (واجنُبني وبني َأن نَعبد الأَصنَام) [4] أهل الحجاز يقولون: جنَبني، هي خفيفة. وأهـل نجد يقولون : أجنبني شره وجنبنَي شره. فلو قرأ قاريء: (وَأجنبني وبني) لأصاب ولم أسـمعه من قارئ"[5]، وقوله: (وقيلَ هذا الذي كُنْتُم به تَدعون)[6] يريد: تَدعون[7]، فلو قرأ قارئ: (هـذا الذي كنتم به تَدعون) كان صوابا" [8]، وقوله: (وعزني في الخطَاب)[9] أي غلبني. ولو قرئـتْ (وعازني)، يريد غَالبني كان وجها"[10]. وقد ينسب بعض القراءات إلى نفسه، ومع ذلك فإن هذا النوع من القراءات ليس من الكثرة بحيث يشكل ظاهرة تمكننا من القول إنـه صـاحب قـراءة مستقلة، ويبدو ذلك واضحاً في قوله: (إِنني براء مما تَعبدون)[11] ....وهي في قراءة عبد اللّـه. (إنني بريء مما تَعبدون) ولو قرأها قارئ كان صواباً موافقاً لقراءتنـا؛ لأن العـرب تكتـب:

[1] الفراء : معاني القرآن 441/1.
[2] آية 58 سورة الأعراف.
[3] الفراء : معاني القرآن 382/1.
[4] آية 35 سورة إبراهيم.
[5] الفراء : معاني القرآن 77/2.
[6] آية 27 سورة الملك.
[7] آية 27 سورة الملك.
[8] الفراء : معاني القرآن 171/3.
[9] آية 23 سورة ص.
[10] الفراء : معاني القرآن 404/2.
[11] آية 26 سورة الزخرف.

يستهزئ يستهزأ فيجعلون الهمزة مكتوبة بالألف في كل حالاتها. يكتبون شيء شيئاً ومثله كثير في مصاحف عبد اللّه، وفي مصحفنا: و يهيء لكم ويهيأ بالألف"[1]، وقوله: (خُلُقُ الأولين)[2] وقراءة الكسائي (خَلْق الأولين) قال الفراء: وقراءتي (خُلُق الأولين) فمن قرأ (خَلْق) يقول: اختلافهم وكذبهم ومن قرأ (خُلُق الأولين) يقول : عادة (الأولين)[3]. والواضح أن نسبته للقراءة في هذين النصين وغيرهما إلى نفسه، يعني أنها موافقة للعربية ولو بوجه من الوجوه، لا أن له قراءة خاصة.

وفيما يتعلق بموقفه من الاحتجاج بالقراءات الشاذة، فقد وصفه بعض الباحثين بأنه لم يكن صاحب منهج مطرد فيما يتعلق بالاستدلال بها، فيحتج بها، وذلك مخالف لما شاع عنه من نعته لبعض القراءات بالشذوذ واللحن[4]، إلى غير ذلك من الأوصاف التي سنقوم بإحصائها، ومع ذلك فإن موقفه في كثير من الأحيان يبقى من بين الكوفيين معتدلاً. فبعد قراءة لكتبه التي بين أيدينا وجدنا أنه احتج بقراءات شاذة ضعفها البصريون منها قوله تعالى :(ولَقَد مكناكُم في الأرضِ وجعلْنا لَكم فيها معايشَ قَليلاً ما تَشْكُرون)[5]، إذا احتج بها على قلب همزة (معائش) ياء، وفي ذلك يقول: "لا تهمز؛ لأنها – يعني الواحدة مفعلة، الياء من الفعل، فلذلك لم تهمز، إنما يهمز من هذا ما كانت الياء زائدة؛ مثل مدينة ومدائن، وقبيلة وقبائل لما كانت الياء لا يعرف لها أصل ثم قارفتها ألف مجهولة أيضاً همزت، ومثل معايش من الواو لا يهمز لو جمعت، معونة قلت: (معاون) أو منارة قلت مناور. وذلك أن الواو ترجع إلى أصلها؛ لسكون الألف قبلها. وربما همزت العرب هذا وشبهه، يتوهمون أنها فعيلة لشبهها بوزنها في اللفظ وعدة الحروف؛

---

[1] الفراء : معاني القرآن 30/3.

[2] آية 137 سورة الشعراء.

[3] الفراء : معاني القرآن 281/2.

[4] سعيد بن جاسم الزبيدي : القياس في النحو العربي نشأته وتطوره 87.

[5] آية 10 سورة الأعراف.

كما جمعوا مسيل الماء أمسلة، شُبه بفعيل وهو مفعل. وقد همزت العرب المصـائب وواحـدتها مصيبة؛ شبهت بفعيلة لكثرتها في الكلام"[1]، كما احتج بإدخال لام الأمر على المضارع المبدوء بـ (تاء الخطاب) في قراءة (قُلْ بِفَضل اللّه وبرحمته فَبِذَلِك فَلْيفْرحوا)[2]. يقول: هذه قـراءة العامة. وقد ذكر عن زيد بن ثابت أنه قرأ (فبذلك فلتفرحوا) أي يا أصحاب محمد، بالتـاء ....

وقوى قول زيد أنها في قراءة أبي (فَبِذَلِك فَافْرحوا) وهو البناء الذي خُلِقَ للأمر إذا واجهتَ به أو لم تواجه؛ إلا أن العرب حذفت اللام من فعل المأمور المواجه لكثرة الأمر خاصة في كلامهـم؛ فحذفوا اللام كما حذفوا التاء من الفعل. وأنت تعلم أن الجازم أو الناصب لا يقعان إلا على الفعل الذي أوله الياء والتاء والنون والألف. فلما حذفت التاء ذهبت باللام وأحدثت الألف فـي قولـك: اضرب وافرح؛ لأن الضاد ساكنة فلم يستقم أن يستأنف بحرف ساكن، فأدخلوا ألفا خفيفة *يقـع بها الابتداء، كما قال: (اداركوا). (واثّاقَلْتُم). وكان الكسائي يعيب قولهم (فلتفرحوا) لأنـه وجـده فجعله عيباً، وهو الأصل. ولقد سمعت عن النبي –صلى ا عليه وسلم- أنه قـال فـي بعـض المشاهد (لتأخذوا مصافّكم) [3] يريد به خذوا مصافّكم"[4] .إلى غير ذلك من القراءات الشاذة التي يتضح فيها أن الفراء يشترط لقبول القراءة موافقتها للعربية ولو بوجه من الوجوه، وهذا يعني أن الفراء كان كغيره من الكوفيين يستدل بقراءات الأئمة السبعة وغيرها من القراءات التـي يبنـي عليها أصوله اللغوية وقواعده وأحكامه، وفي ذلك نفي لما نسبه له أحمد مكي الأنصاري الـذي صنفه ضمن علماء المدرسة البغدادية القائمة على الانتخاب من آراء مدرستي البصرة والكوفـة النحويتين، وقد أوقعه في ذلك ما رآه من تأثر الفراء بآراء المدرسة البصرية، وقد ذكـر أدلـة

---

[1] الفراء : معاني القرآن 373/1، 374.

[2] آية 58 سورة يونس.

* الألف الخفيفة عنده مصطلح يقابل همزة الوصل.

[3] الترمذي: الجامع الصحيح لسنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن 447/5، ونصه (على مصافكم كما أنتم).

[4] الفراء: معاني القرآن 469/1، 470.

كثيرة يعنينا منها ما نحن بصدده الآن، وهو أنه تأثر بها في تخطئته لبعض القـراءات، يقـول شوقي ضيف :"وأبعد في الغلو (يعني أحمد مكي الأنصاري) فقال :"إنه تـأثر البصـريين فـي تخطئة بعض القراءات متورطاً في ذلك مع بعض الباحثين، ورأينا في ترجمة الأخفش كيف كان يوجه القراءات التي لا تجري على مقاييس مدرسته، وليس في كتاب سـيبويه تخطئـة واحـدة لقراءة من القراءات مع كثرة ما استشهد به منها وقد صرح بقبولها جميعاً مهما كانت شاذة على مقاييسه" [1].

واعتمادا على أن شرط القراءة الأساس عنده يتمثل في موافقتها للعربية ولو بوجه مـن الوجوه، فإنه يعتمد في بعض الأحيان على التواتر لقبول القراءة إذ لا وجه لها في العربيـة إلا أنها وجدت في المصاحف، وقرأ بها القراء، ويصف مثل هذه القراءات بالشذوذ، على نحو قوله تعالى (واتقُوا اللّه الذي تَساءلُون يه والأرحام) [2]. فيرى أن قراءة (الأرحام) بالخفض من بـاب الشذوذ؛ ذلك أن أكثر النحويين لا يجيزون العطف على المضمر المخفوض، فيقول : "فنصـب الأرحام، يريد واتقوا الأرحام أن تقطعوها. قال حدثنا الفراء قال: حدثني شريك بن عبد اللّه عن الأعمش عن إبراهيم أنه خفض الأرحام، قال : هو كقولهم : با والرحم؛ وفيه قبح؛ لأن العرب لا ترد مخفوضاً على مخفوض وقد كُني عنه"[3]، وقد قال الشاعر في جوازه:

(الطويل)

نُعلقُ في مثل السواري سيوفَنا وما بينها والْكعبِ غَوط نَفَانف [4]

---

[1] شوقي ضيف: المدارس النحوية 157. وينظر أحمد مكي الأنصاري: أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ص377 وما بعدها.

[2] آية 1 سورة النساء.

[3] المكني: مصطلح كوفي يقابله الضمير عند البصريين.

[4] السواري جمع السارية وهي الأسطوانة. والغوط: المطمئن من الأرض، والنفانف جمع نفنف وهو الهواء بين الشيئين. والبيت كناية عن طول قامتهم.

"وإنما يجوز هذا في الشعر لضيقه"[1]، كما أنكر قراءة ابن عامر (وكذلِك زين لِكثيرٍ من المشْرِكين قتْلَ أولادهم شُركاؤُهم)[2]، فيقول فيها " ..... وكان بعضهم يقرأ: (وكذلك زين لِكثيرٍ من المشْرِكين قَتْلُ أولادهم) فيرفع القتل إذا لم يسم فاعله[3]، ويرفع (الشركاء) بفعل ينويه؛ كأنـه قال : زينه لهم شركاؤهم. ومثله قوله: (يسبح لَه فيها بالِغُدو والْآصال)[4] ثم قـال: (رجـالٌ لا تُلْهيهم تجارةٌ)[5]. وفي بعض مصاحف أهل الشام (شركايهم) بالياء، فإن تكن مثبتة عن الأولين فينبغي أن يقرأ "زين" وتكون الشركاء هم الأولاد، لأنهم منهم في النسب والميراث، فإن كـانوا يقرءون (زين) فلست أعرف جهتها؛ إلا أن يكونوا فيها آخذين بلغة قوم يقولون: أتيتها عشايا ثم يقولون في تثنية (الحمراء: حمرايان) فهذا وجه أن يكونوا قالوا: (زين لكثيرٍ من المشركين قتـل أولادهم شركايهم) وإن شئت جعلت (زين) إذا فتحته فعلاً لإبليس ثم تخفـض الشـركاء بإتبـاع الأولاد. وليس قول من قال : إنما أرادوا مثل قول الشاعر:

(مجزوء الكامل)

فَزججتُها متمكنا   زج القَلوص أبِي مزادة[6]

بشيء. وهذا مما كان يقوله نحويو أهل الحجاز، ولم نجد مثله في العربية" [7].

أما موقفه من القراءات التي لا توافق مذهبه، فقد وقف منها موقفاً سليماً لا يهـاجم فيـه أحدا، ولا يعيب قارئا، فلا ينتقص من قدر أصحابها؛ ذلك أن الفراء -من وجهة نظره- "لا تقـرأ

---

(1) الفراء : معاني القرآن 252/1، 253.

(2) آية 137 سورة الأنعام.

(3) ما لم يسم فاعله مصطلح كوفي يقابله عند البصريين المبني للمجهول .

(4) آية 36 سورة النور.

(5) آية 37 سورة النور.

(6) قيل: زججت الكتيبة أي دفعتها، والقلوص: الناقة الفتية، وأبو مزادة كنية الرجل. ينظر شرح المفصـل 78/3، وابـن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف 65.

(7) الفراء : معاني القرآن 357/1، 358.

بكل ما يجوز في العربية، فلا يقبحن عندك تشنيع مشنع مما لم يقرأه القراء مما يجوز"[1]. وقد تنبه إلى ذلك شوقي ضيف في أثناء تقريره أن الفراء قد سبق البصريين إلى نقض بعض القراءات، ووصفها بالشذوذ، فيقول: "وينبغي أن نعرف أن الفراء ومن تابعه من البصريين لم يكونوا يقصدون إلى الطعن على القراء من حيث هو، إنما كانوا يثبتون ويتوقفون في مواضع التوقف حيث يعيبهم أن يجدوا للقراءة الشاذة على عامة القراء ما يسندها من كلام العرب"[2].

على أن ما يجب التنبه إليه في هذه القضية أن مصطلح الشذوذ عنده لم يرد بصيغة محددة، فقد أورد كثيراً من العبارات لكي يدلل على أن الاستشهاد بلغة من اللغات من باب الشاذ الذي لا يعبأ به، على نحو قوله :"وهي مخالفة للكتاب"[3]، أو "ولست أشتهي ذلك؛ لأنه مخالف للتفسير، ولأن القراء مجتمعون على ..."[4]، أو "وفيه قبح في العربية"[5]، أو "ولا أشتهيها؛ لأنها شاذة "[6]، أو "وهو لحن وكنا نمضي عليه لئلا نخالف الكتاب"[7]، أو "وهي شاذة"[8]، أو "قال الفراء: الفراء: لا نجيزه. يعني كثيراً"[9]، أو "كأنه لم يعرف الوجه في أصبح عبد الله ولا كاد قد قام، ولا عسى قام"[10]، أو "ولا يجوز تشابهت بالتثقيل؛ لأنه لا يستقيم دخول تاء بين زائدتين في تفاعلت ولا في أشباهها"[11]. إلى غير ذلك من العبارات التي يشير فيها إلى ضعف قراءة من

---

(1) الفراء : معاني القرآن 245/1.
(2) شوقي ضيف : المدارس النحوية 223.
(3) الفراء : معاني القرآن 248/2.
(4) المصدر السابق 184/3.
(5) المصدر السابق 55/3.
(6) المصدر السابق 53/2.
(7) المصدر السابق 183/2.
(8) المصدر السابق 238/3.
(9) المصدر السابق 351/2.
(10) المصدر السابق 24/1.
(11) المصدر السابق 75/1.

القراءات أو رداءتها، أو أنها لا تجوز، أو أن الاستشهاد بها محال، أو أنها فاسدة، أو أنها لغـة رديئة، أو أنها من الغريب، أو أنها ليس لها وجه. وهذا النوع من العبارات وغيره في كتبه يشير إلى اختلاف مصطلح الشذوذ عنده، إضافة إلى شذوذ بعض اللغات التي يستشهد بها وخروجهـا عن القياس السليم للعربية، فيلاحظ أن الفراء لا يرى الضعف والقلة والشذوذ واللحن في القراءة نفسها، إنما يراه في اللغة التي قرأ بها القارئ، ومع ذلك يبقى موقفه من هذه القراءات التـي لا توافق العربية موقفاً سليماً لا يهاجم فيه ولا يعيب قارئا. ويدل موقفه من القراءات الشاذة علـى أنه لم يكن يقبل كل مسموع، وفي ذلك يقول شوقي ضيف:"أشرنا إلى أن الكسائي كان يرد بعض القراءات ولا يجوزها وأن البصريين الذين خطأوا بعض القراءات إنما اقتدوا في ذلك بالفراء.

ومن يرجع إلى كتابه (معاني القرآن) يجد الآيات التي خطؤوا القراء فيها قد سبقهم إلـى تخطئة جمهورها الأكبر، فهو الذي فتح لهم هذا الباب على مصـاريعه"[1]. وجـدير ذكـره أن قراءات معدودة هي التي وقف عندها الفراء، وقام بتخطئتها وقد أشار إلى ذلك شـوقي ضـيف بقوله :" وينبغي أن تعرف أن حروفاً معدودة هي التي وقف عندها الكسائي والفراء ومن تلاهما من البصريين بحيث يكون من الإسراف أن يقال إنهم كانوا يخطئون القُراء، إنما الذي ينبغي أن يقال أنهم وقفوا عند بعض حروف في قراءات القرآن الكريم، رغبة منهم في التحـري الـدقيق للفظ الذكر الحكيم"[2].

وللفراء موقف خاص من القراءات المفردة، فلا يخطئهـا، ولا يخطـئ القـارئ بهـا، ويحاول تخريجها على إحدى اللغات الفصيحة الصحيحة الواردة عن العرب، وإن قل من يـتكلم

---

(1) شوقي ضيف : المدارس النحوية 219.

(2) المصدر السابق 158.

بها ولا يرى المتكلم بها مخطئا، مثال ذلك قوله : (وادكر بعد أُمة)[1] الأمة : الحين من الـدهر. وقد ذكر عن بعضهم (بعد أَمه) وهو النسيان. يقال رجل مأموه كأنه الذي ليس معه عقله وقد أَمه الرجل" [2]، وقوله تعالى: (أو جآءوكُم حصرتْ صدورهم) [3]. يقول : ضاقت صـدورهم عـن قتالكم أو قتال قومهم.

فذلك معنى قوله: (حصرتْ صدورهم) أي ضاقت صدورهم، وقد قرأ الحسن (حصـرةً صدورهم) والعرب تقول : أتاني ذهب عقله، يريدون قد ذهب عقله. وسمع الكسـائي بعضـهم يقول: فأصبحتُ نظرت إلى ذات التنانير[4]. فإذا رأيت فعل بعد كان ففيها قـد مضـمرة، إلا أن يكون مع كان جحد فلا تضمر فيها (قد مع جحد) لأنها توكيد والجحد لا يؤكد، ألا تـرى أنـك تقول: ما ذهبت، ولا يجوز ما قد ذهبت" [5].

وفيما يتعلق بنسبة القراءات إلى أصحابها، فإنه لا يختلف كثيراً عمن سبقوه من العلماء، فهو ينص على اسم القارئ فيما ثبت عنده نسبة القراءة إليه. وممن نص على نسبة القراءة إليهم: أبو عبد الرحمن السلمي[6]، ويحيى بن وثاب[7]، وعلي بن أبي طالب[8]، وزيد بن ثابت[9]، وعبد وعبد ا بن مسعود[10]، وعاصم بن أبي النجود[11]، والحسن البصري[1]، وحمزة بـن حبيـب

---

(1) آية 45 سورة يوسف.

(2) الفراء : معاني القرآن 47/2.

(3) آية 90 سورة النساء.

(4) ذات التنانير: عقَبَةٌ بحذاء زبالةَ.

(5) الفراء : معاني القرآن 282/1.

(6) المصدر السابق 141/3.

(7) المصدر السابق 151/3.

(8) المصدر السابق 63/3.

(9) المصدر السابق 58/3.

(10) المصدر السابق 40/2.

(11) المصدر السابق 149/3.

الزيات[2]، وأبو عمرو بن العلاء[3]، وأبو جعفر المدني[4]، وإبراهيم النخعي[5]، وابن عبـاس[6]، وأُبي بن كعب[7]، والكسائي[8]. ويدل ذلك على أن الفراء كان يأخذ بقراءة القراء السبعة والعشرة ومن هم أكبر منهم، إضافة إلى أنه يشترط في القراءة أن توافق العربية ولو بوجه من الوجوه.

على أن الجدير بالذكر هو تفضيله لقراءة عبد ا بن مسعود على غيرها من القراءات، واحتجاجه بها يفوق احتجاجه ببقية القراءات، ويظهر تفضيله لها في قولـه: (واللاتـي يـأْتين الْفَاحشَةَ)[9]، وفي قراءة عبد ا (واللاتي يأتين بالفاحشة) والعرب تقول أتيـت أمـراً عظيمـاً، وأتيت بأمر عظيم، وتكلمتْ كلاماً قبيحاً، وبكلام قبيح. وقال في مريم (لَقَد جِئْت شَيئاً فَريا)[10] و (جِئْتُم شَيئاً إِداً) [11]ولو كانت فيه الباء لكان صواباً"[12]، وقوله: (يأَيها الذين آمنُـوا إِن جـاءكُم فَاسقٌ بِنَبإٍ فتبينوا)[13]. قراءة أصحاب عبد ا منقوطة بالتاء (فتثبتوا)، وقراءة النـاس (فَتَبينـوا) ومعناهما متقارب؛ لأن قوله: (فَتَبينوا) أمهلوا حتى تعرفوا، وهذا معنى تثبتوا"[14]، وقوله: (بـلْ

---

[1] المصدر السابق 459/1.

[2] الفراء : معاني القرآن 151/3.

[3] المصدر السابق 357/2.

[4] المصدر السابق 374/2.

[5] المصدر السابق 271/2.

[6] المصدر السابق 329/2.

[7] المصدر السابق 271/2.

[8] المصدر السابق 310/1.

* لا نود التعريف بهؤلاء الأعلام، لشهرتهم خصوصاً في الكتب المتخصصة بالقراءات.

[9] آية 15 سورة النساء.

[10] آية 27 سورة مريم.

[11] آية 89 سورة مريم.

[12] الفراء : معاني القرآن 258/1.

[13] آية 6 سورة الحجرات.

[14] الفراء : معاني القرآن 70/3، 71.

عجِبت ويسخَرون)[1] قرأها الناس بنصب التاء ورفعها والرفع أحب إلي لأنها قراءة علي وابـن مسعود وعبد ا بن عباس ... " [2]. وكان يخطئ قراءة الحسن البصري. ومع ذلـك فإننـا لا نلمح في تخطئته له حدة الهجوم والتجريح، ويبدو ذلك في قوله: (قُل لو شآء الله ما تلَوتُه عليكُم ولاَ أدراكُم بِه)[3] وقد ذكر عن الحسن أنه قال (ولا أدرأْتُكُم به) فإن تكن فيها لغة سوى دريـت وأدريت فلا؛ لأن الياء والواو إذا انفتح ما قبلها وسكنتا صحتا ولم تنقلبا إلى ألف؛ مثل قضـيت ودعوت"[4]، وقوله: (ومن أهل الكتابِ من إِن تأمنْه بِقنْطارٍ يؤَده إِلَيك) [5]كان الأعمش وعاصـم يجزمان الهاء في يؤده، و (نُوله ما تَولّى)[6]، و (أرجِه وأَخَاه)[7]، و (خَيـراً يـره)، و (شَـراً يره)[8]، وفيه لهما مذهبان؛ أما أحدهما فإن القوم ظنوا أن الجزم في الهاء، وإنما هو فيمـا قبـل الهاء. فهذا وإن كان توهما، خطأٌ . وأَما الآخر فإن من العرب من يجزم الهاء إذا تحـرك مـا قبلها؛ فيقول ضربته ضرباً شديداً، أو يترك الهاء إذا تحرك ما قبلها؛ فيقـول: ضـربته ضـرباً شديداً، أو يترك الهاء إذ سكّنها وأصلها الرفع بمنزلة رأيتهم وأنتم، ألا تـرى أن المـيم سـكنت وأصلها الرفع" [9].

وقد يلجأ- في كثير من الأحيان-إلى تخريج قراءة الحسن، ويتضح ذلك في قوله: (يضل بِه الذين كفَروا) [10] قرأها ابن مسعود (يضلّ به الذين كفروا) وقرأها زيد بن ثابت (يضل بـه)

---

(1) آية 12 سورة الصافات.

(2) الفراء : معاني القرآن 384/2.

(3) آية 16 سورة يونس.

(4) الفراء : معاني القرآن 459/1.

(5) آية 75 سورة آل عمران.

(6) آية 115 سورة النساء.

(7) آية 111 سورة الأعراف.

(8) الآيتان 7، 8 سورة الزلزلة.

(9) الفراء : معاني القرآن 223/1.

(10) آية 37 سورة التوبة.

يجعل الفعل لهم، وقرأ الحسن البصري (يضل به الذين كفروا) كأنه جعل الفعل لهم يضلون بـه الناس وينسئونه لهم"[1].

وإذا لم يذكر القارئ الذي أخذ عنه القراءة ذكر اسم البلد التي تنسب القراءة إليها، مـن ذلك قراءة أهل الكوفة[2]، وقراءة أهل المدينة[3]، وقراءة أهل الحجاز[4]، وقراءة أهل البصرة[5]، البصرة[5]، وقراءة بعض أهل الشام[6]. وفي معظم الأحيان فإنه لا يفـرق بـين قـراءة مدينـة وأخرى، فيستشهد بها في مواضع كثيرة، ولا يفضل إحداها على الأخرى، ويبدو ذلك في قولـه تعالى: (قُلْ كم لَبِثْتُم)[7] قراءة أهل المدينة "قال كم لبثتم" وأهل الكوفة (قُلْ كم لبثـتم)[8]، وقولـه تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا)[9] قرأها أهل الكوفة بالألف، وكذلك هي في مصاحفهم، مصاحفهم، وأهل المدينة وأهل البصرة يقرؤون :(حسنا)، وكذلك هي مصاحفهم، ومعناها واحـد وا أعلم"[10].

وإذا لم ينسب القراءة إلى صاحبها أو إلى المدينة أشار إلى القبيلة التي تنسب إليها تلـك القراءة، من ذلك ما نسبـه إلى لغة بني تميم[11]، ولغة بني عقَيل[12]، ولغة أهـل حوران[13]،

---

(1) الفراء : معاني القرآن 437/1.
(2) الفراء : معاني القرآن 338/1.
(3) المصدر السابق 246/1.
(4) المصدر السابق 167/3.
(5) المصدر السابق 170/3.
(6) المصدر السابق 107/2.
(7) آية 112 سورة المؤمنين.
(8) الفراء : معاني القرآن 243/2.
(9) آية 15 سورة الأحقاف.
(10) الفراء : معاني القرآن 52/3.
(11) المصدر السابق 125/3.
(12) المصدر السابق 156/3.
(13) المصدر السابق 40/2.

ولغة عليا تميم وسفلى قيس[1]، ولغة أَسد[2]، ولغة قريش[3]، و لغة قيس[4]، ولغة سليم[5]، ولغـة ولغة قُضاعة[6].

أما إذا لم ينسب القراءة إلى أصحابها، أو إلى المدينة، أو إلى القبيلـة- اكتفـى، مـثلاً، بالقول: "اجتمع القراء على تشديد: المزمل والمدثّر [7]، أو "وقد سمعت كثيراً من القراء الفصحاء الفصحاء يقرءون"[8]، أو "قرأها القراء بالتخفيف"[9]، أو "وقد خففها آخرون مـن أهـل المدينـة وغيرهم"[10]، أو "كل القراء قد اجتمعوا على كسر السين"[11]، أو "والناس بعد يقرءونها"[12]، أو "وقرأ بعضهم"[13]، أو "اجتمع القراء على همزها"[14]، أو "قرأ الناس بكسر الشين"[15]، أو وقراءة الناس بعد ... "[16]، أو وقد ذُكر عن بعضهم"[17]، أو "والعوام يقرءونها بالياء"[18]، أو "وأكثـر القراء على ... "[19]، إلى غير ذلك من العبارات التي كان يقدم بها القراءات القرآنية.

---

[1] الفراء : معاني القرآن 144/2.
[2] المصدر السابق 107/3.
[3] المصدر السابق 356/2.
[4] المصدر السابق 339/2.
[5] المصدر السابق 99/2.
[6] المصدر السابق 124/2.
[7] المصدر السابق 3/ 196 .
[8] المصدر السابق 432/1.
[9] المصدر السابق 329/2.
[10] المصدر السابق 241/3.
[11] المصدر السابق 341/2.
[12] المصدر السابق 302/2.
[13] المصدر السابق 194/2.
[14] المصدر السابق 222/3.
[15] المصدر السابق 141/3.
[16] المصدر السابق 105/3.
[17] المصدر السابق 97/3.
[18] المصدر السابق 23/3.
[19] المصدر السابق 97/2.

وقد يتسلسل في نسبة القراءات حتى يصل بالسند إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- كما هي الحال في قوله: (وقَالَتْ هيتَ لَك)[1] قرأها عبد الله بن مسعود وأصحابه حدثنا الفراء قال: حدثني ابن أبي يحيى عن أبي حبيب الشعبي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم (هيتَ) ... "[2]، وقوله: (فَيومئِذ لا يعذّب عذَابه أَحد)[3]، "…. حدثنا أبو العباس قال: حدثنا الفراء قال: حدثني عبد الله بن المبارك عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عمن سمع النبي -صلى الله عليه وسلم – يقرأ …. "[4].

وقد يتسلسل بالقراءة دون أن يصل بسندها إلى النبي –صلى الله عليه وسلم- مثال ذلك قوله: (والذين يؤْتُون ما آتَوا)[5]…. حدثنا أبو العباس قال: حدثنا محمد قال: وحدثنا الفراء قال: قال: حدثني منْدل قال حدثني عبد الملك عن عطاء عن عائشة أنها قرأت أو قالت كنا نقرأ إلا (يأْتون ما أَتَوا) [6]، وقوله: (قُلْ إنما أَدعو ربي) [7]….. حدثنا أبو العباس قال: حدثنا محمد: حدثنا الفراء قال: وحدثني محمد بن الفضل عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب -رحمه اللّه- أنه قرأها (قال إنما أدعوا ربي)[8].

وموقفه من القراءات يختلف باختلاف الموضع الذي يناقش فيه القضايا اللغوية، فكما كان يقيس الآيات القرآنية بعضها على بعض ويعدها أصلاً من أصول الاحتجاج، فإنه قد عد القراءات في مواطن كثيرة أصلاً يقيس عليه ويبدو ذلك واضحاً في قوله تعالى: (فَقَبضتُ

---

(1) آية 23 سورة يوسف.
(2) الفراء : معاني القرآن 40/2.
(3) آية 25 سورة الفجر .
(4) الفراء : معاني القرآن 262/3.
(5) آية 60 سورة المؤمنين.
(6) الفراء : معاني القرآن 238/2.
(7) آية 20 سورة الجن.
(8) الفراء : معاني القرآن 195/3.

قَبضةً)[1] القبضة بالكف كلها. والقبضة بأطراف الأصابع. وقرأ الحسن قبصة بالصاد والقُبصـة والقُبضة جميعاً : اسم التراب بعينه فلو قرئتا كان وجهاً: ومثله مما قد قرئ به: (إلا مَنِ اغْتَرفَ غُرفَةً بيده)[2] و (غَرفَةً). والغُرفة: المغروف، والغَرفة: الغَفلـة. وكـذلك الحسـوة والحسـوة والخُطْوة والخَطْوة والأُكلة والأَكلة. والأُكلة المأكول والأَكْلة المرة. والخُطْوة ما بين القَدمين فـي المشي، والخَطْوة المرة. وما كان مكسوراً فهو مصدر مثل إنه لحسن المشية والجِلسة والقعـدة "[3]، وقوله (فَلاَ تَسأَلْنِ ما لَيس لَكَ بِه عِلْم)[4] ويقرأ: (تسألني بإثبات الياء وتشديد النون ويجوز أن تقرأ (فلا تَسأَلَن ما لَيس) بنصب النون، .... والقراء قد اختلفوا فيما تكون في آخـره اليـاء وتحذف في الكتاب : فبعضهم يثبتها، وبعضهم يلقيها من ذلك (أَكْرمنِ)[5] و (أهانَنِ)[6] و (فَمـا آتانِ اللّه)[7] وهو كثير في القرآن "[8].

ومما يلاحظ على القراءات التي يحتج بها أنها في معظم الأحيان تأتي موافقـة لسـواد المصحف، أما إذا خالفته –أي سواد المصحف- فإنه يحملها على إحدى لغات العرب، مثال ذلك قوله :(من يومِ الْجمعة) [9]. خففها الأعمش فقال: الْجمعة، وثقلها عاصم وأهل الحجـاز، وفيهـا لغة: جمعةَ، وهي لغة لبني عقَيل لو قرئ بها كان صوابا. والذين قالوا: الجمعة ذهبوا بها إلـى صفة اليوم أنه يوم جمعة، كما تقول رجل ضحكة للذي يكثر الضحك"[10]، وقوله : (وأَلْقُوه فـي

---

[1] آية 96 سورة طه.
[2] آية 249 سورة البقرة.
[3] الفراء : معاني القرآن 190/2.
[4] آية 46 سورة هود.
[5] آية 15 سورة الفجر.
[6] آية 16 سورة الفجر.
[7] آية 36 سورة النمل.
[8] الفراء : معاني القرآن 18/2.
[9] آية 9 سورة الجمعة.
[10] الفراء : معاني القرآن 156/3.

غَيابت الْجب)[1] .... (يلْتَقطْه بعض السيارة) قرأه العامة بالياء لأن (بعض) ذكـر وإن أضـيف إلى تأنيث. وقد قرأ الحسن – فيما ذكر عنه- : (تلتقطه) بالتاء وذلك أنه ذهـب إلـى السـيارة والعرب إذا أضافت المذكر إلى المؤنث وهو فعل له أو هو بعـض لـه قـالوا فيـه بالتأنيـث والتذكير[2].

وقد يخالف بعض القراءات الصحيحة الواردة عن الأئمة السبعة؛ مع أن الواحد منهم قرأ على لغة قبيلة من قبائل العرب، ومثل ذلك قوله: (لَقَد علمتَ ما أَنْزل)[3] قرأها ابن عباس وابـن مسعود (علمتَ) بنصب التاء. حدثنا محمد قال: حدثنا الفراء قال: وحدثني قيس وأبو الأحـوص جميعاً عن أبي إسحاق عن شيخ من مراد عن علي أنه قال: واللّه ما علم عدو اللّه، إنمـا علـم موسى. وكان يقرأ (علمتُ برفع التاء). وفسره الكلبي بإسناده على قراءة علي وتفسيره. وأما ابن عباس وابن مسعود فقالا: قد قال اللّه عزوجل : (وجحدوا بها واستَيقَنَتْها أَنْفُسهم)[4] قال الفراء: والفتح أحب إلى وقال بعضهم : قرأ الكسائي بالرفع، فقال أخالفه أشَد الخلاف"[5].

وفي أماكن كثيرة من كتابه "معاني القرآن" يفاضل بين القراءات ويصف إحداها بأنهـا أجود من الأخرى. علماً أن الأخرى عربية فصيحة، على نحو قوله : (سخْريا) و(سـخْريا) [6]. وقد قرئ بهما جميعاً. والضم أجود. قال الذين كسروا ما كان من السخْرة فهو مرفوع، وما كان من الهزوء فهو مكسور"[7]، وقوله: (حتّى يلاقُوا يومهم) [8] بالألف، وقد قـرأ بعضـهم "يلْقَـوا"

---

[1] آية 10 سورة يوسف.
[2] الفراء : معاني القرآن 36/2.
[3] آية 102 سورة الاسراء.
[4] آية 14 سورة النمل.
[5] الفراء : معاني القرآن 132/2.
[6] آية 110 سورة المؤمنين.
[7] الفراء : معاني القرآن 243/2.
[8] آية 45 سورة الطور.

والملاقاة أعرب وكل حسن" [1]. وقد يصف إحدى القراءتين بأنها أكثر انتشاراً، وأحسـن مـن الأخرى، كقوله: (قَالُوا ربنَا غَلَبتْ علَينا شَقَاوتُنَا)[2] وقرأها ابن مسعود (شَقَاوتَنَا) بألف وفتح.

قال الفراء: لولا عبد ا ما قرأتها إلا (شقْوتُنَا)[3]، وقوله: (وآخَر من شَـكْله أَزواج)[4] قرأ الناس (وآخَر من شَكْله) إلا مجاهدا فإنه قرأ (وأُخَر) كأنه ظن أن الأزواج لا تكون من نعت واحد. وإذا كان الاسم فعلاً جاز أن ينعت بالاثنين والكثير؛ كقولك في الكـلام: عـذاب فـلان ضروب شتى وضربان مختلفان. فهذا بين"[5].

وفي كثير من الأحيان يحتج بقراءتين مختلفتين أو أكثر، ويستشهد بهما معاً ولا يـرجح إحداهما على الأخرى، مثل ذلك قوله :(إذْ تَلَقَّونَه بِأَلْسنَتكُم)[6] كان الرجل يلقى الآخر فيقول: أما بلغك كذا وكذا فيذكر قصة عائشة لتشيع الفاحشة. وفي قراءة عبد ا (إذْ تَتَلَقونه) وقرأت عائشة (إذْ تَلقُونه) وهـو الولْق أي ترددونه. والولْق في السـير والولْق في الكذب بمنزلته إذا اسـتمر في السير والكذب فقد ولَق"[7]، وقوله : (والرجز فاهجر)[8]. كسره عاصم والأعمـش والحسـن ورفعه السلمي ومجاهد وأهل المدينة فقرأوا : (والرجز فاهجر) ... وفسره الكلبـي: الرجـز : العذاب، ونرى أنهما لغتان، وأن المعنى فيهما واحد[9]، وقوله: (كأَنهم حمر مستَنْفرةٌ)[10]. قرأها

---

[1] الفراء : معاني القرآن 93/3.
[2] آية 106 سورة المؤمنين.
[3] الفراء : معاني القرآن 242/2.
[4] آية 58 سورة ص.
[5] الفراء : معاني القرآن 411/410/2.
[6] آية 15 سورة النور.
[7] الفراء : معاني القرآن 247/2، 248.
[8] آية 5 سورة المدثر.
[9] الفراء : معاني القرآن 200/3، 201.
[10] آية 50 سورة المدثر .

قرأها عاصم والأعمش : (مستنفرة) بالكسر، وقرأها أهل الحجاز "مستنفَرة" بفتح الفـاء وهمـا جميعاً كثيرتان في كلام العرب" [1].

وإذا أورد للآية موضع التفسير أكثر من قراءة، كان يأتي بجميع وجوه القراءات، ويقرر أن لها وجهاً حسناً؛ لأنه عربي جاء على لغة من لغات العرب، من ذلك قولـه :(ولا تَقْـفُ)[2] أكثر القراء يجعلونها من قفوت، فتحرك الفاء إلى الواو، فتقول: (ولا تَقْفُ) وبعضهم قـال (ولا تَقُفْ) والعرب تقول قُفْت أثره وقفَوته"[3] .

وأحياناً يورد وجهاً من وجوه القراءة للآية الكريمة موضع الدرس، ثم يشير إلى جـواز قراءة أخرى، وأنها عربية فصيحة، إلا أنها لا تجوز في الكتاب على نحـو قولـه: (فَأجاءهـا المخَاض) [4]...... كما تقول : آتيتك زيداً، تريد : أتيتك بزيد. ومثله (آتُوني زبـر الحديـد)[5] فلما ألقيت الباء زدت ألفا وإنما هو ائتوني زبر الحديد. ولغة أخرى لا تصلح في الكتاب وهـي تميمية: فَأشَاءها المخَاض [6].

إذا أورد قراءة جائزة، وهي غير مخالفة لقواعد العربية ولم يسمعها من القراء، أو لـم تقع عليها عينه في المصاحف- نص على ذلك، نحو: "زعم الكسائي أنه لا يعرفها. وقال الفراء:

[1] الفراء : معاني القرآن 206/3.

[2] آية 36 سورة الاسراء.

[3] الفراء : معاني القرآن 123/2، 124.

[4] آية 23 سورة مريم.

[5] آية 96 سورة الكهف.

[6] الفراء : معاني القرآن 164/2.

لا أعرفها أيضاً إلا أن تكون لم تقع إلينا"[1]، أو "ولم أسمع أحد قرأ به" [2]، أو "ولم نسمعه في القراءة" [3].

وقد يشير إلى أن إحدى القراءات انفرد بقراءتها أحد القراء كما هو الحال في قوله :"ولم يقرأ به أحد غير ابن عباس"[4] "وقرأ الحسن وحده .... "[5]. إلى غير ذلك من العبارات التي يشير فيها إلى أن هذه القراءة أو تلك قد انفرد بقراءتها أحد القراء المشهورين.

وفي كثير من المواضع كان يحتج ببعض القراءات بلغة ما ورد في أحد المصاحف، مع الإشارة إلى بلد المصحف أو صاحبه الذي أخذت عنه القراءة، مثال ذلك قوله: (وكَذَلِكَ زيَّن لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ)[6]..... وفي بعض مصاحف أهل الشام (شركايهم بالياء)[7]، وقوله: (كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً) [8]و (قطْعا). والقطع قراءة العامة. وهي في مصحف أُبي (كأنما يغْشَى وجوههم قطْع من الليل مظلم) فهذه لمن قرأ بالتخفيف[9]، وقوله: (وَأَطَعْنَا الرسولا)[10] يوقف عليها بالألف. وكذلك (فَأَضَلونَا السبِيلا)[11]، و (الظنُونَا)[12] يوقف على الألف؛ لأنها مثبتة فيهن وهي مع آيات بالألف، ورأيتها في مصاحف عبد الله بغير ألف. وكان حمزة والأعمش يقفان على هؤلاء الأحرف بغير ألف فيهن. وأهل الحجاز يقفون بالألف.

---

(1) الفراء: معاني القرآن 389/2.
(2) المصدر السابق 378/2.
(3) المصدر السابق 270/2.
(4) المصدر السابق 280/3.
(5) المصدر السابق 108/3.
(6) آية 137 سورة الأنعام.
(7) الفراء : معاني القرآن 357/1.
(8) آية 27 سورة يونس.
(9) الفراء : معاني القرآن 462/1.
(10) آية 66 سورة السجدة.
(11) آية 67 سورة الأحزاب.
(12) آية 10 سورة الأحزاب.

وقولهم أحب إلينا لاتباع الكتاب. ولو وصلت بالألف لكان صوابا لأن العرب تفعل ذلك. وقـرأ بعضهم بالألف في الوصل والقطع"[1].

غير أنه يغفل في بعض الأحيان الإشارة إلى المصحف الذي وردت فيه القراءة. وفـي العادة فإنه يؤكد القراءة بما سمعه عن العرب أو بما قاله النحاة، مثال ذلك قوله (لكنا هـو اللّـه ربي)[2] ... ومن العرب من يقول: أنا قلت ذاك بتمام الألف فقرئت لكنّا على تلك اللغة وأثبتوا وأثبتوا الألف في اللغتين في المصحف"[3].

وإذا جاءت القراءة على غير المشهور من أوجه التعبير، أو على الاستعمال القليـل، أو فيما يدخل في باب الشذوذ والضعف- فإنه يشير إلى ذلك-، ومن ثم نجده يفسرها ويؤولها إلـى أن يدخلها في القياس المشهور الصحيح، ويخرجها تخريجاً سليماً معتمداً علـى السـماع عـن العرب، أو مستعيناً بآية قرآنية أو قراءة لآية قرآنية أخرى، وقد يستعين بأقوال العلماء من أجل ذلك، وتظهر هذه الظاهرة جلية عنده في قوله: (أَفَرَأَيتُم اللاّتَ والعزى)[4] قرأها الناس بالتخفيف بالتخفيف في لفظ قوله (ولاتَ حين مَنَاص)[5]. - وفي وزن-شاة، وكان الكسائي يقـفُ عليهـا بالهاء (أَفَرَأَيتُم اللاه)...[6] .

ويحمل بعض القراءات على ما يراه القياس الصحيح، ويحـتج لـذلك بكـلام العـرب وأشعارها على نحو قوله : (تَذْروه الرياح)[7] من ذَروتَ وذَريتَ لغة، وهي كذلك في قراءة عبد

---

(1) الفراء : معاني القرآن 350/2.

(2) آية 38 سورة الكهف.

(3) الفراء : معاني القرآن 144/2، 145.

(4) آية 19 سورة النجم.

(5) آية 3 سورة ص .

(6) الفراء : معاني القرآن 97/3، 98.

(7) آية 45 سورة الكهف .

عبد ا (تَذرِيه الرياح) ولو قرأ قارئ (تُذْرِيه الريح) من أذريت أي تلقيه كان وجهاً وأنشـدني المفضل: (الطويل)

فقلتُ له صوب ولا تُجهدنه فيذرك من أُخْرى القطاة فَتَزلَق [1]

تقول : أذريت الرجل عن الدابة وعن البعير أي ألقيته " [2].

أما إذا خالفت القراءة القياس المشهور فإنه لا يردها أو يخطئها أو يعيبهـا أو ينكرهـا؛ لكنه يحاول تخريجها على لغة من لغات العرب، أو قراءة من القـراءات كقولـه : (قُـلْ هـلْ تَربصون بِنَا إِلا إِحدى الْحسنَيينِ)[3].... والعرب تدغم اللام من (هل) و (بل) عند التاء خاصة. خاصة. وهو في كلامهم عالٍ كثير؛ يقول: هلْ تدري، و هتدري . فقرأها القراء على ذلك، وإنما أستحب في القراءة خاصة تبيان ذلك، لأنهما منفصلان ليسا من حرف واحد، وإنما بني القـرآن على الترسل والترتيل وإشباع الكلام، فتبيانه أحب إلي من إدغامه، وقد أدغم القراء الكبار، وكل صواب "[4].

هذه بعض الظواهر الخاصة بالقراءات القرآنية، وقد بدا فيها موقف الفـراء مـن هـذا المصدر المحتَج به، فكان يراها موافقة للأصول العربية ولكلام العرب الذين يؤخـذ بشـعرهم ونثرهم، وقد احتج بها على الظواهر اللغوية التي تعرض لها في كتابه (معاني القرآن)، وإذا بدا له أن القراءة مما يخالف قياس العربية وأصولها كان يوجهها بالاعتمـاد علـى كـلام العـرب وأشعارهم، وفي أحيان كثيرة ينسب اللغة إلى المتكلمين بها كقيس وتميم وقريش وهذَيل وسـلَيم

---

(1) البيت من قصيدة لامريء القيس. يخاطب فيه غلامه وقد حمله على فرس جواد للصيد، ويقـال: صـوب الفـرس إذا أرسله للجري. والقطاة من الفرس. موضع الردف. والمعنى لا تجهده في العدو فيصرعك. ينظر الديوان 174.

(2) الفراء : معاني القرآن 146/2 .

(3) آية 52 سورة التوبة .

(4) الفراء: معاني القرآن 441/1.

وقُضاعة وعقَيل وغيرها، وإذا لم يذكر اسم القبيلة اكتفى بالقول: "وبعض العرب يقـول" [1]، أو "سمعت العرب تقول "[2]، أو " ومن العرب من يقول" [3]، أو "والعرب أيضاً تفتح المـيم"[4]، أو "العرب تقول" [5]، أو "ومن أمثال العرب" [6]، أو "والمقام بفتح الميم أجود فـي العربيـة"[7]، أو "لأن العرب "[8]. إلى غير ذلك من العبارات التي كان الفراء يخرج بها القراءات على لغة سليمة سليمة من اللغات، آخذاً بعين الاعتبار عدم مهاجمة أحد من القراء .

وخلاصة القول إن الفراء صاحب منهج مستقل فيما يتعلق بهذا المصدر مـن مصـادر الاحتجاج، فهو يوثق ما ينقل من قراءات توثيقاً دقيقا، ويستعين بالشعر لتوجيهها، كما أنه يـرد هذه القراءات في معظم الأحيان إلى لغات العرب، وقد عمد إلى المفاضلة بين القراءات واقفاً في بعض الأحيان موقفاً محايداً، وفي أخرى مفضلاً لقراءة من القراءات، كما أنه عني في مـواطن أخرى بنسبة القراءة من خلال سلسلة طويلة من القراء إلى القارئ الأول الذي قرأ بها.

---

(1) الفراء : معاني القرآن 70/3.
(2) المصدر السابق 469/1.
(3) المصدر السابق 173/2.
(4) المصدر السابق 136/2.
(5) المصدر السابق 10/3.
(6) المصدر السابق 173/2.
(7) المصدر السابق 44/3.
(8) المصدر السابق 30/3.

2- الحديث النبوي الشريف

تحفل كتب اللغة بشواهد متنوعة لتثبيت القواعد والأحكام اللغوية، إذ لم تقتصر هذه الشواهد على مصدر واحد من مصادر الاحتجاج اللغوي، وإن كان هناك تفاوت في الاستفادة منها، فيكثر الاستشهاد من مصدر في مقابل التقليل من الاستقاء والاستفادة من مصدر آخر. وقد كان الحديث الشريف أحد المصادر التي اختلف النحاة في قبول الاحتجاج بها تبعاً لمناهجهم، وطرقهم في الدراسة النحوية والصرفية والتأصيل.

ويعرف القدماء الحديث الصحيح الذي يجوز الاحتجاج منه في المباحث الصرفية والنحوية بأنه: "الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ولا يكون شاذاً، ولا معللاً "[1].

والحديث الشريف الذي نقصد به في مباحث علوم اللغة هو :" أقوال النبي صلى ا عليه وسلم وأقوال الصحابة التي تروي أفعاله وأقواله أو ما وقع في زمنه، وقد تشتمل كتب الحديث على أقوال التابعين أيضاً كالزهري[2] وهشام بن عروة [3]وعمر بن عبد العزيز والذي جعل بعض اللغويين النحويين يثبتون أقوال التابعين هؤلاء مع الرسول والصحابة ثقتهم بصحة صدورها عنهم، فيحتجون في إثبات مادة لغوية أو دعم قاعدة نحوية أو صرفية "[4].

---

(1) ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث 7.

(2) هو محمد بن مسلم بن عبيد ا بن عبد ا بن شهاب بن عبد ا بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، فقيه حافظ، اتفق العلماء على جلالته وإتقانه، من رؤوس الطبقة الرابعة، مات سنة خمس وعشرين، وقيل : قبل ذلك بسنة أو سنتين. ينظر العسقلاني: تقريب التهذيب 440.

(3) هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، ثقة فقيه، مات سنة خمس أو ست وأربعين، وله سبع وثمانون سنة. ينظر العسقلاني: تهذيب التقريب 41/4.

(4) سعيد الأفغاني: في أصول النحو 46.

وتعرفه خديجة الحديثي بقولها : "غير أن الذي نفهمه عند إطلاق مصطلح الحديث أنه كلام النبي العربي محمد صلى ا عليه وسلم. وقد كان من الواجب أن يعتبر بعد القرآن الكريم في منزلة الاستشهاد به لولا أن المسلمين الأوائل أجازوا روايته بالمعنى ولم يعتمدوا فيه على اللفظ الذي نطق به الرسول صلى ا عليه وسلم غالباً"[1].

ويعرفه جعفر نايف عبابنة بأنه "ما نطق به الرسول صلى ا عليه وسلم، وسمع منه. وهو حري بأن يستدل به، وتبنى عليه القواعد النحوية، لأن المتلفظ به، هو الرسول، من أفصح قريش، وأقواهم سليقة"[2].

ولعل أفضل ما قيل في تعريف الكلام المستشهد به من الحديث الشريف في كتب اللغة، ما قاله محمد الخضر حسين، حين بين المقصود من الحديث في مجال الاستشهاد اللغوي: "تشتمل كتب الحديث على أقواله صلى ا عليه وسلم وعلى أقوال الصحابة: تحكي فعلاً من أفعاله عليه السلام أو حالاً من أحواله، أو تحكي ما سوى ذلك من شئون عامة أو خاصة تتصل بالدين، بل يوجد في كثير من كتب الحديث أقوال صادرة عن بعض التابعين. وكذلك نرى المؤلفين في غريب الحديث يوردون ألفاظاً من أقوال الرسول صلى ا عليه وسلم أو أقوال الصحابة أو أقوال بعض التابعين كعمر بن عبد العزيز رضي ا عنه. وهذه الأقوال المنسوبة إلى الصحابة أو التابعين، متى جاءت من طريق المحدثين، تأخذ حكم الأقوال المرفوعة إلى رسول ا صلى ا عليه وسلم من جهة الاحتجاج بها في إثبات لفظ لغوي أو قاعدة نحوية"[3].

وبذلك يكون الشرط الأساسي لقبول الحديث، والاحتجاج به في علوم اللغة نطق الرسول صلى ا عليه وسلم به، فليس عيباً أن ينقل الحديث عن طريق الصحابة أو التابعين؛ لأن المعول

---

(1) خديجة الحديثي: دراسات في كتاب سيبويه 49.

(2) جعفر نايف عبابنة: مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي 49.

(3) محمد الخضر حسين : دراسات في العربية وتاريخها 166، 167.

الأساسي لقبول الاحتجاج به أن يكون قد تلفظ به الرسول عليه السلام؛ لأنه أفصح العرب، ونشأ في قريش التي يتسم لسانها بالفصاحة، والبلاغة، وحسن البيان.

وتأتي أهمية الحديث الشريف في مجال الدراسات اللغوية من أنه كـلام أبلـغ البشـر وأفصحهم لساناً، وقد أحيطت روايته بكثير من الضبط والتحري، ونشأ لأجل ذلك علـم يعـرف بعلم الجرح والتعديل، يختص برواية الحديث ودرجات صحته. بما أن الأمر كذلك فلا يجوز أن يقصى عن مجال الاستشهاد اللغوي، وأن تحرم اللغة من مصدر ثر زاخر، إذ إن من الأحاديـث ما هو في مرتبة أقوى المصادر وأفصحها، وهو ما لا يجوز للغوي أن يهمله ويقصيه عن دائرة الاستشهاد. والظاهر أن ابن مالك (ت 672هـ) ومن تابعه كانوا على صواب في موقفهم تجـاه الحديث الشريف، فلم تعهد العربية بعد القرآن الكريم كلاماً أبلغ ولا أكثر تأثيراً في النفوس مـن كلام النبي- صلى ا عليه وسلم-.

والاحتجاج بهذا المصدر يعين النحاة المعاصرين، ويتيح لهم أن ينظروا فـي الأصـول ويفتح مجالاً واسعاً لمزيد من الدراسات اللغوية، فليس عيباً أن يتدارك اللاحق السابق والمتـأخر ما فات المتقدمين، فذلك هو الصحيح المعقول؛ إذ إن موارد القدماء كانت قليلة إذا ما قورنت مع اللاحقين.

ولبيان أهمية هذا المصدر أذكر ما قالته خديجة الحديثي في هذه القضية: "وكـان مـن الواجب أن يأتي بعد القرآن الكريم في صحة الاحتجاج به في علوم العربية كافة بلا تمييز بينها؛ لأنه كلام أفضل البشر. لكننا نرى علماء العربية يحتجون به فـي الأدب والبلاغـة والتفسـير، ويترددون في الاحتجاج به في علمي الصرف والنحو، وما ذلك إلا لأن هذين العلمين يعتمـدان في وضع القواعد والأصول على ضبط أحرف الكلمات قبل التركيب وبعده وأن أي تغيير فـي أبنية الكلمات أو في ضبط أواخرها يؤدي إلى تغير اللفظة أو تغير حكمها النحوي ومعناها الذي

جاءت له في العبارة" [1]؛ بذلك يكون الواجب على النحاة أن يحتجوا به ويستقوا منه كما كـانوا يفعلون مع المصادر الأخرى خصوصاً إذا صحت روايته، وتوافرت فيه بعض الشـروط التـي وضعها القدماء وتابعهم فيها المحدثون؛ أما ما كانت روايته شاذة فلا يجوز الاحتجاج به .

وللتعرف إلى موقف علماء اللغة من هذا المصدر علينا أولاً أن نفرق بين موقف علماء اللغة منه من جهة، وموقف علماء النحو والصرف من جهة أخرى، إذ إن علماء اللغة قد جوزوا روايته بالمعنى؛ ولذلك أكثروا من الاستشهاد منه، في حين تشـدد علمـاء النحـو والصـرف واشترطوا لقبول الاحتجاج به روايته باللفظ لا المعنى، وفي ذلك تقول خديجة الحـديثي :" أمـا النحو والصرف فيعتمدان على صحة النطق به، وضبط الرواية له باللفظ الذي نطق به الرسول عليه السلام، وهذا ما لم يتأكد منه ومن ثم حدث فيه الخلاف الذي ذكرناه"[2]، وإلى مثـل ذلـك يذهب كل من محمد عيد، فيقول :" إن علماءنا فرقوا في الاستشهاد بالحـديث بـين المسـتوى الوظيفي والمستوى المعجمي، فرفض الأول وقبل الثاني" [3]، ويقول حسين نصار: "ونشير فـي ختام القول في هذه المشكلة أن النزاع كان قائماً بين النحويين على الاستشهاد بالحديث في النحو أما الاستشهاد به في اللغة فقد كان أمراً مباحاً، ولكن على قلة نسبية، فالخليل ليس فذاً ولا مبتدعاً في الاعتماد على الحديث في معجمه"[4].

وقد اختلف علماء اللغة في قضية الاستشهاد بالحديث الشريف، وانقسموا لأجل ذلك إلى ثلاثة أقسام : قسم منع الاحتجاج به مطلقاً، ويمثله ابن الضائع (ت686هـ)، وتلميذه أبو حيـان الأندلسي (ت745هـ)، وآخر يجوز الاحتجاج به كله ويمثله ابن مالك (ت672هـ)، ورضـي

---

[1] خديجة الحديثي: موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف 5.

[2] المصدر السابق 40، 41.

[3] محمد عيد : الرواية والاستشهاد باللغة 40.

[4] حسين نصار : المعجم العربي - نشأته وتطوره 272/1، 273.

الدين الأستراباذي (ت688هـ)، الذي أضاف إليه الاحتجاج بكلام آل البيت -رضي ا عنهم-، وفريق ثالث يتوسط بين المنع والتجويز، ويمثله أبو اسحاق الشاطبي (ت790هـ) والسـيوطي (ت911هـ) في أحد مذهبيه[1].

وقد علل النحاة عدم استشهادهم بالحديث الشريف بعدة علل أهمها : -

1- أن الرواة رووا هذه الأحاديث بالمعنى خصوصاً فيما يتعلق بالأحاديث الطوال التي يصعب على الرواة حفظها حرفياً، فعمدوا إلى التثبت من المعنى وإن طغى ذلك على اللفظ.

2- أن هناك كثيراً من الأحاديث الموضوعة التي لا يؤمن جانبها، وبالتالي لا يصح الاسـتدلال بها.

3- وقوع اللحن في الأحاديث الشريفة؛ لأن كثيراً من الرواة كانوا من غير العرب [2].

أما الذين قالوا بجواز الاحتجاج منه فحجتهم أنه قد أحيط بكثير من الضبط والدقـة فـي الرواية، والتشدد في النقل بحيث أصبح بعيداً عن أي شك واشتباه، وقد أشار إلى ذلك عبد العال سالم مكرم، بقوله :" مهما أنكر النحاة هذا الاحتجاج بالحديث، فإن إنكارهم لا قيمة له إذا عرفنـا أن الرواة كانوا يتحرون ويضبطون الأحاديث حتى لا يزيدوا فيها أو ينقصوا منها، أو يغيروا في كلماتها، وهي في هذا الميدان ميدان التوثيق والضبط أقوى من الأشعار التي صنفت أو دست، أو الأشعار الحائرة التي لا تعرف لها أباً ولا جداً "[3].

وواضح من الأسباب التي وضعها المانعون للاستشهاد من هذا المصدر أنها في مجملها دينية بحتة، إذ تتمثل في تحري الدقة والضبط السليم لكلام النبي- عليه السلام- وهذه التعليلات

---

(1) السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو 52. وينظر سعيد جاسم الزبيدي: القياس في النحو العربي نشأته وتطـوره 98.

(2) المصدر السابق 52.

(3) عبد العال سالم مكرم : القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية 344، 345.

تبقى منفردة لم تحسم رأياً، فيبقى الباب مفتوحاً لآراء أخرى. وقد حاول سعيد جاسم الزبيدي أن يجرد هذه التعليلات من الصبغة الدينية الخالصة بالإشارة إلى " أن قلة ما جاء من أحاديث عنـد النحاة الأوائل ومن تابعهم تعود إلى أنهم قرروا في البدء أن مادة اللغة النقية الأصلية مرتبطـة بالبداوة، ونظروا إلى هذه البداوة نظرة تقديس، فكانوا يتسابقون في شد الرحـال إلـى الباديـة ومشافهة الأعراب والإقامة بين ظهرانيهم زمناً، ويتنافسون في الحفظ والتدوين، لذا فإن طغيـان هذه الظاهرة قد شغلهم وحال بينهم وبين رواية الحديث بكثرة فضلاً عما تتطلبه رواية الحـديث من تفرغ إليها، ومن ضوابط صارمة بين السند والمتن"[1].

وقد كان عدم الاحتجاج بالحديث الشريف نهجاً سارت عليه المدارس اللغوية، ويبدو ذلك واضحاً فيما قاله مهدي المخزومي: "أما الحديث، فلم يجوز اللغويون والنحاة الأولـون، كـأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، والخليل بن أحمد مـن البصـريين، والكسـائي، وهشـام، والفراء، وغيرهم من الكوفيين - الاستشهاد به في النحو، وحاكـاهم المتـأخرون مـن بغـداد والأندلس، اللهم إلا جماعة منهم، في مقدمتهم ابن مالك وأبو حيان النحوي الغرنـاطي"[2]. كمـا أنهم لم يعيروا هذه المسألة اهتماماً كبيراً كما هو الحال مع بقية المصادر الأخرى كالقرآن الكريم وقراءاته والشعر وكلام العرب، وفي ذلك تقول خديجة الحديثي :" أما الحديث الشريف، فلم يلق هذا الاهتمام لا من النحاة الأوائل ولا من الذين كتبوا في اللغة التي تصلح للاستشهاد، فلم نجـد في كتب النحاة الذين قعدوا وبنوا أصوله وحرروا مصطلحاته وأبوابه ولا في كتب الصرفيين أو كتب الذين تحدثوا عن السماع والقياس واللغة التي يقاس عليهـا حتـى زمـن ابـن الضـائع (ت686هـ) وأبي حيان (ت745هـ) أية إشارة إلى موقـف النحـاة الأوائـل مـن الحـديث

---

(1) سعيد جاسم الزبيدي: القياس في النحو العربي نشأته وتطوره 98 .

(2) مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة 52.

والاحتجاج به. فلم يصل إلينا أي خبر منهم أو أي تعليق أو قول أبدوه فيما يتعلق بهـذا الأمـر، ولا ندري حقيقة موقفهم منه، أيصح عندهم الاحتجاج به أم لا يصح؟ وإن صـح فمـا شـروط الحديث المحتج به؟ وإن لم يصح فما سبب عدم سكوتهم عنه وعن توضيح موقفهم من الاحتجاج به. ولم لم يصرح بعض الذين احتجوا به من الأوائل بأن هذا المحتج به من الحديث النبوي" [1].

مما سبق يتضح لنا أن معظم علماء النحو والصرف يرفضون الاحتجاج من الحـديث النبـوي الشريف، وإن احتجوا منه فإن احتجاجهم منه قليل إذا ما قورن بالمصادر الأخرى.

أما موقف الفراء من هذا المصدر فيتضح من خلال الحديث عن عدة قضايا، في مقدمتها أسبقيته إلى الاحتجاج منه، إذ ذهب أحمد مكي الأنصاري إلى أنه قد انتهج منهجـاً جديـداً فـي مجال الاستشهاد بالحديث الشريف، وعده أول من احتج به، وفي ذلك يقول : "لقد انتهج الفـراء منهجاً جديداً في الاستشهاد بالحديث الشريف؛ وذلك أنه اعتمد الحديث واحتج فيـه فـي النحـو واللغة، على حين كان النحويون من رجالات المدرستين يرفضون الاحتجاج بالحديث الشريف، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه يؤسس مذهباً جديداً يغاير المذهبين معاً وهو المـذهب البغدادي"[2]، ويضيف قائلاً : " إن اعتماد الفراء على الحديث كان اعتماداً على مصدر عظـيم من مصادر اللغة في الاحتجاج وعمله هذا جدير بالتقدير لا سيما ما يتعلق بالأحاديث التي ثبتت صحتها وثبت نقلها بلفظها ولو كانت من لفظ الصحابي العربي؛ لأنه يؤخذ بقوله كما يؤخذ بقول سائر العرب والأعراب"[3]، ومن ثم يدافع عن رواية الأحاديث، فيرى أن الرواة لا ينقلـون إلا باللفظ دون المعنى، فيقول : "وادعاء أنها منقولة بالمعنى دعوى لا تثبت إلا بدليل، ومن مـارس الأحاديث ورأى تثبت الصحابة والآخذين عنهم - رضي ا عن جميعهم- وتحريهم في النقـل

---

[1] خديجة الحديثي: موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف 15 .

[2] أحمد مكي الأنصاري: أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة 394، وينظر 241.

[3] المصدر السابق 409.

حتى إنهم إذا شكوا في لفظ أتوا بجميع الألفاظ المشكوك فيها أو تركوا روايته بالكلية، علم علـم اليقين أنهم لا ينقلون الأحاديث إلا بلفظها "[1].

وهذه الأسبقية التي يحددها أحمد مكي الأنصاري بالفراء لم يكن على صواب فيها، إذ إن عودة إلى كتب النحو والصرف واللغة التي سبقته تطلعنا على أنها قد احتوت على أحاديث نبوية شريفة جاءت مدرجة ضمن المادة اللغوية المحتج بها. وقد بقي تحديد أسبقية الاحتجاج من هـذا المصدر موضع خلاف بين الباحثين، فقد اختلفوا في تحديد أول من احتج به، واتفقوا علـى أن أسبقية الاحتجاج به مرتبطة بالنصوص التي يعثر عليها الباحثون، وقد أشار إلى ذلك سعيد جاسم الزبيدي، بقوله :" وربما يعثر باحث على نص يعينه على تحديد أولية الاحتجاج بالحديث، وعلى الرغم من أهمية هذا، إلا أنه لا يغير من حقيقة الموقف في أن النحاة الأوائل لم يعتمـدوا علـى الحديث اعتماداً يوضح أنهم جعلوه أصلا من أصولهم، لأن استدلالهم بأحاديث قليلة لا يضـيف جديداً إلى ما توصل إليه البحث "[2]. على أن عبد الفتاح شلبي كان أكثر احتياطاً فـي دراسـته لأبي علي الفارسي، وتوقعا لما تكشفه الدراسات المستقبلية، إذ يقول :" ولست أزعم أن صاحبي أول من اعتمد الأحاديث في الاحتجاج اللغوي والنحوي؛ لأن هذه القضية تستلزم استقصاء آثار النحاة الذين سبقوا أبا علي الفارسي ولكني أكتفي بتقرير أن أبا علي الفارسي سبق ابن خـروف في الاحتجاج بالحديث في مسائل النحو والصرف"[3]، وشبيه بذلك ما ذهب إليه شوقي ضيف في أثناء حديثه عن الفراء، فيقول:" وقد مضى مثل النحاة البصريين وأستاذه الكسـائي لا يستشـهد بالحديث في كتابه (معاني القرآن)، إلا ما جاء عرضاً وعفواً بحيث لا يصح التعميم عنـده وأن

---

[1] أحمد مكي الأنصاري: أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة 409.

[2] سعيد جاسم الزبيدي: القياس في النحو العربي نشأته وتطوره 99.

[3] عبد الفتاح شلبي: أبو علي الفارسي 203، 204 نقلاً عن خديجة الحديثي: موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف 42.

يقال إنه كان يستشهد به، فقد كانوا يصطلحون على أن روايته بالمعنى وأنه رواه أعاجم غير ثقات في العربية "[1].

وقد وقفت خديجة الحديثي من هذه القضية موقفاً مغايراً لما وقفه أحمد مكي الأنصاري، فبعد أن درست آراء الباحثين التي تتعلق بهذه القضية قالت : "والخلاصة التي نوضحها من هذا أن الفراء مع اشتهاره بأنه من المحتجين بالحديث النبوي، وأنه أول من احتج به لم نستطع أن نجد عنده في كتابيه اللذين بين أيدينا أحاديث أكثر مما وجدنا في كتاب سيبويه، لا بل إن الوارد عند سيبويه من الحديث النبوي الشريف أكثر مما هو عند الفراء الذي كثر عنده الاحتجاج بالآثار وكلام آل البيت. غير أنه تميز عن سيبويه بتصريحه بنسبة الأحاديث إلى النبي صلى ا عليه فمدح لذلك واشتهر أمره عند المحدثين وإن القدماء كأبي حيان وشيخه ومن تابعهما قد جعلوه من الذين لم يحتجوا بالحديث النبوي من النحاة الأوائل المستقرئين للغة والمستنبطين الأحكام منها "[2].

ويبدو أن تحديد أسبقية الاحتجاج من هذا المصدر، ونسبة ذلك إلى عالم من العلماء، ليس إلا من باب التعجل في الأحكام، والإعجاب بشخصية هذا العالم أو ذاك، خصوصاً أن في كتب اللغة ما يؤكد أن هذا المصدر كان كبقية المصادر التي من شأن الألسن أن تتداولها، وهذا ما حدث بالفعل مع الأحاديث التي ترك علماء اللغة نسبتها إلى النبي -صلى ا عليه وسلم- وأدرجوها ضمن مادة كلام العرب. والقول بأن الفراء أول من احتج بالحديث الشريف تدحضه كتب اللغة والنحو القديمة، إذ إن فيها ما يؤكد أن الفراء لم يكن أول المحتجين، ولا نستطيع

(1) شوقي ضيف: المدارس النحوية 215.

(2) خديجة الحديثي: موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف 86.

تحديد ذلك بشخصية لغوية معينة؛ لأن اكتشاف نصوص لغوية جديدة قد ينفي ما توصل إليه هذا الباحث أو ذاك في هذه القضية.

مهما يكن فإن القول بأسبقية الفراء إلى الاحتجاج بالحديث، أو أنه أول من صرح بنسبة الأحاديث إلى النبي -صلى ا عليه وسلم- فيه ما يفند ما ذهب إليه ابن الضائع (686هـ) وتلميذه أبو حيان (745هـ) من أن نحاة الكوفة والبصرة ومنهم الفراء، ومن جاء بعدهم من نحاة الأقاليم الأخرى لم يحتجوا بالحديث الشريف. وحتى لا نتعجل الأحكام فإن علينا أن ندرس الأحاديث التي احتج بها دراسة متأنية لنرى هل كان صاحب منهج جديد فيما يتعلق بالاحتجاج من هذا المصدر ؟ وهل كان احتجاجه من الحديث استئناساً وتبركاً، أم أنه جاء به لتأسيس حكم أو تقرير قاعدة، أم أنه جاء به ليدلل على أن الكلام يجوز حمله على أوجه متعددة؟ ثم هل كان استشهاده من الكثرة بحيث يؤسس لنفسه طريقة مستقلة في الاستفادة منه؟.

تجدر الإشارة إلى أن كثرة الاستشهاد بمصدر من المصادر ذات أهمية كبيرة، إلا أنها لا تعد ميزة إن لم تُقم أصلاً يتيح للنحوي أو الصرفي أن يستنبط منها قواعد لم يسبق إليها، أو أن يقوي بها ما ضعفه القدماء من استعمال، أو أن يرجح مذهباً على مذهب. ويبدو أن الفراء لم يمتلك معظم ذلك، خصوصاً أن ضآلة الأحاديث المحتج بها هي التي حكمت عليه، ففي أثناء مناقشته للقضايا اللغوية أكثر من الاحتجاج بالقرآن الكريم وقراءاته، ويظهر ذلك جلياً في كتبه. وعند تعرضه للقضية اللغوية في (معاني القرآن) كان يلجأ إلى الاحتجاج عليها من القرآن الكريم وقراءاته فإن لم يجد عدل إلى كلام العرب وأشعارها فإن لم يجد ما يدعم القضية استشهد بالحديث الشريف، فكمية الاستشهاد منه لم تكن بنفس قدر استشهاده من القرآن الكريم وقراءاته وكلام العرب وأشعارها، فلا يأتي به في معظم الأحيان إلا تبركاً واستئناساً، ولا يوظفه في الغالب لاستخراج قاعدة أو تأصيل حكم من الأحكام اللغوية.

ونظرة فاحصة في الأحاديث التي احتج بها في كتبه المتوافرة بين أيدينا تطلعنـا علـى منهجه في الاستشهاد من هذا المصدر، إذ إنه احتج بالحديث الشريف على مواضع وقعت فيهـا تغيرات صرفية بإبدال بناء الكلمة، أو حرف من حروفها لغرض التناسب الصـوتي والتجـانس اللفظي، وهذا التغير لا يعد عيباً بل هو مستحب عند العـرب، كمـا لا يعـد ضـرورة مـن الضرورات الشعرية، وإنما يوجد في النثر الفصيح، كما يوجد في كلام الرسول -عليه السلام- على أننا سنقوم بإحصاء المواضع التي احتج بها على قضايا صرفية تختص ببنية الكلمة تاركين الأماكن التي احتج بها على قضايا لغوية سواء أكانت صوتية أو نحوية أو دلاليـة؛ لأن كثـرة الاحتجاج بالحديث الشريف في باب من أبواب اللغة قد تكون سبباً في تقرير أنه يمتلـك منهجـاً متفرداً في مجال الاستشهاد منه. وأهم الأحاديث التي احتج بها على قضايا صرفية هي:-

1- قولـه عليه السلام :(المؤْمن يأْكُل في معى واحدة) [1]، الشاهد فيه أنهم ربما ذهبوا بالمعى إلى التأنيث، كأنه واحد دل على الجمع، علماً بأن أكثر الكلام جاء على تذكيره كقوله :" هذا معى "، و "ثلاثة أمعاء" [2].

2- قولـه عليه السلام: (خُلقت المرأةُ من ضلَعٍ عوجاء) [3]، الشاهد فيه تأنيث الضلَع، إذ يقولون: ثلاث أضلاع وأضلع، وإذا كثرت فهي الضلوع والأضالع [4].

---

[1] البخاري: صحيح البخاري. كتاب الأطعمة 200/6. الحديث: (المؤمن يأكل في معى واحدة والكافر يأكل فـي سـبعة أمعاء).

[2] الفراء: المذكر والمؤنث 75.

[3] البخاري: صحيح البخاري. كتاب النكاح 78/6 طبعة دار الفكر 1998م. ونصه : (استوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه).

[4] الفراء: المذكر والمؤنث 78، 79.

3- قوله عليه السلام: (ليس في أقل من خمسٍ ذَود صدقةٌ) [1]، الشاهد فيه أن الذود مـن الإبـل مؤنث، فيقال: هي (الذود، وتصغيرها : ""ذُويد " بغير هاء؛ لأنه في الأصل مصدر [2].

4- قولـه عليه السلام: (كانت عائِشةُ رجلَة الرأي) [3]، الشاهد فيه على أن رجلَة من الحـروف "التي بنت فيها العرب الأنثى على الذكر، وقد كانت الأنثى في ذلك مسماة باسـم يـؤدي عـن تأنيثها، فقالوا : "غلام " و "جارية" و "شيخ" و "عجوز" ، فأدت الجارية عن نفسها، ثـم قـالوا : "غلام" و "غلامة" و "شيخ" و "شيخة" [4].

5- قولـه عليه السلام: (ما أنا من ددى ولا ددى منيه) يريد صلى ا عليه وسلم: ما أنـا مـن باطل ولا الباطل منّيه) [5]، الشاهد على أن ددى تكتب بالياء على كل حال، ويكون مفتوحاً على كل حال في الرفع والنصب والخفض[6].

6- قولـه عليه السلام: (عليكم بالصوم فإنه وجاء) [7]، ورد هذا الحـديث فـي بـاب الممـدود المكسور أوله، والشاهد على أن كلمة وجاء ممدودة لأنها مكسورة الأول وهي شبيهة بالخصـاء وليس به[8].

---

(1) البخاري: صحيح البخاري: كتاب الزكاة 125/2. ونصه: (ليس فيما دون خمس ذود صدقة).

(2) الفراء: المذكر والمؤنث 78.

(3) بحثت عن هذا الحديث في كتب الحديث التسعة، ولم أجده، وقد رفع الفراء نسبه إلى النبي -صلى ا عليـه وسـلم-، والأغلب أنه حديث ضعيف.

(4) الفراء: المذكر والمؤنث 120.

(5) بحثت عن هذا الحديث في كتب الحديث التسعة، ولم أجده، وقد رفع الفراء نسبته إلى النبي -صلى ا عليه وسـلم-، والأغلب أنه حديث ضعيف.

(6) الفراء: المنقوص والممدود 40.

(7) البخاري : صحيح البخاري، كتاب الصوم 228/2، 229.

(8) الفراء : المنقوص والممدود 43.

7- **قوله** عليه السلام : (إني أخافُ عليكم الرماء) [1]، ورد هذا الحديث في باب الممدود المفتوح الأول، والشاهد أن الرماء ممدودة لأنها مفتوحة الأول[2].

8- **قوله** عليه السلام : (عليكم بالباءة) [3]، ورد هذا الحديث في باب نوع آخر مـن الممـدود، والشاهد أن الداء والشاء والباء ممدودة، فيقول: "الداء والشاء والباء ممدودة وقوله عليه السـلام بالباء ممدود وقد سمعتها عليكم بالباءة كأن الهاء أصلية ولست أعرفها "[4].

9- **قوله** عليه السلام : (العيادة قدر فواق الناقة) [5]، الشاهد فيه أن فواق جاء بغير همز[6]. وقد وقد استشهد به عند تفسيره لقوله تعالى : (ما لَها من فَوَاق) [7].

10- نهيه ا صلى ا عليه وسلم (عن قيلَ وقال وكثرة السؤال)[8]، وقد ورد هذا الحديث عند تفسيره **لقوله** تعالى:(ءآلآن وقَد كُنتُم بِهِ تَستَعجِلُونَ)[9]، فيقول: "وإن شئت جعلت (الآن) أصلها من من قولك : آن لك أن تفعل، أدخلت عليها الألف واللام، ثم تركتها على مـذهب فَعَـل فأتاهـا النصب من نصب فعلَ. وهو وجه جيد؛ كما قالوا : نهى رسول ا صلى ا عليه وسلم عن قيلَ وقالَ وكثرة السؤال، فكانتا كالاسمين فهما منصوبتان. ولو خفضتا على أنهما أخرجتا مـن نيـة

---

(1) الحديث غير موجود في كتب الحديث التسعة، والأغلب أنه حديث ضعيف.

(2) الفراء : المنقوص والممدود 46.

(3) الترمذي: سنن الترمذي. كتاب النكاح 383/3.

(4) الفراء : المنقوص والممدود 50.

(5) وردت (قدر فواق الناقة) التي هي موضع الشاهد في حديث آخر (من قاتل في سبيل ا عزوجل من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة). وفواق الناقة قدر ما بين الحلبتين. ينظر النسائي: سنن النسائي، باب ثواب من قاتل فـي سـبيل ا فواق ناقة 25/6.

(6) الفراء: معاني القرآن 400/2.

(7) آية 15 سورة ص.

(8) البخاري: صحيح البخاري. كتاب الرقاق 184/7. ونصه: (وكان ينهى عن قيلَ وقالَ وكثرة السؤال وإضـاعة المـال ومنعٍ وهات وعقوق الأمهات ووأد البنات).

(9) آية 51 سورة يونس.

الفعل كان صوابا؛ سمعت العرب تقول : من شُب إلى دب بالفتح، ومن شُب إلى دب؛ يقول : مذ كان صغيراً إلى أن دب ، وهو فَعلَ"[1].

11- قوله عليه السلام: (لتأخذوا مصافكم) [2]، والشاهد فيه أن فعل الأمر مقتطع عنده من الفعل المضارع المجزوم بلام الأمر، وقد استشهد به في أثناء تفسيره لقوله تعالى: (قُلْ بِفَضْـلِ اللـه وبرحمته فَبِذَلِك فَلْيفْرحوا هو خَير مما يجمعون) [3]، فيقول : " وقد ذكر عن زيد بن ثابت أنه قرأ قرأ (فبذلك فلتفرحوا) ... وقوى قول زيد أنها في قراءة أبي (فبذلك فافرحوا) وهو البناء الـذي خلق للأمر إذا واجهتَ به أو لم تواجه؛ إلا أن العرب حذفت اللام كما حذفوا التاء مـن الفعـل. وأنت تعلم أن الجازم أو الناصب لا يقعان إلا على الفعل الذي أوله الياء والتاء والنون والألـف. فلما حذفت التاء ذهبت باللام وأحدثت الألف في قولك: اضرب وافرح؛ لأن الضاد سـاكنة فلـم يستقم أن يستأنف بحرف ساكن، فأدخلوا ألفاً خفيفة يقع بها الابتـداء؛ كمـا قـال: (اداركـوا). (واثّاقَلْتُم). وكان الكسائي يعيب قولهم (فلتفرحوا) لأنه وجده قليلاً فجعله عيباً، وهو الأصل. ولقد سمعت عن النبي صلى ا عليه أنه قال في بعض المشاهد (لتأخذوا مصافّكم) يريد بـه خـذوا مصافكم"[4].

12- قوله عليه السلام : (أُوصى امرأً بِأمه) [5]، الشاهد فيه جواز رفع ألف أم وكسـرها علـى اعتبار أن الرفع هو الأصل في الأم والأمهات، والكسر لكثرة دورانها فـي الكـلام، فاسـتثقلت الضمة قبلها ياء ساكنة أو كسرة، يقول الفراء: "ومثله مما قالوا فيه بالوجهين إذا وليته ياء ساكنة

---

[1] الفراء : معاني القرآن 468/1، 469.

[2] الترمذي: سنن الترمذي. كتاب تفسير القرآن 447/5. ونصه (على مصافكم كما أنتم).

[3] آية 58 سورة يونس .

[4] الفراء : معاني القرآن 469/1، 470.

[5] لم يرد في كتب الحديث بهذه الصورة، وقد ورد في سنن ابن ماجة بنفس المعنى (إن ا يوصيكم بأمهاتكم (ثلاثا). إن ا يوصيكم بآبائكم. إن ا يوصيكم بالأقرب فالأقرب). ينظر ابن ماجة: سنن ابن ماجة. كتاب الأدب 295/2.

أو كسرة، قوله :(وإنه في أُم الكتابِ) [1] و (حتى يبعثَ في أُمها رسولاً) [2] يجوز رفع الألف من (أم) و (أمها) وكسرها في الحرفين جميعاً لمكان الياء. والكسرة مثل قولـه تبـارك وتعـالى : (فلِأمه السدس) [3]، وقول من روى عن النبي صلى ا عليه وسلم : (أُوصى امرأً بِأمه) . فمن رفع قال : الرفع هو الأصل في الأم والأمهات . ومن كسر قال: هي كثيرة المجرى في الكلام؛ فاستثقل ضمة قبلها ياء ساكنة أو كسرة. وإنما يجوز كسر ألف (أم) إذا وليها كسرة أو ياء "[4].

13- قولـه عليه السلام : (يرحم ا هذا، هذا أذكرني آيات قد كنت أُنسيتهن) [5]، الشـاهد فيـه اشتقاق ننسها من (النسيان) لا من (النسيئة). قال عند تفسيره لقوله تعالى: (ما نَنسخ من آيـة أو نُنسها) [6] أو (نُنْسئْها - أو نُنْسها) عامة القراء يجعلونه من النسيان، وفي قراءة عبد ا : (مـا نُنْسك من آية أو نَنْسخْها نَجِيء بِمثْلها أو خَيرٍ منها) وفي قراءة سالم مولى أبي حذيفـة : (مـا نَنْسخْ من آية أو نُنْسكها)، فهذا يقوي النسيان. والنسخ أن يعمل بالآية ثم تنزل الأخرى فيعمل بها وتُترك الأولى. والنسيان ها هنا على وجهين : أحدهما - على الترك، نتركها فلا ننسخها كمـا قال ا جل ذكره : (نَسوا اللّه فَنَسيهم) [7]يريد تركوه فتركهم. والوجه الآخـر - مـن النسـيان ينسى، كما قال ا : (واذْكُر ربك إِذَا نَسيتَ) [8] وكان بعضهم يقرأ : (أو نَنْسأْها) يهمـز يريـد نؤخرها من النسيئة، وكل حسن. حدثنا الفراء قال : وحدثني قيس عن هشام بن عـروة بإسـناد

---

(1) آية 4 سورة الزخرف .

(2) آية 59 سورة القصص .

(3) آية 11 سورة النساء .

(4) الفراء: معاني القرآن 1/ 5، 6.

(5) البخاري: صحيح البخاري. باب نسيان القرآن 134/6 طبعة دار الفكر 1998م.

(6) آية 106 سورة البقرة .

(7) آية 67 سورة التوبة .

(8) آية 24 سورة الكهف .

يرفعه إلى النبي صلى ا عليه وسلم أنه سمع رجلاً يقرأ فقال : (يرحم ا هذا، هـذا أذكرنـي آيات كنت قد أنسيتهن) [1].

14- قوله عليه السلام : (أعيذهما من السامة والهامة وكل عين لامة) [2]، الشاهد أن الأصل أن يقول : (ملمة) ولكنه عدل عن ذلك تحقيقاً للنسق الصوتي فاستعمل (لامة) [3].

15- قوله عليه السلام: (ارجعن مأزورات غير مأجورات) [4]، الشاهد فيه همزه (مـأزورات)، وهي لا تستحق الهمزة لأنها من (الوزر) بالواو لتحقيق التناسق الصوتي مع همزة مأجورات[5].

مأجورات[5].

16- قوله عليه السلام : (أهلّنا هلال شعبان بخانقين) [6]، الشاهد أنه استعمل (أهل) و (اسـتهل) بالبناء للمعلوم والمجهول ولا يستعمل المجرد منهما. و ورد (أهل) في الحديث متعـدياً مزيـداً. قال : يقال أهل الهلال، وأهل إهلال، واستهل الهلال، ولا يقال هلّ و (وقد أهللنا الهلال) [7].

17- قوله عليه السلام : (قالت عائشة رضي ا عنها : وإنني رأيت ثلاثة أقمـار وقعـن فـي حجري) [8]، والشاهد جمع كلمة (قمر) على أقمار، مع أنها مما لا شبيه له؛ لأن أكثر الكلام على على ألا تجمع الشمس ولا القمر للعلة نفسها[1].

---

(1) الفراء : معاني القرآن 64/1، 65.

(2) البخاري: صحيح البخاري. باب أحاديث الأنبياء 143/3، طبعة دار الكتب العلمية 1998م. ونصه (كان رسـول ا صلى ا عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين ويقول: إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق أعوذ بكلمات التامة مـن كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة).

(3) خديجة الحديثي: موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف 80.

(4) ابن ماجة: سنن ابن ماجة. كتاب الجنائز 263/1. ولم يرد هذا الحديث بلفظه إلا أن هناك أحاديث كثيرة ينهـي فيهـا الرسول عليه السلام عن اتباع النساء الجنائز.

(5) خديجة الحديثي: موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف80. ولم أعثر في كتبه على هذا الحديث وسابقه علماً بأن خديجة الحديثي قد أثبتتها له دون توثيق.

(6) لم يرد هذا الحديث في كتب الحديث التسعة.

(7) الفراء، يحيى بن زياد: الأيام والليالي والشهور. 27.

(8) الأغلب أنه ليس نص حديث، وهو مقولة لعائشة –رضي ا عنها -.

هذه هي الأحاديث التي احتج بها على قضايا صرفية تختص ببنية الكلمة، على أن هناك أحاديث كثيرة احتج بها على قضايا لغوية كالصوت والنحو والدلالة، وقد كان نصيب الأسد في احتجاجه من هذا المصدر للقضايا الدلالية الخاصة بالتفسير كتوضيح معاني المفردات، وتفسير الآيات، وبيان مناسبتها.

واضح من هذه الأمثلة وغيرها من مواطن الاستشهاد أنه يصرح بنسبة الأحاديث إلى النبي -صلى ا عليه وسلم- وهذا التصريح يجعله متميزاً في موقفه من هذا المصدر عمن سبقه من النحاة والصرفيين، وكان يصرح بنسبتها، بقوله : "وجاء عن النبي صلى ا عليه وسلم أنه قال" [2]، أو " يريد صلى ا عليه وسلم"[3] ،" ولقد سمعت النبي صلى ا عليه وسلم أنه قال في بعض المشاهد"[4]، أو "وقول من روى عن النبي صلى ا عليه وسلم" [5]، أو "وحدثني قيس[6] بن هشام بن عروة بإسناد يرفعه إلى النبي صلى ا عليه وسلم أنه سمع رجلاً يقرأ "[7]، أو "وقد روى عنه صلى ا عليه وسلم" [8]. إلى غير ذلك من العبارات التي يذكر فيها صراحة أن هذا الحديث للنبي -صلى ا عليه وسلم- كما أنه قد استشهد بأحاديث لم ينسبها إلى الرسول -صلى ا عليه وسلم-، وكان يكتفي أثناء الاستشهاد بها، بالقول :" وربما جاء في الحديث" [9]،

---

(1) الفراء : الأيام والليالي والشهور 58.

(2) الفراء : معاني القرآن 400/2.

(3) الفراء : المنقوص والممدود 40.

(4) الفراء : معاني القرآن 470/1.

(5) المصدر السابق 5/1.

(6) هو قيس بن الربيع الأسدي الكوفي. توفي سنة 165هـ، وروي أنه توفي سنة 168هـ أو 167هـ. البغدادي: تاريخ بغداد42.

(7) الفراء : معاني القرآن 65/1.

(8) المصدر السابق 147/1.

(9) الفراء : معاني القرآن 218/1.

أو "وجاء في الحديث" [1]، أو "ويروى في بعض الحديث" [2]، وقد ينسب الحديث إلى قائله غير غير النبي -صلى الله عليه وسلم- كما هو الحال مع حديث عائشة رضي الله عنها[3]،والحديث الذي رواه عن قيس بن هشام بن عروة بإسناد إلى النبي-عليه السلام- [4].

وفي بعض الأحيان يدرج مادة الحديث الشريف ضمن المادة النثرية المحتج بها، ولا يصرح أنها من الحديث الشريف كأن يقول : "وعليكم بالصوم فإنه وجاء شبيه بالخصاء وليس به[5]"، أو "ويقال : ما أنا من ددى ولا ددى منيه" [6].

وواضح من بعض هذه الأحاديث أيضاً أن الفراء يحتج بكلام النبي -صلى الله وسلم- وكلام آل البيت والصحابة - رضي الله عنهم - وقد وجدت خديجة الحديثي بعد دراسة فاحصة لكتابي (معاني القرآن)، و (الأيام والليالي والشهور) أن خمسة من المواضع التي احتج بها الفراء في كتابيه ليس من الأحاديث الشريفة، ولكنها من الأحاديث المنسوبة إلى آل البيت-رضي الله عنهم- مما نزل منزلة الأحاديث في الصحة والتثبت من روايته والاحتجاج به[7].

ومعظم الأحاديث التي احتج بها جاءت استئناساً وتبركاً كما هي الحال في أثناء كلامه عن الخوف الذي يأتي بمعنى الظن، إذ جاء بالحديث لتدعيم ما ذهب إليه وقرره اعتماداً على القرآن الكريم وقراءاته والشعر وكلام العرب، ويبدو ذلك واضحاً في أثناء تفسيره لقوله تعالى: (إلا أن يخَافَا ألاّ يقيما حدود اللّه) [8]، "وفي قراءة عبد الله (إلا أن تَخَافُوا) فقرأها حمزة على هذا

---

[1] الفراء : المذكر والمؤنث 75، 79، 78.

[2] الفراء : الأيام والليالي والشهور 58.

[3] المصدر السابق 58.

[4] الفراء : معاني القرآن 65/1.

[5] الفراء : المنقوص والممدود 43.

[6] الفراء : المقصور والممدود 79.

[7] ينظر خديجة الحديثي : موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف 85.

[8] آية 229 سورة البقرة .

هذا المعنى (إلا أن يخافا) ولا يعجبني ذلك. وقرأها بعض أهل المدينة كما قرأها حمزة. وهـي من قراءة أبي (إلا أن يظنا ألاّ يقيما حدود اللّه) والخوف والظن متقاربان في كلام العرب.

ومن ذلك أن الرجل يقول : قد خرج عبدك بغير إذنك، فتقول أنت : قـد ظننـت ذاك، وخفت ذاك، والمعنى واحد، وقال الشاعر :

(الطويل)

أتاني كلام من نُصيبٍ يقولُه　　وما خفتُ يا سلام أنك عائِبي

وقال الآخر :

(الطويل)

إذا مت فادفنّي إلى جنْبِ كَرمة　　يروي عظَامي بعد موتي عروقُها

ولا تدفنَني فـي الفـلاة فإنني　　أخـاف إذا ما مـت أن لا أذُوقُها

والخوف في هذا الموضع كالظّن. لذلك رفع (أذوقُها) كما رفعوا (وحسـبوا ألاّ تكُـون فتْنَةٌ)[1] وقد روي عنه -صلى ا عليه وسلم- (أُمرتُ بالسواك حتـى خفـت لأدردن) [2] كمـا تقول: ظَن ليذهبن [3]. فيبدو أنه استشهد لتفسير هذه الآية من القرآن الكريم، وقراءاته، وكـلام العرب وأشعارها، ثم أكد ذلك بالحديث النبوي الشريف. وفي موضع آخر يحتج بكلام النبـي -صلى ا عليه وسلم- تدعيماً لكلام العرب، فيقول: "والصوى في النخلة مقصور يكتب بالياء إذا عطشت وضمرت، ويقال صويت النخلة وصوى النخل وصوى ولم نسمع في الواحدة صـوت. ويقال : ما أنا من ددى ولا ددى منيه، أي ما أنا من الباطل ولا الباطل منّي، فيكتب بالياء علـى

---

[1] آية 71 سورة المائدة .

[2] ابن ماجة : سنن ابن ماجة. كتاب الطهارة 106/1. طبعة دار الكتب العلمية، د.ت. ونصه: (وإني لأستاك حتـى لقـد خَشيتُ أن أُحفي مقادِم فَمي).

[3] الفراء : معاني القرآن 145/1، 146.

كل حال ويكون مفتوحاً في الرفع والنصب والخفض. ومن العرب من يقول: ما أنا مـن دد ولا دد منيه في الرفع والخفض فيحذف الياء، ولا يقال منه فعلت "[1].

ومع ذلك فإننا لا نعدم اعتماده على هذا المصدر في أماكن أخـرى لتأصـيل القواعـد وتقرير الأحكام، أو تغليب وجه من الوجوه على الآخر، أو تصحيح لغة من اللغات، بشكل يجعل اعتماده على الحديث الشريف ذا منهجية وتناسق، ويبدو ذلك واضحاً في أثناء حديثه عن اشتقاق (نُنْسها) وأنه من (النسيان) لا من (النسيئة)، فيقول في أثناء تفسيره لقوله تعالى: (ما نَنْسَخْ مـن آية أو نُنسها)[2] " أو نُنْسُها - أو نُنْسها " عامة القراء يجعلونه من النسيان، وفي قراءة عبد ا : (ما نُنْسك من آية أو نَنْسخْها نَجِئْ بِمثْلها أو خَيرٍ مِنْها) وفي قراءة سالم مولى أبي حذيفة : (مـا نَنْسخْ من آية أو نُنْسكها)، فهذا يقوي النسيان. والنسخ أن يعمل بالآية ثم تنزل الأخرى فيعمل بها وتُترك الأولى. والنّسيان ها هنا على وجهين: أحدهما - على الترك؛ نتركها فلا ننسخها كما قال اللّه جل ذكره : (نَسوا اللّه فَنَسيهم) [3] يريد تركوه فتركهم. والوجه الآخر- من النسـيان الـذي ينسى، كما قال ا : (واذْكُر ربك إِذَا نَسيتَ) [4]وكان بعضهم يقرأ: (أو نَنْسـأْها) تهمـز يريـد نؤخرها من النسيئة؛ وكل حسن. حدثنا الفراء قال: وحدثني قيس عن هشام بن عـروة بإسـناد يرفعه إلى النبي صلى ا عليه وسلم أنه سمع رجلاً يقرأ فقال: (يرحم ا هذا، هذا أذكرني آيات قد كنت أُنسيتهن "[5].

وكذلك الحال في أثناء حديثه عن جمع (قمر) على أقمار مع أنه مما لا شبيه له، وفـي ذلك يقول: "وأكثر الكلام ألا تجمع الشمس ولا القمر، وإن كانوا قد قالوا (أقمار). قالت عائشـة

---

(1) الفراء : المقصور والممدود 78، 79.

(2) آية 106 سورة البقرة .

(3) آية 67 سورة التوبة.

(4) آية 24 سورة الكهف.

(5) الفراء : معاني القرآن 64/1، 65.

رضي ا عنها: (وإنني رأيت ثلاثة أقمار وقعن في حجري) فقيل لها يدفن في بيتك ثلاثة مـن خير البشر. فدفن النبي صلى ا عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي ا عنهمـا، فأثبـت هـذا الحديث المروي عن عائشة ورود جمع (قمر) على (أقمار)، ولم يرد غيره في العربية، مـع أن المقصود به غير القمر الحقيقي الذي لا نظير له[1].

كما أنه خالف البصريين في مسألة الأفعال وأقسامها، واحـتج علـى ذلـك بالحـديث الشريف، فبينما يقسم البصريون الفعل إلى ماضٍ ومضارع وأمر نجد أن الكوفيين وفي مقدمتهم الفراء يقسمونه إلى ماض ومضارع ودائم، ولا يريدون بالدائم فعل الأمر وإنما يريـدون اسـم الفاعل كما سيتضح في أثناء حديثنا عن المصطلح الصرفي، وأما الأمر فهو مقتطع عندهم مـن المضارع المجزوم بلام الأمر[2]، وفي ذلك يقول : "وكان الكسائي يعيب قولهم (فلتفرحوا) لأنـه وجده قليلاً فجعله عيباً، وهو الأصل. ولقد سمعت عن النبي صلى ا عليه وسلم أنه قـال فـي بعض المشاهد (لتأخذوا مصافّكم) يريد خذوا مصافّكم"[3]، وكذلك الحال عند حديثه عـن قولـه تعالى : (فَما منْكُم من َأحد عنْه حاجِزِين) [4] "أحد يكون للجميع وللواحد، وذكر الأعمـش فـي حديث عن النبي صلى ا عليه وسلم أنه قال : (لم تَحل الغنائم لأحد سود الرؤوس إلاّ لنبيكم)[5] لنبيكم)[5] صلى ا عليه وسلم، فجعل : أحداً في موضع جمع. وقال اللّه عزوجل: (لا نُفَرقُ بين بين َأحد منْهم) [6] فهذا جمع؛ لأن بين - لا يقع إلاّ على اثنين فما زاد "[7]. إلى غير ذلـك مـن

---

[1] الفراء : الأيام والليالي والشهور 58.

[2] ينظر شوقي ضيف : المدارس النحوية 197، 198.

[3] الفراء : معاني القرآن 469/1، 470.

[4] آية 47 سورة الحاقة.

[5] الترمذي : سنن الترمذي 85/5. طبعة دار الفكر 1994م. ونص الحديث: (لم يحل الْغَنَائِم لأحد سود الـرؤوس مـن قبلكُم كانَتْ تَنْزِلُ نار من السماء فَتَأْكُلُها).

[6] آية 136 سورة البقرة .

[7] الفراء : معاني القرآن 183/3.

المواطن التي يبدو فيها اعتماد الفراء على الحديث اعتماداً على مصدر أصيل، يهدف من وراء هذا إلى تأصيل القواعد وتقرير الأحكام.

أما الأحاديث التي لم ينسبها إلى النبي -صلى ا عليه وسلم- فإن الأمر لا يخرج عن أن كتبه، وبالتحديد (معاني القرآن)، لم تكن متخصصة في جانب من جوانب اللغة إلى حد كبير، كأن يقال إنها كتب نحوية أو صرفية، فتشترط رواية الحديث فيها باللفظ دون المعنى. ومعلوم أن اللغويين، وفي مقدمتهم الخليل بن أحمد، قد استشهدوا بالحديث الشريف. والفراء في كتبه لم يكن يتورع عن نسبة الأحاديث إلى النبي صلى ا عليه وسلم- ذلك أنه صاحب كتاب في التفسير اللغوي - كما أشرنا سابقاً- هو (معاني القرآن). أما بالنسبة للكتب الأخرى فإن فيها من المادة اللغوية ما يجعلنا نطمئن إلى أنه قد أيقن أنه لا ضرورة لرواية الأحاديث باللفظ، كما يؤكد أن الفراء ومن سبقه من النحويين والصرفيين لم يكونوا يعتمدون على التدوين؛ لأن عملية التدوين متأخرة، وتؤكد الأخبار أن الفراء لم يكن ذا رغبة في تدوين معارفه التي يكتسبها من الشيوخ، ويدلنا على ذلك ما قاله صاحب تاريخ بغداد :"كان الفراء يطوف على الشيوخ، فما رأيناه أثبت سوداء في بيضاء قط، لكنه إذا مر حديث فيه شيء من التفسير، أو يتعلق بشيء من اللغة، قال للشيخ أعده. وظننا أنه كان يحفظ ما يحتاج إليه"[1].

وفي هذه الأحاديث - التي أوردناها- يتضح بطلان من زعموا أن النحاة الأوائل المستنبطين الأحكام من كلام العرب لم يعتمدوا على الحديث في مصنفاتهم، وقد أدرج هؤلاء الفراء ضمن العلماء الذين لم يحتجوا بالحديث، فثبوت هذه الأحاديث في كتبه دليل على بطلان ما ذهب إليه هؤلاء كأبي حيان وابن الضائع، ومن سار على نفس النهج من المتأخرين.

---

(1) البغدادي : تاريخ بغداد 252/14.

أما طبيعة الأحاديث التي يستشهد بها، فإن من السهل علـى الـرواة حفظهـا ونقلهـا لقصرها، كما هو الحال مع حديث (ما أنا من ددى ولا ددى منيه) [1]، وحديث (لتأخذوا مصافكم) [2]، وحديث (يرحم ا هذا، هذا أذكرني آيات قد كنت أنسيتهن) [3]، وحديث (نهـى رسـول ا صلى عليه وسلم عن قيل وقال وكثرة السؤال) [4]. إلى غير ذلك من الروايات التي بينت فيها أن الفراء لم يكن يحتج بالأحاديث الطوال التي يصعب على الرواة حفظها ونقلها باللفظ.

ويدلنا عدم تدعميه للأحاديث المحتج بها بأحاديث أخرى، على أنه لم يكن يجعله مصدراً أولياً كما هو الحال مع المصادر الأخرى كالقرآن الكريم وقراءاته، وكلام العـرب وأشـعارها، وهذا يؤكد لنا أنه كان يعتبر مادة اللغة النقية في كـلام ا عزوجـل وكـلام أهـل البـوادي وأشعارهم، وهذه المصادر هي المصادر التي أسرته وشدته إليها أكثر من الحديث الشريف.

مما تقدم نرى أنه بالرغم مما قيل فيه في هذه القضية، واشتهاره بأنه أول المحتجـين إلا أن هذا المصدر لم يصل إلى درجة بقية المصادر كالقرآن الكـريم وقراءاتـه وكـلام العـرب وأشعارها، علماً بأن هذا المصدر ذو أهمية بالغة في حقل الدراسات اللغوية، ولعل فكرة روايته باللفظ لا المعنى بقيت عرفا تناقله النحاة بما فيهم الفراء، كما أن قلة الأحاديث التي احتج بهـا، وعدم توظيفها لتقرير القواعد والأحكام تجعل هذا المصدر تالياً للمصادر الأخرى، لا سـيما أن القلة والكثرة مهمة في هذا الباب لكنها، لا تعد ميزة عند عالم من العلماء إلا إذا أقامـت منهجـاً متفرداً في قضية من القضايا.

---

(1) الفراء : المنقوص والممدود 40.

(2) الفراء : معاني القرآن 470/1.

(3) المصدر السابق 65/1.

(4) المصدر السابق 468/1.

3- كـــلام العـــرب

ونقصد به هنا ما سمع من العرب من أشعار وأمثال، وما جرى في مخاطباتهم، ويعـد أهم العناصر التي اعتمد عليها علماء اللغة والنحو في استقراء قواعد العربية الكلية[1]؛ قال ابـن السراج في تعريف النحو إنه :"علم استخرجه المتقدمون من استقراء كلام العرب"[2]. أو لنقل هو -أي كلام العرب- لغة الحديث المستعملة في التخاطب، وهي اللغة الدارجـة المسـتعملة فـي البوادي، وفي المدن طوال عصور الاحتجاج والفصاحة، وتشـمل الشـعر والأمثـال والحكـم والمأثور من الأقوال.

وقد حظي كلام العرب منذ نشأة العلوم باهتمام العلماء؛ ذلك أنهم رأوا في لغـتهم النبـع الأصيل الذي ترتكز عليه دراسة اللغة. وقد كانت وما فيها من سلامة الطبع، والميل إلى النطق السليم سبباً أدى إلى إعجاب هؤلاء بلغتهم، فارتحلوا لتدوين اللغة وتوثيقها عنهم؛ رغبة منهم في بناء قواعد تقوم على المسموع الذي لا يعتريه الشك؛ ولأجل ذلك وضعوا ضوابط صارمة منها ما يتعلق بناقل اللغة، وبعضها يتعلق باللغة نفسها، وآخر بالزمان. وجعلوا للغة البـوادي زمانـاً ينتهي عنده الاحتجاج بكلام العرب، وللغة الحواضر زماناً ينتهي الاحتجاج عنده أيضـاً، كمـا ميزوا في الاحتجاج بين الكلام المنثور والكلام المنظوم، وقد ناقشـتْ هـذه القضـية خديجـة الحديثي، بقولها: "وتَبين في الكتب النحوية والصرفية التي وصلت إلينا أنهم كانوا يحتجون بكلام العرب الفصحاء، وقد اهتموا به ووضعوا حدوداً وشروطاً لناقل اللغة، وشروطاً أخـرى للغـة المنقولة، وللقبائل التي تنقل عنها وحددوا ذلك بزمانٍ معين ينتهي عنده الاحتجاج بالمنثور منهـا هو نهاية القرن الثاني للهجرة في المدن، ونهاية القرن الرابع للهجرة في البادية. كمـا حـددوا

---

(1) ينظر جعفر نايف عبابنة : مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي 50.

(2) السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو 31.

زماناً للمنظوم منها ينتهي بابن هرمة، وحددوا الأماكن التـي يحـتج بلغـة السـاكنين فيهـا لا تتجاوزها إلى غيرها، والقبائل التي يؤخذ عنها فيها، وعللوا ذلك بتعليلات رأوها"[1].

وقد استدل عموم النحاة بكلام العرب، وفي مقدمتهم أئمة المدرسة البصـرية، كالخليـل وسيبويه، وأبي عمرو بن العلاء الذين رأوا "أن لا تؤخذ اللغة عـن الأعـراب السـاكنين فـي الحواضر، فاتجهوا إلى بلاد العرب، يجوبون قفارها، متنقلين بـين القبائـل التـي لـم تبـرح منازلها"[2].

ومما لا شك فيه أن الاحتجاج بكلام العرب الذي يتخاطبون به في حياتهم اليومية مهـم جداً؛ لأن "حقائق أي لغة لا يمكن أن تحرر وتبنى إلا على كلام أهلها وأصحابها فاستقصاء يسير للنحو يطلعنا على أن بدهياته أو قواعده المستخلصة عن طريق الاستقراء والاستنتاج لـم يبـدأ تحديدها إلا مستندة على أقوال العرب نفسها فرفع الفاعل ونصب المفعول وجر المضاف إليـه، وكثير من الحالات البدهية لم تعلم وبالتالي لم تثبت إلا بعد تتبع الجزئيـات وتقصـيها، وكـذلك الأمور القياسية لم تكن لتلقى القبول إلا إذا دعمت بإحدى دعامتين، هما القرآن الكـريم وكـلام العرب"[3].

ويبدو أن كثرة الاحتجاج بهذا المصدر دفعت كثيراً من الباحثين إلى القـول : إن لكلتـا المدرستين منهجاً مختلفاً عن الأخرى في مجال الاحتجاج، فبينما رأوا في المذهب البصري أنـه مذهب يعتمد على القياس، كان رأيهم في المذهب الكوفي أنه يعتمد على السـماع إلـى جانـب اعتماده على القياس في بعض الأحيان، كما الحال في المذهب البصري الذي اعتمد فـي بدايـة نشأته على السماع إلى جانب اعتماده على القياس، وقد بدا ذلك واضحاً فـي كتـب النحـويين

---

(1) خديجة الحديثي : موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف 14.

(2) جعفر نايف عبابنة : مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي 51.

(3) محمد سمير نجيب اللبدي : أثر القرآن والقراءات في النحو العربي 33، 34.

المتقدمين من البصريين كالخليل بن أحمد وسيبويه[1]، وبذلك يكـون المتقـدمون مـن علمـاء المدرستين قد خطّوا الأساس المهم في البناء النحوي الذي اعتمد عليه اللاحقون اعتمـاداً تامـاً، يقول إبراهيم السامرائي في أثناء حديثه عن المدرسة البصرية: "كنا قد عرفنا أن البصريين قـد اعتمدوا في تأسيس نحوهم على الثابت من كلام العرب وشعرهم في الجاهليـة والإسـلام إلـى عصر معين لا يتجاوزونه إلى غيره، وهذا كله معروف في المصادر التي عرضـت للروايـة، واعتمدوا على القرآن في قراءاته العالية كما اعتمدوا على الثابت المؤيد سماعاً أكيداً مـن أمـر اللهجات واللغات الخاصة، واتخذوا القياس طريقاً يتبعونه اتباعاً يغلب على السماع"[2].

وقد كثر احتجاج الكوفيين بكلام العرب، فسمعوا اللغة عن علماء المدرسـة البصـرية، وارتحلوا إلى القبائل التي ارتحل إليها أئمة المدرسة البصرية من قبل، ودونوا اللغة عن أهلهـا، وربما تجاوزوا ذلك فأخذوا عن أعراب رفض البصريون الاحتجاج بلغتهم، وفـي ذلـك يقـول شوقي ضيف :"وليس معنى ذلك أن أئمة الكوفة لم يكونوا يرحلون إلى هذه القبائل الفصيحة، فقد كانوا يكثرون من الرحلة إليها على نحو ما يحدثنا الرواة عن الكسائي، فقد قالوا إنه خرج إلـى نجد وتهامة والحجاز ورجع وقد أنفد خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سـوى مـا حفظ"[3]، ويؤكد ما نذهب إليه من اتساع الكوفيين في الأخذ عن أعراب رفض البصريوم قبـول لغاتهم، حين يتابع قائلاً : "ولكن معناه أن الكوفيين وفي مقدمتهم إمامهم الكسائي كانوا لا يكتفون بما يأخذون عن فصحاء الأعراب، إذ لا يكتفون بما يأخذون عن فصحاء الأعـراب، إذ كـانوا يأخذون ممن يسكن من العرب في حواضر العراق، وكثير منهم كان البصريون لا يأخذون عنهم

---

(1) إبراهيم السامرائي: الفعل زمانه وأبنيته 7.

(2) إبراهيم السامرائي : المدارس النحوية أسطورة وواقع 141.

(3) شوقي ضيف: المدارس النحوية 159.

ولا عن قبائلهم المقيمة في مواطنها الأصلية مثل تغلب وبكر لمخالطتها الفرس ومثل عبد القيس النازلة في البحرين لمخالطتها الفرس والهند "[1].

فمنهج الكوفيين يقوم على احترام كل مسموع من العرب ولو كان ذلك المسـموع مـن أعرابية رعناء*. وهذا المنهج مخالف لما عرف عن البصريين من عـدم الالتفـات إلـى كـل مسموع بل يختارون منه ما يتفق مع أصولهم ثم يهملون الباقي بحجج مختلفة كالقلـة والنـدرة والضرورة والشذوذ. ويذكر أن الكوفيين رووا عن أعراب غلطهم علماء المدرسة البصرية وأبو الاستشهاد بكلامهم، ويظهر ذلك حين يصرح شرف الدين الراجحي أن الكوفيين قد أخذوا "عـن أعراب سواد الكوفة من تميم وأسد، وأعراب سواد بغداد من الحطمية* الذين غلّطهم البصريون ولحنوهم، بل اعتدوا بما ندر من شواهد، وما شذّ من رواية، وقبلوا كل ما صدر عن عربي"[2]. فواضح أنهم قد أخذوا عمن أخذ عنهم البصريون، وزادوا عليه لغات أخرى أبـى البصـريون الاحتجاج بها.

ونتيجة لاتساع الكوفيين في رواية اللغة عن الأعراب فقد حمل البصريون عليهم حملات شعواء، وفي مقدمتهم أبي الطيب اللغوي الذي يقول: "والشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة ولكن أكثره مصنوع ومنسوب إلى من لم يقله، وذلك بين في دواوينهم"[3]، ويقول شوقي ضيف: "ونحن نخلص من ذلك كله إلى أن المدرسة الكوفية توسعت في الرواية وفي القياس توسعاً جعل البصرة أصح قياساً منها، لأنها لم تقس على الشواذ النادرة في العربية وطلبت فـي قواعـدها الاطراد والعموم والشمول، كما جعلها أكثر تحرياً منها للرواية عن الأعراب وأكثر تثبتاً، لأنهـا

---

[1] شوقي ضيف: المدارس النحوية 159، 160.

* رعناء : حمقاء هوجاء. ينظر اللسان مادة (رعن). والحطمية: دروع تنسب إلى رجل كان يعملها، وهي منسـوبة إلـى بطن من عبد القيس يقال له حطمة بن محارب. ينظر اللسان مادة (حطم).

[2] شرف الدين الراجحي: في المصطلح الصرفي عند الفراء في كتابه (معاني القرآن) 53.

[3] أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين 74.

لم ترو إلا عمن خلصت عربيتهم من شوائب التحضر، ولم تفسد طبائعهم بل ظلت مصفاة منقاة، ولا فسدت ألسنتهم، بل ظلت تجري على عرق العروبة الأصيل وإرثها القديم "[1].

مما سبق نرى أن رؤية النحاة واللغويين لمنهج الكوفيين في دراسة النحو واللغة تتمثـل في أنهم كانوا يتساهلون في أخذ اللغة عن العرب في حين كان التشدد سمة المدرسة البصـرية التي رفضت الاحتجاج بكل مسموع، والواضح أن ذلك ليس صحيحاً إلى حد كبير إذ إن علمـاء المدرستين قد أكثروا من الاحتجاج بكلام العرب، ولم يميزوا بين بدوي وحضري؛ وبذلك يكون ما قرره السيوطي من أنه لم يؤخذ عن حضري قط ليس صحيحاً لأن النحاة واللغويين قد أخذوا عن أهل الحضر كما أخذوا عن أهل البادية[2].

ويبدو أن الفراء قد سار على نفس المنهج الذي اختطه علماء المدرسة الكوفيـة، وفـي مقدمتهم شيخه الكسائي، فقد مضى في أثره -أي الكسائي- يكثر الرواية عن الأعـراب الـذين نزلوا بغداد، غير ملتفت لطعن البصريين فيهم وفي أمثالهم ممن اختلطوا بأهل الحضر، وقد نص هو نفسه على اعتماده على هذا المصدر في أثناء حديثه عما (يعرف من المنقـوص والممـدود بالتحديد والعلامات)، بقوله: "فإن كان أول واحدته مكسوراً جمعته بكسر أوله وكتبته بالياء، مثل حلْية وحلًى، ولِحية ولِحى، وقد سمعنا لُحى وحلًى في هذين الحرفين خاصة، ولا يقاس عليهمـا، إلا أن تسمع شيئاً من بدوي فصيح فتقوله "[3]. ويظهر لنا أن الكسائي قد خلف من بعده نحويـا بارعاً هو الفراء الذي بنى كثيراً من أصوله على ما سمعه منه، وأضاف إلى ما سمعه إضافات كبيرة، فأتم بذلك بناء المدرسة الكوفية. ولم يكن الفراء كالكسائي تماماً فيما يتعلق بالاحتجاج من هذا المصدر، فلكل منهما ثقافته وطريقته ومنهجه في الاستدلال، ولكنهما لا يختلفان كثيراً عـن

---

(1) شوقي ضيف : المدارس النحوية 163.

(2) السيوطي : الاقتراح في علم أصول النحو 56.

(3) الفراء : المنقوص والممدود 13.

نحاة المدرسة البصرية، فهما يستدلان بما جارى القياس النحوي، ويرفضان ما سواه، ولا يفرقان بين ما عد شاذاً، وما عد متواتراً، فيبدو أن القاسم المشترك بينهما هو توسعهما في الرواية عـن الأعراب المتحضرين منهم وغير المتحضرين.

وتذكر كتب اللغة أنه اتسع في الرواية إلى أقصى حد ممكن حتى نسـب إليـه الوضـع النهائي للنحو الكوفي ومصطلحاته، وقد اعتمد لأجل ذلك على أسس ثلاثة يعنينا منها الاتساع في السماع ما أمكنه ذلك بحيث يفتح جميع الأبواب على مصاريعها لرواية الأشعار وأقوال العـرب والقراءات الشاذة[1].

كما أنه من الذين يفصلون بين المستوى الكلامي والكتابي، ويظهر ذلك في الحادثة التي جرت معه في حضرة الرشيد، فعندما وقف أمامه ولحن عدة مرات سأله الرشيد عن سبب لحنه، فأجابه قائلاً: "يا أمير المؤمنين، إن طباع أهل البدو الإعراب، وطباع أهل الحضر اللحن؛ فـإذا تحفظت لم ألحن، وإذا رجعت إلى الطبع لحنت فاستحسن الرشيد قوله "[2].

أما مادة كلام العرب الموجودة في كتبه فقد وصلت إليه من مصدرين، يتمثل **الأول** فـي السماع عن الفصحاء من العرب ومشافهتهم، والرواية عنهم كأبي ثـروان العكلي[3]، وأبـي

---

[1] شوقي ضيف: المدارس النحوية 195.

[2] الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين 131.

[3] أبو ثروان العكلي، من بني عكل، أعرابي فصيح، كان يعلّم في البادية له من الكتب كتاب خلق الفرس وكتاب معـاني الشعر. ينظر ابن النديم: الفهرست 73.

الجراح العقَيلي[1] وأبي فَقْعس الأسدي[2]، وأبي زياد الكلابي[3]، وغيرهم. **والثاني**: المناقلة عـن غيره من العلماء كأن ينقل عن الكسائي ويونس بن حبيب. وقد ورد ذكر هؤلاء الفصـحاء مـن العرب في غير موطن من كتبه، ويبدو ذلك فيما روي عنه أنه قال :" حضر أبو زياد الكلابـي مجلس الفراء في هذا اليوم، فسأله الفراء عن هذا الحرف، فقال : أهل باديتنا يقولون : اللهم سبح عنه للمريض والملسوع ونحوه" [4]، وقوله :"سمعت أبا الجراح يقول : ما رأيت كقُدوةَ قط، يعني غداة يومه" [5]، وقوله :"قال أبو ثروان في أحجية له : ما ذو ثلاث آذان، يسبق الخيل بالرديـان "[6]، وقوله: "سمعتها من أبي فَقْعس الأسدي" [7]. أما نقله عن علماء اللغة فيبدو فيما نقلـه مـن قول الكسائي: "سمعت العرب تقول: مرت بنا غنمان سودان وسود" [8]، وقوله: " قـال يـونس: سمعت العرب تقول: (فَرسة) و (عجوزة) [9]. إلى غير ذلك من المواطن يتكرر فيها ذكر هـذه الأسماء وغيرها، مما يؤكد أن الفراء قد استشهد بكلام العرب اعتماداً على هـذين المصـدرين،

---

[1] أبو الجراح العقيلي: أعرابي فصيح، ذكرته الكتب التي ترجمت للفراء في جملة الفصحاء الذين روى عنهم اللغة. وقـد أحال محقق كتاب مراتب النحويين إلى ترجمة هذا الأعرابي في الفهرست، إلا أنني لم أعثر على ترجمة لـه، ويتحـدث صاحب الفهرست عن رجل من عقَيل يعرف بأبي شبلى العقَيلي واسمه الخُلَيخ، ويبدو أنه كان شاعراً وفد علـى الرشـيد، واتصل بالبرامكة، له من الكتب كتاب النوادر. ينظر ابن النديم : الفهرست 68، وأبو الطيب اللغوي : مراتـب النحـويين 86.

[2] أبو فقعس الأسدي: هو محمد بن عبد الملك الأسدي، راوية بني أسد، وصاحب مآثرها وأخبارها، كـان شـاعراً أدرك المنصور وعنه أخذ العلماء مآثر بني أسد وله كتاب مآثر بني أسد وأشعارها. ينظر ابن النديم : الفهرست 73.

[3] أبو زياد الكلابي: اسمه يزيد بن عبد ا بن الحر. أعرابي بدوي، قدم بغداد أيام المهدي حين أصابت الناس المجاعة، فأقام بها الأربعين سنة، وبها مات، له من الكتب كتاب النوادر، وكتاب الإبل، وكتاب الفرق، وكتاب خلق الانسان. ينظـر ابن النديم : الفهرست 67.

[4] الفراء : معاني القرآن 197/3.

[5] المصدر السابق 139/2.

* الرديان : الردن صوت وقع السلاح بعضه على بعض.

[6] الفراء : المذكر والمؤنث 73.

[7] الفراء : معاني القرآن 33/2.

[8] المصدر السابق 112/3.

[9] الفراء : المذكر والمؤنث 88.

وقد أشار إلى هذه القضية أبو الطيب اللغوي بقوله: "ثم أخذ عن أعراب وثق بهـم؛ مثـل أبـي الجراح وأبي ثَروان وغيرهما، وأخذ نُبذاً عن يونس. وأهلُ الكوفة يدعون أنه استكثر منه، وأهل البصرة يدفعون ذلك. وقد أخذ أيضاً من أبي زياد الكلابي"[1]. ولكي يتمكن من سماع اللغة عـن أهلها مشافهة أو مناقلة، فقد ارتحل من مكان إقامته في بغداد إلى البصرة، ولقي أعرابها، وأخـذ عن شيوخها، يقول السيوطي: " لقي الفراء يونس في البصرة، وأخذ عنه، وظهر ذلك فيما وافقه من مسائل، كما ذكر ابن هشام أن يونس والفراء قالا بوقوع (الذي) مصدرية، وروى عنه فـي اللغة وشواهد النحو، وقد عرض أبو البركات ابن الأنباري لبعضها، ووقف تلمذته علـى نحـو البصرة، [2]. وتذكر الروايات أنه ارتحل إلى مكة والمدينة، ويدلنا على ذلك انه أكثر من السماع السماع عن قرائها، كما الحال في قوله: "سمعت أعرابياً يقول لبزاز * ونحـن بطريـق مكـة أعطني كسفة أي قطعة" [3].

وبذلك يكون الفراء كغيره من علماء اللغة الذين سبقوه، لم يشذ عن منهجهم، وفي مقدمة هؤلاء أستاذه الكسائي وبعض علماء مدرسة البصرة، كما أن الغالب عليه عدم التشدد في أخـذ اللغة عن الأعراب تشدد البصريين، ومرد ذلك إلى أن البصريين سبقوا الكوفيين إلى التفكير في إقامة صرح النحو لدرء خطر اللحن عن القرآن الكريم ولغته.

وأبرز ما يلفت نظر الباحث في كتبه، تلك الكثرة من الإشارة إلى القبائل التي يستشـهد بكلامها، فهو يصرح بنسبة الكلام إلى القبيلة التي يأخذ عنها إذا لم يذكر اسم الأعرابي الذي أخذ عنه اللغة، أو الشيـخ الذي نقل عنـه، وأبرز القبائل التي ورد ذكرها في كتبه هي: قبيلة

---

(1) أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين 86، 87.

(2) السيوطي : الأشباه والنظائر 140 . نقلاً عن مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة 121.

* بزاز : بائع الثياب.

(3) الفراء : معاني القرآن 131/2.

أَسد[1]، وتَميم[2]، وبني سلَيم[3]، وكنْدة[4]، وبني عقَيل[5]، وهذَيل[6]، وبكْر[7]، وبنو الْحـارِث[8]، وطَيئ[9]، و بنو عكل[10]، و أَزد عمان[11]، وبنو دبير[12]، وبنو عامر[13]، وبعض باهلة[14].

وفي نسبته للمادة اللغوية التي يسمعها عن العرب إلى قبائل محددة ما يدل على أنه كان محيطاً بلغات العرب، كما كانت له رحلة واسعة إلى الجزيرة، وهو إذ يفعل ذلك فإنمـا يحـتج بكلام القبائل العربية عامة، على اختلاف درجة فصاحتها، دون تقيد بالحدود الزمنية والمكانيـة التي وضعها النحاة لقبول الكلام المحتج به. ولا يشير في أثناء احتجاجه بلغات العرب إلى تميز لغة قبيلة من القبائل على غيرها، ومع ذلك فإنه قد نص في أحد المواطن علـى تفضـيله للغـة قريش على غيرها من اللغات، قال السيوطي: قال الفراء: "كانت العرب تحضر الموسم في كـل عام، وتحج البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات جميع العرب، فما استحسنوه من لغـاتهم تكلموا به، فصاروا بذلك أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات، ومستقبح الألفاظ "[15].

---

(1) الفراء : معاني القرآن 286/3.

(2) المصدر السابق 164/3.

(3) المصدر السابق 117/3.

(4) المصدر السابق 285/3.

(5) المصدر السابق 156/3.

(6) المصدر السابق 254/3.

(7) المصدر السابق 125/3.

(8) المصدر السابق 173/1.

(9) الفراء : المنقوص والممدود 21.

(10) الفراء : المذكر والمؤنث 77.

(11) الفراء : معاني القرآن 66/3.

(12) الفراء : المذكر والمؤنث 99.

(13) المصدر السابق 119.

(14) المصدر السابق 119.

(15) السيوطي : الاقتراح في علم أصول النحو 198.

أما إذا لم ينسب المادة اللغوية إلى قبيلة من القبائل، فإنه يكتفي باستعمال بعض العبارات التي تشير إلى احتجاجه بكلام العرب، فيكثر من القول: "والعرب تقول"[1]، أو "وما أشبهه من كلام العرب" [2]، أو "وهو كثير في كلام العرب وأشعارهم" [3].

أو "ومثله من كلام العرب" [4]، أو "قال بعض العرب"[5]، أو "ولقد سمعت بعض العرب العرب يقول "[6]، أو "وقد قالت العرب" [7]، أو "لأن من العرب من يقول"[8]، أو "والعرب تفعل تفعل ذلك"[9]، أو "وهذا من كلام العرب"[10]، أو "والذي سمعت من العرب أن يقولوا"[11]. وهذا النحو مما يورد فيه كلام العرب غير منسوب إلى قبيلة من القبائل أكثر من أن يحصى.

ويكاد كلام العرب في كتبه يقترب من القرآن الكريم أهمية وكما، وربما فاقت مادة كلام العرب القرآن الكريم من حيث الكمية، كما الحال في كتبه (الأيام والليالي والشهور، المنقوص والممدود، والمقصور والممدود، والمذكر والمؤنث). كما أن هذا المصدر يعد أصلاً من الأصول التي تبنى عليها القواعد والأحكام اللغوية، إذ يلجأ بالاعتماد عليه إلى إطلاق الأحكام والتعليلات في غير موضع من كتبه، ومن الأمثلة على ذلك ما قاله في أثناء حديثه من أن العرب ربما اجترأت على تذكير المؤنث الخالي من الهاء في قوله :" والرياح كلها إناث ... وكأنهم اجترأوا

---

[1] الفراء : معاني القرآن 8/1.

[2] المصدر السابق 1/ 4.

[3] المصدر السابق 14/1.

[4] المصدر السابق 14/1.

[5] الفراء : المذكر والمؤنث 104.

[6] المصدر السابق 100.

[7] المصدر السابق 121.

[8] الفراء : المنقوص والممدود 24.

[9] الفراء : معاني القرآن 112/2.

[10] المصدر السابق 118/2.

[11] المصدر السابق 230/3.

على ذلك (تذكير الريح)؛ إذ كانت (الريح) ليس فيها هاء، وربمـا ذهـب بـالريح إلـى الأرج والنشْر"[1]، وتعليله لدخول الهاء على المؤنث السماعي، كما في قوله:" (والفَرس)الذكر والأنثـى يقع عليه (الفَرس)، ويصغر (فُريس) . قال يونس : سمعت العرب تقول : (فَرسة) و (عجـوزة) ... وذلك منهم إرادة تأكيد المؤنث، وإذهاب الشك عن سامعه" [2].

ومن المواطن التي يبدو فيها احتجاجه بكلام العرب بهدف تأصـيل القواعـد، ووضـع الأحكام، ما قاله في أثناء حديثه عن المؤنث الذي يخالف المذكر باللفظ إذ لا يـأتي لفظـه مـن المؤنث بحذف علامة التأنيث، يقول: "ومثله اجتْمع عليه مما كان ينبغي للهاء أن لا يدخل فيـه: (ناقة) و (نعجة)؛ لأن لفظ الناقة مخالف للجمل، ولفظ النعجة مخـالف للكـبش، فكـان يكتفـي بالخلاف من الهاء، كما اكتفوا في (عناق) بطرح الهاء؛ لأن ذكرها (جدي) وكذلك (الحمـار)، و (الأتان) اكتفى بخلاف اللفظ من الهاء "[3].

وما قاله عن النَقا أنه يرد مقصوراً و ممدوداً "النقا على وجهـين فأمـا نَقَـى الرمـل فمقصور يكتب بالياء والألف جميعاً؛ لأن من العرب من يثنيه باليـاء والـواو جميعـاً، فيقـول النقَيان، والنّقوان والواو أكثر، والنقاء مصدر الشيء النقي، تقول: غسل الثـوب حتـى ظهـر نقاؤه[4].

وقوله في (باب ما يعرف من المنقوص والممدود بالتحديد والعلامات) :"وما كـان مـن جمع فَعلَة فهو ممدود الياء والواو على فعال كان ممدوداً مثل ركْوة وركاء، وشَـكْوة وشـكاء،

---

(1) الفراء : المذكر والمؤنث 97.

(2) المصدر السابق 88.

(3) المصدر السابق 88.

(4) الفراء : المنقوص والممدود 19.

وقَروة وقراء، وغَلْوة وغلاء، وحظْوة وحظاء وهو السهم الصغير، وقَشْوة وقشاء. ولم يسمع في شيء من جميع هذا القصر"[1].

وفي مواطن كثيرة يحتج بكلام العرب ليصحح المذهب النحوي الذي يـراه فـي الآيـة القرآنية موضع التفسير، مثال ذلك قوله : (صبغَةَ الله) [2] "…. ولو رفعت الصبغة والملّـة (أي ملةَ إبراهيم) كان صواباً، كما تقول العرب: جدك لا كدك. فمن رفع أراد : هي ملةُ إبراهيم، هي صبغةُ ا ، هو جدك. ومن نصب أضمر مثل الذي قلتُ لك من الفعل"[3]، وقوله :"ومتعوهن علَى الْموسعِ قَدره وعلَى الْمقْترِ قَدره) [4] "بالرفع. ولو نصب كان صواباً على تكرير الفعل على النية، أي ليعط الموسع قدره، والمقتر قدره. وهو مثل قول العرب: أخذت صدقاتهم، لكل أربعين شـاةً شاةٌ، ولو نصب الشاة الآخرة كان صواباً"[5] ، وقوله: "وكل المشي والسير إذا رأيت في آخـره الياء فهو مقصور يكتب بالياء مثل القَهقَرى … و يروى عن عمر بن الخطاب لـولا الخليفَـى لأذنْتُ، ليس شيء من هذا يمد ولا يكتب بالألف، وزعم الكسائي أنه سمع مـا يفعـل هـذا إلا خصيصاء القوم، قال وكذلك قَيضوضاء بينهم، فسمع في هذا المد والقصر، وأجاز المد فيه على القياس؛ قال الفراء لم يسمع أحد من العرب يمد شيئاً من هذا ولم يجز "[6].

وفي أحيان أخرى يأتي بكلام العرب لترجيح رأي على آخر، كما هو واضح فيما يروى من أنه "سمع أعرابياً يقول : قضت علينا السلطان، فقال ابن خالوية : السلطان يـذكر ويؤنـث،

---

[1] الفراء: المذكر والمؤنث 12.

[2] آية 138 سورة البقرة .

[3] الفراء : معاني القرآن 83/1.

[4] آية 236 سورة البقرة .

[5] الفراء : معاني القرآن 153/1.

[6] الفراء : المنقوص والممدود 15، 16.

والتذكير أعلى، ومن أنثه ذهب به إلى الحجة" [1]، وقوله:" ومن المهموز المقصور الذي لا نظير له الخَطَأ و النبأ (وجِئْتُك من سبإٍ) [2] هذه تهمز ولا غير. وقد أجمعت العرب على أيـدي سـبا وأيادي سبا بلا همز، وأصله الهمز، ولكنه جرى في هذا المثل على السكون فتُرك همـزه "[3]، وقوله : قال بعض العرب: أحط فأدخل الطاء مكان التاء. والعرب إذا لقيت الطاء التاء فسـكنت الطاء قبلها صيروا الطاء تاء، فيقولون : أحت، كما يحولون الطاء تاء في قوله: (أوعت أم لَـم تكُن من الواعظين) [4]. والذال والدال تاء مثل (أخَتم) [5] ورأيتها في بعض مصـاحف عبـد ا (وأَخَتم) ومن العرب من يحول التاء إذا كانت بعد الطاء طاء فيقول: "أحطّ" [6].

وإذا أورد قاعدة لغوية وشذ عنها شيء فإنه يشير إلى سماع المخـالف للقاعـدة عـن العرب، كما الحال في باب ما يعرف من المنقوص والممدود بالتحديد والعلامات، "فإن كان أول واحدته مكسوراً جمعته بكسر أوله وكتبته بالياء؛ مثل حلْية وحلًى، ولحية ولِحى، وقد سمعنا لُحى وحلًى في هذين الحرفين خاصة، ولا يقاس عليهما، ألا أن تسمع شيئاً من بدوي فصـيح فتقولـه" [7]. فهو إذ يحتج بكلام العرب على مثل هذه القضية فإنه يجعل هذا المصدر فاصلاً وحاسماً في إطلاق الأحكام، كما هو واضح في نهاية المقولة السابقة، ومثل ذلك قوله: "وقد أجمعت العـرب على أيدي سبا وأيادي سبا بلا همز، وأصله الهمز، ولكنه جرى في هذا المثل علـى السـكون فترك همزه"[8]، وقوله: "والأصابع إناث كلهن، إلا الإبهام فإن العرب على تأنيثها، إلا بني أَسـد

---

(1) ابن الأنباري : نزهة الألباء في طبقات الأدباء 311.
(2) آية 22 سورة النمل.
(3) الفراء : المقصور والممدود 50.
(4) آية 136 سورة الشعراء.
(5) آية 81 سورة آل عمران.
(6) الفراء : معاني القرآن 289/2.
(7) الفراء : المنقوص والممدود 13.
(8) الفراء : المقصور والممدود 50.

أو بعضهم فإنهم يقولون: هذا إبهام. والتأنيث أجود وأحب" [1]، "والعنُق مؤنثة فـي قـول أهـل الحجاز؛ يقولون: (ثلاث أعناق)، ويصغرونها على (عنَيقَة)، وغيرهم يقول: (هذا عنق طويـل)، ويصغره فيقول: (هذا عنَيق) "[2].

وتبدو أمانته في سماعه عن العرب إذا يقف مراراً لينص على أن هذه القضية أو تلك لم تُسمع عن العرب، كما الحال في قوله:" ولم أسمع: (وحي فلانة) إذا كانـت حيـةً [3]، وقولـه:" والمنجنيق أنثى . ويقال: (منْجنُوق). وبعض العرب يسميها : منْجنُوق. وقال الفراء : حكيت لي ولم أسمعها من العرب"[4]، وقوله : "وزعم الكسائي أنه سمع ما يفعل هذا إلا خصيصاء القـوم، قال وكذلك فَيضوضاء بينهم، فسمع في هذا المد والقصر، وأجاز المد فيه علـى القيـاس؛ قـال الفراء لم يسمع أحد من العرب يمد شيئاً من هذا ولم يجز"[5]. وتظهر لنا هذه الفقرة أن الفـراء يخطئ الكسائي معتمداً على ما سمعه عن العرب عندما يجد أن القضية عنده أرجح وأقوم ممـا يذهب إليه شيخه، وقد أشار إلى هذه القضية أبو الطيب اللغوي بقوله :"وكان الفراء يخالف على الكسائي في كثير من مذاهبه، فأما على مذهب سيبويه فإنه يتعمد خلافه؛ حتى ألقاب الإعـراب وتسمية الحروف"[6].

ويعمد في أحيان كثيرة إلى تقوية ما سمعه عن العرب برواية الشيوخ، كقوله في قولـه تعالى: (أيما الأجلَين قَضيتُ) [7] إذ جعل (ما) وهي صلة من صلات الجزاء مع (أي) وهي فـي

[1] الفراء : المذكر والمؤنث 78.

[2] المصدر السابق 73.

[3] المصدر السابق 71.

[4] المصدر السابق 100.

[5] الفراء : المنقوص والممدود 16.

[6] أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين 88.

[7] آية 28 سورة القصص.

قراءة عبد ا (أي الأجلين قضيتُ فلا عدوان علّي) وهذا أكثر في كلام العرب من الأول ... ثم يأتي بما ينسب للكسائي من أنه سمع الكسائي أعرابياً يقول : فأيهم ما أخذها ركب علـى أيهـم، يريد لُعبة لهم. وذلك جائز أيضاً حسن" [1]، وقوله:" ولحتى ثلاثة معان في (يفعل)، وثلاثة معان في الأسماء. فإذا رأيت قبلها فعلاً ماضياً، وبعدها (يفعل) في معنى، وليس ما قبل (حتى يفعـل) يطول، فارفع (يفعل) بعدها؛ كقولك جئت حتى أكون معك قريباً. وكان أكثر النحويين ينصـبون الفعل بعد حتى وإن كان ماضياً إذا كان لغير الأول، فيقولون: سرت حتى يدخلَها زيـد، فـزعم الكسائي أنه سمع العرب تقول : سرنا حتى تطلع لنا الشمس بزبالة [2]، فرفع والفعـل للشـمس، وسمع : إنا لجلوس فما تشعر حتى يسقطُ حجر بيتنا"[3]، وفي ذلك يظهر لنا أنه يؤكد ما نقله عن عن شيخه بما سمعه عن العرب الفصحاء، فيبني على ذلك كثيراً من آرائه اللغوية.

وفي بعض الأحيان يخرج القضايا اللغوية التي توصل إليها على الجهة التي يرى أنهـا أكثر اتفاقاً مع ما سمعه عن العرب الفصحاء، أو أنها أصح وأصوب، كما هو واضح في قولـه:" رأيت حيةً على حية؛ فإن الهاء لم تطرح من ذكره، وذلك أنه لم يقل : (حية وحي كثير)، كمـا قيل: (بقرة وبقر كثير) فصارت الحية اسماً موضوعاً، كما قيل (حبة) لجمع الحبوب، وحنطـة، فلم يرد لها ذَكر، وإن كانت جمعاً، فأجروه على الواحد الذي يجمع التأنيث والتذكير، ألا ترى أن (ابن عرس) و"سام أبرص" و (ابن قتْرة) قد يؤدي عن الذكر والأنثى وهو ذكر علـى حالـه " وقوله :"وما كان من جمع فَعلْة فهو ممدود الياء والواو على فعال كان ممدوداً مثل ركْوة وركاء، وشَكْوة وشكاء، وفَروة وفراء، وغَلْوة وغلاء، وحظْوة وحظاء وهو السـهم الصـغير، وقَشْـوة

---

[1] الفراء : معاني القرآن 305/2.

[2] زبالة كثمالة منزلة من مناهل طريق مكة.

[3] الفراء : معاني القرآن 134/1.

وقشاء[1]، ولم يسمع في شيء من جميع هذا القصر، إلا أنهم يجمعون الكُوة كواء وكوى فيمدون ويقصرون، ومنهم من يقول الكُوة، وكأن تقصيرهم الكوى أخذوه من لغة كُوة كما قالوا قُوة وقوى، قرأها بعض القراء (علّمه شَديد القوى) [2] ومن نادره قَرية وقُرى، جاءت على غير قياس" [3].

ويقف مراراً لينص على أن العرب يغلطون، كما هو واضح في قوله :"وربما غلطت العرب في الحرف إذا ضارعه آخر من الهمز فيهمزون غير المهموز، سمعت امرأة من طيئ تقول : رثأت زوجي بأبيات. ويقولون لبأت بالحج وحلأ السويق فيغلطون؛ لأن حلأت قد يقال في دفع العطاش من الإبل، ولبأت ذهب إلى اللبأ الذي يؤكل، ورثأت زوجي ذهبتْ إلى رثيئة اللبن؛ وذلك إذا حلبت الحليب على الرائب" [4]، وقوله : "فإن لم يكن أراد من هذا فهو من غلط قد تغلطه العرب فتقول : حلأت السويق، لبأت بالحج، ورثأت الميت، وهو كما قرأ الحسن (ولأدرأتكم به) [5] يهمز وهو مما يرفَض من القراءة" [6].

كما أنه يشير إلى أن هذا و نحوه كثير في كلام العرب، كما الحال في قوله :" وقرأ بعضهم: (وشَجرةً تَخْرج من طُورِ سيناَء **تُنْبِتُ بالدهن**) [7]. فترى – وا أعلم- أن الذين ضموا على معنى الألف* شبهوا دخول الباء وخروجها من هذين الحرفين بقولهم: خُذْ بالخطام، وخُذ الخطام، وتعلقتُ بزيد، وتعلقتُ زيدا. فهو كثير في الكلام والشعر" [8]، وقوله : "قال الكسائي:

---

(1) الفراء : المذكر والمؤنث 70.

(2) آية 5 سورة النجم.

(3) الفراء : المنقوص والممدود 12، 13.

(4) الفراء : معاني القرآن 459/1.

(5) آية 16 سورة يونس.

(6) الفراء : معاني القرآن 216/2.

(7) آية 20 سورة المؤمنين.

* همزة التعدية.

سمعت العرب تقول: بحر لُجي ولِجي، ودري ودري منسوب إلى الدر، والكُرسي. وهو كثيـر. وهو في مذهبه بمنزلة قولهم العصي والعصي والأسوة والإسوة "[1].

وفي أحيان كثيرة يشير إلى ندرة لغة وقلتها في كلام العرب، ويظهر ذلك في قوله :" ما كان من ذوات الياء والواو من دعوت وقضيت فالفعل منه فيه مفتوح اسماً كان أو مصـدراً، إلا المأقي من العين فإن العرب كسرت هذا الحرف. وبعض العرب يسمي مأوى الإبل مأوِي فهذان نادران "[2] ، وقوله: "ولغة يقال: خلد إلى الأرض بغير ألف، وهي قليلة" [3]، وقوله :" ولو كانت كذلك لقال : عسى في موضع عسى ولعلها لغة نادرة"[4]، وقوله : "يقال: ناقـة قصـواء بينـة القَصا، ولا تقولوا جملٌ أقصى، يقولون جمل مقصي ومقصو، وربما قالوا أقصى وهو قليل. قال أبو جعفر قال أبو عبيدة: لا يقال بعير أقصى إنما هو مقصي وناقةٌ قصواء"[5].

وفي أحيان أخرى يلجأ إلى المفاضلة بين القضية التي سمعها على وجهين دون أن يشير إلى أن واحدة من اللغتين أفضل من الأخرى، كما الحال في قوله: " العرا على وجهين يقال كنا في عرا فلان مقصور يكتب بالألف لأن العرب إذا أَنثَتْه تقول كنا بعروته و عقْوتـه، والعـراء المكان الخالي ممدود قال اللّه تعالى : (فَنَبذْنَاه بِالعراء وهو سقيم) [6]، [7]، وقولـه: " والجهد لغـة أهل الحجاز والوجد، ولغة غيرهم الجهد والوجد" [8]، وقوله :"و قد قال بعضهم : أبشرت، ولعلها

---

[8] الفراء : معاني القرآن 19/1.

[1] المصدر السابق 243/2.

[2] الفراء : معاني القرآن 149/2.

[3] المصدر السابق 399/1.

[4] المصدر السابق 62/3.

[5] الفراء : المقصور والممدود 63.

[6] آية 145 سورة الصافات.

[7] الفراء : المنقوص والممدود 18.

[8] الفراء : معاني القرآني 447/1.

لغة حجازية . وسمعت سفيان بن عيينة يذكرها يبشر. وبشرت لغة سمعتها من عكل، ورواهـا الكسـائي عن غيرهم. وقال أبو ثروان : بشَرني بوجه حسـ ـن"[1]، وقولـه: "والمنسـك لأهـل الحجاز والمنسك لبني أسد ، والمنسك في كلام العرب: الموضع الذي تعتاده وتألفه ويقـال: إن لفلان منْسكا يعتاده في خَير كان أو غيره. والمناسك بذلك سميت –وا أعلم- لتـرداد النـاس عليها بالحج والعمرة" [2]. أما في مواطن أخرى فإنه يشير إلى أن لغة من اللغات أفضـل مـن الأخرى، كما هو واضح في قوله تعالى: (إن هؤُلاء لَشرذمةٌ قَليلون)[3]. يقـول: عصـبةٌ قليلـة وقليلون وكثيرون وأكثر كلام العرب أن يقولوا : قومك قليل وقومنا كثير جائز عربي وإنما جاز لأن القلة إنما تدخلهم جميعاً. فقيل : قليل، وأوثر قليل على قليلين" [4]، و قوله : "ويقال: أسـقط لغة. و(سقط في أيديهم) أكثر وأجود[5]، وقوله : "والعرب تقول: صـعق الرجـل، وصـعق – وسعد، وسعد لغاتٌ كلها صواب"[6].

وقد يقيس ما سمعه عن العرب على قضايا أخرى، كما هو الحال في النسب إلى (عـدة) وأمثالها برد الواو المحذوفة، فيقال: عدوي وزنوي وشيوي في النسب إلى عدة وزنة وشية، وقد حمله على ذلك "ما روي عن ناس من العرب: عدوي وزِنَوي وشيوي في عـدة فقـاس عليـه غيره"[7]، وقولـه إن العرب يكسرون الميم في أحد أنواع الإدغام " قال الفراء : وحدثتُ أن بعض بعض العرب يكسر الميم في هذا النوع إذا أدغم فيقول هم المطوعة والمسمع للمستمع. وهم من

---

(1) المصدر السابق 212/1.
(2) الفراء : معاني القرآن 230/2.
(3) آية 54 سورة الشعراء.
(4) الفراء : معاني القرآن 280/2.
(5) المصدر السابق 393/1.
(6) المصدر السابق 94/3.
(7) الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب 63/2.

الأنصار. وهي من المرفوض. وقالت العرب: موهب فجعلوه اسماً موضوعاً على غير بناء، وموكل اسما موضوعا. ومنه موحد لأنهم لم يريدوا مصدر وحد، إنما جعل اسماً في معنى واحد مثل مثْنَى وثُلاثَ ورباع. وأما قولهم: مزيد ومزود فهما أيضاً اسمان ... وكما قالت العرب في المصير وهو من صرت مصران للجميع و مسيل الماء وهو مفعل: مسلان للجميع فشبهوا مفعلاً بفعيل"[1]، ومن أمثلة قياسه للقضايا بعضها على بعض قوله في (باب ما يعرف من المنقوص والممدود بالتحديد والعلامات) "وكل المشي والسير إذا رأيت في آخره الياء فهو مقصور يكتب بالياء مثل القَهقَرى ... ويروى عن عمر بن الخطاب لولا الخليفَي لأذنْتُ، ليس شيء من هذا يمد ولا يكتب بالألف وزعم الكسائي أنه سمع ما يفعل هذا إلا خصيصاء القوم، قال وكذلك قَيضوضاء بينهم، فسمع في هذا المد والقصر، وأجاز المد فيه على القياس؛ قال الفراء لم يسمع أحد من العرب يمد شيئاً من هذا ولم يجز "[2].

وللفراء من الأمثال موقف مشابه لغيره من النحاة، إذ إنها تدرج في إطار كلام العرب المسموع الذي اعتمدوا عليه في استنباط القواعد والأصول النحوية؛ لاسيما أن هذه الأمثال تمتاز بقصرها وخفتها وبلاغتها؛ لأنها وضعت قصد التداول والانتشار بين الناس، لكن ذلك لم يمنع من دخول التحريف والتغيير إليها، وأمثلة ذلك كثيرة في كتب النحاة واللغويين.

ويبدو لنا من خلال قراءة كتبه أنه كان قليل الاحتجاج بها، وفي ذلك يقول سعيد جاسم الزبيدي :"والفراء قليل الاستشهاد بالأمثال، وعلى الرغم من أهمية الكثرة والقلة في الاستشهاد إلا أنها ليست ذات قيمة إن لم تكن طريقاً لاستنباط أصول جديدة يرصد النحاة فيها ظواهر نحوية، والمهم في الاستشهاد أيضاً أن النحاة بصريين وكوفيين- جعلوا الأمثال عدلاً للشعر

---

[1] الفراء : معاني القرآن 153/2.

[2] الفراء : المنقوص والممدود 15، 16.

والقرآن الكريم"[1]، يقول: "إن النحاة الأوائل كعيسى بن عمر والخليل ويونس وسيبويه والكسائي والفراء وغيرهم يعيشون في محيط الأمثال شائعة متداولة، إلا أنها على كثرتها، لم تكن عنـدهم تعدل الشواهد الشعرية والقرآنية "[2].

وقد ساق الفراء بعض الأمثال لدعم الأصول التي استنبطها، أو لقياس ظواهر لغويـة أو نحوية على لغتها، كما الحال في قوله :"يقال سهم مغْروو، وفي أمثالهم: (أدرِكْنـي ولـو بأحـد المغْروين)[3]، أي بأحد سهمين" [4]، وقوله: "ولغة أخرى لا تصلح في الكتـاب وهـي تميميـة: فَأشَاءها المخَاض، ومن أمثال العرب: شر ما أجاءك إلى مخّة عرقُوب، والمعنى واحد، وتمـيم تقول: شر ما أشاءك إلى مخة عرقوب[5]"[6]، وقوله حين تحدث عن جواز حذف المبتـدأ فـي صيغتي المخاطب والمتكلم: "جاء ضيف إلى إمرأة ومعه جراب دقيق، فأقبلت تأخذ من جرابـه لنفسها، فلما أقبل أخذت من جرابها إلى جرابه. فقال: ما تصنعين؟ قالت: أزيدك من دقيقي. قال (محسنَةٌ فَهيلي) [7]. أي ألقي . وجاء في الآثار : من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه : يائس من رحمة ا [8]. ويدل الاقتباس الأخير على أنه يستدل علـى القضية التي يناقشها بشاهدين شعريين، ثم بحديث شريف، ثم بالمثل (محسنَةٌ فَهيلي)، كما استدل على جواز تأنيث (الضلع)، بالمثل: (إنكم علي ضلع جائِرة) [9]. يقول " ويقـال إذا كـان القـوم

---

[1] سعيد جاسم الزبيدي : القياس في النحو العربي نشأته وتطوره 132.

[2] المصدر السابق 129.

[3] الميداني: مجمع الأمثال 369/1.

[4] الفراء : المقصور والممدود 36.

[5] الميداني : مجمع الأمثال. ونصه : (شَر ما يجيئك إلى مخة عرقُوبٍ).

[6] الفراء : معاني القرآن 164/2.

[7] الميداني : مجمع الأمثال 284/2.

[8] الفراء : معاني القرآن 402/2.

[9] الميداني : مجمع الأمثال 467/2. ونصه : (هو علَيه ضلَع جائِرةٌ).

يميلون على الرجل: (إنّكم علي ضلع جائِرةٌ)[1]. مما يشير أنه يأتي بالأمثال لدعم الأصول التي يستنبطها، أو لقياس ظواهر لغوية ونحوية على لغتها.

مما تقدم يتضح لنا موقف الفراء من كلام العرب، ويبدو موقفه منه شبيها بموقفـه مـن القرآن الكريم، إذ يعتمد عليه في استنباط القواعد والأحكام، ووضع الأصول، وهـو فـي ذلـك صاحب منهج يميزه عن غيره من العلماء، ويقف في أحيان كثيرة ليرد بعض ما سـمعه عـن العرب لأنه شاذ، أو لا يطرد في العربية، وهو بذلك ينفي تهمة أُلحقت بعلماء المدرسة الكوفيـة تتمثل في أنهم يقبلون كل ما سمع عن العرب ولا يخطئونه، وهو بذلك شبيه بعلمـاء المدرسـة البصرية الذين يقبلون بعض المسموع، ويرفضون بعضه .

---

(1) الفراء : المذكر والمؤنث 79.

4- الشـــعـر

أولى علماء اللغة والنحو الشعر عناية فائقة؛ ذلك أنه الجزء المكمل للمنثور من كلامهـم الذي تندرج تحته الأمثال، ولغة الحوار اليومي، والأقوال المأثورة التي استعانوا بهـا لمناقشـة القضايا اللغوية كما أسلفنا القول. في حين يشمل الشعر الكلام الموزون المقفـى، وقـد كانـت الأشعار التي اتسم قائلوها بفصاحة اللسان وبلاغة المنطق موضع احتجاج اللغويين لبناء القواعد النحوية والصرفية، ومن أجل ذلك، ذهبوا إلى البوادي؛ لسماع لغة الإعراب وتدوينها من أبنائها، كما وضعوا ضوابط من شأنها أن تحدد الأعراب الذين عنهم تؤخذ اللغة، وبكلامهم يحتج، وكان ضابطهم في ذلك البعد عن الاختلاط بالحواضر الإسلامية، ثم الإيغال في البادية، كمـا قسـموا الشعراء إلى طبقات من حيث درجة الاحتجاج.

وقد استأثر الشعر باهتمام اللغويين والنحاة؛ لأسباب معروفة تتلخص في سـهولة نقلـه، ويسر تذكره، وأن احتمال التغيير والتبديل فيه أقل من احتماله في النثر، كما جعلوا الشعر شاهداً على صحة ما جاء في القرآن الكريم من ظواهر لغوية ونحوية، وفي كثير من الأحيـان كـانوا يبنون قواعدهم على الشعر وحده، حتى بلغ بابن نباتة القول :"من فضل النظم أن الشـواهد لا توجد إلا فيه، والحجج لا تؤخذ إلا منه، أعني أن العلماء والفقهاء والنحويين واللغويين يقولون : قال الشاعر، و (هذا كثير في الشعر)، و (الشعر قد أتى به)، فعلى هذا الشـاعر هـو صـاحب الحجة والشعر هو الحجة" [(1)]؛ لذلك فإن الشواهد الشعرية في بعض كتب النحو المتقدمة تفـوق الشواهد الأخرى علماً أن الاعتماد على الشعر وحده في إثبات القواعد اللغوية أسلوب خاطئ إلى حد كبير، يقول مهدي المخزومي: "مع أن الاقتصار على الشعر وحده خطوة متعثرة في إثبـات

[(1)] التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة 136/2.

أسلوب عربي، فللشعر لغته الخاصة به التي اقتضاها الأسلوب الشعري الذي يخضـع لأحكـام الوزن والقافية خضوعاً واضحاً، فليس كل ما يجوز في الشعر جائز فـي النثـر" [1]. علـى أن علماء النحو القدماء قد استشهدوا بالشعر الجاهلي والإسلامي، وتجاوزوا ذلك، فاستشهدوا بشعر كثير من المحدثين الذين يقال لهم: المووَلدون، ولم يلزموا أنفسهم طبقات الاستشهاد التي فصـل البغدادي القول فيها في خزانته[2]. وقد كانت لهم مواقف متباينة يتنازعها أمران همـا: المكـان والزمان، فالمكان حصروه بالبادية، نجد وتهامة والحجاز وأطرافها. أما الزمان فقد كان الموقف منه مضطرباً، فلم يحددوه، وقيل إن إبراهيم بن هرمة آخر من يحتج به، على خلاف المكان [3].

وعليه فإن الشواهد الشعرية عند الفراء هي المصادر نفسها التي اعتمد عليها البصريون في مؤلفاتهم، فكان ينقل هذه الشواهد عن الأعراب بطريقين: طريق شيوخه كالكسائي، ويـونس بن حبيب، وأبي البلاد النحوي، والمفضل، وطريق الفصحاء من العرب كأبي ثـروان العكلـي، وأبي الجراح العقيلي، وأبي زياد الكلابي، وأبي قَقْعس الأسدي. وقد ساعدته رحلاته التي أشرنا إليها سابقاً على أن يلتقي هؤلاء وغيرهم ويشافههم. غير أنه في بعض الأحيان يحـتج دون أن يشير إلى الراوي أو الشاعر الذي قال البيت موضع الاحتجاج، كما هو عليه الحال في قولـه :" ونحويو أهل المدينة ينشدون" [4]. كما أن الفراء قد التفت إلى مصدر ربما لم يتهيأ لمن سبقه من النحاة الاستفادة منه، يتمثل في مؤلفات العلماء، فقد استفاد من الأشعار الواردة في كتابي (معاني

---

[1] مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة 335.

[2] البغدادي : ينظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية 3/1، 4.

[3] سعيد جاسم الزبيدي : القياس في النحو العربي نشأته وتطوره 106.

[4] الفراء : معاني القرآن 81/2.

القرآن) لكل من الأخفش والكسائي، وربما تكون الروايات قد أغفلت اطلاعه على كتب أخرى لكن المتوافر لدينا "أن كتاب سيبويه وجد تحت وسادة الفراء التي كان يجلس عليها"[1].

ويظهر أنه استشهد بأشعار كثير من الشعراء الجاهليين، والمخضرمين، والإسلاميين، والأمويين، والمولدين ممن ضعف روايتهم علماء اللغة، دون تمييز بين طبقة وأخرى، وأبرز الشعراء الذين احتج بشعرهم، وكانت ترد أسماؤهم في الغالب قبل الشاهد الشعري مثل: الكميت[2]، والأعشى[3]، والفرزدق[4]، وامرؤ القيس[5]، والحطيئة[6]، وحسان بن ثابت[7]، وحميد وحميد بن ثور الهلالي[8]، ولبيد[9]، والحارث بن حلزة [10]، وعبيد بن الأبرص[11]، ومالك بن أبي كعب[12]، وأبو ذؤيب الهذلي[13]، ومسكين الدارمي[14]، وعنترة[15]، وعبد الله بن الزبعرى[16]، وذو الرمة [17]، ومتمم بن نويرة[18]، وكثير عزة[19]، وعبيد الله بن قيس

---

(1) الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين 71، 72.

(2) الفراء : معاني القرآن 244/1.

(3) المصدر السابق 162/1.

(4) المصدر السابق 245/1.

(5) المصدر السابق 413/2.

(6) المصدر السابق 16/2.

(7) المصدر السابق 315/2.

(8) المصدر السابق 266/2.

(9) المصدر السابق 282/2.

(10) المصدر السابق 282/2.

(11) المصدر السابق 237/2.

(12) المصدر السابق 212/2.

(13) المصدر السابق 93/2.

(14) المصدر السابق 86/2.

(15) المصدر السابق 387/1.

(16) المصدر السابق 473/1.

(17) المصدر السابق 281/3.

(18) المصدر السابق 218/3.

(19) المصدر السابق 246/3.

الرقيات[1]، وزهير ابن أبي سلمى المزني[2]، وعدي بن زيد[3]، وأوس بن حجر[4]، وطرفة بـن بن العبد[5]، ودريد بن الصمة[6]، إلى غير ذلك من الشعراء الذين ذكرهم الفراء في كتبه، وهـم كثر، ويظهر منها أنه استشهد بأشعار الشعراء الذين ضعفهم علماء اللغة كالأصمعي والمفضـل الضبي، وهو في ذلك لا يعد متساهلاً إلى الحد الذي يصوره علماء المدرسـة البصـرية، فقـد استشهد سيبويه من قبله بأشعارهم، وقد أشار إلى ذلك سعيد جاسم الزبيدي، بقوله: "بلـغ عـدد شواهده (أي سيبويه) خمسين وألفاً لشعراء جاهليين ومخضرمين وإسلاميين وأمويين وعباسيين، واحتج بلغة شعراء ضعفهم بعض اللغويين كالأصمعي والضبي، فاحتج بشعر الكميت أكثر مـن مرة، وبشعر الطرماح وذي الرمة، وشعراء الحيرة"[7].

أما إذا لم يذكر اسم الشاعر فإنه يكتفي بذكر قبيلته، كما الحال في قوله :"أنشدني بعـض بني أسد " [8]، و "أنشدني بعض بني كلاب"[9]، و "أنشدني بعض بني باهلـة" [10]، و "أنشـدتني إمرأة عقيلية فصيحة " [11] و "أنشدني الأنْفي من بني أنف الناقة من بني سعد" [12]، و "أنشـدني بعـض بنـي عقيل" [13]، وأنشـدني بعـض بنـي دبيـر وهـم فصـحاء بنـي

[1] الفراء : معاني القرآن 300/3.
[2] المصدر السابق 27/1.
[3] المصدر السابق 37/1.
[4] المصدر السابق 101/2.
[5] المصدر السابق 128/2.
[6] المصدر السابق 85/3.
[7] سعيد جاسم الزبيدي: القياس في النحو العربي نشأته وتطوره 107، 108.
[8] الفراء : معاني القرآن 17/2.
[9] المصدر السابق 9/2.
[10] المصدر السابق 22/2.
[11] المصدر السابق131/2.
[12] المصدر السابق 262/1.
[13] المصدر السابق 383/2.

أسد" [1]، و"أنشدني بعض بني عامر" [2]، و "أنشدني بعض بني فَقْعس" [3]، و "أنشدني الكسـائي الكسائي عن بعض بني سليم"[4]، و "قال بعض بني عبس" [5]، و "أنشدني بعض بني حنيفَة " [6]، [6]، إلى غير ذلك من القبائل التي يذكرها في أثناء احتجاجه من هذا المصدر أو ذاك، وفي كثير كثير من المواطن لا يذكر اسم الشاهد، ولا القبيلة التي تنسب إليها الأشعار، ولكنه يكتفي بنسـبة الأشعار إلى العرب، كأن يقول: " أنشدني بعض العرب"[7]، أو "أنشدني بعضهم" [8]، أو "ومثلـه من كلام العرب قول الشاعر" [9]، أو "قال بعضهم"[10]، أو "وسمعت العـرب تنشـد" [11]. وقـد يكتفي بأن يقول :"قال الشاعر" [12]، أو "قال بعض الشعراء"[13]، أو "وقال الآخر" [14]. إلى غير ذلك من العبارات التي يقدم بها الفراء الشواهد الشعرية، وهذه العبارات وغيرها تدل على مـدى حرصه على توثيق الكلام واتساقه مع ما قالته العرب، كما أنها تدل على إحاطته بلغات العرب.

وبالرغم من غنى كتبه بالشواهد الشعرية فإنه لم يقل الشعر كغيره مـن علمـاء اللغـة الكوفيين، ويروي أحمد بن يحيى ثعلب ذلك، فيقول : قال سلمة: "ولم يبلغنـي أن الكسـائي ولا

---

(1) الفراء: معاني القرآن 2/ 311.

(2) المصدر السابق170/1.

(3) المصدر السابق 171/1.

(4) المصدر السابق 174/1.

(5) المصدر السابق 161/1.

(6) المصدر السابق 161/1.

(7) المصدر السابق 255/2.

(8) المصدر السابق 233/2.

(9) المصدر السابق 208/1.

(10) المصدر السابق 208/1.

(11) المصدر السابق 121/3.

(12) المصدر السابق 232/1.

(13) المصدر السابق 297/2.

(14) المصدر السابق 230/2.

الفراء قالا شعراً قط. وكان الأحمر يقرض الشعر وله أبيات "[1]. وينص في أثنـاء استشـهاده بالشعر أن القرآن الكريم أعرب، وأقوى حجة بقوله :"والكتاب أعرب وأقوى فـي الحجـة مـن الشعر" [2]، وقوله: "وقال ا تبارك وتعالى وهو أصدق من قول الشـاعر"[3]، وقولـه :"اتبـاع المصحف إذا وجدت له وجهاً من كلام العرب وقراءة القراء أحب إلي من خلافه"[4].

ومع أن كمية الاستشهاد من هذا المصدر لم تصل إلى الحد الذي وصل إليه الاحتجـاج من القرآن الكريم، وكلام العرب إلا أنه يأتي بالشواهد الشعرية في كثير من الأحيان؛ لتأصـيل القواعد، وتقرير الأحكام اللغوية، ولا عجب أن تكون شواهده موضعاً لبنـاء القواعـد النحويـة والصرفية، على نحو استشهاده على جواز إثبات الواو مع الندبة وفي الوقف، والكسر مع الحذف أيضاً، يقول الكنغراوي : "وإذا كان آخر اللفظ ألفاً، جاز قلبه ياء مع الحذف أيضـاً، والمنـون يجوز إبقاء تنوينه وفتحه أو كسره، وجوز الفراء الكسر مع الحذف أيضـاً، تقـول : وازيـداه، وازيدناه، ووازيدنيه، و وازيديه، و واقام الرجلاه، و واقام الرجلوه، و واعبد الملكاه، و واعبـد الملكيه، و واموساه، و واموسياه، و وازيدنيه، و وازيدوناه، و وامن حفر بئر زمزماه، ولا يجوز إثبات هذا الواو إلا في الوقف خلافاً للفراء، مستدلاً بقوله :

(الهزج)

ألا يا عمرو عمرواه وعمر بن الزبيراه" [5]

كما عد هو وغيره من الكوفيين صيغة (أفعل) في التعجب اسماً لمجيئـه مصـغراً فـي الشعر، وفي ذلك يقول الكنغراوي :"ذهب الكوفيون إلى أن (أفعل) في التعجب اسم، نحو : "مـا

(1) الزبيدي : طبقات اللغويين والنحويين 128.

(2) الفراء : معاني القرآن 14/1.

(3) المصدر السابق 7/2.

(4) المصدر السابق 293/2.

(5) الكنغراوي : الموفي في النحو الكوفي 69، 70.

أحسن زيداً" وذهب البصريون إلى أنه فعل ماض، وإليه ذهب الشيخ أبو الحسن علي بن حمـزة الكسائي من الكوفيين، وقال بقية الكوفيين، اسم لمجيئه مصغراً في قوله :

(البسيط)

يا ما أُميلح غزلاناً شدن لنا   من هؤليائكن الضال والسمرِ [1]

وما ذهب إليه في أيادي سبا من أن أيادي أصلها الهمز، ولم يجروه، كما هو واضح في قوله: "قالت العرب أيدي سبا وأيادي سبا وأصله الهمز ولم يجروه وكُتـب بـالألف لأن أصـله الهمز قال الشاعر العجاج :

(الرجز)

من صادرٍ أو وارِدٍ أيدي سبا

فلم يهمز ولم يجر، وأنشدني بعضهم :

(الطويل)

أيادي سبا يا عزما كُنتُ بعدكُم   فلم يحلُ بالعينين بعدك منْظَر [2]

ويبدو أن قلة احتجاج علماء اللغة والنحويين من الشعر بالقياس إلى المنثور مـن كـلام العرب والقرآن الكريم مردها فيما يقول ابن رشيق إلى "أن المنثور في كلامهم أكثر، وأقل جيداً ومحفوظاً وأن الشعر أقل وأكثر جيداً محفوظاً لأن في أدناه من زينة الوزن والقافية ما يقارب به جيد المنثور" [3]، فقلة الشعر بالقياس إلى المنثور هي السبب، على الرغم مما يتمتع به الشـعر من ميزات تجعله أفضل من المنثور من كلام العرب.

---

[1] الكنغراوي : الموفي في النحو الكوفي 58.

[2] الفراء : المنقوص والممدود 36.

[3] القيرواني: العمدة في صناعة الشعر ونقده 5/1.

ويلجأ في أحيان كثيرة إلى الاحتجاج من الشعر على ما هو خارج عن القاعدة، أو الحكم الذي يقرره، ويبدو ذلك في قوله : "فكلما جاءك ألف مضموماً أوله فهو ممدود، إلا ثلاثة أحرف نوادر من ذلك الأربى وهي الداهية، والأدمى موضع، وشُعبى اسم بلدة قال الشاعر[1]:

(الوافر)

أَعبداً حلّ في شُعبى غَريباً ألُؤْماً لا أَباك واغْترابا [2]

وقوله: "والمواضع كلها التي يسميها النحويون (الظروف، والصفات، والمحالّ)، فهـي ذكران إلا ما رأيت فيه شئياً يدل على التأنيث إلا أنهم يؤنثـون : (أمـام) و (قُـدام) و (وراء)؛ فيقولون : "فلان وريئة الحائط"، على وزن (وريقَة)، فيدخلون في تحقيرها الهاء، فذلك دليل على تأنيثها . وكذلك (قدام) (قُديديمة، وقُديديم). قال الشاعر [3]:

(الطويل)

قُديديمةَ التجريبِ والحلمِ إنني أرى غَفَلات العيشِ قَبلَ التجاربِ [4]

وكغيره من العلماء يستشهد بأبيات مجهولة القائل، ويشير إلى عدم معرفة قائلهـا، وقـد كان ذلك سبباً دفع البصريين إلى أن يوجهوا الانتقادات له ولغيره مـن الكـوفيين، لا سـيما أن اللغويين قرروا أنه لا يجوز الاحتجاج بشعر أو نثر لا يعرف قائله، فقد اشـترط النحـاة فـي المأخوذ عنه الفصاحة، وأن يكون معروفاً؛ لئلا يكون الشاعر المحتج بكلامه غير فصيح فنبنـي على كلامه. ومع أن البصريين وجهوا الانتقادات المتتالية للكوفيين إلا أنهـم احتجـوا بأشـعار

---

[1] البيت لجرير. ينظر محمد إسماعيل عبد ا الصاوي : شرح ديوان جرير 62/1.

[2] الفراء : المنقوص والممدود 14.

[3] البيت للقطامي وردت نسبته في معجم مقاييس اللغة لابن فارس. أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة 65/5. وينسـبه الزمخشري في أساس البلاغة إلى علقمة الفحل. الزمخشري: أساس البلاغة 648.

[4] الفراء : المذكر والمؤنث 109.

مجهولة القائل ويكفي أن نشير إلى أن دستورهم الخالد في النحو (الكتاب) لسيبويه قد وردت فيه أبيات مجهولة القائل ويعتذرون عن ذلك عادة بأن المصادر التي وصلت بها هـذه الأبيـات لا يرقى إليها أدنى شك أو تجريح، على أن ابن الأنباري كان يرد على الكوفيين في أكثر من مسألة بأن البيت لا يعرف قائله ولا يؤخذ به، فلا يكون فيه حجة[1]، وفي ذلـك يقـول سـعيد جاسـم الزبيدي :"أما الأبيات المجهولة فأمرها لا يختلف عن الأبيات التي وردت منسوبة إلى قائليهـا لأن مصدرها شيوخه والرواة الثقات ولكنها تبقى عرضة للشك والتجريح وتنافي ما شـاع عـن تشدد البصريين في أمر السماع فتبني قاعدة على بيت شعر مجهول وقد كانت حجة ابن الأنباري في الرد على الكوفيين في أكثر من مسألة أن البيت[2] "لا يعرف قائله؛ فلا يكون فيه حجـة"[3]. وما هو موجود في كتب الفراء من أبيات مجهولة القائل شيء متوقع لأن له نظائر فـي كتـب النحاة خصوصاً في كتاب سيبويه[4]، كما أنه لو صح ما قيل من عدم جواز الاحتجاج لسقط مـا يزيد عن خمسين بيتاً من كتاب سيبويه[5]، ولسقط مثل هذا العدد أو أكثر من شـواهد الفـراء، وأمثلة استشهاده بأبيات مجهولة القائل كثيرة نكتفي بذكر بعض منها :-

(الوافر)

1- قول الشاعر [6]:

---

[1] ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين 80.
[2] سعيد جاسم الزبيدي : القياس في النحو العربي نشأته وتطوره 114، 115.
[3] ابن الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 80.
[4] سعيد جاسم الزبيدي : القياس في النحو العربي نشأته وتطوره 112، 113.
[5] ينظر السيوطي : الاقتراح في علم أصول النحو 71.
[6] ورد هذا البيت بدون نسبة في معجم مقاييس اللغة 495/2.

فَلا يرمى بي الرجوان إنّي أقلّ القوم من يغني مكاني

حيث احتج به على أن الرجاء مقصور يكتب بالألف، لأنه من الواو، ويثنى بالواو أيضاً وهو الناحية[1].

2- قول الشاعر [2]:

(الطويل)

وإن لُقاها في المنام وغَيره وإن لم تَجد بالبذل عندي لرايح

الشاهد فيه: أن اللقاء إذا كسر أوله مد، وإذا ضم أوله قصر [3].

3- قول الشاعر [4]:

(الوافر)

بِقدرِ يأخُذُ الأعضاء تما بحلْقَته ويلْتَهم القَقَارا

الشاهد فيه: أن بعض قيس يذكر (القدر) وهي أنثى، وتحقيرها (قديرة) [5].

قول الشاعر [6]:

(الرجز)

تخط لام ألف موصول والزاي والرا أيما تهليل

الشاهد فيه: جواز تذكير حروف المعجم في الشعر دون الكلام المنثور[7].

---

(1) الفراء : المقصور والممدود 16، 17.

(2) ورد هذا البيت في اللسان مادة (لقا) دون نسبة 388/3.

(3) الفراء : المقصور والممدود 33.

(4) ورد هذا البيت في المخصص لابن سيدهبدون نسبة. ابن سيده: المخصص 16/17.

(5) الفراء : المذكر والمؤنث 82.

(6) ورد هذا البيت دون نسبة في اللسان. مادة (هلل) 823/3.

(7) الفراء : المذكر والمؤنث 111، 112.

ومع استشهاده بهذا النوع من الأبيات إلا أن ذلك لا يغير ما ذهبنا إليه مـن أن موقفـه منها مشابه إلى حد كبير لموقف سيبويه، كما أن فتحه لباب السماع أدى به إلى أن يضيف آراء في اللغة كانت في بعض الأحيان قد فاقت آراء البصريين جودة وإتقاناً .

ويحتج في بعض الأحيان بما يعد ضرورة؛ ذلك أن الشعر يخضع لأحكـام فنيـة، قـد تخرجه أحياناً عن القياس اللغوي الشائع فيما يسمى بالضرورات، مما يؤدي به أن يصبح غيـر دقيق في رصد الظواهر اللغوية ومن ثم القياس عليها وبناء القواعد الثابتة، مما دفع كثيراً مـن الباحثين إلى القول بضرورة إبعاد الشعر الذي تنطبق عليه أحكـام الضـرورات عـن دائـرة الاحتجاج، لكن الرأي الأرجح – من وجهة نظرنا يتمثل فيما قاله أبو علي الفارسي: "كما جـاز لنا أن نقيس منثورنا على منثورهم، كذلك يجوز أن نقيس شعرنا على شـعرهم، فمـا أجازتـه الضرورة لهم أجازته لنا، وما لا فلا"[1]، ويروي السيوطي عن ابن جني قوله: "فإن قيل : هـلا امتنع متابعتهم في الضرورة من حيث كان القوم لا يترسلون في عمل أشعارهم ترسل المولدين، وإنما كان ارتجالاً. فضرورتهم إذن أقوى من ضرورتنا، فينبغي أن يكون عذرهم فيه أوسع" [2]، مما سبق تلاحظ أن علماء اللغة يجيزون الاحتجاج بالضرورات، ومن أبرز المواطن التي احتج بها الفراء، ما جاء في جواز قصر الممدود، ومد المقصور للضرورة الشعرية، كما الحال فـي قوله: "وأما قول الشاعر :

(الوافر)

---

(1) السيوطي : الاقتراح في علم أصول النحو 98.

(2) المصدر السابق 98.

سيغنيني الّذي أَغْناك عنّي   فَلا فَقْر يدوم ولا غناء [1]

فإنه إنما احتاج إليه في الشّعر فمده .

وكذلك قوله :

(مشطور الرجز)

قَد علمتْ أُم بني السعلاء   وعلمتْ ذاك مع الجراء

أَن نعم مأكولاً على الخَواء [2] .

فمد جميع هذه الحروف وهي مقصورة لضرورة الشعر.

وكذلك قوله :

(الرجز)

قَد كحلَتْ عيني بملمول السهر   لا بد من صنعا وإن طالَ السفَر

نقصها حين احتاج إلى ذلك لضرورة الشعر وهي ممدودة والصنعاء الغالب عليه المـد ويقصر بالياء وهو الرماد[3]. وقد اختلف البصريون والكوفيون في هذه المسألة، فأجازوا قصـر الممدود اضطرراً، في حين رفض البصريون عكس ذلك، وفي ذلك يقول ابن مالـك موضـحاً لكلام ابن عقيل :"

(الرجز)

---

[1] ورد هذا البيت في اللسان دون نسبة، (مادة غنا). وموضع الاحتجاج في اللسان أن الغنى، مقصور ضد الفقر، فإذا فتح مد 1024/2.

[2] ورد هذا الشعر في الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 109.

[3] الفراء : المقصور والممدود 44-46.

وقَصر ذي المد اضطراراً مجمع عليه، والعكْس بخُلْف يقَع

"لا خلاف بين البصريين والكوفيين في جواز قصر الممدود للضرورة. واختلـف فـي جواز مد المقصور؛ فذهب البصريون إلى المنع، وذهب الكوفيون إلى الجواز" [1].

كما أجاز هو وغيره من الكوفيين ترك صرف ما ينصرف في ضرورة الشـعر، كمـا ذهب إلى ذلك أبو علي الفارسي، وأبو القاسم بن برهان من البصريين، في حين ذهب البصريون إلى عدم جواز ذلك، واحتج الكوفيون بقول الشاعر :-

(الكامل)

طَلَب الأزارِقَ بالْكَتَائِبِ إذْ هوتْ بِشَبِيب غَائِلَةُ النفُوس غَدور [2]

وربما يكون رأي الكوفيين هذا للفراء في الأصل؛ لأنه قد أورد ذلك في معاني القـرآن حين تعرض لتفسير قوله تعالى : (تُسمى سلْسبيلاً) [3]وكما قال : (سلا سلا) و (قواريرا) بالألف، فأجروا ما لا يجري، وليس بخطأ، لأن العرب تجري مالا يجري في الشعر، فلو كان خطأ مـا أدخلوه في أشعارهم، قال متمم بن نويرة : (الطويل)

فَما وجد أظْآرٍ ثلاث روائمٍ رأَين مجراً من حوارٍ ومصرعاً [4]

فأجرى روائم، وهو مما لا يجري فيما لا أحصـيه مـن أشـعارهم "[5]. كمـا احـتج بالضرورات على تحريك الباء في (عبد) للوزن، والأصل فيها السكون. يقول: "وأما قوله (وعبد

---

[1] ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك 102/4.

[2] البيت للأخطل، ورد ذكره عند ابن الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 70.

[3] آية 18 سورة الإنسان.

[4] ورد هذا البيت في المفضليات ومعنى البيت ما وجد نوق ثلاث عطفْن على ولد غفلن عنه، فافترسه السبع، فلما تذكرنه وطلبنه رأينه متمزقاً مصروعاً. التبريزي: شرح المفضليات 966/2، 967.

[5] الفراء : معاني القرآن 218/3، 219. الاسم المجرى : هو الاسم المصروف، و ما لا يجرى هـو : الممنـوع مـن الصرف.

الطاغوت) [1] فإن تكن فيه مثل حذر وحذُر وعجل فهو وجه، وإلا فإنه أراد – وا أعلم قـول الشاعر :

(الكامل)

أبني لُبينَى إن أمكُم   أمةٌ وإن أباكم عبد

وهذا في الشعر يجوز لضرورة القوافي، فأما في القراءة فلا "[2].

ويحتج الفراء كغيره من الكوفيين بالشاذ من الشعر – من وجهـة نظـر البصـريين – لإثبات قاعدة، أو تدعيم أصل من الأصول، أو تقرير حكم من الأحكام، بالرغم من مخالفته فـي ذلك للمقولة الشائعة في كتب اللغة أنه : "إذا تعارض ارتكاب شاذ ولغة ضعيفة، فارتكاب اللغـة الضعيفة أولى من الشاذ "[3]، والأمثلة، التي استشهد فيها بالشاذ من الشعر كثيرة مثال ذلـك مـا قاله في أثناء الحديث عن أن معونَة ومكْرمة تجمعان على معون ومكْرم "فأما قول الشاعر :

(الرجز)

ليوم روعٍ أو فَعال مكْرمِ [4]

فإنه جمع مكْرمة ومكْرم . ومثله قول الآخر :

(الطويل)

بثين الْزمي لا إنّه إن لزمته   على كثْرة الْواشين أي معونِ [5]

---

(1) آية 60 سورة المائدة .

(2) الفراء : معاني القرآن 314/1، 315.

(3) السيوطي : الاقتراح في علم أصول النحو 187.

(4) نسبه البغدادي لأبي الأخزر الحماني، و "هو راجز إسلامي، اسمه قتيبة، والأخزر بالخاء والزاي المعجمتي، وآخـره راء مهملة، والحماني منسوب إلى حمان بكسر المهملة وتشديد الميم. ينظر البغدادي: شرح شواهد شافية ابـن الحاجـب 69/4، 70.

(5) هذا البيت لجميل، وردت نسبته في شرح شواهد الشافية 68/4.

أراد جمع معونة، وكان الكسائي يقول : هما مفعل نادران لا يقاس عليهما" [(1)]، كما استشهد بالضرورات هو وغيره من الكوفيين على جواز بناء صيغ التعجب وأفعل التفضيل من خصوص البياض والسواد، يقول ابن الأنباري : "وجوزوا صوغ (ما أفعله) في التعجب من البياض والسواد خاصة، محتجين بقول الشاعر :

(البسيط)

إذَا الرجالُ شَتَوا واشْتَدَ أَكْلُهم   فَأَنْتَ أبيضهم سربالَ طَبّاخِ [(2)]

وقول الشاعر :

(الرجز)

جاريةٌ في درعها الفَضفَاضِ   تُقَطع الْحديثَ بالإيماضِ [(3)]

ووجه الاحتجاج في البيت الأول أنه قال :"أبيضهم)، وإذا جاز ذلك في (أفعلهم) جاز في (ما أفْعلَه)، و(أفْعلْ به)، كما هو الحال في (أبيض من) من البيت المضمن للاقتباس التالي؛ لأنهما بمنزلة واحدة في هذا الباب[(4)]. وقد عقب ابن السراج على استشهاد الكوفيين بهذا النوع من الأشعار، بقوله : "فإن قيل: قد أنشد بعض الناس:

(الرجز)

يا لَيتَني مثلُك في البياضِ   أبيض من أُخْت بني أباضِ [(5)]

[(1)] الفراء : معاني القرآن 151/2، 152.

[(2)] البيت لطرفة بن العبد، وروايته في الديوان: أما الملوك فأنتَ اليوم ألأمهم   لؤما و أبيضهم سربالَ طَبّاخِ.
ينظر طرفة بن العبد: الديوان 66.

[(3)] البيت لرؤبة بن العجاج، ينظر اللسان مادة (بيض) 295/1.

[(4)] ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 16.

[(5)] ورد هذا البيت في الإنصاف منسوباً لرؤبة بن العجاج ينظر ابن الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 16.

فالجواب: إن هذا معمول على فساد، وليس البيت الشاذ، والكلام المحفوظ إسـناد حجـةً على الأصل المجتمع عليه في كلام ولا نحو ولا فقه، وإنما يركن إلى هذا ضعفَةُ أهل النحو ومن لا حجة معه " [1].

ومما هو جدير ذكره أن الأشعار الشاذة في كتبه لم تكن من الكثرة بحيث نطلق عليه أنه يستشهد بأبيات شاذة، ويقيس عليها فأفسد بذلك النحو؛ ذلك إن إطلاق أحكام عامة كهـذا الحكـم يقلل من قيمة الأشعار الأخرى والتي احتوتها كتبه التي تعد بالآلاف -أي الأبيات الشعرية-.

ولا يكتفي لإثبات الحكم ، وتأصيل القاعدة، وبنائها على الشعر وحده، بل يجمع لأجـل ذلك غير مصدر من مصادر الاحتجاج اللغوي؛ ذلك أن "الاعتماد في تقعيد القواعـد، ووضـع الأصول على الشعر وحده، كان مما أدى إلى اضطراب النحاة في بعض أحكامهم، وممـا فـتح الباب أمام البصريين- ولا يعني هذا أن أساليب الكوفيين خلصت من هذا – فـي الـرد علـى الكوفيين لحمل ما تمسك به الكوفيون على الضرورة، كما تردد ذلك كثيـراً فـي أجوبـة أبـي البركات بن الأنباري عن كلمات الكوفيين في كتابه الإنصاف"[2]، وأمثلـة احتجاجـه بمصـادر أخرى غير الشعر كثيرة منها قوله: والرجاء على وجهين: الواحد من قـول الله عـز وجـل: (والملَكُ علَى أَرجائِها) [3]، مقصور يكتب بالألف لأنه من الواو ويثنى بالواو أيضاً وهو الناحية.

قال الشاعر[4] :

(الوافر)

فَلا يرمى بي الرجوانِ إنّي أقَل القَومِ، من يغني مكاني؟ [5]

---

[1] السيوطي : الإقتراح في علم أصول النحو 74، 75.

[2] مهدي المخزومي : مدرسة الكوفة 335.

[3] آية 17 سورة الحاقة.

[4] وردت نسبة البيت صفحة 139.

[5] الفراء : المقصور والممدود 16، 17.

فقد استشهد بالقرآن الكريم والشعر لإثبات أن الرجاء مقصوراً يكتب بالألف؛ لأنه مـن الواو، ويثنى بالواو. ومما هو شبيه بذلك احتجاجه بكلام العرب والشعر والقرآن الكريم على أن (الزوج) يقع على المرأة والرجل، وفي ذلك يقول :"الزوج يقع على المرأة والرجل. هـذا قـول أهل الحجاز؛ قال ا عزوجل (أمسك عليك زوجك) [1]. وأهل نجد يقولون : (زوجة) وهو أكثر من (زوج)، والأول أفصح عند العلماء. قال الشاعر :

(الطويل)

إن الذي يمشي يحرشُ زوجتي كماشٍ إلى أُسد الشرى يستثيرها [2]

روى أبو عبد ا [3] : (إلى أُسد الشرى يستَبيلُها)؛ فمن قال: (زوجة) قال فـي الجمـع (زوجات)، ومن قال (زوج) قال في الجمع: (أزواج) قال ا عزوجل: (قُلْ لأزواجِك وبنَاتك)[4].

قال: أنشدني أبو الجراح [5]:

(البسيط)

يا صاح بلغْ ذَوي الزوجات كلهم أن ليس وصلٌ إذا انحلتْ عرى الذنَبِ [6]

ولا يعني جمعه لأكثر من مصدر من مصادر الاحتجاج، عدم وجود مواطن يحتج فيهـا الفراء بالشعر وحده، دون غيره من المصادر، ففي كتبه كثير من القضايا التي ناقشها بالاعتماد على الشعر وحده، ويبدو ذلك في قوله: (والموسى) أنثى: أنشدني المفضل :

---

(1) آية 37 سورة الأحزاب.

(2) البيت للفرزدق، ينظر : اللسان مادة (زوج) 61/2

(3) هو محمد بن الجهم السمري.

(4) آية 59 سورة الأحزاب.

(5) البيت لأبي الغريب الأعرابي في معاني القرآن 75/2، ولسان العرب مادة (زوج) 61/2.

(6) الفراء: المذكر والمؤنث 95.

(الطويل)

إِذا أنتَ أعطيتَ ابن أسود حقّه   فقام يموسى فوقَ أنفك جادع

عمانية أو ذات خَلْقَين غَربـة   مذَربة قد أرهفَتها الوقَائِـع [1]

وقوله : "والغَوى أن يشرب الفصيل حتى يتخثر، يكتب بالياء.

وأنشد[2] :

(الطويل)

معطفَةُ الأثناء لَيس فَصيلُها   برازِئها دراً ولا ميت غَوى [3]

والفراء، في بعض الأحيان، يورد الأبيات الشعرية التي يحتج بها بأكثر من رواية، كما هو واضح في الشاهد التالي :-

(الطويل)

وإن الذي يمشي يحرشُ زوجتي   كماشٍ إلى ُأسد الشرى يستثيرها [4]

أشار إلى أن أبا عبد ا محمد بن الجهم السمري قد رواه (إلى ُأسد الشرى يسـتَبِيلُها)[5]

وقد يؤدي اختلاف الرواية في الشاهد الواحد إلى اختلاف القياس، كما هو الحال فيما قاسه، هـو وغيره من الكوفيين "على إعمال أن مع الحذف بلا عوض بقول الشاعر :

(1) الفراء : المذكر والمؤنث 86.

(2) ورد هذا البيت في اللسان : مادة (غوي) 1032/2.

(3) الفراء : المقصور والممدود 56.

(4) وردت نسبة البيت في الصفحة السابقة.

(5) الفراء : المذكر والمؤنث 95.

(الطويل)

أَلا أَيهذا الزاجِري أحضر الوغى *

فيقول له البصري: قد روي (أحضر) بالرفع أيضاً. فاختلاف الرواية- كما هو واضح- أدى إلى اختلاف القياس.

كما أنه يكثر من الاستشهاد بالشعر لبيان صحة قراءة من القراءات، كما هو الحال فـي قوله تعالى: (وقَالَ اركبوا فيها بِسمِ اللّه مجرِيها ومرسـيها)[1] .... وقـرأ مجاهـد (مجريهـا ومرسيها) يجعله من صفات ا عزوجل، فيكون في موضع خفض في الإعراب لأنه معرفـة. ويكون نصباً لأن مثله قد يكون نكرة لحسن الألف واللام فيهما؛ ألا ترى أنك تقول في الكـلام: بسم اللّه المجريها والمرسيها. فإذا نزعت منه الألف واللام نصبته: ويدلّك على نكرتـه قولـه: (هذَا عارِض ممطرنَا)[2] وقوله: (فَلَما رأَوه عارِضاً مستَقْبِلَ أَوديتهِم)[2] فأضافوه إلى معرفـة، وجعلوه نعتاً لنكرة. وقال الشاعر :

(البسيط)

يا رب غا بِطُنَا لو كان يأْملكم لاقى مباعدةً منكُم وحرمانا [3]

وقال الآخر :

(الطويل)

---

*هذا صدر بيت من معلقة طرفة بن العبد البكري، وعجزه : وأن أَشْهد اللّذات هلْ أَنْتَ مخادي

ينظر الزوزني: شرح المعلقات السبع 82. وقد أورد الزوزني صدر البيت على النحو التالي: أَلا أَيهذا اللائمـي أحضـر الوغى .

[1] آية 41 سورة هود.

[2] آية 24 سورة الأحقاف.

[3] هذا البيت لجرير من قصيدة يهجو فيها الفرزدق. ينظر الفراء :معاني القرآن 14/2، 15.

وِيا رب هاجي منْقَرٍ يبتغي به   ليكْرم لما أعوزته المكارم

وسمع الكسائي أعرابياً يقول بعد الفطر: (رب صائمة لن يصومه وقائمة لن يقومـه)[1]، وقوله تعالى: (وَأَنّى لَهم التَنَاوشُ) [2] قرأ الأعمش وحمزة والكسائي بالهمز يجعلونه من الشـيء البطئ من نأشت من النئيش، قال الشاعر:

(الطويل)

وجئتَ نئيشاً بعد ما فَاتَك الْخَبر [3]

وقال الآخر نهشل بن حري:

(الطويل)

تمنى نئيشاً أن يكُون أَطَاعني   وقَد حدثت بعد الأمورِ أمور

وقد ترك همزها أهل الحجاز وغيرهم، جعلوها من نشته نوشا وهـو التنـاول: وهمـا متقاربان، بمنزلة ذمتُ الشيء وذأمته أي عبته : وقال الشاعر [4]:

(الرجز)

فَهي تنوش الحوض نَوشَا من علاَ   نَوشاً به تَقْطَع أَجواز الفَلاَ [5]

وهذا النحو مما ورد لتصحيح قراءة من القراءات كثير في كتبه يضيق بنا المجال عـن ذكره.

---

[1] الفراء: معاني القرآن 14/2، 15.

[2] آية 52 سورة سبأ .

[3] البيت في اللسان منسوب لنهشل بن حري. مادة (ناش) 742/3.

[4] البيت لغيلان بن حريث، وقد وردت نسبته في اللسان. مادة (نوش) 742/3. والضمير في (فهي) للإبل، و (من عـلا) أي من فوق يريد أنها عالية الأجسام طوال الأعناق، والنوش الذي ترتوي به يعينها على قطع الفلوات، والأجـواز جمـع جوز وهو الوسط.

[5] الفراء: معاني القرآن 365/2.

وكثيراً ما يأتي بالشعر لتمثيل لغة من لغات العرب أو أنه يجوز في القضية التي يناقشها أكثر من لغة كما هو الحال في قوله :" القدر أنثى، تحقيرها: (قُديرة)، ويذكرها بعض قيس. قال: أنشدني النميري :

(الوافر)

بقدرٍ يأخذ الأعضاء تما بحلْقَته ويلتهم الفَقَارا [1]

وقوله: "الحال أنثى، وأهل الحجاز يذكرونها، وربما أدخلوا فيها الهاء. قال الشاعر[2]:-

(الطويل)

على حالة لو أن في القوم حاتماً على جوده لَضن بالماء حاتم [3]

وقوله: "...... وقد ترك همزها أهل الحجاز وغيرهم، جعلوها من نُشْته نَوشا وهو التناول : وهما متقاربان، بمنزلة ذمتُ الشي وذَأمته أي عبته : قال الشاعر :

(الرجز)

فَهي تَنُوش الحوض نَوشا من علا نَوشاً به تقطع أجواز الفَلا [4]

أما ترتيب مصادر الاحتجاج في أثناء مناقشته للقضية اللغوية فلا نعثر له على أثر، فلم يتعامل مع هذه القضية بشكل منتظم، كأن يأتي بالقرآن الكريم، ثم بالقراءات القرآنية، ثم بالحديث الشريف، ثم بكلام العرب، فأشعارها. فالمتتبع لهذه المصادر في كتبه يلاحظ أنه قد يأتي بالقرآن الكريم ثم يأتي بما يشبه الآية القرآنية من الشعر، أو أنه يبدأ بالقرآن الكريم ثم يحتج بكلام العرب، ثم يعود ليؤكد ما سمعه عن العرب من القرآن الكريم والشعر. إلى غير ذلك من الحالات التي تؤكد أنه لم يتخذ لنفسه منهجا يسير عليه في ترتيب هذه المصادر، ومع ذلك فإن

---

(1) الفراء: المذكر والمؤنث 82.

(2) البيت للفرزدق كما أشار المحقق، وقد بحثت عنه في ديوانه ولم أعثر عليه.

(3) الفراء : المذكر والمؤنث 93.

(4) الفراء : معاني القرآن 365/2.

القرآن الكريم يعد أعلى مصادره وأهمها. وأمثلة ذلك كثيرة في كتابه (معاني القرآن) فلا تكاد صفحة من صفحاته تخلو من مثال أو أكثر من القرآن الكريم.

وفي بعض المواطن كان يأتي بالشواهد الشعرية استئناساً وتدعيماً، على هامش حديثه عن القضايا، كأن يأتي بالشاهد الشعري لبيان معنى من المعاني، ويظهر ذلك في أثناء حديثه عن العنْوة وأن معناها القناعة والتسليم ، وفي ذلك يقول : "والعنْوة في قول العرب : أخذت هذا الشيء عنْوة يكون غلبة ويكون عن تسليم وطاعة ممن يؤخذ منه الشيء قال الشاعر:

(الطويل)

فما أخذوها عنْوة عن مودة ولكن بضرب المشرفي استَقَالَها

فهذا على معنى الطاعة والتسليم بلا قتال"[1]، وقوله في أن معنى (لَنَحرقَنَّه) لَنَبردنه بالحديد " لَنَحرقَنّه لَنَبردنه بالحديد بردا من حرقت أحرقه و أحرِقه لغتان وأنشدني المفضل[2].

(الوافر)

بذي فَرقين يوم بنُو حبيبٍ نُيوبهم علينا يحرقونَا[3]

وكثيراً ما يتفق مع سيبويه فيما ينشد من أشعار مما يدل على أنه كان يضع كتاب سيبويه نصب عينيه، حتى إنه اتفق مع سيبويه في كتبه على مئات الشواهد الشعرية؛ مما دعا شوقي ضيف إلى القول: "وكثيراً ما يتوارد مع سيبويه فيما ينشد من أشعار" [4]، ومن أبرز الشواهد التي وافق فيها سيبويه، قول الشاعر[5] :

(الوافر)

---

(1) الفراء: معاني القرآن 193/2.

(2) البيت لعامر شقيق الضبي، كما في اللسان. مادة (حرق) 613/1.

(3) الفراء : معاني القرآن 191/2.

(4) شوقي ضيف: المدارس النحوية 215.

(5) وردت نسبة البيت في صفحة 137.

أَعبداً حل في شُعبى غريباً		أَلُؤْماً لا أَبا لكَ واغترابا [1]

وقول الآخر [2]:

(البسيط)

إذ هي أحوى من الربعي حاجِبه		والعين بالإثمد الحاري مكحولُ [3]

وقول الآخر [4]:

(الكامل)

لما أَتَى خَبَر الزبير تَضعضعتْ		سور المدينة والجبالُ الخُشع [5]

هذه بعض القضايا الخاصة بالمصدر الخامس من مصادر الدراسة الصرفية عنـد هـذا العالم، التي يتضح فيها أن الفراء، كغيره من علماء اللغة، يعتمد على هذا المصدر كثيـراً، فـي بناء القواعد، وإطلاق الأحكام، وتخريج القضايا اللغوية، وهو إذ يفعل ذلك إنما يسلك طريقاً سار عليه من قبله علماء المدرسة البصرية وعلى رأسهم سيبويه، ولكن الفراء اتسـع فـي روايـة الأشعار عن العرب اتساعاً جعله في بعض الأحيان هدفاً للطعن والتجريح من علماء البصـرة، وإن كان معظم التهم موجها للكسائي، إلا أنها تنال جميع الكوفيين وتجرحهم، لا سيما أن الفراء مكمل للبناء الذي وضع أصوله شيخ المدرسة الكسائي.

---

[1] الفراء: المنقوص والممدود 15.

[2] البيت لطفيل الغنوي وقد ورد في الكتاب منسوباً لجرير. ينظر السيرافي: شرح أبيات سيبويه 98/1.

[3] الفراء : المذكر والمؤنث 81. وينظر السيرافي : شرح أبيات سيبويه 187/1.

[4] البيت لجرير وصدر البيت في ديوانه : لما أَتَى خَبَر الزبير تَواضعتْ . ينظر الديوان 420، وينظر السيرافي: شـرح أبيات سيبويه 75/1.

[5] الفراء : المذكر والمؤنث 112.

الفصـــــل الثـــــاني

المصطـــلح الصـــرفي

المصطلح الصرفي

تجمع كتب اللغة القديمة والحديثة على أن الخليل بن أحمد الفراهيدي أول من وضع المصطلحات النحوية والصرفية، إذ أدرك أن النحو والصرف بصيرورتهما صناعة لا بد لهما من مصطلحات تكون أعلاماً على موضوعات ومعان يطلقها أصحاب الصناعة، فيفهمها الدارسون من أهلها[1]. كما أن عبقريته الفذة وذكاءه المتوقد أرشداه إلى ابتكار مصطلحات كثيرة لفتت أنظار الباحثين من بعده قديماً وحديثاً، وفي مقدمتهم علماء المدرسة البصرية الذين عملوا على نشر هذه المصطلحات ونقلها خلفاً عن سلف، فانتشار كتاب سيبويه وشروحه في مشارق الأرض ومغاربها جعلت البصريين يهبون من كل حدب وصوب للدفاع عن مصطلحاتهم، فشنوا حملات شعواء على الكوفيين عامة والفراء خاصة، وربما كانت المناظرة المشهورة بين الكسائي وتلاميذه من جهة، وسيبويه من جهة أخرى عاملاً نفسياً في النيل من الكسائي والفراء، ومحاولة لطمس آرائهما والحد من انتشار مؤلفاتهما بين اللغويين؛ مما سبب في انتشار مؤلفات البصريين التي تحتوي على المصطلح البصري، كما أن غموض المصطلح الكوفي في كثير من الأحيان، وتذبذبه، ومحاولة تقليد البصريين كانت أسباباً أدت إلى تراجع المصطلح الكوفي أمام المصطلح البصري، أضف إلى ذلك أن النحاة المتأخرين دأبوا على تفسير مصطلحات الكوفيين بمصطلحات بصرية[2].

والذي لا نستطيع إنكاره أن المدرسة البصرية قد سبقت المدرسة الكوفية إلى وضع المصطلحات الصرفية، إلا أنها في بعض الأحيان كانت لا تفي بالغرض، إذ إن البصريين كانوا قد عزلوا أماكن كثيرة عن دائرة الاحتجاج اللغوي في أثناء وضعهم قواعد اللغة، وساروا وفق

---

(1) مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة 303.

(2) ينظر شرف الدين الراجحي: في المصطلح الصرفي عند الفراء في كتابه (معاني القرآن) 72.

منهج يختلف كثيراً عن منهج الكوفيين الذي يقوم على فتح السماع ما أمكن لذلك سـبيلاً فـي مقابل التشدد في الأخذ عمن تؤخذ عنهم اللغة عند البصريين.

ولما كان التجديد في المصطلح الصرفي بوجه خاص، واللغوي بوجه عام أحد عناصـر التميز والنبوغ والاستقلالية، التي من شأنها أن تجعل هذا العالم أو ذاك إماماً في فرع من فروع اللغة؛ فقد مال الكوفيون وفي مقدمتهم الفراء الذي ينسب إليه الوضع النهـائي للنحـو الكـوفي ومصطلحاته إلى التجديد والتغيير في المصطلحات؛ لأنه اعتقد كغيره من العلماء السابقين أن هذا التجديد من شأنه أن يساعد في أن تكون لهم مدرسة مستقلة. فقد عرف عن الكوفيين أنهم أخذوا العلم عن علماء المدرسة البصرية، فقد رحل الكسائي إلى البصرة طلباً للعلم، وفي ذلك يقول أبو زيد الأنصاري : "قدم علينا الكسائي البصرة فلقي عيسى والخليل وغيرهما، وأخذ مـنهم نحـواً كثيراً، ثم صار إلى بغداد فلقي الحطمية فأخذ منهما الفساد من الخطأ واللحن، فأفسد بذلك ما كان أخذه بالبصرة" [1]. وتروي كتب اللغة أن الفراء قد أخذ كثيراً من علوم اللغة عـن البصـريين، فيذكر أنه قد نشأ نشأته الأولى بالكوفة، وبقي فيها حتى ظهرت مواهبه، وبانـت عليـه ملامـح الفراسة والذكاء، ثم ارتحل في طلب العلم، ووصل به المقام إلى البصرة، فالتقى يونس بن حبيب وقرأ عنه[2].

كما اهتم الفراء بمؤلفات البصريين وعلومهم لا سيما كتاب سيبويه الذي يمثـل النحـو البصري، فقد وجد فيه ضالته، فكان قد أهدى إلى محمد بن عبد الملك الزيات نسخة منه، كانت بخطه، ومراجعة الكسائي، وقيل إن كتاب سيبويه قد وجد تحت وسادته التي كان يجلس عليهـا، فقد أخبر ثعلب عن سلمة بن عاصم أنه قال : "مات الفراء وتحت رأسه كتاب سيبويه. قال أبـو

---

(1) الحموي: معجم الأدباء 182/13، 183.

(2) ينظر البغدادي: تاريخ بغداد 14/ 149، و أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين 86، 87.

عمرو محمد بن عبد الواحد : فقام الحامض أبو موسى[1] إلى ثعلب، فقال : إنما كان لا يفارقـه، لأنه كان يتتبع خطاه ولكنته "[2].

وتدل عقلية الفراء القائمة على التجديد في المصطلح الصرفي على أنه بالرغم من أخذه العلم عن البصريين لم يكن ينظر إلى آرائهم نظرة تقديس، ولم يقيد نفسه بما تلقاه عنهم، بـل إن هذه المصطلحات تشير إشارة واضحة إلى أن المصطلحات الصرفية عنده كانـت فـي بعـض الأحيان أقرب إلى روح الدراسة اللغوية من مصطلحات البصريين. وهذا أمر منطقي إلى حـد كبير، إذ إن من المفروض أن تكون مصطلحات الكوفيين قد استفادت من تجربـة البصـريين، يقول شوقي ضيف : "لعل ما يدل أكبر دلالة على أن الكوفيين كانوا يقصدون قصـداً إلـى أن تكون لهم في النحو مدرسة يستقلون بها أنهم على الرغم من تلمذة أئمتهم الأولين علـى أيـدي البصريين وعكوفهم جميعاً على كتاب سيبويه ينهلون ويعلون حاولوا جاهدين أن يميزوا نحـوهم بمصطلحات تغاير مصطلحات البصريين والنفوذ إلى آراء خاصة بهـم فـي بعـض العوامـل والمعمولات "[3].

ويبدو أن الفراء كان أكثر الكوفيين جرأة في مخالفة المصطلحات البصرية، ولا سيما أنه كان يرى أن اكتمال مذهبه لا يتم إلا بإيجاد مصطلحات مقابلة لمـا وصـله مـن مصـطلحات البصريين، والنفوذ إلى مصطلحات جديدة لم يسبق إليها، فقد خالف الخليل وسيبويه اللذين وضعا الخطوط الأولى للمصطلح الصرفي بشكل خاص، واللغوي بشكل عام. ويذكر أنه كـان يتعمـد خلاف سيبويه مع أن كتابه قد وجد تحت رأسه بعد موته. يقول أبو الطيـب اللغـوي : "وكـان

---

[1] هو سليمان بن محمد بن أحمد أبو موسى الحامض، أوحد الناس في البيان والمعرفة بالعربية واللغـة والشـعر، سـمي بذلك؛ لأنه كانت له أخلاق شرسة، فلقب بالحامض، توفي سنة 305هـ. ينظر ترجمته عند ابن خلكان: وفيـات الأعيـان 140/2.

[2] أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين 87.

[3] شوقي ضيف: المدارس النحوية 165.

الفراء يخالف على الكسائي في كثير من مذاهبه فأما على مذاهب سيبويه فإنه يتعمد خلافه؛ حتى ألقاب الإعراب وتسمية الحروف" [1]. ويقول أبو حاتم السجستاني حول رغبة الكوفيين في مخالفة البصريين :" وإنما هم أحدهم إذا سبق إلى العلم أن يسير اسماً يخترعه ينسب إليه فيسمي الجر خفضاً، والظرف صفة، ويسمون حروف الجر الصفات والعطف النسق "[2].

كما يضاف إلى قضية الرغبة في خلاف البصريين مسألة أخرى تتعلق بثقافته اللغوية، إذ إنه قد اختلف عن البصريين إلى حد كبير في فتحه باب السماع إلى أقصى حد أمكنه ذلك، فَقَبِل الاحتجاج بلغات قبائل أبى البصريون الاحتجاج منها، كما أنه كان على اتصال وثيق بالفقهاء وخصوصاً ابن خالته محمد بن الحسن الشيباني، الذي لازمه كثيراً واستفاد من ثقافته الفقهية، ويذهب أحمد سليمان ياقوت إلى أن علماء اللغة قد تأثروا بالفقهاء في وضع مصطلحاتهم كالنسخ، والتعليق، والابتداء، والتعدية، والمندوب، والظاهر من الأسماء خلاف المكني، والشرط، واللغو، والحال[3] .

ويظهر أنه رغم محاولة التميز والاستقلالية التي عمد إليها فيما يتعلق بالمصطلحات الصرفية، وخروجه عن مصطلحات الخليل وسيبويه في كثير من الأحيان، إلا أن هذه المصطلحات لم تلق القبول الكبير عند علماء اللغة القدماء منهم والمحدثين، ولم تنتشر إلا في بيئة القراء والمفسرين وفي ذلك يقول شرف الدين الراجحي : "ومع ذلك فقد انتشر المصطلح الكوفي في بيئة القراء والمفسرين وظل رأي الفراء ومصطلحاته تذكر في كتب المتأخرين ممثّلاً لرأي الكوفيين وإن كان غالب من يتعصب للبصريين ينال منه" [4].

---

[1] أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين 88.

[2] المصدر السابق 102.

[3] أحمد سليمان ياقوت: ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم 158-162.

[4] شرف الدين الراجحي: في المصطلح الصرفي عند الفراء في كتابه (معاني القرآن) 72.

أما لماذا لم تنتشر مصطلحات الفراء الصرفية بالقدر الذي انتشـرت فيـه مصـطلحات البصريين، فيمكن حصر ذلك في الأسباب التالية :-

1- انتشار كتب البصريين اللغوية والنحوية بين أوساط اللغويين خصوصاً دستور العربيـة الخالد كتاب سيبويه، والاهتمام بأصوله وشروحه في المشـرق والمغـرب ممـا حـدا بالبصريين أن يشرعوا لدراسته والدفاع عنه ونشر المصطلحات الواردة فيه.

2- أن كتب الفراء لم تحظ باهتمام الدارسين من القدماء والمحدثين بالقدر الذي شهدته كتب البصريين، كما أنه لم يترك كتباً نحوية مستقلة شاملة مثلما فعل البصـريون كالخليـل وسيبويه والمبرد وابن السراج، فكتاب (الحدود في النحو) الـذي مـن المفـروض أن يحتوي على مصطلحاته النحوية والصرفية لم يصل إلينا؛ لذلك كانت معظم مصطلحاته قد بثها في كتاب (معاني القرآن) الذي حمل بداخله كثيراً من آرائه النحوية والصرفية، كما جمع لنا في أثنائه كثيراً من القضايا اللغوية الخاصة بالقراءات القرآنيـة والشـعر وكلام العرب، فكان اهتمامه بالدرس اللغوي غالباً. كما لجأ إلى بث مصطلحاته –علـى نحو محدود- في كتب (المذكر والمؤنث، والمنقـوص والممـدود، والأيـام والليـالي والشهور، والمقصور والممدود). وهذه المصطلحات تمثل المصطلح الكـوفي أصـدق تمثيل.

3- أن المصطلح البصري أصبح عرفا يتناقله النحاة خلفاً عن سلف بسبب الدهشة والذهول التي أصابت العلماء نتيجة هذه المصطلحات، فأبقوا عليها دون تغيير وتبديل، فأغرموا بتقليدها، ورفضوا إلى حد كبير مصطلحات الفراء التي تمثل المصطلح الكوفي، ووصل بهم الأمر إلى شرح المصطلحات الكوفية بمصطلحات بصرية، يقـول شـرف الـدين الراجحي :"واهتم الباحثون المعاصرون بالدرس النحوي عند سـيبويه ولكننـا لا نجـد

اهتماماً كبيراً بمصطلحات الكوفيين عامة والفراء خاصة ما عدا تلك الدراسـات التـي تناولت حياته وآثاره أو المدارس النحوية عامة "[1].

وبما أن مصطلحات الفراء الصرفية تمثل المصطلح الصرفي الكوفي، فإن بإمكاننا تقسـيمها إلى ثلاثة أقسام يتضح فيها أثر الفراء في المصطلح الصرفي، وهذه الأقسام هي :

1- مصطلحات بصرية وردت في كتبه على نفس الصورة التي وردت عليهـا فـي كتـب علماء المدرسة البصرية، ولم يجدد فيها، وأبقى عليها كما وردت في مؤلفاتهم مثال ذلك تسميته للهمزة بالألف[2]، وقد تنبه إلى هذه القضية سعيد جاسـم الزبيـدي الـذي درس بعض المصطلحات النحوية التي تنسب خطأً – من وجهة نظره – إلى المدرسة الكوفية، ولكنها وليدة تفكير البصريين، وقد ابتكرها عبقري هـذه الأمـة الخليـل بـن أحمـد الفراهيدي[3].

2- مصطلحات أطلق عليها الفراء اسماً ولها في اصطلاح البصريين اصطلاحاً آخـر، لكنـه يلتقي معهم في أصولها، كمصطلح الإدغـام بتخفيـف الـدال عنـده، وتشـديدها عنـد البصريين[4]، وهاء التأنيث بدلاً من تاء التأنيث عند البصريين[5]، ويدل هذا علـى تـأثره بمنهج البصريين، لكنه حاول أن يجعل للكوفيين رأيا مستقلاً ومنهجاً منفصلاً فيما يتعلـق بالمصطلح الصرفي، يقول شرف الدين الراجحي :" وقد حاول الفراء مخالفة البصـريين في غالب مصطلحاته ولكنه قد يلتقي معهم في أصل من أصول مصطلحاتهم ويختلف في الفروع مثل مصطلح الألف للهمزة ومصطلح هاء التأنيث بدلاً من تـاء التأنيـث ونجـد

---

[1] شرف الدين الراجحي: في المصطلح الصرفي عند الفراء في كتابه (معاني القرآن) 74.

[2] الفراهيدي، الخليل بن أحمد : الجمل في النحو 247.

[3] سعيد جاسم الزبيدي : مصطلحات ليست كوفية 9، 10.

[4] سيبويه : الكتاب 436/4، 437.

[5] الخليل بن أحمد : الجمل في النحو 291.

المخالفة في الصيغة فقط وبعض المسائل مثل الإدغام بالتخفيف بدلاً من الادغام بتشـديد الدال عند البصريين. وهذا يدل على تأثره بمنهج البصـريين ولكنـه حـاول أن يجعـل للكوفيين رأياً مستقلاً ومنهجاً منفصلاً وهذا غالب في مصطلحه الصرفي وهـو يسـتعين بالقراءات القرآنية وكلام العرب لاستنباط المصطلح "[1] .

3- مصطلحات خاصة به أضافها إلى علم الصرف من عقليته اللغوية التي كانـت تـؤمن بالاستقلالية والتميز كما أشرنا سابقاً، مثال ذلك استخدامه لمصطلح (الفعل الدائم) فـي مقابل اسم الفاعل عند البصريين. وكثيراً ما كان الفراء يستعمل اصـطلاحات تخـالف الاصطلاحات المشهورة عند علماء النحو، وفي المواضيع التي لم تكن فيها اصطلاحات قديمة كان يلجأ إلى وضع اصطلاحات جديدة وصلت إلينا على أنها اصطلاحات كوفية.

والمصطلحات الصرفية التي تضمنتها كتب الفراء كثيرة يظهر في بعضها الميل إلى التجديد والخروج عن خطى البصريين، في حين يظهر في بعضها الآخر مقاداً للبصريين مع الرغبة في التميز بإرداف المصطلح البصري بمصطلح كوفي، ونجد أنه يحاول بها أن يشق طريقه وسـط البصريين ومن شايعهم، وقد حاول الدفاع عن مصطلحاته ونشرها بين تلاميذه ومن ساروا على نهجه، وأقروا بفضله، ويأتي أبو العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب في مقدمة هؤلاء، فقد حـاول نشر مصطلحاته، ودافع عنها أمام هجمات البصريين، وكذلك قام ابن الأنباري وابـن السـكيت وغيرهما بنشر هذه المصطلحات في مصنفاتهم، وقد بقيت هذه المحاولات حتى القـرن الرابـع الهجري، ولكن هذه المصطلحات لم تجد لها طريقاً بين الدارسين فيما بعد؛ لانتشـار المـذهب البصري في المشرق والمغرب. وحمل المتأخرون كتاب سيبويه ودافعوا عنـه فـي المشـرق

[1] شرف الدين الراجحي: في المصطلح الصرفي عند الفراء في كتابه 70 فصاعدا.

والمغرب، ورفعوا شأنه، وهاجموا آراء الفراء والكوفيين، وكان أشدهم هجوماً على الفراء شارح كتاب سيبويه أبو سعيد السيرافي[1].

وقد أمكن الحديث عن أهم المصطلحات الصرفية التي يظهر فيها تميز الفراء عن أقرانه، ورغبته في الاستقلالية والابتكار بما يلي :-

الفعل المضارع

مصطلح بصري، وقد بنى البصريون هذه التسمية من مضارعة الفعل المضارع للاسم من ناحية قبوله علامات الإعراب، أما الفراء فلم يقبل هذه التسمية ولم يستعملها واستعمل (المستقبل) إشارة إلى الدلالة الزمانية، كما استعمل (يفعلُ، وتفعلُ، ونفعلُ، وأفعلُ) إشارة إلى صيغة المضارع.

ويظهر استخدامه لمصطلح (المستقبل) كبديل لمصطلح الفعل المضارع عند البصريين في أثناء حديثه عن قوله تعالى : (فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللهِ مِن قَبْلُ) [2] "يقول القائل: إنما (تقتلون) للمستقبل فكيف قال : (من قَبلُ) ؟ ونحن لا نجيز في الكلام أنا أضربك أمس، وذلك جائز إذا أردت بتفعلون الماضي "[3].

أما دلالته عليه بصيغة (يفعل، وأفعل، ونفعل، وتفعل)، فتبدو في قوله : "وزعم الكسائي :أن العرب تؤثر الرفع إذا أضافوا اليوم إلى يفعل، وتفعل، وأفعل، ونفعل فيقولون : هذا يوم نفعل ذاك، وأفعل ذاك، ونفعل ذاك. فإذا قالوا : هذا يوم فعلت، فأضافوا يوم إلى فعلت أو إلى إذْ

---

[1] ينظر شرف الدين الراجحي : في المصطلح الصرفي عند الفراء في كتابه (معاني القرآن) 70 فصاعدا .

[2] آية 91 سورة البقرة .

[3] الفراء : معاني القرآن 60/1.

آثروا النصب" [1]. وأمثلة استخدامه للمضارع بصيغته في كتاب (معاني القرآن) كثيرة نكتفـي منها بذكر المثالين التاليين :

1- قولـه:" العرب إذا أضافت اليوم والليلة إلى فعل أو يفعل أو كلمة مجملة لا خفض فيها نصبوا اليوم في موضع الخفض والرفع "[2].

2- قوله: "والخبر يصلح فيه لفظ فعل ويفعل، كما قال[3] (فإن فَاءوا فَإن اللّه غَفُور رحيم)[4].

ويطلق عليه في مواضع أخرى (فعل النهي)، ومن هذه المواضع ما قاله في أثناء تفسيره لقولـه تعالى: (ولا تُسأَلُ عن أَصحابِ الْجحيم) [5] إذ استخدم للدلالة علـى المضـارع مصـطلح النهي، يقول :"وقرأها بعض أهل المدينة جزماً، وجاء التفسير بذلك، إلا أن التفسير بذلك علـى فتح التاء على النهي "[6]، وقوله أيضاً في أثناء تفسير قوله تعالى: (وإِذْ أَخَذْنَا ميثاقَ بني إِسرائِيلَ لاَ تَعبدون إِلاّ اللّه) [7] يقول :"ومعناها الجزم بالنهي، وليست بجواب لليمين ألا ترى أنه قد قال : (وإِذْ أَخَذْنَا ميثَاقَكُم ورفَعنا فَوقَكُم الطور خُذُوا ما آتَيناكُم بقُوة) [8] فأمروا، والأمـر لا يكـون جواباً لليمين؛ لا يكون في الكلام أن تقول : واللّه قُم، ولا أن تقول : واللّه لا تَقُم. ويدل على أنه نهي وجزم أنه قال : (وقُولوا للناسِ حسناً) كما تقول : افعلوا ولا تفعلوا، أو لا تفعلوا وافعلـوا" [9].

---

[1] الفراء : معاني القرآن 245/3.
[2] المصدر السابق 226/3.
[3] المصدر السابق 258/2.
[4] آية 226 سورة البقرة .
[5] آية 119 سورة البقرة .
[6] الفراء : معاني القرآن 75/1.
[7] آية 83 سورة البقرة .
[8] آية 63 سورة البقرة.
[9] الفراء : معاني القرآن 53/1.

الفعــل المــاضي

استعمل الفراء للدلالة على الفعل الماضي مصطلح (فَعَلَ) إشارة إلى صـيغة الماضـي، و (الفعل الماضي) إشارة إلى الدلالة الزمانية، وقد تكرر اصطلاح (فَعَلَ) للدلالة علـى الماضـي عنده كثيراً، على نحو قوله : "كنى (عن الفعل بهو) وهي في الفعل الذي يجري منه فعل ويفعل، كما تقول : قد قدمت القافلة ففرحت به، تريد بقدومها" [1]، وقوله في أثناء حديثـه عـن قولـه تعالى:(إن الذين كفَروا ويصدون عن سبيل اللّه) [2] رد يفعلون على فعلوا لأن معناهما كالواحـد في الذي وغير الذي. ولو قيل إن الذين كفروا وصدوا لم يكن فيها ما يسأل عنه"[3].

فالتجديد في مصطلح الفعل عنده قد اقتصر على الصيغة ولم يتعد ذلك إلى الدلالة الزمانيـة كما هو الحال مع الفعل المضارع، إذ أشار إلى دلالته الزمانية بنفس التسمية التي وجـدت مـن قبل (الفعل الماضي). ويبدو استخدامه لهذا المصطلح واضحاً في أثناء تفسـير الآيـة الكريمـة (فَأَنْذَرتُكُم نَارا تَلَظى) [4]. يقول : "معناه : تتلظى فهي في وضع رفع، ولو كانت على معنى فعل فعل ماض لكانت: (فأنذرتكم نارا تلظّت)" [5]، ومن المواطن التي يذكر فيها اصـطلاح الفعـل، قوله تعالى: (ما أخفي) [6]. يقول: "وكل ينصب بالياء؛ لأنه فعل مـاض؛ كمـا تقـول : أُهلـك الظالمون"[7].

---

(1) الفراء : معاني القرآن 312/1.

(2) آية 25 سورة الحج.

(3) الفراء : معاني القرآن 220/2، 221.

(4) آية 14 سورة الليل .

(5) الفراء : معاني القرآن 271/3.

(6) آية 17 سورة السجدة.

(7) الفراء : معاني القرآن 332/2.

فعـــــل الأمـــــر

الأفعال عند الفراء اثنان ماض ومضارع، وهذا التقسيم مخالف لما شاع عند البصريين مـن أن الأفعال ماض ومضارع وأمر، والأمر عنده مقتطع من المضـارع كمـا هـو الحـال فـي (لتضرب)، فأصل (اضرب) عندهم (لتضرب)، فحذفت اللام، ثم حذف حرف المضـارعة، ثـم جيء بهمزة الوصل توصلاً إلى النطق بالضاد الساكنة[1]. ويبدو هذا التقسيم واضحاً عنده عندما يتعرض لتفسير قوله تعالى : (قُلْ بِفَضلِ اللّه وبِرحمته فَبِذلِكَ فَلْيفرحـوا) [2] فيـرى أن الأمـر (افرحوا) مقتطع من المضارع (فليفرحوا)، فيقول: "وقوى قول زيد أنها في قراءة أُبي (فبـذلك فافرحوا) وهو البناء الذي خلق للأمر إذا واجهت به أو لم تواجه؛ إلا أن العرب حذفت اللام من المأمور المواجه لكثرة الأمر خاصة في كلامهم؛ فحذفوا اللام كما حذفوا التاء من الفعل. وأنـت تعلم أن الجازم أو الناصب لا يقعان إلا على الفعل الذي أوله الياء والتاء والنون والألف. فلمـا حذفت التاء ذهبت باللام وأحدثت الألف في قولك : اضرب وافرح؛ لأن الضاد ساكنة فلم يستقم أن يستأنف بحرف ساكن، فأدخلوا ألفاً خفيفة يقع بها الابتداء؛ كما قال : (اداركوا). (واثّـاقَلْتُم). وكان الكسائي يعيب قولهم (فلتفرحوا) لأنه وجده قليلاً فجعله عيباً. وهو الأصل" [3].

ولا يعني ورود فعل الأمر عنده مقتطعا من المضارع أنه لم يستخدم مصطلحاً للدلالة عليه، فقد أطلق عليه في بعض الأحيان (البناء الذي خلق للأمر) و(فعل المأمور).

كما استخدم للدلالة عليه مصطلح (افعلوا) إشارة إلى صيغته، كما هو واضح في قوله: "ويدل على أنه نهي وجزم أنه قال : (وقُولُوا للناسِ حسنًا) [4] كما تقول : افعلوا ولا تفعلوا، أولا تفعلوا

---

[1] ينظر ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك 27/1.

[2] آية 58 سورة يونس.

[3] الفراء : معاني القرآن 469/1، 470.

[4] آية 83 سورة البقرة .

وافعلوا . وإن شئت جعلت (لا تَعبدون) جواباً لليمين؛ لأن أخذ الميثاق يمين، فتقول: لا يعبدون، ولا تعبدون، والمعنى واحد" [1]. وهكذا فإن مصطلح الفعل عنده يشتمل على مجموعة من الصيغ تربط بينها الدلالة الزمانية.

كما أن مصطلح الفعل بشكل عام قد أطلقه الفراء على مجموعة من الأسماء هي :

1- الحال المنصوب، ويبدو ذلك في قوله تعالى: (ولَمـا جـاءهم كتَـاب مـن عنـد اللـه مصدقٌ)[2]. قال : "إن شئت رفعت المصدق ونويت أن يكون نعتا للكتاب لأنه نكرة، ولو نصبته على أن نجعل المصدق فعلا للكتاب لكان صواباً. وفي قراءة عبـد ا فـي آل عمران : (ثُم جاءكُم رسولٌ مصدقًا) [3] فجعله فعلاً "[4]، وقوله تعالى: (ما يـأْتيهم مـن ذكْرٍ من ربهم محدث) [5]. قال : "لو كان المحدث نصباً أو رفعاً لكان صواباً. النصـب على الفعل: ما يأتيهم محدثاً . والرفع على الرد على تأويل الذكر"[6].

2- الخبر، ويبدو واضحاً في قوله تعالى :(إِلاَّ أَن يكُون ميتَةً) [7]. يقول :"ومن رفع (الميتة) (الميتة) جعل (يكون) فعلاً لها، اكتفى بيكون بلا فعل. وكذلك (يكون) في كل الاسـتثناء لا تحتاج إلى فعل[8]، وفي قوله تعالى: (وإِذْ قَالُوا اللهم إِن كَان هذَا هو الْحق من عندك)

---

[1] الفراء : معاني القرآن 53/1، 54.

[2] آية 89 سورة البقرة .

[3] آية 81 سورة آل عمران.

[4] الفراء : معاني القرآن 55/1.

[5] آية 2 سورة الأنبياء .

[6] الفراء : معاني القرآن 197/2.

[7] آية 145 سورة الأنعام.

[8] الفراء : معاني القرآن 361/1.

عندك) [1]. يقول: "وكل موضع صلحت فيه يفعل أو فعل مكان الفعل المنصـوب ففيـه العماد ونصب الفعل "[2].

3- المصدر، ويظهر إطلاقه مصطلح الفعل عليه في قوله تعالى : (لَمْ تَكُونُوا بالِغيه إلا بِشق الأَنْفُسِ) [3]. يقول: " أكثر القراء على كسر الشين ومعناها: إلا بجهد الأنفس. وكأنه اسم اسم وكأن الشقّ فعل؛ كما تُوهم أن الكُره الاسم وأن الكَره الفعل. وقد قرأ به بعضهم[4]، بعضهم[4]، وفي قوله تعالى : (رحمةً من ربك) [5] ويقول : "وكل فعل رأيتـه مفسـراً للخبر الذي قبله فهو منصوب. وتعرفه بأن ترى هو وهي تصلحان قبل المصدر، فـإذا ألقيتا اتصل المصدر بالكلام الذي قبله فنصب "[6].

4- اسم الفاعل حيث أطلق عليه (الفعل الدائم)، كما أطلق عليه (الفعل)، ويبدو ذلك في قولـه: "وإذا قدمت الفعل قبل الاسم رفعت الفعل واسمه فقلت : ما سامع هذا وما قائم أخـوك . وذلك أن الباء لم تستعمل ها هنا ولم تدخل؛ ألا ترى أنه قبيح أن تقول : ما بقائم أخوك؛ لأنها إنما تقع في المنفي إذا سبق الاسم، فلما لم يمكن في (ما) ضمير الاسم قبح دخـول الباء. وحسن ذلك في (ليس): أن تقول: ليس بقائم أخـوك؛ لأن (لـيس) فعـل يقبـل المضمر، كقولك: لست ولسنا؛ ولم يمكن ذلك في (ما)"[7].

---

(1) آية 32 سورة الأنفال .

(2) الفراء : معاني القرآن 409/1.

(3) آية 7 سورة النحل .

(4) الفراء : معاني القرآن 97/2.

(5) آية 82 سورة الكهف.

(6) الفراء : معاني القرآن 157/2.

(7) المصدر السابق 43/2.

الفعـــل المـبني للمجـــهول

أطلق عليه الفراء مصطلح (ما لم يسم فاعله)، وتندرج تسميته هذه في إطار رغبته في التميز والاستقلالية في المصطلحات؛ إذ إن مصطلح (المبني للمجهول) قريب إلى حد كبير مـن مصطلح (ما لم يسم فاعله). وتسمية البصريين هذه أكثر اختصاراً ودقة من مصطلح الفراء؛ لأن الفراء ركز فيه على الجانب المعنوي أو الوظيفي للمصطلح، فحمل المصطلح الهدف أو القصـد الذي يقوم به على أن البصريين قد ذكروا مصطلح (ما لم يسم بفاعله) من قبل. يقول المبـرد :" وإن بنيت شيئاً من هذه الأفعال بناء ما يسم فاعله، فإنك تجريها مجرى الثلاثة فـي القلـب"[1].

وأماكن ورود هذا المصطلح في كتابه معاني القرآن كثيرة، نكتفي بذكر المثالين التاليين :-

1- في قولـه تعالى: (وما ذُبح على النصبِ) [2]. يقول : ذبح للأوثان. و (مـا ذبـح) فـي موضع رفع لا غير . (وأَن تَستَقْسموا) رفْع بما لم يسم فاعله [3].

2- في قوله تعالى: (وكَذلِك زين لِكثيرٍ من الْمشْرِكين قَتْلَ أَولادهم شُركاءهم) [4]. يقـول : "وكان بعضهم يقرأ (وكذلك زين لكثيرٍ من المشركين قتلُ أولادهم) فيرفع القتل إذا لـم يسم فاعله، و يرفع (الشركاء)، بفعل ينويه" [5].

---

[1] المبرد : المقتضب 105/1.

[2] آية 3 سورة المائدة .

[3] الفراء : معاني القرآن 301/1.

[4] آية 137 سورة الأنعام .

[5] الفراء : معاني القرآن 357/1.

الفعـل اللازم والمتعدي

أطلق على الفعل المتعدي مصطلح (الفعل الواقع)، وعلى الفعل اللازم (غير الواقع). وهـذا مصطلح آخر يكشف عن رغبته الملحة في الاستقلالية والتميز، فلا فارق بين المصطلحين يذكر، إلا أن الفراء يركز على وظيفة هذا المصطلح، فمصطلح الفعل الواقع وغير الواقع أكثر دلالـة واحتواء لوظيفة المصطلح من الفعل اللازم والمتعدي . وقد استخدم الكوفيون هذا المصطلح من بعده. يقول الكنغراوي: "مما احتج به الكوفيون لمذهبهم أن (كان) فعل غير واقع، أي غيرمتعد، وإذا لم يكن متعدياً وجب أن يكون منصوباً، نصب الحـال، لا نصـب المفعـول"[1]. علـى أن المواطن التي استخدم فيها الفراء هذا المصطلح بدلاً من مصطلح البصريين كثيرة نذكر منها ما يلي :-

1- في قوله تعالى: (أَفَمن يمشي مكبا علَى وجهه) [2]. يقول:" تقول : قد أكب الرجـل : إذا كان فعله غير واقع على أحد، فإذا وقع الفعل أسقطت الألف، فتقول : قـد كبـه اللّـه لوجهه، وكببته أنا لوجهه "[3].

2- قوله: "وزعم الكسائي أنه سمع موجل وموحل . قال الفراء : وسمعت أنا موضع. وإنما كسروا ما أوله الواو، لأن الفعل فيه إذا فتح يكون على وجهين. فأما الذي يقـع فـالواو منه ساقطة؛ مثل وزن يزن . والذي لا يقع تثبت واوه في يفعل. والمصادر تستوي فـي الواقع وغير الواقع" [4].

---

(1) الكنغراوي: الموفي في النحو الكوفي 38.

(2) آية 22 سورة الملك.

(3) معاني القرآن 171/3.

(4) المصدر السابق 105/2.

كما أنه يطلق على الفعل المتعدي لمفعول واحد (الفعل التام)، نحو: قتل وأحسن لأن المعنى يتحدد بذكر مفعوله، في حين يسمي الفعل الذي يتعدى لأكثر من مفعول مثل: ظـن، وحـس و أخواتها (الفعل الناقص)، ويبدو ذلك واضحاً في قوله : "والعرب إذا أوقعت فعل شيء على نفسه قد كنى فيه عن الاسم قالوا في الأفعال التامة غير ما يقولون في الناقصة. فيقال للرجل : قتلـت نفسك، وأحسنت إلى نفسك، ولا يقولون: قتلتَك ولا أحسنت إليك. كذلك قال الله تبـارك وتعـالى (فَاقْتُلُوا أَنْفُسكُم) [1] في كثير من القرآن؛ كقوله (وما ظَلَمنَاهم ولكن ظَلَموا أَنْفُسهم) [2] فإذا كـان الفعل ناقصاً – مثل حسبت وظننت – قالوا : أَظُنني خارجا، وأحسبني خارجـا، ومتـى تـراك خارجا. ولم يقولوا : متى ترى نفسك، ولا متى تظن نفسك. وذلك أنهم أرادوا أن يفرقـوا بـين الفعل الذي يلْغى، وبين الفعل الذي لا يجوز إلغاؤه؛ ألا ترى أنك تقول : أنـا أظـن – خـارج، فتبطل (أظن) ويعمل في الاسم فعله. وقد قال الله تبارك وتعـالى (إن الإِنْسـان لَيطْغَـى أَن رآه استَغْنَى) [3] ولم يقل : رأى نفسه "[4].

الفعـل الجـامد والمتصـرف

ورد هذا المصطلح في كتابه (معاني القرآن)، بعنوان (الفعل المتصرف وغير المتصـرف)، ويبدو ذلك واضحاً في أثناء حديثه عن قوله تعالى : (فَهلْ عسيتُم) [5]. قال : " ثم يقولون: ليس وليسوا سواء، لأنه فعل لا يتصرف ليس له يفعل وكذلك عسى ليس له يفعل فلعله اجترى عليه كما اجترى على لستم "[6].

---

[1] آية 54 سورة البقرة .

[2] آية 101 سورة هود.

[3] الآيتان 6، 7 سورة العلق .

[4] الفراء : معاني القرآن 333/1، 334.

[5] آية 22 سورة محمد .

[6] الفراء : معاني القرآن 63/3.

ففي هذا المصطلح نلاحظ أن التجديد عنده يتمثل في إطلاق (الفعل غير المتصـرف) علـى الفعل الجامد مع الإبقاء على المصطلح القديم فيما يتعلق بالفعل المتصرف. وهذا يدل على أنـه كان يقلد القدماء وخصوصاً البصريين في كثير من المصطلحات الصرفية، في حين يجدد فـي بعضها الآخر ليكون لنفسه منهجاً مستقلاً، وليكمل بناء المدرسة التي حاول جاهداً إكمال بنائهـا، ولا سيما أن التجديد في المصطلح يعد أحد مقومات استقلالها وتميزها.

كما أنه استخدم مصطلح الإجراء للدلالة على التصرف، ويظهر ذلك في قولـه تعـالى :- (فَمن تَصدقَ بِه فَهو كفارةٌ له) [1]. يقول الفراء : "كنى عن الفعل بهو وهي في الفعل الذي يجري منه فعل ويفعل، كما تقول : قد قدمت القافلة ففرحت به، تريد : بقدومها "[2].

نـون التوكيـد الثقيلـة والخفيفـة

أطلق الفراء عليهما (النون الشديدة والخفيفة)، ويقوم هذا المصطلح عنده على الأثر الصوتي الذي تحدثانه في النطق، الذي ينتج عن التوكيد، ويبدو استعماله لهذين المصطلحين واضحاً فـي أثناء تفسيره لقوله تعالى: (وإما تَخَافَن من قَومٍ خيانَةً) [3]. يقول: "نقض عهـد (فانْبِـذْ إِلَيـهِم) بالنقض (على سواء) يقول : افعل كما يفعلون سواء. ويقال في قوله: (على سواء): جهرا غيـر سر. وقوله: (تَخافَن) في موضع جزم. ولا تكاد العرب تدخل النون الشـديدة ولا الخفيفـة فـي الجزاء حتى يصلوها بـ (ما)؛ فإذا وصلوها آثروا التنوين. وذلك أنهم وجدوا لـ (إمـا) وهـي خبرا شبيهاً بـ (إما) من التمييز، فأحدثوا النون ليعلم بها تفرقة بينهما، ثم جعلوا أكثـر جوابهـا بالفاء؛ كذلك جاء التنزيل، قال : (فَإما تَثْقفَنهم في الحربِ فَشَرد) [4]، (فإما نُرِينك بعـض الـذي

---

[1] آية 45 سورة المائدة .

[2] الفراء : معاني القرآن 312/1.

[3] آية 58 سورة الأنفال .

[4] آية 57 سورة الأنفال.

نَعدهم)[1] ثم قال : (فإلينا يرجعون) فاختيرت الفاء لأنهم إذا نونوا في (إما) جعلوها صدر الكلام ولا يكادون يؤخذونها "[2].

حـــروف الزيـــادة

يطلق الفراء على الزيادة مصطلحات (الصلة، أو اللغو، أو الحشو)، من ذلك قـول الله عـز وجل: (إن تُبدوا الصدقات فنعما هي)[3] . يقول: "رفعت (هي) بـ (نعما) ولا تأنيث في (نعـم) ولا تثنية إذا جعلت (ما) صلة لها فتصير (ما) مع (نعم) بمنزلة (ذا) من (حبـذّا) ألا تـرى أن (حبذا) لا يدخلها تأنيث ولا جمع. ولو جعلت (ما) على جهة الحشو كما تقول: عما قليل آتيـك، جاز فيه التأنيث والجمع، فقلت: بئسما رجلين أنتما، وبئست ما جاريةً جاريتُك. وسمعت العـرب تقول في (نعم) المكتفية بما: بئسما تزويج ولا مهر، فيرفعون التزويج بـ (بئسما) "[4].

ولا تعني رغبته الملحة في التجديد أنه لم يكن يسـتخدم مصـطلحات القـدامى، لا سـيما البصريين منهم، فقد استخدم مصطلح الزيادة للدلالة على حروف الزيادة التـي تجمعهـا كلمـة (سألتمونيها)، ويظهر ذلك واضحاً في أثناء تفسيره لقوله تعالى: (ولا تَذَرن وداً ولا سـواعاً)[5]. يقول: "ولم يجروا: (يغُوثَ، ويعوقَ)؛ لأن فيها ياء زائدة. وما كان من الأسماء معرفة فيه ياء أو تاء أو ألف فلا يجرى. من ذلك : يماك، ويزيد، ويعمر، وتغلب، وأحمد. هذه لا تُجرى لمـا زاد فيها. ولو أجريت لكثرة التسمية كان صواباً، ولو أجريت أيضاً كأنه ينْوى به النكرة كان أيضـاً صواباً " [6].

---

[1] آية 77 سورة غافر .

[2] الفراء : معاني القرآن 414/1.

[3] آية 271 سورة البقرة .

[4] الفراء : معاني القرآن 57/1، 58.

[5] آية 23 سورة نوح.

[6] الفراء : معاني القرآن 189/3.

همـزة الوصـل والقطـع

أطلق الفراء على همزة القطع مصطلح (الألف)، وعلى همزة الوصـل مصـطلح (الألـف الخفيفة). وهو بذلك يستخدم مصطلح البصريين في تسميته الهمزة ألفاً [(1)]، مع تجديد واضح في المصطلح يتعلق بهمزة الوصل التي أطلق عليها (الألف الخفيفة). ويظهر لنا أن الفـراء يبـرر تسمية الهمزة (ألفاً) بأن الألف صورة الهمزة. وقد أورد تفسيراً لذلك في مواطن متعددة، كقوله: "وأكثر ما يكتب الهمز على ما قبله. فإن كان ما قبله مفتوحاً كتبت بالألف. وإن كـان مكسـوراً كُتبت بالياء. وربما كتبتها العرب بالألف في كل حال، لأن أصلها ألف. قالوا نراها إذا ابتـدئت تكتب بالألف في نصبها وكسرها وضمها؛ مثل قولك، وقد جئتَ شـيئاً إمـرا[(2)] فـذهبوا هـذا المذهب. قال : ورأيتها في مصحف عبد ا (شيأً) في رفعه وخفضه بالألف. ورأيت يستهزءون ويستهزأون بالألف وهو القياس. والأول أكثر في الكتب" [(3)].

أما تسميته لهمزة الوصل ألفاً خفيفة، فيبدو في أثناء تفسيره لقوله تعالى :(أَفْتَرى على اللـه كَذباً) [(4)]. يقول: "هذه الألف استفهام. فهي مقطوعة في القطع والوصل؛ لأنها ألـف الاسـتفهام، ذهبت الألف التي بعدها لأنها خفيفة زائدة تذهب في اتصال الكلام" [(5)]. إلا أن تسـميته لهمـزة الوصل بالألف الخفيفة ليست ظاهرة عامة إذ إننا نجده يسميها الألف في مواطن أخرى، علـى نحو جمعه للمصطلحين في قوله : "وأنت تعلم أن الجازم أو الناصب لا يقعان إلا علـى الفعـل الذي أوله الياء والتاء والنون والألف. فلما حذفت التاء ذهبت باللام وأحدثت الألف في قولـك :

---

(1) الخليل بن أحمد: الجمل في النحو 247.

(2) آية 71 سورة الكهف (لَقَد جِئْتَ شَيْئاً إِمراً).

(3) الفراء : معاني القرآن 134/2، 135.

(4) آية 8 سورة سبأ .

(5) الفراء : معاني القرآن 354/2.

اضرب وافرح؛ لأن الضاد ساكنة فلم يستقم أن يستأنف بحرف ساكن، فأدخلوا ألفاً خفيفة يقع بها الابتداء؛ كما قال : (اداركوا) . (واثّاقلْتُم) " [1].

وأمثلة استخدامه لمصطلح (الألف) للدلالة على همزة القطع كثيرة منها ما جاء في قوله تعالى: (والّذي قَالَ لِوالِديه أُفٍ لَكُما) [2]. يقول : " واجتمعت القراء على (أخرج) بضم الألف لم يسم فاعله، ولو قرئت : وأن أخْرج بفتح الألف كان صواباً "[3]، وفي قوله تعالى: (ذُقْ إِنّك أَنْتَ العزيز الْكَريم) [4]. يقول الفراء : " قرأها القراء بكسر الألف حدثنا محمد قال حدثنا الفراء قال: حدثني شيخ عن حجر عن أبي قتادة الأنصاري عن أبيه قال : سمعت الحسن بن علي بن أبي طالب على المنبر يقول (ذُقْ أَنك) بفتح الألف"[5]، و قوله: "ومن شأن العرب أن تقول: أذهبت بصره؛ بالألف إذا أسقطوا الباء. فإذا أظهروا الباء أسقطوا الألف من (أذهبت)"[6].

والفراء متخبط في استخدامه لهذا المصطلح لاسيما أن مصطلح الألف عنده يتسع لكل الهمزات، ويظهر ذلك واضحاً في إطلاقه لهذا المصطلح على همزة الاستفهام في أثناء تفسيره لقوله تعالى: (أم حسبتُم) [7]. يقول: "استفهم بأم في ابتداء ليس قبله ألف* فيكون أم رداً عليه، فهذا مما أعلمتك أنه يجوز إذا كان قبله كلام يتصل به "[8].

---

(1) الفراء : معاني القرآن 469/1.

(2) آية 17 سورة الأحقاف.

(3) الفراء : معاني القرآن 53/3.

(4) آية 49 سورة الدخان.

(5) الفراء : معاني القرآن 43/3.

(6) المصدر السابق 19/1.

(7) آية 214 سورة البقرة .

* يريد بالألف همزة الاستفهام .

(8) الفراء : معاني القرآن 132/1.

الســـكون

أطلق عليه الفراء مصطلح (الإرسال)، كما هو واضح في تفسيره لقوله تعـالى : (اذْكُـروا نعمتي الّتي أَنْعمتُ علَيكُم) [1]. يقول :" وأما نصب الياء من (نعمتي) فإن كل يـاء كانـت مـن المتكلم ففيها لغتان : الإرسالُ والسكون، والفتح، فإذا لقيتها ألف ولام، اختارت العرب اللغة التي حركت فيها الباء وكرهوا الأخرى؛ لأن اللام ساكنة فتسقط الياء عندها لسكونها، فاسـتقبحوا أن يقولوا : نعمتي التي، فتكون كأنها مخفوضة على غير إضافة، فأخذوا بأوثق الوجهين وأبينهمـا. وقد يجوز إسكانها عند الألف واللام، وقد قال ا : (يا عبادي الّذين أَسرفُوا علَـى أَنْفُسـهِم) [2] فقرئت بإرسال الياء ونصبها، وكذلك ما كان في القرآن مما فيه ياء ثابتة ففيه الوجهان، وما لـم تكن فيه الياء لم تنصب" [3]، وفي قوله تعالى : (ما أُخْفي) [4]. يقول : وكل ينصب بالياء؛ لأنـه فعل ماض؛ كما تقول : أُهلك الظالمون وقرأها حمزة (ما أُخْفي لَهم من قُرة أَعـينٍ) بإرسـال* الياء" [5].

كما استخدم للدلالة على سكون الكلمة مصطلح (الجزم)، ويظهر في قولـه عـن الحـروف المقطعة في أول سورة البقرة (ألم) [6] "الهجاء موقوف في كل القرآن، وليس بجزم يسمى جزماً،

---

(1) آية 40 سورة البقرة .

(2) آية 53 سورة الزمر .

(3) الفراء : معاني القرآن 29/1.

(4) آية 17 سورة السجدة.

* يقصد بالإرسال إسكان الياء وإطلاقها .

(5) الفراء : معاني القرآن 332/2.

(6) آية 1 سورة البقرة .

جزماً، إنما هو كلام جزمه نية الوقوف على كل حرف منه؛ فافعل ذلك بجميع الهجاء فيما قل أو كثر"[1].

الـــــوقف

ويطلق عليه الفراء (السكت)، ويبدو أن له رأياً من الوقف يختلف عن رأي أستاذه الكسـائي يتعلق بالوقف على هاء التأنيث، إذ اختار أن يوقّف في كلمة (هيهات) على التاء، في حـين رأى الكسائي وجوب الوقف على الهاء. ويبدو ذلك جلياً في قوله : " فإذا وقفت على هيهـات وقفـت بالتاء في كلتيهما لأن من العرب من يخفض التاء، فدل ذلك على أنهـا ليسـت بهـاء التأنيـث فصارت بمنزلة دراك ونَظَارِ ... واختار الكسائي الهاء، وأنا أقف على التاء" [2]، وكذلك الحـال مع (لات) في قوله تعالى : (فَنَادوا ولاتَ حين مناصٍ) [3]. يقول :" أقف علـى (لات) بالتـاء، والكسائي يقف بالهاء" [4]. وقوله في (أبت) من قوله تعالى: (يا أبت) [5]. يقول: "يا أبت لا تقف تقف عليها بالهاء وأنت خافض لها في الوصل؛ لأن تلك الخفضة تدل على الإضافة إلى المتكلم. ولو قرأ قارئ (يا أَبتُ) لجاز (وكان الوقف على الهاء جائِزاً. ولم يقرأ به أحد نعلمه. ولو قيل : يا أبتَ لجاز) الوقوف عليها بالهاء من جهة، ولم يجز من جهة أخرى"[6].

---

[1] الفراء : معاني القرآن 9/1.
[2] الفراء : معاني القرآن 235/2، 236.
[3] آية 3 سورة ص .
[4] الفراء : معاني القرآن 398/2.
[5] آية 4 سورة يوسف.
[6] الفراء : معاني القرآن 32/2.

الإدغـــــام

ورد هذا المصطلح عنده بإسكان الدال (الإدغام)، أما عند البصريين فيـرد بتشـديد الـدال (الادغام) [1]، ومصطلح الفراء يرد في كتب الكوفيين عامـة. والظـاهر أن اسـتخدامه لهـذا المصطلح يعود للسببين التاليين :

1- الرغبة في التيسير والتسهيل، ويبدو ذلك في المصطلح نفسه (الإدغام)، الـذي يكسـبه التخفيف في الدال سهولة ويسرا في مقابل مصطلح البصريين، ويفسر ذلك شيوع هـذا المصطلح وانتشاره بين القراء وعلماء اللغة أكثر مما هو عليه الحـال فـي مصـطلح البصريين، وذلك ليسره، واتفاق لفظه مع معناه.

2- مخالفة آراء البصريين، ويبدو ذلك واضحاً في معظم مصطلحات الفراء، خصوصاً أنه كانت لديه رغبة ملحة في إكمال بناء صرح المدرسة الكوفية، وتوفير مصطلحات تفـي بحاجة علوم اللغة. وأمثلة استخدامه مصطلح (الإدغام) كثيرة نذكر منها ما يلي :

1- في قوله تعالى: (تَشَابهتْ قُلُوبهم) [2]. قال : " تشابهت قلوبهم في اتفاقهم علـى الكفـر. فجعله اشتباها. ولا يجوز تشابهت بالتثقيل؛ لأنه لا يستقيم دخول تـاءين زائـدتين فـي تفاعلت ولا في أشباهها. وإنما يجوز الإدغام إذا قلت في الاستقبال : تتشابه عن قليـل فتدغم التاء الثانية عند الشين "[3].

2- في قوله تعالى: (ما لَكُم إذَا قِيلَ لَكُم انفروا في سبيل الله اثّاقَلْتُم) [4]. يقول : " معناه وا وا أعلم : (تثاقلتم) فإذا وصلتها العرب بكلام أدغموا التاء في الثاء؛ لأنها مناسبة لها،

---

[1] ينظر سيبويه: الكتاب 431/4، 437/4، والمبرد: المقتضب 197/1، 198.

[2] آية 118 سورة البقرة .

[3] الفراء : معاني القرآن 75/1.

[4] آية 38 سورة التوبة.

ويحدثون ألفاً لم يكن، ليبنوا الحرف على الإدغام في الابتداء والوصل. وكأن إحـداثهم الألف ليقع بها الابتداء، ولو حذفت لأظهروا التاء لأنها مبتدأة، والمبتـدأ لا يكـون إلا متحركا "[1].

ويستعمل للدلالة على الإدغام أيضاً مصطلحي (التشديد والتثقيل)، وهذا من شأنه أن يوقـع القارئ أو الباحث في كثير من التخبط، كما أنه يدل على أن المصطلح عنده غير مستقر، وأمثلة استخدامه لهذين المصطلحين كثيرة منها ما قاله في أثناء تفسيره لقوله تعالى: (فَهلْ من مـدكرٍ) [2]. يقول: "المعنى: مذتَكر، وإنما قلت : مفتَعل فيما أوله ذال صارت الذال وتـاء الافتعـال ذالاً مشددة وبعض بني أسد يقولون : مذّكر، فَيغَلبون الذال فتصير ذالاً مشددة "[3].

الإظـــهار

استخدم الفراء لعدم الإدغام مصطلحات (الإظهار والتبيان، والتخفيف)، ويبدو ذلك في قولـه تعالى: (يكاد الْبرقُ يخْطَفُ أَبصارهم) [4]. يقول: "وقد قال فيه بعض النحويين : إنمـا كسـرت الخاء لأنها سكنت وأُسكنت التاء بعدها فالتقى ساكنان فخفضت الأولى؛ كمـا قـال : اضـربِ الرجل؛ فخفضت الباء لاستقبالها اللام. وليس الذي قالوا بشيء؛ لأن ذلك لو كان كما قالوا لقالت العرب يمد : يمدِ؛ لأن الميم كانت ساكنة وسكنت الأولى من الدالين. ولقالوا في يعض : يعضِ. وأما من خفض الياء والخاء فإنه أيضاً من طَلَبه كسرة الألف؛ لأنها كانت في ابتـداء الحـرف

---

(1) الفراء : معاني القرآن 437/1، 438.

(2) آية 15 سورة القمر .

(3) الفراء: معاني القرآن 107/3.

(4) آية 20 سورة البقرة .

مكسورة. وأما من جمع بين الساكنين فإنه كمن بنى على التبيان" [1]، وفي قوله تعـالى: (ومـا تَدخرون) [2]. يقول : "هي تفتعلون من ذخرت، وتقرأ (وما تدخَرون) خفيفة على تَفْعلون"[3].

ويظهر الخلط في إطلاقه التثقيل على الإدغام، والتخفيف على الإظهار، حين نجده يسـتخدم مصطلح التخفيف للدلالة على التحريك، ومصطلح التخفيف للدلالة على التسكين، ويظهر ذلـك في قوله : "والظّعن يثقّل في القراءة ويخفف؛ لأن ثانيه عين، والعرب تفعل ذلك بما كان ثانيـه أحد الستة* الأحرف مثل الشعر والبحر والنهر"[4]، وفي قوله تعالى: (عذْراً أو نُذْراً) [5]. يقول: "خفضه الأعمش، وثقل عاصم: (النذر) وحده. وأهل الحجاز والحسن يثقلون عذراً أو نذراً. وهو مصدر مخففاً كان أو مثقلاً. ونصب عذراً أو نذراً أي : أرسلت بما أرسلت به إعـذاراً مـن ا وإنذارا " [6].

الإبـــدال

أطلق عليه الفراء مصطلح (التعاقب)، ونجد ذلك في مواطن كثيرة من (معاني القرآن). يقول : "والعرب تقول : القافور والكافور، والقَف والكف – إذا تقارب الحرفان في المخرج تعاقبا في اللغات. كما يقال : جدف وجدث، تعاقبت الفاء الثاء في كثير من الكلام، كمـا قيـل: الأثـافي والأثاثي، وثوب فُرقبى وثُرقبى، ووقعوا في عاثور شَر، وعافور شر" [7].

---

(1) الفراء : معاني القرآن 18/1.

(2) آية 49 سورة آل عمران .

(3) الفراء: معاني القرآن 215/1.

* المقصود أحرف الحلق، وهي الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء .

(4) الفراء : معاني القرآن 112/2.

(5) آية 6 سورة المرسلات .

(6) الفراء: معاني القرآن 222/3.

(7) المصدر السابق 241/3.

ويذكر في بعض الأحيان مصطلح الإبدال كما هو الحال في قوله : "دسست، بـدلْتْ بعـض سيناتها ياء، كما قالوا: تظنيت من : الظن، وتقضيت يريدون: تقضضت من : تقضض البازي، وخرجت أتلعى : ألتمس اللعاع[1] أرعاه والعرب تبدل في المشدد الحرف منه بالياء والواو " [2].

ويبدو أن إطلاق الفراء على الإبدال مصطلح (التعاقب)، أو الإبدال ومشتقاته ليس له تفسـير إلا أن يكون الفراء أراد أن يفسر هذا المصطلح ويوضحه، وهذا من باب التيسير الـذي كـان يقصد إليه الفراء في كتاب (معاني القرآن) .

الممنـوع من الصـرف

يدرج النحاة هذا المبحث ضمن المباحث النحوية، ولاسيما أن دراسته تتعلق بحركة الحرف الأخير، إلا أننا آثرنا ذكره هنا؛ لأنه يهتم ببنية الكلمة، ويرى الفراء أن هذا الاهتمام سبب فـي حدوث بعض التغيير الذي يصيب آخرها حين تتركب مع غيرها من الكلمات في الجر خاصـة بحيث تلحقها الفتحة بدلاً من الكسرة، وتمتنع من التنوين أيضاً .

ويطلق الفراء على الاسم المنصرف مصطلح (ما يجرى)، والممنوع من الصـرف (مـا لا يجرى)، أو (غير المجرى) ، كما عبر مراراً عن الصرف بـ (الإجراء)، ويبدو ذلك واضـحاً في قوله تعالى: (ذُوقُوا مس سقَر) [3]. يقول: "سقر : اسم من أسماء جهنم لا يجرى، وكل اسـم كان لمؤنث فيه الهاء أو ليس فيه الهاء فهو لا يجرى إلا أسماء مخصوصة خفت فأجريت، وترك بعضهم إجراءها، وهي: هند، ودعد، وجمل، ورئم، تُجرى ولا تُجرى. فمن لم يجرها قال : كل مؤنث فحظّه ألا يجرى، لأن فيه معنى الهاء، وإن لم تظهر ألا ترى أنك إذا حقرتها وصـغرتها

---

(1) اللعاع : نبت ناعم في أول ما يبدو. ينظر اللسان مادة (لعع).

(2) الفراء : معاني القرآن 267/3.

(3) آية 48 سورة القمر .

قلت: هنيدة، ودعيدة، ومن أجراها قال : خفت لسكون أوسط منها، وأسقطت الهاء، فلـم تظهـر فخففت فجرت" [1]، وقوله: "و (عاد) مجرى في كل القرآن لم يختلف فيه. وقد يتـرك إجـراؤه، يجعل اسماً للأمة التي هو منها"[2]، وفي قوله تعالى: (اهبِطُوا مصراً) [3]. يقـول: " إن شـئت جعلت الألف التي في (مصراً) ألفا يوقف عليها، فإذا وصلت لم تنون فيها، كما كتبوا (سلاَسـلاً) [4] و (قَوارِيراً) [5] بالألف، وأكثر القراء على ترك الإجراء فيهما. وإن شئت جعلـت (مصـر) غير المصر التي تُعرف، يريد اهبطوا مصرا من الأمصار"[6].

المفـرد والجمـع

يستعمل الفراء مصطلح الجميع والجماع للدلالة على الجمع في اللغة، والتوحيد للدلالة علـى المفرد، ويندرج تحت مصطلح الجمع عنده كل ما كان له مفرد من لفظه وتركيبه سواء أكان اسم جمع أم اسم جنس أم غير ذلك مما كان له واحد من لفظه. وهذا الرأي تفرد به الفراء عمن سبقه من علماء اللغة، يقول السيوطي: "وخالف الفراء في كل ما له واحد موافق من أصل اللفظ كبسر وغمام وسحاب ونحوها ورد بأنه لو كان جمعاً لم يجر وصفه بالمفرد وقد وصف به قال تعالى: (إليه َيصعد الْكلم الطيب) (أعجاز نَخْلٍ منْقَعِر) [7]. فيدل هذا على أن الأصل عنده في الجمع أن يكون للمفردة أصل من لفظها .

---

(1) الفراء : معاني القرآن 110/3.

(2) المصدر السابق 19/1.

(3) آية 61 سورة البقرة .

(4) آية 4 سورة الإنسان .

(5) آية 15 سورة الإنسان .

(6) الفراء : معاني القرآن 43/1.

(7) السيوطي: همع الهوامع مع شرح جمع الجوامع في علم العربية 184/2.

وقد استتبع ذلك اضطراب وعدم انسجام واتساق في المصطلح، علماً أن مصطلحات الجمـع والجميع والجماع مترادفة، وكذلك الحال بالنسبة للمفرد والإفراد والتوحيد؛ ولا سيما أن الجمـع عنده يضم كل ما كان له واحد من لفظه، كما أنه يطلق على اسم الجمع، واسم الجنس، وصـيغة منتهى الجموع مصطلح الجماع، وأمثلة استخدامه لمصطلح الجماع للدلالة علـى اسـم الجمـع كثيرة، منها ما قاله في أثناء حديثه عن قوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ) [1] يقول : " فإن السماء في معنى جمع، فقال (فَسواهن) للمعنى المعروف أنهن سـبع سـموات. وكـذلك الأرض يقع عليها – وهي واحدة – الجمع. ويقع عليهما التوحيد وهمـا مجموعتـان، قـال ا عزوجل : (رب السماوات والأرض) [2] . ثم قال: (وما بينَهما) ولم يقل بينهن، فهذا دليل علـى ما قلت لك "[3]. وقوله تعالى : (هب لِي من لدنك ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً) [4]. يقول : "الذرية جمـع، وقـد تكون في معنى واحد. فهذا من ذلك؛ لأنه قد قال : (فَهب لِي من لدنْك ولِياً) [5] ولم يقل أولياء . وإنما قيل (طيبة) ولم يقل طيبا لأن الطيبة أخرجت على لفظ الذرية فأنث لتأنيثها، ولو قيل ذرية طيبة كان صواباً "[6].

أما مصطلح الجمع الذي أطلقه على اسم الجنس، فيفرق بين الجمع فيه والمفرد بالياء، ويبدو ذلك واضحاً فيما قاله عند تفسيره لقوله تعالى: (وقَالُوا لَن يدخُلَ الْجنةَ إِلا مـن كَـان هـودا أَو نَصارى)[7] . يقول: "يريد يهودياً، فحذف الياء الزائدة ورجع إلى الفعل من اليهودية. وهي فـي

---

[1] آية 29 سورة البقرة .

[2] آية 5 سورة الصافات.

[3] الفراء : معاني القرآن 25/1.

[4] آية 38 سورة آل عمران.

[5] آية 5 سورة مريم.

[6] الفراء : معاني القرآن 208/1.

[7] آية 111 سورة البقرة .

قراءة أُبي وعبد ا : (إلاّ من كان يهوديا أو نَصرانيا) وقد يكون أن تجعل اليهود جمعاً واحـده هائد ممدود، وهو مثل حائِل ممدود– من النوق – وحول، وعائِط وعوط و عيط وعـوطط" [1]، كما أنه استخدم له المصطلح الشائع في اللغة (ما ليس له بناء من لفظه)، على نحو قوله: "يقول القائل : كيف جمعت (عليون) بالنون، وهذا من جمع الرجال؛ فإن العرب إذا جمعـت جمعـاً لا يذهبون فيه إلى أن له بناء من واحد واثنين، فقالوه في المؤنث، والمذكر بالنون، من ذلك هـذا، وهو شيء فوق شيء غير معروف واحده ولا أنثاه" [2]. ومما ورد فيه مصطلح الجمع للدلالـة على صيغة منتهى الجموع ما قاله في أثناء تفسيره لقوله تعالى: (لاَ يعلَمون الْكتَاب إِلا أَمـاني و إِن هم) [3] . يقول : " فالأماني على وجهين في المعنى، ووجهين في العربية؛ فأما في العربيـة فإن من العرب من يخفف الياء فيقول : (إلاّ أَماني وإن هم) ومنهم مـن يشـدد، وهـو أجـود الوجهين. وكذلك ما كان مثل أمنية، ومثل أَضحية، وأغنية، ففـي جمعـه وجهـان : التخفيـف والتشديد. وإنما تشدد لأنك تريد الأفاعيل، فتكون مشددة لاجتماع الياء من جمع الفعـل واليـاء الأصلية. وإن خففت حذفت الياء من جمع الفعل والياء وهو كما يقال: القَراقير[4] والقَراقر" [5]. [5].

وأما استخدامه لمصطلح الجماع تعبيراً عن الجمع، فيتضح في أثناء تفسيره لقوله تعـالى : (يورثُ كَلاَلَةً) [6]. يقول "وفي قراءتنا (إن يكُن غَنياً أَو فقيراً فَالله أَولَى بِهِما) [7] وفـي إحـدى

---

(1) الفراء : معاني القرآن 73/1.
(2) المصدر السابق 247/3.
(3) آية 78 سورة البقرة .
(4) قَراقير وقَراقر جمع قُرقور بالضم وهي السفينة العظيمة الطويلة.
(5) الفراء : معاني القرآن 49/1.
(6) آية 12 سورة النساء .
(7) آية 135 سورة النساء.

القراءتين (فا   أولى بهم) ذهب إلى الجماع لأنهما اثنان غير مؤقتين" [1]، وقوله تعـالى : (لَقَـد نَصركُم الله في مواطن كثيرةً) [2]. يقول : "نصبت المواطن لأن كل جمع كانت في ألف قبلهـا حرفان وبعدها حرفان فهو لا يجرى، مثل صوامع، ومساجد، وقناديل، وتماثيـل، ومحاريـب. وهذه الياء بعد الألف لا يعتد بها؛ لأنها قد تدخل فيما ليست هي منه، وتخرج مما هي منه، فلـم يعتدوا بها؛ إذ لم تثبت كما ثبت غيرها. وإنما منعهم من إجرائه أنه مثال لم يأت عليه شيء مـن الأسماء المفردة، وأنه غاية للجماع؛ إذا انتهى الجماع إليه فينبغي له ألا يجمع "[3].

ومن أمثلة استخدامه مصطلح الجميع للدلالة على الجمع ما قاله عند تفسيره لقوله تعـالى : (ذَلِك يوعظُ بِه) [4] . "يقول : ولم يقل : ذلكم، وكلاهما صواب. وإنما جاز أن يخاطـب القـوم (بذلك) لأنه حرف قد كثر في الكلام حتى تُوهم بالكاف أنها من الحرف[5] وليسـت بخطـاب . ومن قال (ذلك) جعل الكاف منصوبة وإن خاطب امرأة أو امرأتين أو نسوة ومن قـال (ذلكـم) أسقط التوهم، فقال إذا خاطب الواحد: ما فعل ذلك الرجل، وذانك الرجلان، وأولئـك الرجـال. ويقاس على هذا ما ورد. ولا يجوز أن تقول في سائر الأسماء إذا خاطبت إلا بإخراج المخاطب في الاثنين والجميع والمؤنث؛ كقولك للمرأة: غلامك فعل ذاك؛ لا يجـوز نصـب الكـاف ولا توحيدها في الغلام؛ لأن الكاف ههنا لا يتوهم أنها من الغلام. ويجوز أن تقول : غلامـك فعـل ذاك وذاك، على ما فسرت لك: من الذهاب بالكاف إلى أنها من الاسم "[6]، وفي قولـه تعـالى :

---

[1] الفراء : معاني القرآن 258/1.

[2] آية 25 سورة التوبة .

[3] الفراء : معاني القرآن 428/1.

[4] آية 232 سورة البقرة.

[5] لا يريد بالحرف هنا ما يقابل الاسم، وإنما أي جزء من الكلمة التي تلحق بها وهي اسم الإشارة كذا وفروعها.

[6] الفراء : معاني القرآن 149/1.

(ما كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعمروا مساجِدِ الله) [1]. يقول : "وهو يعني المسجد الحرام وحده .. وربما ذهبت العرب بالواحد إلى الجمع، وبالجمع إلى الواحد؛ ألا ترى الرجل على البِرذَون فتقول : قد أخذت في ركوب البراذين، وترى الرجل كثير الدراهم فتقول: إنه لكثير الدرهم. فأدى الجماع عن الواحد، والواحد عن الجمع . وكذلك قول العرب : عليه أخلاق نعلين وأخلاق ثوب" [2].

فكما هو واضح فإن الفراء قد استخدم في هذا الاقتباس الجمع والجماع، وهذا يدل على رغبته في توضيح المصطلح الصرفي، من خلال استخدام مرادفات للمصطلح.

ويرد مصطلح جمع المؤنث السالم عنده بـ (الجمع بالتاء)، على نحو ما قاله في أثناء تفسيره لقوله تعالى: (بِنِعمة اللّه) [3] ، وأنه يجوز أن تقرأ (بِنِعمات اللّه) . يقول : "وقد قرئت (بنِعمات اللّه) وقلما تفعل العرب ذلك بفعله : أن تجمع على التاء إنما يجمعونها على فعلٍ؛ مثل سدرة وسدر، وخرقة وخرق"[4] .

ويستتبع ذلك أنه يطلق على واو جمع المذكر السالم (واو الجماع)، وتاء جمع المؤنث السالم (تاء الجماع)، ويبدو ذلك واضحاً في قوله : "وإنما جاز ذلك في هذا المنقوص الذي كان على ثلاثة أحرف فنُقصت لامه، فلما جمعوه بالنون توهموا أنه فعول إذ جاءت الواو الأصلية وأن الحرف على فُعول؛ ألا ترى أنهم لا يقولون ذلك في الصالحين والمسلمين وما أشبهه. وكذلك قولهم الثبات واللغات، وربما عربوا التاء منها بالنصب والخفض وهي تاء جماع ينبغي أن تكون خفضاً في النصب والخفض، فيتوهمون أنها هاء، وأن الألف قبلها من الفعل "[5].

---

[1] آية 17 سورة التوبة .

[2] الفراء: معاني القرآن 426/1، 427.

[3] آية 31 سورة لقمان.

[4] الفراء: معاني القرآن 329/2.

[5] المصدر السابق 93/2.

مما سبق من حديث عن مصطلحات المفرد والجمع يتضح أن هذا العالم صاحب ثروة لغوية ضخمة، ولكنه اضطرب في هذه المصطلحات إلى حد كبير، لا سيما أنه أطلق على كل ما لـه واحد من لفظه جمعاً، فجمع تحت هذا المصطلح شتى صنوف الجمع وأنواعه، ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى تخبط الدارسين لكتب هذا العالم خصوصاً المبتدئين منهم، كما أن ذلك لا يتسـق مـع الأسلوب التعليمي الذي اتسم به كتابه (معاني القرآن).

المـؤنث الحـقيقي

أطلق عليه الفراء مصطلح (المؤنث الذي تأنيثه في نفسه). ويـنص الكنغـراوي علـى أن للكوفيين مصطلحاً آخر هو (ذات حر) في أثناء مناقشته للمسند والمسند إليه بقولـه: "إذا كـان المسند إليه ظاهراً ذات حر متصل، مفرداً أو مثنى يجب تأنيث المسند مفرداً، وإذا كان مـذكراً، مفرداً أو مثنى، فالتذكير، وإلا فوجهان"[1] ، وينص شارح كتاب الموفي في النحو الكوفي علـى ذلك بقوله: "ويا عجبا للمؤلف كيف اختار هذا اللفظ (ذات حر) الذي اضطر إليه ابن مالك فـي ألفيته، فقد يغتفر في الشعر ما لا يغتفر في غيره، وقد كان فـي وسـعه أن يقـول : (المؤنـث الحقيقي)، ولعل مذهب الكوفيين اضطره إلى (ذات حر) !" [2].

ويظهر استخدام الفراء لمصطلح (المؤنث الذي تأنيثه في نفسه) واضحاً في قوله تعالى : (إن أخي هذَا لَه تسع وتسعون نَعجةً) [3]. يقول: "وفي قراءة عبد ا (نَعجةً أُنْثَى) والعـرب تؤكـد التأنيث بأنثاه، والتذكير بمثل ذلك، فيكون كالفعل في الكلام فهذا من ذلك. ومنه قولك للرجـل : هذا وا رجل ذكر. وإنما يدخل هذا في المؤنث الذي تأنيثه في نفسه؛ مثـل المـرأة والرجـل

---

[1] الكنغراوي : الموفي في النحو الكوفي 22.

[2] المصدر السابق 22.

[3] آية 23 سورة ص.

والجمل والناقة. فإذا عدوت ذلك لم يجز. فخطأ أن تقول : هذه دار أنثى، وملحفـة أنثـى؛ لأن تأنيثها في اسمها لا في معناها "[1].

تـــاء التـأنيث

يستخدم للدلالة عليها مصطلح (الهاء) التي تقع في آخر الأسماء؛ للدلالة على التأنيـث، وهو بذلك يوافق الخليل وسيبويه في إطلاقه (الهاء) على تاء التأنيث[2] إلا أنـه يخالفهمـا فـي إطلاق الهاء على الضمير المتصل للغائب، فمصطلح الهاء يدل عنده دلالة واضحة علـى تـاء التأنيث والضمير المتصل للغائب أيضاً، وأمثلة ذلك في كتابه (معاني القرآن) كثيرة منهـا مـا أورده عند تفسيره لقوله تعالى : (فَأْتُوا بِسورة من مثله) [3]. يقول : "الهاء كناية عـن القـرآن، فأتوا بسورة من مثل القرآن (و ادعوا شُهداءكُم) يريد آلهتكم"[4]، وفي قولـه تعـالى : (والـذين يتَوفون منْكُم ويذَرون أَزواجاً يتَربصن) [5]. يقول :" (وعشْراً) ولم يقل : (وعشـرة) وذلـك أن العرب إذا أبهمت العدد من الليالي والأيام غلبوا عليه الليالي حتى إنهم ليقولون : قد صمنا عشرا من شهر رمضان لكثرة تغليبهم الليالي على الأيام. فإذا أظهروا مع العدد تفسيره كانت الإنـاث بطرح الهاء، والذكران بالهاء "[6] . وفي قوله تعالى: (أَرجِه وأَخَاه) [7]. يقول: (جاء التفسـير: احبسهما عندك ولا تقتلهما، والإرجاء تأخير الأمر. وقد جزم الهاء حمزة والأعمش. وهي لغـة

---

[1] الفراء : معاني القرآن 2/ 403، 404.

[2] ينظر سيبويه: الكتاب 238/4، 166، والخليل بن أحمد : الجمل في النحو 291.

[3] آية 23 سورة البقرة.

[4] الفراء : معاني القرآن 19/1.

[5] آية 234 سورة البقرة .

[6] الفراء : معاني القرآن 151/1.

[7] آية 111 سورة الأعراف.

للعرب: يقفون على الهاء المكني عنها في الوصل إذا تحرك ما قبلها ... وكذلك بهاء التأنيـث؛ فيقولون : هذه طلحه قد أقبلت "[1].

الاسـ ـم الجـ ـامد

ويعبر عنه الفراء بـ (الاسم) مجرداً من أي نسبة أو إضافة، كما هو الحال في قوله عند تعرضه لقوله تعالى: (ولاَ تَكُونُوا أَولَ كَافرٍ بِهِ) [2]. يقول : "فوحد الكافر وقبله جمع وذلك مـن كلام العرب فصيح جيد في الاسم إذا كان مشتقاً من فعل، مثل الفاعل والمفعول، يـراد بـه ولا تكونوا أول من يكفر فتحذف (من) ويقوم الفعل مقامها فيؤدي الفعل عن مثله ما أدت (من) عنـه من التأنيث والجمع وهو في لفظ توحيد. ولا يجوز في مثله من الكلام أن تقول : أنـتم أفضـلُ رجلٍ، ولا أنتما خير رجل؛ لأن الرجل يثنى ويجمع ويفرد فَيعرف واحده من جمعه، والقائم قـد يكون لشيء ولمن فيؤدي عنهما وهو موحد؛ ألا ترى أنك قد تقول : الجيش مقبل والجند منهزم، فتوحد الفعل لتوحيده، فإذا صرت إلى الأسماء قلت : الجيش رجال والجند رجـال؛ ففـي هـذا تبيان"[3].

المصـ ـ ـادر

يطلق الفراء على المصدر عدة مصطلحات، كأن يسميه (الفعل)، ويعبـر عنـه أحياناً باسمه (المصدر)، وفي إطلاقه الفعل على المصدر، يحاول أن يؤكد رأيه بأن الفعل أصل المصدر على عكس ما ذهب إليه البصريون، ومن أمثلة إطلاقه عليه مصطلح الفعل قولـه فـي

---

[1] الفراء : معاني القرآن 388/1.

[2] آية 41 سورة البقرة .

[3] الفراء : معاني القرآن 32/1، 33.

أثناء تفسيره للآية الكريمة : (بِشق الأَنْفُس) [1]. يقول : "أكثر القراء على كسر الشين ومعناهـا: إلا بجهد الأنفس. وكأنه اسم وكأن الشق فعل، كما تُوهم أن الكُره الاسم وأن الكَره الفعل. وقـد قرأ به بعضهم" [2].

أما أمثلة استخدامه للمصدر باسمه فكثيرة منها ما جاء في قوله تعالى: (غُفْرانَك ربنَا)[3] يقول عن غفرانك: "مصدر وقع في أمر فنُصب. ومثله : الصلاةَ الصلاة. وجميع الأسماء مـن المصادر وغيرها إذا نويت الأمر نصبت" [4].

ويبدو الخلط وعدم الاستقرار في هذا المصطلح حيث نراه يطلق على اسم الهيئة واسـم الذات المصدر، وحين يتعرض لاسم المرة فإنه يكتفي بذكر وصفه لا لفظه كما هو واضح فيمـا قاله في أثناء تفسيره لقوله تعالى : (وإِقَامِ الصلاة) [5]. قال :" وأما قوله (و إقَام الصـلاة) فـإن المصدر من ذوات الثلاثة إذا قلت : أفعلت كقيلك : أقمت وأجرت وأجبت يقال فيه كلـه: إقامـةً وإجارةً وإجابةً لا يسقط منه الهاء. وإنما أدخلت لأن الحرف قد سقطت منه العين، كان ينبغي أن يقال : أقمته إقواماً وإجواباً فلما سكّنت الواو وبعدها ألف الإفعال فسكنتا سقطت الأولى منهمـا. فجعلوا فيه الهاء كأنها تكثير للحرف. ومثله مما أُسقط منه بعضه فجعلت فيـه الهـاء قـولهم : وعدته عدة ووجدت في المال جِدة، وزِنَة ودية وما أشبه ذلك، لما أسقطت الواو من أوله كُثـر من آخره بالهاء. وإنما استجيز سقوط الهاء من قوله (وإقام الصلاة) لإضافتهم إيـاه، وقـالوا : الخافض وما خفض بمنزلة الحرف الواحد. فلذلك أسقطوها في الإضافة" [6]. أما إطلاقه المصدر

---

[1] آية 7 سورة النحل.
[2] الفراء : معاني القرآن 97/2.
[3] آية 285 سورة البقرة .
[4] الفراء : معاني القرآن 188/1.
[5] آية 37 سورة النور.
[6] الفراء : معاني القرآن 254/2.

على اسم الهيئة في قوله تعالى: (من خطْبة النّساء) [1]. يقول : "الخطبة مصدر بمنزلة الخطْب، وهو مثل قولك : إنه لحسن القعدة والجِلسة؛ يريد القعود والجلوس، والخُطْبة مثل الرسالة التـي لها أول وآخر، قال : سمعت بعض العرب يقول : اللهم ارفع عنا هذه الضغْطة، كأنه ذهب إلـى أن لها أولاً و آخراً ، ولو أراد مرة لقال : الضغْطه، ولو أراد الفعل لقال الضغْطة؛ كمـا قـال المشْية" [2].

وأما إطلاقه المصدر المحض أو المصدر المصرح على اسم الذات، فيبدو واضحاً فـي قوله في أثناء تفسير الآية الكريمة التالية : (وعتَوا عتُواً كبيراً) [3]. يقول : "جاء العتـو بـالواو لأنه مصدر مصرح. وقال في مريم (أيهم أَشَدّ على الرحمن عتياً) [4] فمن جعلـه بـالواو كـان مصدراً محضا. ومن جعله بالياء قال : عات وعتي فلما جمعوا بني جمعهم على واحدهم. وجاز أن يكون المصدر بالياء أيضاً لأن المصدر والأسماء تتفق في هذا المعنى: ألا ترى أنهم يقولون : قاعد وقوم قعود، وقعدت قعوداً. فلما استويا هاهنا في القعود لم يبالوا أن يسـتويا فـي العتـو والعتي "[5].

المشـتقات

ويطلق الكوفيون على بعض أقسامها (شبه الفعل). ويشمل هذا المصطلح عنـدهم اسـم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل، والمنسوب[6]. فلم يكن قصد الكـوفيين

---

(1) آية 235 سورة البقرة .

(2) الفراء : معاني القرآن 152/1.

(3) آية 21 سورة الفرقان.

(4) آية 69 سورة مريم .

(5) الفراء : معاني القرآن 265/1.

(6) الكنغراوي : ينظر الموفي في النحو الكوفي 29.

في هذا المصطلح أن يكون شاملاً لجميع المشتقات؛ ذلك أن هناك بعض المشتقات لا تنتظم تحت هذا المصطلح كاسم الزمان والمكان، وصيغة المبالغة، واسم الآلة، وصيغتا التعجب.

اسـ ـم الفـ ـاعل

يسميه الفراء (الفعل الدائم)؛ ذلك أنه في كتابه (معاني القرآن) يخالف البصـ ـريين فـ ـي تقسيم الأفعال، فيقسمها إلى ماض ومضارع ودائم، ولا يقصد بالدائم فعل الأمر، ولكنه يريد بـ ـه اسم الفاعل. فهو عنده – أي اسم الفاعل – قسيم للماضي والمضارع. ويرد استخدامه لـ ـه فـ ـي معاني القرآن كثيراً على نحو ما قاله عند تفسيره لقوله تعالى: (ومالَنَـ ـا ألا نُقَاتـ ـلَ) [1]. يقـ ـول :"وقال الكسائي في إدخالهم (أن) في (مالك) : هو بمنزلة قوله : (ما لكم في ألا تقاتلوا) ولو كان ذلك على ما قال لجاز في الكلام أن تقول: مالك أن قمت، ومالك أنك قائم؛ لأنك : في قيامـ ـك، تقول : منعتك أن تقوم، ولا تقول : منعتك أن قمت. فلذلك جاءت في (مالك) في المستقبل ولـ ـم تأت في دائم ولا ماض. فذلك شاهد على اتفاق معنى مالك وما منعك "[2].

وقد ذكره في مواطن أخرى بمصطلح (الفعل)، على نحو قوله في أثناء تفسـ ـيره للآيـ ـة الكريمة : (ولِكُلٍ وجهةٌ) [3]. يقول: "يعني قبلة (هو موليها): مستقبلها، الفعل لِكل، يريد : مـ ـول وجهه إليها. والتولية في هذا الموضع إقبال"[4]، وفي تفسير قوله تعالى : (ما هذَا بشَراً)[5]. قال: قال: "وإذا قدمت الفعل قبل الاسم رفعت الفعل واسمه فقلت : ما سامع هذا وما قائم أخوك: وذلك أن الباء لم تستعمل ها هنا ولم تدخل؛ ألا ترى أنه قبيح أن تقول : ما بقائم أخوك؛ لأنها إنما تقع

---

(1) آية 246 سورة البقرة .

(2) الفراء : معاني القرآن 165/1.

(3) آية 148 سورة البقرة .

(4) الفراء : معاني القرآن 85/1.

(5) آية 31 سورة يوسف.

في المنفي إذا سبق الاسم، فلما لم يكن في (ما) ضمير الاسم قبح دخـول البـاء "[1]. علـى أن إطلاق مصطلح (الفعل الدائم) و (الفعل) كان يرد في المواطن التي يرد فيها اسم الفاعل عاملاً، أما إذا لم يكن عاملاً فإنه يدخله في باب الأسماء، ويفسر شوقي ضيف هذه الظاهرة، فيذكر أنهم "وجدوه يعمل عمل الفعل كما وجدوا الأخفش الأوسط يجيز عمله معرفاً بالألف واللام "[2]، كمـا أن الخلاف حول أيهما الأصل الفعل أم المصدر وذهاب الكوفيين إلى أن الفعل هو الأصل جعلهم يطلقون عليه مصطلح (الفعل)، أضف إلى أن تسمية اسم الفاعل بـ (الفعل الدائم) جاءت من أن هذه الصيغة تدل على الحال والاستقبال، وهذا هو معنى المضارعة. يقول شرف الدين الراجحي : "إذن نستطيع أن نقرر أن الفراء ومن تابعه من الكوفيين أطلقوا مصطلح الفعـل الـدائم مـرة والفعل أخرى لمشابهة اسم الفاعل للفعل المضارع في العمل للمجاراة اللفظية أو المعنويـة وأن تسميته بالدائم مردها إلى دلالة اسم الفاعل على الثبوت أو الاستمرار في كثيـر مـن المـواطن ولكننا نرى اسم الفاعل يأتي دالاً على الحدوث لا الثبوت وذلك واضح في الحال المنصوب "[3].

ويستخدم أحياناً مصطلح (الفاعل) اكتفاء بلقب الوزن، كما هو الحال فـي قولـه عنـد تفسيره للآية الكريمة : (ولاَ تَكُونُوا أَولَ كافرٍ بِه) [4]. يقول :" فوحد الكافر وقبله جمع وذلك من كلام العرب فصيح جيد في الاسم إذا كان مشتقاً من فعل، مثل الفاعل والمفعول، يـراد بـه ولا تكونوا أول من يكفر فتحذف (من) ويقوم الفعل مقامها فيؤدي الفعل عن مثل ما أدت (من) عنـه

---

(1) الفراء : معاني القرآن 43/2.

(2) شوقي ضيف: المدارس النحوية 166.

(3) شرف الدين الراجحي : في المصطلح الصرفي عند الفراء في كتابه (معاني القرآن) 133.

(4) آية 41 سورة البقرة .

من التأنيث والجمع وهو في لفظ توحيد"[1]، وقوله: "لا يثبتون الياء في شيء من (فاعـل) فـإذا أدخلوا منه الألف واللام قالوا بالوجهين فأثبتوا الياء وحذفوها"[2].

فالواضح أن هذا المصطلح فيه كثير من الخلط وعدم الاستقرار؛ ذلك انه يطلق عليه عدة مسميات كالفعل الدائم، والفعل، والفاعل. على أن مصطلح الفعل الدائم لا يرد في كتابـه كثيـراً مقارنة مع بقية المصطلحات الخاصة باسم الفاعل.

وبالرغم من محاولة الكوفيين الجادة في نشر هذا المصطلح إلا أنه لم يكتب له الـذيوع والانتشار مقارنة مع اصطلاح البصريين، فقد بقي في بيئتهم، ولم يتجـاوز ذلـك إلـى بيئـة البصريين، ومن شايعهم، ويعود سبب ذلك إلى الهجوم الذي أداره البصريون ضد الفراء، فعملوا على نشر مصطلحهم (اسم الفاعل)، وتابعهم في ذلك المتأخرون، فانتشر هـذا المصـطلح فـي البيئات اللغوية إلى وقتنا الحاضر، وبقي مصطلح (الفعل) و (الفعل الدائم) مـن المصـطلحات التاريخية .

اسـم المفعـــول

وهو أحد المشتقات التي وردت في كتابه (معاني القرآن) بالوزن نفسه غالباً، وهذا هـو نهجه مع المشتقات غير اسم الفاعل، فيذكرها بالوصف، أو الوزن، أو بلقب الأسماء، فقد ذكـر للدلالة عليه مصطلح (المفعول به)، مثال ذلك ما قاله في أثناء حديثه عن صـيغ اسـم الفاعـل والمفعول والمصدر من فوق الثلاثي. يقول :" وما كان من ميم زائدة أدخلتها على فعل ربـاعي قد زيد على ثلاثيه شيء من الزيادات فالميم منه في الفاعل والمفعول به والمصدر مضـمومة.

---

[1] الفراء : معاني القرآن 32/1، 33.

[2] المصدر السابق 201/1.

من ذلك قولك رجل مستَضرب ومستطعم ومستطعم. يكون المستَطعم –بالفتح- مصدراً ورجـلا وكذلك المضارِب هو الفاعل والمضارب – بالفتح – مصدر ورجل "[1].

ومما ورد فيه استخدام اسم المفعول بصيغة (مفعول) قوله فـي أثنـاء تفسـيره الآيـة الكريمة: (ولاَ تَكُونُوا أَولَ كافرٍ بِه) [2]. يقول : "فوحد وقبله جمع وذلك من كلام العرب فصـيح جيد في الاسم إذا كان مشتقاً من فعل، مثل الفاعل والمفعول "[3]، وفي قوله تعـالى : (وكَانَـت الْجِبالُ كَثيباً مهيلاً) [4]. يقول : " والمهيل : المفعول، والعرب تقول : مهيل ومهيـول، ومكيـد ومكيود"[5].

اسـم الزمـان والمكـان

يورد الفراء كلاً من اسم الزمان والمكان في كثير من الأحيان بمصطلح (الاسم)، ومـن شأن ذلك أن يؤدي إلى خلط في المصطلح، ولا سيما أن هذا المصطلح يرتبط في الأذهان بأحـد أقسام الكلمة، ويبدو ذلك واضحاً في تفسيره قوله تعالى : (لمهلكهم موعدا) [6]. يقول : " لإهلاكنا إياهم (موعداً) أجلا وقرأ عاصم (لِمهلَكهم) فتح الميم واللام ويجوز (لمهلكهم) بكسر اللام تبنيـه على هلَك يهلك. فمن أراد الاسم مما يفْعل منه مكسور العين بكسر مفعلا " [7].

---

[1] الفراء : معاني القرآن 153/2.
[2] آية 41 سور البقرة .
[3] الفراء : معاني القرآن 32/1.
[4] آية 14 سورة المزمل.
[5] الفراء : معاني القرآن 198/3.
[6] آية 59 سورة الكهف .
[7] الفراء : معاني القرآن 148/2.

كما أنه يذكر اسم المكان بمصطلح (الموضع)، ويظهر ذلك في أثناء تفسيره لقوله تعالى: (لاَ مقام لَكُم) [1]. قراءة العوام بفتح الميم؛ إلا أبا عبد الرحمن فإنه ضم الميم فقال (لاَ مقَام لَكُـم) فمن قال (لا مقام) فكأنه أراد : لا موضع قيام. ومن قرأ (لا مقام) كأنـه أراد : لا إقامـة لكـم (فارجِعوا) "[2].

كما أنه يستخدم المصطلح الشائع (اسم المكان) في بعض الأحيان، كما هو الحـال فـي تفسيره لقوله تعالى: (وإِذْ جعلْنَا البيتَ مثَابةً لِلناسِ) [3]. قال : "يثوبون إليه – من المثابة والمثاب والمثاب – أراد : من كل مكان. والمثابة في كلام العرب كالواحد؛ مثل المقام والمقامة" [4].

الصـفة المشـبهة

أطلق عليها الفراء مصطلح الوصف، ويظهر لنا ذلك في قوله : "السلْى سلى الشاة يكتب بالياء وإذا وصفت بذلك قلت سلْياء وقد سليت الشاة إذا تدلّى ذلك منها "[5].

والدارس لهذه المصطلحات يمكنه أن يخرج بمجموعة ملاحظات يمكن حصرها فيما يلي:-

أولاً: هذه المصطلحات هي مصطلحات المدرسة الكوفية، التي حاول الفـراء فيهـا أن يرسم صورة الدراسة اللغوية للمدرسة الكوفية من خلالها، فقد تلقفها الكوفيون بالقبول والاحترام وحاولوا إملاءها على تلاميذهم ونشرها في مصنفاتهم.

ثانياً: بعض هذه المصطلحات قد وضعها الفراء نتيجة لثقافته اللغوية القائمة على احترام كل مسموع، والاستقاء من علوم البصريين، إلا أنها لم تبق رهينة أفكار المدرسـة البصـرية،

---

(1) آية 13 سورة الأحزاب .

(2) الفراء : معاني القرآن 336/2، 337.

(3) آية 125 سورة البقرة .

(4) الفراء : معاني القرآن 76/1.

(5) الفراء : المنقوص والممدود 32.

والمصطلحات جزء منها، فرغب في التميز والسير بمنهج مستقل يكمل بـه مـا بنـاه شـيخه الكسائي، ومن أبرز هذه المصطلحات (الألف الخفيفة، والإدغام بإسكان الدال، وهـاء التأنيـث والغائب)، إلى غير ذلك من المصطلحات.

ثالثاً: يعاني المصطلح الصرفي في بعض الأحيان من عدم الاسـتقرار، والبعـد عـن الإحكام الدقيق في التسمية، لاسيما أنه يطلق المصطلح الواحد للدلالة على عدة مسميات كما هو واضح في مصطلح الفعل الذي هو عنده (الخبر المنصوب، والحال، والمصدر، واسم الفاعل).

رابعاً: استخدام الفراء لبعض المصطلحات بما يرادفها، يدل على رغبته فـي توضـيح المصطلحات وشرحها، ويظهر ذلك في استخدامه عدة مصطلحات متقاربة في المعنـى للدلالـة على عدم الإدغام (الإظهار، والتبيان، والتخفيف، وعدم الإدغام، والإظهار).

خامساً: بعض المصطلحات التي نسبها بعض العلماء للفراء أو للمدرسة الكوفية وعدوها تجديداً منه قد ولدت عند الخليل بن أحمد الفراهيدي، وتناقلها سيبويه إلى أن وصلت للفراء، مثال ذلك الألف في مقابل الهمزة، وهاء التأنيث في مقابل تاء التأنيث.

سادساً: بعض المصطلحات التي أطلقها الفراء اتسمت بالدقة، وكانت أقـرب إلـى روح اللغة من مصطلحات البصريين، ويظهر ذلك في مصطلح (الإدغام) بتسكين الدال.

سابعاً: تستوعب مصطلحات الفراء الصرفية جميع أقسام الصرف وفروعه، ويعود ذلك إلى رغبته الملحة في التميز والتفرد والاستقلال عن المدرسة البصرية.

ثامناً : بعض المصطلحات التي استخدمها الفراء تعد مصطلحات صرفية صوتية، لكـن الفراء قد استخدمها في إطار المباحث الصرفية، وواقع الحال أنها تبحث في الصوت المفرد، إلا أن القدماء كانوا يدرجون المباحث الصوتية ضمن المادة الصرفية، من ذلك مصطلحات (الهمزة، والإدغام، والإظهار، والتخفيف، والتثقيل)، وغيرها.

الفصـــــل الثـــــالث

جهـود الفـــراء الصـرفية

مفهـوم علـم الصـرف :

يكاد علماء اللغة يجمعون على أن علم الصرف هو: "علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلام التي ليست بإعراب " [1].

ولعل أقدم نص وصل إلينا وفيه ذكر التصريف وتعريفه يتمثل فيما قاله سـيبويه :"هـذا باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال غير المعتلة والمعتلة، وما قيس من المعتـل الذي لا يتكلمون به، ولم يجئ في كلامهم إلا نظيره من غير بابه، وهو الذي يسميه النحويـون التصريف والفعل[2].

ويفسر السيرافي الكلمتين الأخيرتين من النص بقوله :" أما التصريف فهو تغيير الكلمـة بالحركات والزيادات والقلب ... حتى تصير على مثال كلمة أخرى. والفعـل تمثيلهـا بالكلمـة ووزنها بها، كقوله : ابن لي من (ضرب) مثل (جلْجل). موزوناً (جلجل) بالفعل، فوجدناه (فُعلل) فقلنا : ضربب فتغيير الضاد إلى الضم، وزيادة الباء، ونظم الحروف التي فـي ضـربت علـى الحركات التي فيها، هو التصريف. والفعل هو تمثيله بـ (فُعلُل) الذي هو مثال جلْجل[3].

ويعرفه ابن جني، بقوله :" هو أن تأتي إلى الحروف الأصول – فتتصرف فيها بزيـادة حرف أو تحريف بضرب من ضروب التغيير، فذلك هو التصريف لها، نحو قولك ضرب، فهذا مثال الماضي، فإن أردت المضارع قلت يضرب- أو اسم الفاعل قلت ضـارب – أو المفعـول قلت مضروب – أو المصدر قلت ضرباً – أو فعل ما لم يسلم فاعله قلت ضرِب، وإن أردت أن الفعل كان أكثر من واحد على وجه المقابلة قلت ضارب ... " [4].

---

[1] الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب 1/1.

[2] سيبويه : الكتاب 242/4.

[3] السيرافي: شرح كتاب سيبويه 586/5. نقلاً عن فخر الدين قباوة: ابن عصفور والتصريف 15.

[4] ابن جني: التصريف الملوكي 2.

إلا أن السؤال الذي يتبادر إلى ذهن الباحث هو : ما هو تعريف الفراء لهذا العلم؟ وهـل ورد هذا المصطلح عنده على الصورة نفسها التي ورد فيها عند سيبويه ؟ لا سيما أن سـيبويه كان ممن أثر في ثقافته اللغوية.

للإجابة عن هذا السؤال نود أن نثبت حقيقة تتعلق بهذا الجانب من علم الفراء؛ هي أنه لم يذكر مصطلح التصريف أو الصرف للدلالة على هذا القسم من أقسام اللغة، وقد كان ذلـك دأب علماء اللغة من قبله؛ مما حدا بفخر الدين قباوة إلى أن يقول :" إذا تتبعت تراجم من خلف بعـد الحضرمي كأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمرو، والخليل، وسيبويه، والكسائي، والفـراء، وأبي زيد الأنصاري، والجرمي، والمازني، والمبرد ... لـم تكـن تقـف علـى ذكـر لعلـم التصريف"[1]. ويبدو أن الدراسة النحوية قد طغت على هذا القسم، فغدت اللغة عنده وكأنها النحو وحسب، كما أن البحث اللغوي عند القدماء كان يسير على هذه الطريقة، فكانوا لا يفرقون بـين النحو والصرف، وقد بدا ذلك واضحاً في كتبهم. وفي ذلك يقول محقق كتاب الخصائص :" كان ابن جني إماماً في النحو والصرف، وهو على إمامته فيهما في النحو أمثل منه في الصرف، كما يذكره الكاتبون لترجمته، وإن كان لا يعرف إلا بالنحوي، فالنحو – بـالمعنى العـام – ينـتظم الصرف. ومرد نبوغه في الصرف وتفوقه فيه أن عجزه أمام أبي علي الفارسي كان في مسـألة صرفية، كما سبق إيراده، فكان جده في الصرف أكثر وأبلغ من جده في النحو "[2].

وإلى المعنى نفسه ذهب صباح عباس السالم، فقرر أن القدماء لم يكونوا يفصلون بـين النحو والصرف بقوله : "لم يكن هناك فصل بين الصرف والنحو آنذاك، ولم يبدأ دراسـة بنيـة الكلمة دراسة خاصة إلا الخليل بن أحمد ثم تلميذه سيبويه الذي نلحظ تمييزه النحو من الصـرف

---

(1) فخر الدين قباوة: ابن عصفور والتصريف 51.

(2) ينظر ابن جني: الخصائص 47/1.

في (الكتاب)، إذ جعل القسم الأول منه في مادة النحو وجعل قسمه الأخير في الصـرف حيـث حفظ لنا دراسات شيخه القيمة في الحروف وخاصة بنية الكلمة عامة"[1].

والصرف عند القدماء قسم من أقسام النحو لا قسيمه؛ ذلك أنه لم يفرد له مؤلفات خاصة عندهم. يقول الاستراباذي : "التصريف جزء من أجزاء النحو بلا خلاف من أهل الصـنعة "[2].
وقد عقب المحقق على ذلك بقوله :" هذا على طريقة المتقدمين من النحاة؛ فإنهم يطلقون النحـو على ما يشمل التصريف، ويعرف على هذه الطريقة بأنه علم يعرف بـه أحكـام التصـريف، ويعرف على هذه الطريقة بأنه علم يعرف به أحكام الكلم العربية إفراداً وتركيباً، أو بأنه العلـم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصولة إلى معرفة أحكام أجزائه التـي ائتلـف منها؛ والمتأخرون على أن التصريف قسيم النحو لا قسم منه، فيعرف كل منهما بتعريف يميـزه عن قسيمه وعن كل ما عداه "، ويبدو ذلك فيما يقوله ابن جني :"لا تجد كتابـاً فـي النحـو إلا والتصريف في آخره" [3].

فابن جني في هذه المقولة ينهج منهج القدماء الذين جمعوا في كتـبهم بـين الصـرف والنحو، كسيبويه في (الكتاب)، والمبرد في (المقتضب)، وأبي علي الفارسي فـي (الإيضـاح)، فكانوا يرون أن الصرف قسم من أقسام النحو لا قسيم له.

وقد ظل ذلك عرفاً سار عليه النحاة في كتبهم مما حدا بفخر الدين قبـاوة أن يقـول :" وكذلك اطرد اندراجهم التصريف في النحو، في القرون التالية، على الرغم مـن انفصـال كـل منهما عن الآخر، في التصنيف والبحث. ولهذا نرى المازني وابن جني وأمثالهما، ممـن غلـب عليهم التصريف، يوصفون في كتب اللغة والتاريخ والتراجم بأنهم من النحاة. لقد طغت شخصية

---

[1] صباح عباس السالم: عيسى بن عمرو الثقفي نحوه من خلال قراءاته 264.
[2] الأستراباذي : شرح شافية ابن الحاجب 6/1.
[3] ابن جني: المنصف 4/1.

النحو، فلم نكد نرى حتى يومنا هذا، في تراجم علماء التصريف المتقـدمين. مـن نسـب إلـى الصرف فقيل فيه: عالم صرفي. وإنما كل منهم يعرف بأنه عالم نحوي" [1].

وقد دأب العلماء على نسبة فضل السبق في نشأة علم الصرف إلـى علمـاء المدرسـة الكوفية؛ لأن الكوفيين كانوا يعتبرون الانفراد بهذا العلم مقوماً من مقومات التميـز والاسـتقلال التي كانوا يسعون إليها، فسبقوا البصريين إلى التأليف، على أن الإرهاصات والمقدمات الأولـى لهذا العلم قد ولدت عند البصريين. يقول محمد الطنطاوي: "حتى عدهم المؤرخون (أي الكوفيين) الواضعين للصرف إذ كان الصرف عند البصريين في المحل الثاني، ولم يكف ذلك الكوفيين في دفع التخاف اللاحق بهم على ما فاتهم من شرف النحو فتهالكوا عليه وتزاحموا بالمناكب شـأن المفرط الذي يحاول تلافي خطئه، فظهرت فيهم علماء وانبعثت فكرة التأليف، وكان أول مؤلـف تداولوه بينهم كتاب (الفيصل) للرؤاسي"[2].

ويبدو أن هذا الرأي ليس دقيقاً إلى حد بعيد، فنظرة في مؤلفات البصريين توضح لنا أن المدرسة البصرية قد سبقت المدرسة الكوفية إلى دراسة اللغة بجميع أقسامها، وإن لـم تصـلنا مؤلفات خاصة بالبصريين فهذا لا يضيرهم؛ لأن مصطلح التصريف قد ولد عند سيبويه وتناقلته العلماء من بعده، كما أن الجزء الأخير من كتابه قد ضمن الكثير من آرائـه الصـرفية. يقـول إبراهيم السامرائي :"ولسنا على يقين تام في سبق البصريين وانصرافهم إلى العلم على الكوفيين إلا ما كان من ذلك في العلوم اللغوية، فقد عرف النحو في البصرة قبل الكوفة، وإذا قيل النحـو فلا بد أن يكون مما اشتمل عليه علوم العربية عامة. ثم جاء بعدهم الكوفيون ليشاركوا المسـعى فكان منهم نحاة وعلماء لغة وأصحاب روايات في القراءات وسائر فنون العربية وما بهـا مـن

---

[1] فخر الدين قباوة : ابن عصفور والتصريف 53.

[2] محمد الطنطاوي : نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة 24.

أخبار وعلم بالأيام والوقائع، ولم يكن هذا مقصور على الكوفيين كما يتراءى لبعض الدارسين في عصرنا، بل كان مثل هذا ما أخذ به البصريون أنفسهم على قدر واف من الحفاظ والتشدد"[1]، ويقول مهدي المخزومي :"ونحو الكوفة عند الكسائي والفراء كنحو البصرة عند سيبويه: دراسات في النحو الاصطلاحي: إلى جانب دراسات في التصريف والاشتقاق، وما يتعلق ببناء الكلمة العام، إلى جانب عرض لبعض الظواهر اللغوية، التي تنبني على ما للأصوات من خصائص حين يتألف مع بعضها بعضاً في ثنايا الكلمات كالإدغام، والإمالة، والإبدال، وغيرها" [2].

والواضح أن فهم الفراء لمصطلح التصريف، يقترب إلى حد كبير من فهم سيبويه؛ ذلك أن واقع كتابه (الحدود) يثبت ذلك، فقسمته لهذا الكتاب توضح أن الصرف عنده قسم من أقسام النحو لا قسيمه، فمما ورد في هذا الكتاب من الحدود الخاصة بالموضوعات الصرفية: حد الفعل الواقع، وحد النون الشديدة والنون الخفيفة، وحد الترخيم، وحد ما لم يسم فاعله، وحد التصغير، وحد التثنية، وحد الفعل الرباعي، وحد الفعل الثلاثي، وحد الإدغام، وحد الهمز، وحد الأبنية، وحد الجمع، وحد المقصور والممدود، وحد المذكر والمؤنث، وحد فعل وأفعل[3].

كما أن كتبه التي اهتم فيها بعلم الصرف والتي خلصت عناوين بعضها لموضوعات صرفية كـ (المذكر والمؤنث، والمقصور والممدود، والمنقوص والممدود، وفعل وأفعل، والمصادر في القرآن، والممدود، ومعاني القرآن، والوقف والابتداء) [4]. لم تكن في موضوعاتها صرفية بحتة ولم تخاص لهذا العلم، فمعاني القرآن – على سبيل المثال – كتاب في التفسير

---

(1) إبراهيم السامرائي: المدارس النحوية أسطورة وواقع 31.

(2) مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة 163.

(3) ينظر ابن النديم : الفهرست 100.

(4) ينظر ابن النديم : الفهرست 100.

اللغوي والدراسة الأسلوبية لآي القرآن الكريم جمع فيه الفراء كثيـراً مـن القضـايا الصـوتية والصرفية والنحوية والدلالية، ففيه يجعل القرآن الكريم مادة لتطبيق القواعد اللغوية، بما في ذلك القواعد الخاصة بعلم الصرف، فجميع آيات القرآن الكريم في هذا الكتاب تعد شواهد اعتمد عليها الفراء في توجيه القضايا اللغوية، وقد استعان في مناقشتها بالقرآن الكريم، والقراءات، والحديث الشريف، والشعر، وكلام العرب. وهو بذلك يعبر عن تفكيره اللغوي الذي يمثل آراء المدرسـة الكوفية أصدق تمثيل.

وكتبه التي خلصت عناوينها لموضوع صرفي كالمذكر والمؤنث، والمقصور والممدود، والمنقوص والممدود نلاحظ فيها أن الفراء يغطي القضية التي يدرسها تغطية كاملة، إلا أنهـا لا توحي بأن الفراء كان يميز بين النحو والصرف أو أنه يعد الصرف قسيماً للنحو، والأرجـح أن الفراء فيها كان يدرج هذه الموضوعات في إطار النحو، فهذه الموضوعات بنـاء علـى فهمـه لمدلول النحو في تلك الحقبة تندرج في إطار النحو الذي كان يشمل الموضوعات الصرفية، فقـد جمعت هذه الكتب إضافة إلى المادة الصرفية التي هي محور الكتاب مادة لغوية ضخمة تتمثـل في القرآن الكريم وقراءاته والشعر وكلام العرب. يقول محمد الطنطاوي : "أما الكوفيـون فقـد ألفوا في بعض أبواب الصرف كتباً خاصة اعتناء بشأنها، لكن لم تصل تآليفهم إلى حـد يجعـل الصرف منفرداً عن النحو بالتأليف، صنف الرؤاسي كتاب التصغير، والكسائي كتاب المصادر، والفراء كتاب فعل وأفعل ومع هذا فإن النحو طفق يتخلص من الصرف ويستقل الصـرف فـي مستهل الطور الآتي على ما سترى "[1]. إلا أن الملاحظ عليه في كتبه المتـوافرة بـين أيـدينا (المقصور والممدود، والمذكر والمؤنث، والمنقوص والممدود والأيام والليالي والشهور) أنه لـم يكن يتعرض للقضايا النحوية في مناقشته للقضايا الخاصة بمواضيع هذه الكتب، فقـد اسـتعان

---

[1] محمد الطنطاوي : نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة 25.

لمناقشتها بقضايا صرفية تخص بنية الكلمة كأن يستعين لمعرفة طبيعة الكلمة مذكرة أو مؤنثة بالتصغير أو التحقير، مع الإكثار من الاستشهاد بالقرآن الكريم وقراءاته، والحديث الشريف، والشعر، وكلام العرب.

ومهما يكن فإن جهوده الصرفية التي حملتها كتبه في أثناء دراسته اللغوية تجعلنا نتفق مع ما ذهب إليه مهدي المخزومي الذي أشار إلى طبيعة الدراسة اللغوية عند الكوفيين بقوله :"وليس نحو الفراء هو هذه الأقوال التي تتصل بالتأليف وعلله، أو بالنحو بمعناه الخاص حسب، لأن نحوه هو نحو الكوفة، وهو نحو عام، كما عرفه البصريون الأولون، في عهد الخليل وسيبويه، اندرجت فيه مسائل صوتية، وأخرى اشتقاقية، وأخرى نحوية.

وإذا تتبعنا أقواله رأيناه قد عرض لكل هذه الموضوعات، فقد عرض لمسائل تتعلق بالأصوات، من حيث مخارجها، وائتلافها، ومن حيث ما يترتب على ائتلافها من ظواهر لغوية، كالإدغام وغيره، وعرض لمسائل تتعلق بأوزان الكلمات، وأوضاع الأبنية، وعرض لمسائل تتعلق بالتأليف و علله" [1]. وفي موضع آخر يقول :"ولكنه (أي الفراء) كان قد حشا تفسيره بكثير من التفسيرات اللغوية لشرح غريب القرآن، وبكثير من الآراء النحوية، على المذهب الكوفي، لإعراب ما يشكل إعرابه من آياته، موضحاً آراءه بكثير من النقول عن العرب، بسماعه هو ممن وثق به من فُصحاء الأعراب، كأبي ثروان، أو بروايته عن الكسائي، أو بحكايته عن يونس أحياناً، ومستشهداً لأقواله في إعراب الآيات بكثير من القراءات، وشواهد الشعر التي صحت روايتها عنده "[2].

---

[1] مهدي المخزومي : مدرسة الكوفة 135.

[2] المصدر السابق 133.

ولعل ما ذكرناه عن المخزومي قد دفعه إلى أن يقرر أن الفراء لغـوي فـي حـين أن الكسائي نحوي، وفي ذلك يقول :"وبالمقارنة بين الفراء والكسائي، نجد أن الكسائي كان نحويـاً، وكان قارئاً، لا يغْلب عليه أحد الوضعين، وأن الفراء كان قد غلب عليه الجانـب اللغـوي، وإن كانت له دراسات في القرآن وتفسيره، وروايات لأحرفه "[1].

وقد كان هذا النهج في الدراسة اللغوية دأب من سبقوه من النحاة واللغويين الـذين لـم تخاص كتبهم لموضوع لغوي واحد، ويعود سبب ذلك فيما يرى مهدي المخزومي إلـى أمـرين اثنين هما :-

1- "أن النحاة الأولين لم يكن لهم تفكير فلسفي منطقي منظم فـي دراسـة اللغـة، فصـدرت دراستهم عن ملاحظة واختبار، لا يستندان إلى المبادئ اللغوية العامة، ولم يستفيدوا من تجارب غيرهم، فيميزوا دراسة الصرف، أو الاشتقاق من دراسة الأصوات".

2- " أن أكثر الكوفيين كانوا يجلسون إلى الخلفاء، ويقومون بتأديب أولادهم، وطبيعة عملهـم – بوصفهم معلمين – تؤدي إلى هذا المزج" [2].

نضيف إلى ذلك سبباً آخر يتمثل في طبيعة التكوين الثقافي للفـراء والكـوفيين بشـكل خاص، له علاقة بكثرة حفظهم، وروايتهم للأشعار، وكلام العرب، وعنايتهم بـالقراءات، جعـل كتب الفراء تصنف بأنها كتب لغوية أكثر منها كتباً متخصصة في النحو أو الصرف.

وبالرغم من اعتماده كثيراً على علماء المدرسة البصرية واستلهامه كثيراً من آرائهم إلا أنه لم يكن قد نقل جميع هذه الآراء، فقد برزت في دراسته اللغوية عقليته، وتفكيـره المسـتقل، وطابعه العلمي الخاص، فله في الأصول التي تلقاها عنهم زيادات، بل لقد حاول في كثير مـن

---

[1] مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة 127.

[2] المصدر السابق 163.

الأحيان إعادة النظر فيها، ورجع إلى مصادرها الأولى، فخرج بنتائج غفل البصـريون عنهـا، فدراسته اللغوية بالرغم من أنها مدينة لأعمال البصريين في كثير من الأحيان إلاّ أنها لم تلتـزم طابع النقل والأخذ المسلم به، فقد خرج هو وغيره من الكوفيين عن أساتذته البصـريين، بحكـم الثقافة وطريقة استلهام الأصول التي اقتبسوها. وهذه القضية التي نشـير إليهـا سـتبدو أكثـر وضوحاً وجلاء بعرضنا لجهوده الصرفية في الصفحات التالية.

أقسـام الكلمـة

اعتاد النحاة على وضع تعريف للكلمة في مقدمة مصنفاتهم النحوية، وقسموها إلى ثلاثة أقسام هي : الاسم، والفعل، والحرف، وقدموا الاسم؛ لأنه أصل، والفعل والحرف فرعان عليـه، وعرفوه بأنه : ما دل على معنى في نفسه وليس الزمان جزءاً منه، وعرفوا الفعل بأنه: مـا دلّ على حدث مقترن بزمان، وقسموه وفقاً للزمان إلى ثلاثة أقسام : ماض، ومضارع، وأمر. أمـا الحرف – وإن كان ليس من مباحث علم الصرف إلا بقدر يقترب فيه من الأسماء والأفعـال – فقد عرفوه بأنه ما لا يظهر معناه في نفسه بل مقترناً مع غيره[1].

ولما كان الفراء من الواضعين الأولين لعلوم اللغة، فإن له آراء في هذا التقسيم، لا سيما أن فهمه لهذه الأقسام وتعريفاتها قد يؤول به في بعض الأحيان إلى مخالفة هذا التقسيم، فـأدرج في باب الأسماء ما تعارف عليه البصريون أنه حرف. ومما يبدو فيه التجديد والاستقلالية عنده مخالفته للقسمة الشائعة للكلمة، بإضافته قسماً رابعاً إلى الأقسام المعروفة، وهذا القسم هـو (مـا بين الأسماء والأفعال)، إذ لا يدرج (كلا) على أنها اسم أو فعل، يقول:" وهـي بـين الأسـماء والأفعال، فلا أحكم عليها بالاسم ولا بالفعل، فلا أقول إنها اسم؛ لأنها حشو في الكلام، ولا تنفرد

[1] ينظر ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 33/1 فصاعدا، وابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك 12/1 فصاعداً .

كما ينفرد الاسم، وأشبهت الفعل لتغيرها في المكني والظاهر؛ لأني أقول في الظاهر : رأيت كلا الزيدين، ومررت بكلا الزيدين، وكلمني كلا الزيدين، فلا تتغير، وأقول في المكنـي : رأيتهمـا كليهما، ومررت بهما كليهما، وقام إلي كلاهما، فأشبهت الفعل؛ لأني أقول : قضى زيد ما عليه؛ فتظهر الألف مع الظاهر؛ ثم أقول : قضيت الحق فتصير الألف ياء مع المكنّى "[1].

وكثيراً ما يخالف البصريين في تصنيف بعض المفردات وتوزيعها على أقسـام الكلمـة الثلاثة، كما هو الحال في اعتبار جمهور الكوفيين أسماء الأفعال أفعالاً؛ لأنها تدل على الحـدث والزمان، وكل ما في الباب أنها أفعال جامدة لا تتصرف، فهي كليس وعسـى ونحوهـا. أمـا البصريون فيرون أنها أسماء قامت مقام الأفعال في العمل، ولا تتصرف تصرف الأفعال بحيث تختلف أبنيتها لاختلاف الزمان، ولا تصرف الأسماء بحيث يسند إليها إسناداً معنوياً بحيث تقـع مبتدأ و فاعلا؛ وبهذا فارقت الصفات كأسماء الفاعلين والمفعولين [2].

وكذلك الحال بالنسبة لأفعل في التعجب التي عدها الكوفيون اسما، وعلى هـذا منعـوا اتصال نون الوقاية بها لأنها من علامة الأفعال تدخل عليها لتقيها من الكسر. وقال البصـريون والكسائي: إنها فعل، وعلى هذا فإنهم يجيزون دخول نون الوقاية عليها[3]. وقد استدل الكوفيـون على اسميته بجواز تصغيره؛ لأن التصغير من علامات الأسماء، واستدلوا علـى ذلـك بقـول الشاعر [4]:

---

(1) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين 133.

(2) ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك 27/1.

(3) ينظر ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 430، 1/1431، وابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك 110/1.

(4) هذا البيت لعبد ا العرجي (المتوفى سنة 130هـ). وشدن من شدن الظبي إذا قوي وطلع قرناه، والضال : هو السدر البري، والسمر : شجر الطلح، والشاهد هو (أمليح إذا جاءت مصغرة ؛ فهي اسم؛ لأن التصغير من صفات الأسماء . ينظر الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب 28/1، وابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 15.

(البسيط)

ياما أُميلح غزلاناً شَدن لَنا   من هوليائِكن الضال والسمرِ

وهم بذلك يخالفون رأي شيخهم الكسائي الذي كان يذهب مذهب البصريين [1].

ويخالف الفراء جمهور النحويين في (نعم وبئس)، إذ ذهبوا إلى أنهما فعلان بدليل دخول تاء التأنيث الساكنة عليهما، نحو: (نعمت المرأة هند، وبئست المرأة دعد) في حين ذهب الفـراء وجماعة الكوفيين إلى أنهما اسمان، واستدلوا على ذلك بدخول حرف الجر عليهمـا فـي قـول بعضهم : (نعم السير على بئس العير)، و قول الآخر : وقد بشر بمولود فقيل له: نعم المولـودة مولودتك ! فقال : (وا   ما هي بنعم المولودة : نصرتها بكاء، وبرها سرقة"؛ فدخول حرف الجر عليهما يدل على أنهما اسمان؛ لأن الخفض يختص بالأسماء [2].

وكما أسلفنا في أثناء حديثنا عن المصطلح الصرفي فإنه يدرج اسم الفاعل فـي إطـار الأفعال لدلالته على الاستمرار والمستقبل؛ لذلك فإن من المهم هنا أن نشير إلى طبيعـة الجملـة التي تبتدئ باسم الفاعل بناء على هذا التصنيف له، فقد اتفق الكوفيـون والبصـريون علـى أن الجملة الاسمية هي: ما صدرت باسم، والجملة الفعلية : هي ما صدرت بفعل. إلا أننا أمام نـوع جديد من الجمل وهي الجمل التي تبدأ باسم الفاعل، أو نعم وبئس، وأفعل في التعجب، وأسـماء الأفعال، فإلى أيهما يمكن أن تضم الجمل المبدوءة بها. هل هي جمل اسمية أم فعلية على نحـو قولنا : (نعم الولد زيد)، فأي الفريقين ننتصر لرأيه، وقد أيد قوله بسماعه عن العرب الثقات، فقد ذهب الكوفيون إلى أن هذه الجملة فعلية؛ لأن (نعم) عندهم فعل كما رأينـا، فـي حـين ذهـب البصريون إلى أنها اسمية؛ لأن (نعم) اسم عندهم كما رأينا.

---

(1) الكنغراوي : الموفي في النحو الكوفي 85.

(2) ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 14.

ومما تبدو فيه مخالفة البصريين واضحة اعتباره هو وغيره من الكوفيين لـ ـ (عسـى) حرفاً درج بمنزلة (لعل)، في مقابل البصريين الذين يذهبون إلى أنها أفعال؛ لاتصال تاء التأنيث الساكنة بها [1].

وكان كبقية الكوفيين يذهب إلى أن (رب) اسم، وذهب البصريون إلى أنه حرف، واحتج الكوفيون بأن قالوا : إنما قلنا إنه اسم حملا على (كم)؛ لأن كم للعـدد والتكثيـر، ورب للعـدد والتقليل، فكما أن (كم) اسم فكذلك (رب). والذي يدل على أن (رب) ليست بحـرف جـر أنهـا تخالف حروف الجر في أربعة أشياء هي: أنها لا تقع إلا في صدر الكلام، ولا تعمـل إلا فـي نكرة موصوفة، ولا يجوز إظهار الفعل الذي تتعلق به[2]. مما سبق يتضح لنا أن الفراء يعمد إلى مخالفة البصريين في تصنيف هذه المفردات، وفي أحيان أخرى يخالف أستاذه الكسائي، وهو إذ يفعل ذلك فإنه يدرك أنه يضع الأساس المهم لمدرسة الكوفة.

الأفعـ ـ ـ ـال

الفعـل وأقسـ ـامه :

دأب العلماء البصريون على تقسيم الأفعال إلى ثلاثة أقسام : ماض، ومضارع، وأمـر. أما الفراء وجمهور الكوفيين فقد خالفوا هذا التقسيم، فقال: إن الأفعال ماضٍ ومضارع ودائم، ولا يعني بالدائم فعل الأمر وإنما اسم الفاعل، وقد أدى هذا التقسيم بالمحدثين أن عدوا اسم الفاعـل قسيماً للماضي والمضارع. يقول شوقي ضيف: إنه خـالف البصـريين فـي مسـألة الأفعـال وأقسامها، فأما البصريون فيقسمون الأفعال إلى ماضٍ ومضارع وأمر، وأما الفراء فيقسمها إلى

---

(1) ابن هشام: شرح قطر الندى وبل الصدى 34.

(2) ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 121.

ماض ومضارع ودائم، ولا يريد بالدائم فعل الأمر، وإنما يريد اسم الفاعل[1]. علـى أن كـلام شوقي ضيف ليس صحيحاً في هذه القضية إلى حد بعيد، ذلك أن الفراء يذكر الدائم علـى أنـه المضارع يقول: "فلذلك جاءت في (مالك) في المستقبل، ولم تأت في دائم ولا ماض" [2].

وفعل الأمر عنده مقتطع من المضارع، فأصل (اضرب) عندهم (لتضرب) بلام الأمـر فحذفت اللام، ثم حذف حرف المضارع، وجيء بهمزة الوصل توصلاً إلـى النطـق بالضـاد الساكنة، وهو تكلف لا داعي له[3]. وأمثلة اعتباره للأمر مقتطعاً من المضارع المجزوم كثيـرة منها قوله : "العرب حذفت اللام من المأمور المواجه لكثرة الأمر خاصة في كلامهـم؛ فحـذفوا اللام كما حذفوا التاء من الفعل. و أنت تعلم أن الجازم أو الناصب لا يقعان إلا على الفعل الذي أوله الياء والتاء والنون والألف*. فلما حذفت التاء ذهبت باللام وأحدثت الألـف فـي قولـك: اضرب وافرح؛ لأن الضاد ساكنة فلم يستقم أن يستأنف بحرف ساكن، فأدخلوا ألفا خفيفة يقع بها الابتداء؛ كما قال : (اداركوا). و(اثّاقَلْتُم). وكان الكسائي يعيب قولهم (فلتفرحوا) لأنه وجده قليلاً فجعله عيباً، وهو الأصل. ولقد سمعت عن النبي ﷺ أنه قال فـي بعـض المشـاهد (لتأخـذوا مصافّكم) [4] يريد به خذوا مصافّكم "[5].

ولأن الأمر مقتطع من المضارع فهو معرب إعراب الفعل المضارع لا مبني كما يذهب إليه البصريون. يقول ابن عقيل: "ما اختلف في بنائه والراجح أنه مبني، وهو فعل الأمر نحـو

(1) شوقي ضيف: المدار س النحوية 197.
(2) الفراء: معاني القرآن 165/1.
(3) ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك 27/1.
(4) الترمذي: الجامع الصحيح لسنن الترمذي 447/5.
* يعني به الفعل المضارع.
(5) الفراء : معاني القرآن 469/1، 470.

(اضربِ) وهو مبني عند البصريين، ومعرب عند الكوفيين" [1]، ويقول ابن كمال باشا : "حكـم المجزوم يعني إن كان صحيحاً اسكن آخره نحو : أُنصر، وإن كان معتلاً حذفَ آخـره نحـو: أغز، وارمِ، هذا عند البصريين وعند الكوفيين أمر المخاطب المعروف أيضـاً معـرب كـأمر الغائب لأن لام الأمر عندهم مقدرة في أمر الحاضر المعروف، وإنما حذف لكثرة استعماله ولـم يحذف عن مجهوله لعلة استعماله نحو لتنصر، والمعرب ما لم يحذف منه حـرف المضـارعة وأمثلته ظاهرة نحو لينْصر "[2].

ويعلل إبراهيم السامرائي ذلك بأن العرب تميل إلى حذف اللام رغبة في التخفيـف، لأن ما حذف تخفيفاً هو في حكم الملفوظ به. يقول : "يذهب الكوفيون أن فعل الأمر معرب مجزوم، فإذا قلت اذهب فإن أصله لتذهب، فهو معرب مجزوم بلام الأمر المحذوفة، وقد حـذفت الـلام تخفيفاً وما حذف تخفيفاً فهو في حكم الملفوظ به، فكان معرباً مجزوماً بذلك الحـرف المقـدر. ويؤيد عندك أنه مجزوم أنك إذا أمرت من الأفعال المعتلة نحو يرمي ويغزو ويخشـى حـذفت لاماتها كما تفعل في المجزوم من نحو ليغز وليرم وليخش "[3].

وكان الفراء والكسائي وهشام يذهبون إلى أن الأفعال أخف من الأسماء. يقول الزجاجي: "وكان الكسائي والفراء وهشام يقولون : الاسم أخف من الأفعال لأن الاسم يستتر فـي الفعـل، والفعل لا يستتر في الاسم، وحاول أن يأتي بعلة أخرى لهذه الخفة، فقال ثعلب:" الأسماء أخـف من الأفعال، لأن الأسماء جوامد لا تتصرف والأفعال تتصرف فهي أثقل منها"[4].

---

(1) ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك 38/1.

(2) ابن كمال باشا: أسرار النحو239.

(3) إبراهيم السامرائي: الفعل زمانه وأبنيته 48.

(4) الزجاجي: مجالس العلماء 110.

وكان الفراء يرى أن المصدر مشتق من الفعل، ويبدو ذلك واضحاً في أثناء حديثه عـن (الحمد) وأنها في بعض لغات العرب تقرأ منصوبة. يقول : "فأما من نصب فإنه يقول : (الحمد) ليس باسم إنما هو مصدر، يجوز لقائله أن يقول: أحمد ا ، فإذا صلح مكان فعل أو يفعل جـاز فيه النصب؛ من ذلك قول ا تبارك وتعالى: (فَإِذا لَقيتُم الذين كفَروا فَضرب الرقَابِ)[1] يصـلح مكانها في مثله من الكلام أن يقول : فاضربوا الرقاب. ومن ذلك قوله : (معاذَ الله أَن نَأْخُـذَ إلا من وجدنَا متَاعنَا عنْده) [2]، يصلح أن تقول في مثله من الكلام : نعوذ با . ومنه قول العـرب سقيا لك، و رعياً لك؛ يجوز مكانه: سقاك اللّه، ورعاك اللّه "[3]، ومما يقوم فيه المشـتق مقـام الفعل كلمة (السجن) من قوله تعالى : (رب السجن) [4]. يقول: المحبس. وهو كالفعـل. و كـل موضع مشتق من فعل فهو يقوم مقام الفعل؛ كما قالت العرب: طلعت الشمس مطْلعـاً وغَربـت الشمس مغربا، فجعلوهما خَلَفاً من المصدر وهما اسمان، كذلك السجن. ولو فتحت السين لكـان مصدراً بيناً" وقد قُرئ: (رب السجن)" [5].

وينص الفراء على عدم جواز إدخال الألف واللام على (يفعـل) الـذي هـي صـيغة المضارع إذا كانت في معنى فلان أو إذا سمي بها، مثال ذلك قوله : "وأما قولهم (والْيسع) فـإن العرب لا تُدخل على يفعل إذا كان في معنى فلان ألفاً ولاما. يقولون : هذا يسع، وهـذا يعمـر، وهذا يزيد. فهكذا الفصيح من الكلام. وقد أنشدني بعضهم :

---

(1) آية 4 سورة محمد .

(2) آية 79 سورة يوسف.

(3) الفراء : معاني القرآن 3/1.

(4) آية 33 سورة يوسف.

(5) الفراء : معاني القرآن 44/2.

(الطويل)

وجدنَا الوليد بن اليزيد مباركاً   شديداً بِأحنَاء الخلافَة كاهلُه

فلما ذكر الوليد أول الكلمة بالألف أتبعه يزيد بالألف واللام وكل صواب "[1]. وفي أثناء تفسيره اللغوي لآيات القرآن الكريم يعرض لبعض القضايا اللغوية الخاصة بالفعل مـن ذلـك: جواز عد فعل الأصنام كفعل الناس، كما جاء في تفسيره لقوله تعالى :(أَرَأَيتُم ما تَـدعون مـن دونِ الله) [2]، ثم قال: (أَروني ماذَا خَلَقُوا) ولم يقل: خلقت ، ولا خلقن؛ لأنه إنما أراد الأصنام، فجعل فعلهم كفعل الناس وأشباههم؛ لأن الأصنام تُكلّم وتُعبد وتعتاد وتعظم كما تعظـم الأمـراء وأشباههم، فذهبت بها إلى مثل الناس. وهي في قراءة عبد الله: أريتكم، وعامة ما في قراءته من قول ا أريت، وأريتم فهي في قراءة عبد الله بالكاف، حتى إن في قراءته : (أَريتَك الذي يكذب بالدين) [3]"[4]، ومن ذلك إجراء الآلهة مجرى الملوك والأمراء، على نحو قوله تعالى : (أَجعلْنَا من دونِ الرحمنِ آَلِهةً يعبدون) [5]. "قال : (يعبدون) للآلهة، ولم يقل: تعبد ولا يعبدون، وذلك أن أن الآلهة تكلم ويدعى لها وتعظم، فأجريت مجرى الملوك والأمراء. وما أشبههم"[6] .

ويتحدث الفراء عن الأمر غير المصرح به، أو ما كان من الأمر على صورة الخبـر، على نحو ما جاء في تفسيره لقوله تعالى : (قُلْ لِلذين آمنُوا يغْفروا) [7] . يقـول :" معنـاه فـي الأصل حكاية بمنزلة الأمر، كقولك : قل للذين آمنوا اغفروا؛ فإذا ظهر الأمـر مصـرحاً فهـو

---

[1] الفراء : معاني القرآن 408/2.

[2] آية 4 سورة الأحقاف .

[3] آية 1 سورة الماعون.

[4] الفراء : معاني القرآن 49،50/3.

[5] آية 45 سورة الزخرف .

[6] الفراء : معاني القرآن 34/3.

[7] آية 14 سورة الجاثية .

مجزوم؛ لأنه أمر، وإذا كان على الخبر مثل قوله : (قل للذين آمنوا يغفـروا)، (وقُـلْ لِعبـادي يقُولُوا) (1) و (قُلْ لِعبادي الذين آمنُوا يقيموا الصلاةَ) (2) ، فهذا مجزوم بالتشبيه بالجزاء والشرط كأنه قولك قم تصب خيرا، وليس كذلك، ولكن العرب إذا خرج الكلام في مثـال غيـره وهـو مقارب له عربوه بتعريبه، فهذا من ذلك، وقد ذكرناه في غير موضع، ونزلت قوله: (قُلْ لِلَّـذين آمنُوا يغْفروا لِلذين لا يرجون أيام اللّه) في المشركين قبل أن يؤمر النبي ﷺ بقتال أهل مكة "[3].

"[3].

كما أنه يتحدث عن أمر الواحد بما يؤمر به الاثنان، عند تفسيره لقوله تعالى: (ألْقيا فـي جهنم كُل كَفارٍ عنيد) [4]. يقول: " العرب تأمر الواحد والقوم بما يؤمر به الاثنان، فيقول للرجل: للرجل: قوما عنا، وسمعت بعضهم : ويحك : ارحلاها وازجراها، و أنشدني بعضهم :

(الوافر)

فَقُلْتُ لصاحبي لا تَحبِسانَا　　　بنَزعِ أُصولِه، واجتز شيحا

قال: ويروى : واجدز يريد: واجتز، قال : وأنشدني أبو ثروان :

(الطويل)

وإن تَزجراني يا ابن عفان أَنْزجِرِ　　　وإن تَدعاني أَحمِ عرضاً ممنعاً [5]

ونرى أن ذلك منهم أن الرجل أدنى أعوانه في إبله وغنمه اثنان، وكذلك الرفقة، أدنى ما يكونون ثلاثة، فجرى كلام الواحد على صاحبيه، ألا ترى الشعراء أكثر شيء قيلا: يا صاحبي، يا خليلي .. "[1].

---

(1) آية 53 سورة الإسراء .

(2) آية 31 سورة إبراهيم .

(3) الفراء : معاني القرآن 45/3، 46.

(4) آية 24 سورة ق.

(5) ورد هذا البيت بنفس الرواية في الجامع لأحكام القرآن الكريم. ينظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن الكريم 16/17.

كما أن الفراء قد تعرض في (معاني القرآن) لقضايا أسلوبية تخص الأفعال، من أبرزها ما جاء في التفريق بين بعض صيغ المضارع، كأن يجري مقارنة بين نكتل ويكتل في قوله تعالى : (فَأَرسلْ معنَا أَخَانَا نَكْتَلْ) [2]. يقول : "قرأ أصحاب عبد ا (يكْتَلْ) وسائر الناس (نَكْتَلْ) كلاهما صواب من قال (نَكْتَلْ) جعله معهم في الكيل. ومن قال (يكْتَلْ) يصيبه كيل لنفسه فجعل الفعل له خاصة لأنهم يزادون به كيل بعير"[3]، وكذلك الحال في نبغي وتبغي من قوله تعالى: (يا أَبانَا ما نَبغي)[4]. يقول : "كقولك في الكلام ماذا تبغي ؟ ثم قال (هذه بِضاعتُنَا) كأنهم طيبوا نفسه. و (ما) استفهام في موضع نصب. ويكون معناها جحدا كأنهم قالوا : لسنا نريد منك دراهم . وا أعلم بصواب ذلك "[5].

الفعل الصحيح والمعتل

الفعل الصحيح هو : "ما سلم بناؤه من أحد أحرف العلة الألف والواو والياء، ويقسمونه إلى ثلاثة أقسام هي: السالم وهو : ما سلم بناؤه من الهمز والتضعيف، نحو : جلس، وذهب، و ضرب. والمضعف الذي هو نوعان: مضعف الثلاثي وهو : ما كانت عينه ولامه من جنس واحد نحو : شد، ومد، ورد. والمضعف الرباعي : وهو ما كان أوله وثالثه من جنس واحد، وثانيه ورابعه من جنس آخر، نحو : زلزل، ووسوس، وزقزق، ودمدم. والمهموز هو : ما كانت الهمزة حرفاً أصلياً فيه. أولا كانت أم وسطاً أم آخرا، نحو : أتى، وقرأ [6].

---

(1) الفراء : معاني القرآن 78/3.

(2) آية 63 سورة يوسف .

(3) الفراء : معاني القرآن 49/2.

(4) آية 65 سورة يوسف.

(5) الفراء : معاني القرآن 49/2.

(6) أحمد حسن حامد، ويحيى عبد الرؤوف جبر : الواضح في علم الصرف 11، 12.

أما المعتل فهو : ما كان فيه حرف علة أو أكثر. وسمي بذلك؛ لأن حرف العلـة فيـه يتغير ويتبدل، وبخاصة في أحوال الأمر والإسناد، نحو : قال، ورمى، ووجد. وقد فرق علمـاء اللغة بين الأفعال المعتلة باعتبار موقع حروف العلة أولاً، أو وسطاً، أو آخراً، فأطلقوا مصطلح المثال على الفعل الذي في أوله حرف من حروف العلة، نحـو: وضـع، و وسـع، و وعـد. والأجوف على الفعل الذي حرف العلة في وسطه، نحو : ضاع، وساح، ورام. والناقص علـى الفعل الذي يقع حرف العلة في آخره، نحو : دنا، ورمى، وقضى. واللفيف على الذي فيه حرفـا علة، وفرقوا بين الفعل باعتبار حرفا العلة، فأطلقوا على الفعل الذي فيه حرفا علـة متجـاوران مصطلح اللفيف المقرون نحو: نوى، وطوى. وعلى الفعل الذي حرفا العلة فيه متفرقان أو غير متجاورين مصطلح اللفيف المفروق، نحو : ولي، ووفى، ووعى [1].

وقد فهم الفراء هذه المصطلحات واستوعبها على الرغم من قلة المـادة المتعلقـة بهـذا الجانب في كتابه (معاني القرآن). ومعظم المادة اللغوية الخاصة بهذه القضية جاءت على هامش تفسيره اللغوي ودراسته الأسلوبية للقرآن الكريم خصوصاً ما يتعلق بإسناد نون النسوة إلى الفعل المضعف نحو: (مس) ، والأفعال المعتلة نحو : (عفو)، والفعل المضارع الصحيح، مـن قولـه تعالى: (وَإِن طَلَّقْتُمُوهن من قَبل أَن تَمسوهن) [2]. يقول: "تُماسوهن وتَمسـوهن واحـد، وهـو الجماع، المماسة والمس .

وإنما قال (إلاّ أَن يَعفُون) بالنون لأنه فعل النسوة، وفعل النسوة بالنون في كل حال. يقال: هن يضربن، ولن يضربن؛ لأنك لو أسقطت النون منهن للنصب أو الجزم لم يستَبِن لهن تأنيث. و إنّما قالت العرب (لن يعفُوا) للقوم، و (لن يعفُوا) للرجلين لأنهم للجزم أو للنصب دلت الألف

---

(1) أحمد حسن حامد، ويحيى عبد الرؤوف جبر : الواضح في علم الصرف 12.

(2) آية 237 سورة البقرة .

على الاثنين. وكذلك واو يفعلون تدلّ على الجمع إذا أُسقطت النون جزما أو نصبا"[1] . وهذا الذي يذهب إليه الفراء قريب إلى حد بعيد مما قرره ابن عقيل بقوله : "إذا أسند المضارع إلى نون النسوة يسرون، ويدعون، ويغْزون) وتقول: (النسوة يرمين، ويسرين، ويعطين، ويستَدعين، وينَادين) قال ا تعالى : (إلاّ أَن يعفُون) [2] وإن كانت لامه ألفاً قلبت ياء مطلقاً، نحو : (يرضين، ويخْشَين، ويتَزكّين، ويتَداعين، ويتَنَاجين) [3] .

ويشير الفراء إلى جواز فك التضعيف وعدمه في تَود من قوله تعالى : (يوم تَجِد كُـل نَفْسٍ ما عملَتْ من خَيرٍ محضراً) [4]. يقول : (ويقول في تود : تود بالنصب وتود. ولـو كـان التضعيف ظاهراً لجاز تَودد. وهي في قراءة عبد ا (وما عملت من سوء ودت) فهذا دليل على الجزم، ولم أسمع أحداً من القراء قرأها جزماً " [5]، كما أنه يكثر من الحديث عن التضعيف من خلال توجيهه لبعض القراءات القرآنية، كما هو الحال في قوله تعالى: (فَإِن لَك فـي الحيـاة أَن تَقُولَ لا مساس) [6]. يقول : " أي لا أُمس و لا أَمس، أُول ذلك أن موسى أمرهم ألا يؤاكلـوه ولا يخالطوه ولا يبايعوه. وتقرأ (لا مساسِ) وهي لغة فاشية: لا مساسِ لا مساسِ مثل نزال ونظـار من الانتظار"[7].

أما بقية الأصناف من الأفعال كالمهموز وغيره، فلم نعثر عنده على دراسة خاصة بها، وإن وجدت فهي مبطنة في إطار موضوعات أخرى، بحيث طغت عليها هذه الموضوعات حتى

---

(1) الفراء : معاني القرآن 155/1.

(2) آية 237 سورة البقرة.

(3) ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك 302/4، 303.

(4) آية 30 سورة آل عمران.

(5) الفراء : معاني القرآني 206/1، 207.

(6) آية 97 سورة طه .

(7) الفراء : معاني القرآن 190/2.

غدا من الصعب رصدها، أو التنبه إليها على نحو ما هو واضح في دراسته الأسلوبية للفعل المهموز، الذي أكثر من الحديث فيه عن تعدد اللغات، ومن ثم كان يوضح المعنى اللغوي الذي أفاده الهمز.

الفعل الجامد والمتصرف

ونقصد بالفعل الجامد : " ما لازم صورة واحدة، فكأنه جمد عليها فهو كالجماد من حجر وخشب ونحوها، وهو إما أن يكون جامداً ملازماً للماضي نحو : (ليس، وكرب، وعسى، وحرى، ونعم، وحبذا، وبئس، وساء)، أو جامداً ملازماً للأمرية، نحو : (هب، وتَعلّم). وهذه الأفعال لا مضارع لها، ولا أمر لها من ماضيه، ولا ماضي من أمرها.

أما الفعل المتصرف فهو :" ما لازم أكثر من صورة مع اشتراكها في الجذر الثلاثي، وهو نوعان : متصرف تام، وهو ما يأتي منه الماضي والمضارع والأمر، نحو : (كتب، يكتب، اكتب). ومتصرف ناقص، وهو ما يأتي منه الماضي والمضارع فقط نحو : (برح يبرح)[1].

ويبدو أن الفراء كان يعرض لهذه القضية في إطار المادة الأسلوبية التي كان يستعين بها لتفسير الآيات القرآنية، فمما ذكره الفراء في هذه القضية ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى : (فَهلْ عسيتُم)[2]. يقول : "قرأها العوام بنصب السين، وقرأها نافع المدني: فهل عسِيتُم، بكسر السين، ولو كانت كذلك لقال: عسى في موضع عسى ولعلها لغة نادرة، وربما اجترأت العرب على تغيير بعض اللغة إذا كان الفعل لا يناله قد قالوا : لُستُم يريدون لستُم، ثم يقولون : لَيس وليسوا سواء، لأنه فعل لا يتصرف ليس له يفعل وكذلك عسى ليس له يفعل فلعله اجترى عليه كما

---

[1] ينظر أحمد حسن حامد، ويحيى عبد الرؤوف جبر: الواضح في علم الصرف 14،15.

[2] آية 22 سورة محمد .

اجترى على لستم "[1]. فهو ينصب على أن ليس وعسى لا مضارع لهما من لفظهما. كما يتحدث عن جواز إضمار الفعل الذي يجري منه الماضي والمضارع، على نحو ما جاء في تفسيره لقوله تعالى : (فَمن تَصدقَ به فَهو كفارةٌ له) [2]. يقول: " كنى عن الفعل بهو وهو في الفعل الذي يجري منه فعل ويفعل، كما تقول : قد قِدِمت القافلة ففرحت به، تريد: بقدومها"[3].

الفعل المبني للمعلوم والمبني للمجهول

وهذا الموضوع نحوي يدرس في إطار نائب الفاعل، ولما كان تصريف الفعل من المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول يقتضي تغييراً في البنية والصيغة فإنني آثرت دراسته في إطار ما توفر من مادة صرفية تخص التفكير الصرفي عند هذا العالم.

وأبرز القضايا التي يبدو فيها أثر الكوفيين تتمثل في جواز كسر فاء الفعل الثلاثي المضعف استناداً إلى لغات العرب. يقول ابن هشام: " أوجب الجمهور ضم فاء الثلاثي المضعف، نحو : (شُد) و (مد)، والحق قولُ بعض الكوفيين: إن الكسر جائز، وهي لغة بني ضبة وبعض تميم، وقرأ علقمة (ردتْ إِليْنَا)[4] (ولَو ردوا)[5] بالكسر، وجوز ابن مالك الإشمام أيضاً، وقال المهاباذي [6]: من أشم في (قيل) و (بيع) اسم هنا " [7].

---

(1) الفراء : معاني القرآن 62/3.

(2) آية 45 سورة المائدة.

(3) الفراء : معاني القرآن 312/1.

(4) آية 65 سورة يوسف.

(5) آية 28 سورة الأنعام.

(6) هو أحمد بن عبد ا المهاباذي، نحوي من تلامذة عبد القاهر الجرجاني . نسبته إلى (مهاباذ)، وهي قرية بين قم وأصبهان. كان ضريراً وله شرح اللمع لابن جني. ينظر: الزركلي: الأعلام 158/1.

(7) ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 260/1.

ومن أمثلة قضايا المبني للمجهول والمبني للمعلوم التي تحدث عنها ما جاء عند تفسـيره لقوله تعالى : (لَعلك تَرضى)[1]، حيث عد المبني للمجهول في معنى المبني للمعلوم. يقول : " و (تُرضى) ومعناهما واحد لأنك إذا رضيت فقد أُرضيت. وكـان حمـزة و أصـحاب عبـد ا يقرءونها ترضى "[2].

والفعل المبني للمعلوم والمبني للمجهول عنده أحد العناصر اللغوية التي يحشـدها فـي تفسيره اللغوي، أو دراسته الأسلوبية، على نحو ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: (وما كان لِنَبِـي أَن يغُل)[3]. يقول : "يقرأ بعض أهل المدينة أن يغَل؛ يريدون أن يخان. وقرأه أصحاب عبـد ا كذلك : أن يغَل، يريدون أن يسرق أو يخون. وذلك جائز وإن لم يقل : يغَلل فيكون مثل قولـه: (فإنهم لا يكذبونَك – ويكْذبونك)[4] ويقرأ ابن عباس وأبو عبد الرحمن السلمي (أن يغُل)، وذلـك أنهم ظنوا يوم أحد أن تُقسم لهم الغنائم كما فعل يوم بدر. ومعناه : أن يتهم و يقال قد غَلّ" [5].

وأمثلة مناقشة الفراء للمبني للمجهول والمبني للمعلوم في معاني القرآن كثيرة، وهي في معظمها يأتي بها للدلالة على جواز أكثر من لغة أو قراءة، ثم يوضح المقصود من الكلمتين بناء على فهمه للسياق، من ذلك أنه أشار إلى أن أُهل مبني للمجهول من قوله تعالى : (وما أُهل لِغَيرِ الله به) [6]. يقول :"(ما) في موضع رفع بما لم يسم فاعله[7]، ويجيز (زيـن و زيـن) لأنهمـا قراءتان قرأت بهما القراء، وذلك من قوله تعالى:(وكَذَلِك زين لِكثيرٍ من الْمشْرِكين قَتْلَ أَولَادهم

---

[1] آية 130 سورة طه.

[2] الفراء : معاني القرآن 196/2.

[3] آية 161 سورة آل عمران.

[4] آية 32 سورة الأنعام .

[5] الفراء : معاني القرآن 246/1.

[6] آية 3 سورة المائدة.

[7] الفراء : معاني القرآن 301/1.

شُركاؤُهم) [1]. يقول: "وكان بعضهم يقرأ : (وكَذَلِك زين لِكثيرٍ من المشركين قتلُ أولادهم) فيرفع القتل إذا لم يسم فاعله، ويرفع، (الشركاء) بفعل ينويه، كأنه قال: (زينه لهم شـركاؤهم) ومثلـه قوله: (يسبح له فيها بالغُدو و الآصال) [2] ثم قال: (رجالٌ لا تُلْهـيهم تجـارةٌ)[3]. وفـي بعـض مصاحف أهل الشام (شركايهم) بالياء، فإن تكن مثبتة على الأولين فينبغي أن يقرأ (زين) فلسـت أعرف جهتها؛ إلا أن يكونوا فيها آخذين بلغة قوم يقولون: أتيتها عشايا ثم يقولـون فـي تثنيـة الحمراء حمرايان فهذا وجه أن يكونوا قالوا: (زين لكثيرٍ من المشركين قتل أولادهم شـركايهم) وإن شئت جعلت (زين) إذا فتحته فعلا لإبليس ثم تخفض الشركاء بإتباع الأولاد "[4].

ومما جاز فيه أن يقرأ على جهة المبني للمعلوم والمبني للمجهول (يخَافَا ويخَافَا)، وكان يفضل القراءة بالمبني للمعلوم ويعدها أجود، إلا أنه يخرج القراءة الثانية، ويبدو ذلك جليـاً فـي تفسيره لقوله تعالى : (إلاّ أن يخَافَا ألا يقيما حدود اللّه) [5]. يقول: " وفي قراءة عبـد ا (إلا أن تخافوا) فقرأها حمزة على هذا المعنى (إلا أن يخافا) ولا يعجبني ذلك. وقرأها بعض أهل المدينة كما قرأها حمزة ... وأما ما قاله حمزة فإنه إن كان أراد اعتبار قراءة عبد ا فلم يصبه – وا أعلم – لأن الخوف إنما وقع على (أن) وحدها إذ قال: ألا يخافوا أن لا، وحمزة قد أوقع الخوف على الرجل والمرأة وعلى أن؛ ألا ترى أن اسمهما في الخوف مرفوع بما لم يسم فاعلـه. فلـو أراد ألاّ يخافا على هذا، أو يخافا بذا، أو من ذا، فيكون على غير اعتبار قـول عبـد ا كـان جائزاً؛ كما تقول للرجل: تُخاف لأنك خبيث، وبأنك، وعلى أنك"[6].

---

(1) آية 137 سورة الأنعام.

(2) آية 36 سورة النور.

(3) آية 37 سورة النور.

(4) الفراء : معاني القرآن 357/1، 358.

(5) آية 229 سورة البقرة .

(6) الفراء : معاني القرآن 145/1-147.

ومما تجوز فيه قراءتان (أملي وأُملي) من قوله تعالى: (الشيطان سولَ لُهم)[1]. يقـول: "وذكر عن مجاهد أنه قرأها (وأُملي لهم) مرسلة الياء، يخبر ا عزوجل عن نفسه، وقرأ بعض أهل المدينة. وأُمِلي لهم بنصب الياء وضم الألف، يجعله فعلاً لما لـم يسـم فاعلـه، والمعنـى متقارب"[2].

التـوكـــــيد

وهو في علم الصرف إلحاق نون التوكيد بالفعل وما يستتبع من أحداث صوتية في داخل بنية الكلمة. ونون التوكيد نوعان: إحداهما ثقيلة والأخرى خفيفة، وقد وردتا في قولـه تعـالى : (ليُسجنَن ولَيكُوناً من الصاغرين) [3].وفائدتها أنها تخاص الفعل إلى المستقبل، ومن ثم لا يجـوز توكيد الفعل الماضي. والفعل الذي يؤكد إما أن يكون مضارعاً أو أمراً. وهي مما يميز الفعـل عن الاسم.

ومن أهم القضايا التي أبدى فيها الكوفيون ومنهم الفراء آراءهم، هو الأحكام التي تنفرد بها النون الخفيفة، فجمهور النحاة لا يجيزون وقوعها بعد الألف، نحو: (قوما) و (اقعدا)؛ لـئلا يلتقي ساكنان في حين أجاز ذلك يونس والكوفيون فصرح الفارسي في (الحجة) أن يونس يبقـي النون ساكنة، ونَظر ذلك بقراءة نافع: (ومحياي)[4]. وذكر الناظم أنه يكسر النون، وحمل علـى ذلك قراءة بعضهم: (فَدمرانهم تَدميراً) [5]، وجوز ابن ذَكْوان (ولا تَتّبعانِ)[6] بتخفيف النون، كما

---

[1] آية 25 سورة محمد.

[2] الفراء : معاني القرآن 63/3.

[3] آية 32 سورة يوسف .

[4] آية 162 سورة الأنعام.

[5] آية 36 سورة الفرقان .

[6] آية 89 سورة يونس .

كما أنهم أجازوا أن تقع النون الثقيلة بعدها اتفاقا، ويجب كسرها، كقراءة باقي السـبعة [1]: (ولاَ تَتَّبِعان) [2].

كما أجاز هو وغيره من الكوفيين إدخال نون التوكيد الخفيفة والثقيلة على فعل الاثنـين وجماعة النسوة، نحو : (افْعلاَن)، و (افْعلْنَان) بالنون الخفيفة، وإلى هذا ذهب يونس بن حبيـب من البصريين. وقد احتج الكوفيون على ذلك بحجتين الأولى: أن هذه النون الخفيفة مخففة مـن الثقيلة، فكما أجمعوا على أن النون الثقيلة تدخل في هذين الموضعين، فكـذلك النـون الخفيفـة. والثانية فهي : أن هذه النون إنما دخلت في القسم والأمر والنهي والاستفهام والشرط بـ (إمـا) لتوكيد الفعل المستقبل، فكما يجوز إدخالها للتوكيد على فعل مستقبل وقع فـي هـذه المواضـع، فكذلك فيما وقع الخلاف فيه، قُصارى ما يقدر أن يقال: إنه يؤدي إلى اجتماع السـاكنين الألـف والنون، وقد جاء في كلام العرب[3].

وقد حاول الفراء تطبيق القضايا النظرية الخاصة بهاتين النونين من خلال تفسيره لآيات القرآن الكريم، وأطلق عليهما (النون الشديدة والخفيفة)، فمما تعرض فيه للحـديث عـن النـون (الخفيفة والشديدة) ما جاء في تفسيره لقوله تعالى : (وإما تَخَافَن من قَومٍ خيانَةً) [4] فقد ذهب إلى أن العرب لا تجيز إدخال النون الشديدة ولا الخفيفة في الجزاء إلا إذا وصلوها بإما. يقـول : " ولا تكاد العرب تدخل النون الشديدة ولا الخفيفة في الجزاء حتى يصلوها بـ (ما)، فإذا وصلوها آثروا التنوين. وذلك أنهم وجدوا لـ (إما) وهي جزاء شبيها بـ (إمأ) من التخيير، فأحدثوا النون ليعلم بها تفرقةُ بينهما؛ ثم جعلوا أكثر جوابها بالفاء؛ كذلك جاء التنزيل؛ قال : (فَإما تَثْقَفَنهم فـي

---

[1] ينظر ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 53/2، 54، وابن الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 94.

[2] آية 89 سورة يونس.

[3] ابن الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 94.

[4] آية 58 سورة الأنفال.

الْحربِ فَشَرِد) [1]، (فَإما نُرينك بعض الذي نَعدهم) [2] ثم قال : (فإلينا يرجعون) فاختيرت الفـاء لأنهم إذا نونوا في (إما) جعلوها صدراً للكلام ولا يكادون يؤخرونها. ليس من كلامهم: اضـربه إما يقومن؛ إنما كلامها أن يقدموها، فلما لزمت التقديم صارت كالخارج من الشرط، فاسـتحبوا الفاء فيها وآثروها، كما استحبوها في قولهم : أما أخوك فقاعد، حين ضارعتها" [3]. ففي أثنـاء تفسيره لهذه الآية الكريمة يحشد معظم الآيات القرآنية التي وردت فيها هاتان النونان، علماً أننـا قد بحثنا عن هذه الآيات في (معاني القرآن) فلم نجد لها تفسيراً، ويتسق ذلك مع منهجـه القـائم على عدم التعرض لجميع الآيات القرآنية بالدراسة اللغوية والتفسير، فكان قد درس بعض الآيات محافظاً على الترتيب الذي عليه سور الذكر الحكيم وآياته.

الإسـناد

ونقصد به إسناد فعل أو شبهه إلى اسم، فيسمى الأول مسـنداً، والثـاني مسـنداً إليـه. ومباحثه الصرفية تتناول الآلية التي تتم بها عملية الإسناد، وكل ما يعترض المتكلم من صعوبات في النطق [4].

وجهوده الصرفية الخاصة بهذا الجانب تكاد تنحصر بتوظيف الإسناد لتوضيح المعنـى الكلـي للآيات، فمما تعرض فيه الفراء للإسناد قوله في (أرأيت) من قوله تعالى: (قُلْ أَرَأَيتَكُم)[5]. يقول: "العرب لها في (أرأيت) لغتان، ومعنيان. أحدهما أن يسأل الرجلُ الرجلَ : أرأيت زيداً بعينـك ؟ فهذه مهموزة. فإذا أوقعتها على الرجل منه قلت : أرأيتَك على غير هذه الحال ؟ تريد: هل رأيتَ

---

(1) آية 57 سورة الأنفال.

(2) آية 77 سورة غافر .

(3) الفراء : معاني القرآن 414/1.

(4) أحمد حسن حامد، ويحيى عبد الرؤوف جبر: الواضح في علم الصرف 40.

(5) آية 40 سورة الأنعام .

نفسك على غير هذه الحال ثم تثنّي وتجمع، فتقول للرجلين : أرايتاكما، وللقوم أرأيتكم، وللنسوة: أريتُكُن، وللمرأة : أرَأيتك، تخفض التاء والكاف، لا يجوز إلاّ ذلك.

والمعنى الآخر أن تقول: أرأيتَك، وأنت تريد : أخْبِرني وتهمزها وتنصب التـاء منهـا، وتترك الهمز إن شئت، وهو أكثر كلام العرب، وتترك التاء موحدة منقوصة للواحد و الواحـدة مؤنثة ومذكرة. وتقول للمرأة : أرأيتَك زيدا هل خرج، وللنسوة : أرأيتَكُن زيداً ما فعـل. وإنمـا تركت العرب التاء، واحدة لأنهم لم يريدوا أن يكون الفعل منها واقعاً على نفسها، فاكتفوا بذكرها في الكاف، ووجهوا التاء إلى المذكر و التوحيد؛ إذ لم يكن الفعل واقعا. وموضع الكاف نصـب وتأويله رفع؛ كما أنك إذا قلت للرجل : دونك زيداً وجدت الكاف في اللفظ وفي المعنـى رفعـا؛ لأنها مأمورة "[1]. فمنهجه في مناقشة هذه القضية يقوم على سماعه عن العرب، إذ إنهم يطابقون في التعبير بين الكاف والمخاطب، فيقولون للواحد (أرأيتَك) و للواحدة (أريتَك) وتقول للرجـال (أرأيتكُم) وللنسوة (أرأيتكُن). ومن هنا يذهب إلى أن التاء حرف خطاب، والكاف هي الفاعـل؛ لأنها تطابق المسند إليه. ويضيف رأيه أنه قد يستغني عنها في التعبير فيقال: أرأيت. أن الكـاف لم تقع قط في موضع رفع "[2].

ويتحدث عن إسناد الفعل إلى نون النسوة عند تفسيره لقوله تعالى:(وقرن في بيوتكُن)[3]. يقول: "من الوقار. تقول للرجل : قد وقَر في منزله يقر وقوراً. وقرأ عاصـم وأهـل المدينـة (وقَرن) بالفتح، ولا يكون ذلك من الوقار، ولكنا نرى أنهم أرادوا : واقْررن في بيوتكن فحـذفوا

---

[1] الفراء : معاني القرآن 333/1.

[2] ينظر ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب 157.

[3] آية 33 سورة الأحزاب .

الراء الأولى، فحولت فتحها في القاف؛ كما قالوا : هل أحستَ صاحبك، وكما قالَ (فَظَلْتُم) يريد: فظلِلْتم "[1].

وأمثلة توظيفه للإسناد في دراسته الأسلوبية كثيرة منها ما جاء في تفسيره لقوله تعـالى: (فَإن لَكَ في الحياة أَن تَقول لا مساسِ) [2]. يقول : أي لا أُمس ولا أَمس، أُول ذلـك أن موسـى أمرهم ألا يؤاكلوه ولا يخالطوه ولا يبايعوه. وتقرأ (لا مساس) وهي لغة فاشـية: لا مسـاسِ لا مساسِ مثل نزالِ ونظار من الانتظار "[3].

ولأنه يعد اسم الفاعل فعلاً فإنه قد أجاز أن يسند إلى الضمير هو ليكون في مقام الفعـل الماضي والمضارع. يقول : "وكذلك قوله (ومن هو كاذب) وإنما أدخلت العرب (هو) في قولـه (ومن هو كاذب) لأنهم لا يقولون : من قائِم ولا من قاعد، إنما كلامهم: من يقوم ومن قام أو من القائِم، فلما لم يقولوه لمعرفة أو لِفَعل أدخلوا هو مع قائم ليكونا جميعاً في مقام فعل ويفعل؛ لأنهما يقومان مقام اثنين. وقد يجوز في الشعر وأشباهه من قائم "[4].

وأبرز ما يخص الإسناد في كتبه هو تلك الكثرة من الأفعال التي تجوز فيها قراءتـان، ولا فارق بين القراءتين سوى التذكير والتأنيث على نحو : درس ودرستَ من قولـه تعـالى : (وكَذَلِك نُصرفُ الآيات ولِيقُولُوا درستَ) [5]. يقول: "يقولون : تعلمتَ من يهود. وفي قراءة عبد الله (وليقولوا درس) يعنون محمد صلى الله عليه وسلم. وهو كما نقول في الكلام: قـالوا لـي : أساء، وقالوا لي أسأت. ومثله : (قُلْ لِلذين كفَروا سيغْلبون) و (ستُغْلبون) [6]"[7]

---

[1] الفراء : معاني القرآن 342/2.

[2] آية 97 سورة طه.

[3] الفراء : معاني القرآن 190/2.

[4] المصدر السابق 26/2.

[5] آية 105 سورة الأنعام .

[6] آية 12 سورة آل عمران. [7] الفراء : معاني القرآن 349/1.

وكذلك الحال في يرى وترى من قوله تعالى: (فَأَصـبحوا لا يـُرى إِلا مسـاكنُهم)[1].

ويروى أن علي بن أبي طالب قد قرأها (لا تَرى إلا مساكنهم)، وقرأها الحسن : (فأصـبحوا لا تُرى إلا مساكنهم)، وينص على أن قراءة الحسن فيها قبح في العربية، بقوله: "وفيه قـبح فـي العربية؛ لأن العرب إذا جعلت فعل المؤنث قبل إلا ذكروه، فقالوا : لم يقم إلا جاريتُك، وما قـام إلا جاريتك، ولا يكادون يقولون: ما قامت إلا جاريتك، وذلك أن المتروك أحد، فأحـد إذا كـان لمؤنث أو مذكر ففعلهما مذكر "[2].

ويبدو الاختلاف في القراءة بسبب الإسناد إلى المذكر أو المؤنث واضحاً في حديثه عن قوله تعالى: (فَنَادتْه الْملائِكَةُ)[3]. يقول : "يقرأ بالتذكير والتأنيث. وكذلك فعـل الملائكـة ومـا أشبههم من الجمع: يؤنّث ويذكر. وقرأت القراء (يعرج الْملائِكَةُ وتعرج)[4] . و(تَتَوفاهم ويتَوفاهم ويتَوفاهم الْملائِكَةُ)[5] وكل صواب "[6].

تـاء التـأنيـث

هي إحدى العلامات التي من شأنها أن تنقل الاسم من أصله المذكر إلـى المؤنـث؛ لأن الأصل في الأسماء أن تكون مذكرة، والتأنيث فرع، وخصوصاً أن التذكير يفتقر إلى علامة تدل عليه شأن المؤنث الذي يتميز بالتاء والألف المقصورة والممدودة [7].

---

(1) آية 25 سورة الأحقاف .

(2) الفراء : معاني القرآن 55/3.

(3) آية 39 سورة آل عمران .

(4) آية 4 سورة المعارج .

(5) آية 28 سورة النحل.

(6) الفراء : معاني القرآن 210/1.

(7) ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك، 91/3.

وكما أسلفنا القول في فصل المصطلح الصرفي، فإن الفراء يطلق عليها (هاء التأنيـث)، وهو بذلك يتابع الخليل وسيبويه. وقد اختلف البصريون والكوفيون في أيهما الأصل في الوقـف تاء التأنيث أم الهاء، فذهب البصريون إلى أن التاء هي الأصل والهـاء بـدلاً منهـا، وذهـب الكوفيون إلى عكس ذلك، وقد استدل البصريون على ذلك بأن بعض العرب تثبـت التـاء فـي الوصل والوقف. يقول ابن جني في باب ما لا ينصرف : "الأسماء المؤنثة على ضربين مؤنـث هاء وألف، فكل اسم فيه هاء التأنيث فإنه لا ينصـرف معرفـة، وينصـرف نكـرة، ومـذهب البصريين أن التاء أصل والهاء بدل منها، واحتجوا على ذلك بأن التاء تثبت في الوصل، وفـي الوقف في بعض اللغات، والهاء لا تثبت إلا في الوقف "[1].

وقد أوضح الأسترابادي رأي الكوفيين في هذه القضية بقوله : وقال ثعلب: "إن الهاء في تأنيث الاسم هو الأصل، وإنما قلبت تاء في الوصل إذ لو قلبت بحالها هاء لقيل رأيت شَـجرها، وكان التنوين يقلب في الوقف ألفا كما جاء في (زيداً) فيلتبس في الوقف بهاء المؤنث فقلبت فـي الوصل تاء لذلك، ثم لما جيء إلى الوقف رجعت إلى أصلها، وهو الهاء"[2]. فالهاء عند الكوفيين أصل والتاء فرع عليهما، وقد قلبت تاء في الوصل، لأنها لو بقيت على حالهـا لقيـل (رأيـت شَجرها).

وقد نسب شرف الدين الراجحي هذا الرأي للفراء، بقوله :"كان الخلاف بين البصـريين والكوفيين في تاء التأنيث في حال الوقف أيهما الأصل التاء أم الهاء فسيبويه يجعل الهاء بدلاً من التاء في الوقف ويجعل التاء أصلا، أما الفراء فيجعل الهاء أصلا ويجعل التاء بدلاً منها"[3]. وقد

---

(1) ابن جني: اللمع في العربية 63.

(2) الأسترابادي: شرح شافية ابن الحاجب 289/2.

(3) شرف الدين الراجحي : في المصطلح الصرفي عند الفراء في كتابه (معاني القرآن) 141.

كان شرف الدين على حق لأنه قد سبقه إلى ذلك البغدادي الذي ذكر رأي الفراء في هذه القضية بعد قول الشاعر :

(الرجز)

لما رأى أن لا دعه ولا شبع   مال إلى أرطاة حقْف فالْطَجع

يقول : "تاء التأنيث في دعه هاء في الوصل؛ لأنه أجراه مجرى الوقف لضرورة الشعر، وظاهر كلام الفراء أنه غير ضرورة، قال في تفسير قوله تعالى: (أرجِه وأخاه) [1]. جـاء فـي التفسير احبسهما عندك "[2].

وقد مال ابن جني إلى رأي الكوفيين بأن الهاء في التأنيث أصل، والتاء في الوصل بدلاً منها، بخلاف ما يذهب إليه البصريون، يقول: "فإن كان في جمع الاسم المؤنـث هـاء التأنيـث حذفتها في الجمع تقول في جمع مسلمة: مسلمات، وفي جمع قائمة: قائمـات، وكـان الأصـل مسلمتات وقائمتات، فحذفت التاء الأولى؛ لئلا يجتمع في الاسم المؤنث الواحد علامتا تأنيث "[3].

وروى الفراء عن طيء جواز دخول تاء التأنيث على (ذو) كي تفيدها تأنيثـاً؛ لأن (ذو) مذكر. يقول الكنغراوي: "و (ذو) في طيء كـ (ما) الموصولة، وعند بعضهم كالذي، ومؤنثـه ذات، وجمعها ذوات[4]". وقد أشار الكغنراوي إلى رأي الأشموني في هـذه القضـية، علمـاً أن الأشموني لم يذكر أن هذه المفردات من رواية الفراء. يقول: بعض طيء ألحق (بذو) تاء التأنيث

---

(1) آية 111 سورة الأعراف .

(2) البغدادي، عبد القادر : شرح شواهد شرح شافية ابن الحاجب274/4.

(3) ابن جني : اللمع في العربية 106، 107.

(4) الكنغراوي : الموفي في النحو الكوفي 101.

مع بقاء البناء على الضم، حكى الفراء : (بالفضل ذو فضلكم ا به، والكرامة ذات أكـرمكم ا بها)[1].

وكان يرى أن التاء التي تكون في الحروف مثل: (ربت و ثَمت تشبه التأنيث، وليسـت بتأنيث حقيقي، ففي (هيهات) يقول في أثناء تفسيره لقولـه تعالى: (هيهاتَ هيهاتَ لِما تُوعدون)[2]. يقول : "فإذا وقفت بالتاء في كلتيهما لأن من العرب من يخفض التاء، فدل ذلك على أنها ليسـت بهاء تأنيث فصارت بمنزلة دراكِ ونَظَارِ. ومنهم من يقف على الهاء لأن مـن شـأنه نصـبها فيجعلها كالهاء، والنصب الذي فيهما أنهما أداتان جمعتا فصارتا بمنزلة خمسة عشر. وإن قلـت إن كل واحدة مستغنية بنفسها يجوز الوقوف عليها فإن نصبها كنصب قوله : قُمت ثُمتَ جلست، وبمنزلة قول الشاعر ضمرة بن ضمرة النهشلي[3] :

(الرجز)

ماوي بل ربتما غارة   شَعواء كاللّذْعة بالميسم

فنصب هيهات بمنزلة هذه الهاء التي في ربت؛ لأنها دخلت على رب وعلى ثُم. وكانـا أداتين، فلم يغيرهما عن أداتهما فنُصبا. قال الفراء : واختار الكسائي الهاء، وأنـا أقـف علـى التاء"[4].

وكذلك الحال بالنسبة لـ (لات) التي هي من الحروف، فإنه يتحدث عنها عنـد تفسـيره لقولـه تعالى : (فَنَادوا ولاتَ حين منَاصٍ)[1]، فهي عنده شبيهة إلى حد بعيد بهيهات. يقول:" أقف على (لاتَ) بالتاء، والكسائي يقف بالهاء "[2].

---

[1] المصدر السابق 101.

[2] آية 36 سورة المؤمنين .

[3] ماوي مرخم ماوية اسم امرأة. والغارة الشعواء : الفاشية المتفرقة. والميسم: الأداة يكوى بها.

[4] الفراء : معاني القرآن 235/2، 236.

الميـزان الصـرفي

ويطلق عليه العلماء التمثيل أو المثال، ومعناه : "أن تقابل حروف الكلمة الواردة عليـك بالفاء والعين واللام فتقول (ضرب) على مثال فَعلَ أو وزن فَعلَ وتسم الضاد بأنه فـاء الفعـل، والراء بأنه عينه، والباء بأنه لامه "[3].

ولما كان رد الكلمات إلى أصولها مهماً؛ لكي يتحقق وزنها بالصورة الصحيحة كان من اللازم علينا أن نحدد أصول المفردات، فرأي الفراء وجمهور الكوفيين مختلف عن الرأي الشائع عند علماء اللغة في هذه القضية، فغاية الأصول عندهم ثلاثة؛ وبذلك يخرجون الأصول الرباعية والخماسية من دائرة المجرد، فالراء في (جعفر) عندهم زائدة، والجيم والـلام مـن (سـفرجل) زائدتان، ولكنهم ذهبوا مذهب البصريين الذين يجعلون مقابل ما زاد من أصول الكلمة الموزونة لامات، فوزنوها على نفس الصورة التي وزنها عليها البصريون، فقالوا في وزن (جعفر) (فَعلَل) وفي (سفرجل) (فَعلّل). إلا أنهم اختلفوا في أي الحروف الزائدة في الرباعي والخماسي [4].

ويذهب الفراء إلى أن الزائد في الرباعي حرفـه الأخيـر، وفـي الخماسـي الحرفـان الأخيران، في حين ذهب الكسائي إلى أن الزائد في الرباعي الحرف الذي قبل آخـره، وبـذلك يكون المفروض أن يكون وزن مثل هذه الأصول مختلفاً عما شاع عنهم في تقليدهم للبصـريين، فجعفر عندهم يفترض أن يكون وزنها (فعلر)، و سفرجل (فعلجل). ويبدو تناقض الفراء واضحاً في بعض الأصول الرباعية، على نحو قول الرضي : "قال الفراء : في مرمريس وصـمحمح: إنه فعليل وفعلّلٌ وفعللاً صرصر وزلزل فعفع، وليس ما قال بشـيء؛ لأنـا لا نحكـم بزيـادة

---

[1] آية 3 سورة ص .

[2] الفراء : معاني القرآن 398/2.

[3] الميداني: نزهة الطرف في علم الصرف 4، 5.

[4] الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب 47/1.

التضعيف: لا بعد كمال ثلاثة أصول "[1]. وقد ناقش ابن عصفور هذه القضية، وذهب إلى بطلان رأي الكوفيين، فقال: "وزعم أهل الكوفة أن نهاية الأصول ثلاثة، فجعلوا الـراء مـن (جعفـر) زائدة، والجيم واللاّم من (سفرجل) زائدتين. وجعلوا وزن (جعفر) مـن الفعـل (فَعلـلاً) ووزن (سفرجل) : (فَعلّلاً) كما فعلناه نحن. و أما الكسائي منهم فجعل الزيادة من (جعفر) وأشباهه مـا قبل الآخر. وكان الذي حملهم على ذلك أن رأوا المثال يلزم ذلك فيه؛ ألا ترى أن إحدى اللامين من (فَعلَل) زائدة. وكذلك (فَعلّل) الّلامان من هذه الثلاثة زائدتان. هكذا قياس كل مضعف. أعني أن يحكم على أحد المثلين، أو الأمثال، بالأصالة، وعلى ما عداه بالزيادة. فلما رأى ذلك لازمـاً في المثال قضى على الممثل بمثل ما يلزم في المثال "[2]. وفي موطن آخر يقول : "قياس المثال أن يبقى الزائد فيه بلفظه، إذا لم يكن من لفظ الأصل. فكان ينبغي أن يجعل وزن (جعفـر) مـن الفعل – على هذا - : (فَعلَر)، عند من يجعل الآخر زائداً، و "فَعفَل" عند من يجعل الزائد ما قبل الآخر، وأن يجعل وزن (سفَرجل): (فَعلْجل) أو (فَعرجل).

ومن أهل الكوفة من ذهب إلى ما ذكرناه من أن الأصول ثلاثة، إلا أنه وزن مـا عـدا الأصول بلفظه، فجعل وزن (جعفر) : (فَعلَر)، و (سفرجل) : (فَعلْجل) .

ومنهم من قضى بزيادة ما عدا الثلاثة، إلا أنه لا يزن. فإن قيل له ما وزن (جعفـر) و (فرزدق) ؟ قال: لا أدري " [3].

وللفراء رأي في وزن كثير من المفردات، إذ يتعمد فيها خلاف البصريين، وربما تكون رغبته في الاستقلالية والتميز قد دفعته إلى ذلك، وأهم هذه المفردات :

---

(1) الأسترابادي: شرح شافية ابن الحاجب 47/1، 63/1.

(2) ابن عصفور: الممتع في التصريف 311/1.

(3) المصدر السابق 312/1.

1- أشياء : فقد ذهب إلى أن وزنها (أفْعلاء)؛ لأن الأصل أشيئاء، فحذفت الهمزة التي هـي لام، وانفتحت الياء لأجل الألف، وقد خالف الفراء فيها البصريين الذين يرون أن وزنهـا (لَفْعـاء)، مقلوبة من (فَعلاء). والأصل: (شَـيْئاء)، من لفظ شيء، كـَ (طرفاء) و (حلْفاء). كما أنه خالف فيها مذهب الكسائي الذي يرى أن وزنها (أفعال)، جمع شيء، فالخلاف بينهما يتمثـل فـي أن الكسائي يجعل أشياء مفرد شيء على وزن فَعل كبيت، و الفراء يجعلـه مخفـف عـن فيعـل، والأصل شيئ ، فخفف كما خُفف: ميت، وهين، فقالوا : ميت، وهين[1].

وقد أشار الفراء إلى هذه القضية في أثناء تفسيره لقوله تعالى: " لاَ تَسأَلُوا عن أَشْياء إن تُبـد لَكُم تَسؤْكُم) [2]. يقول: "و (أشياء) في موضع خفض لا تُجرى. وقد قال فيها بعـض النحـويين: إنما كثرت في الكلام وهي (أفعال) فأشبهت فَعلاء فلم تُصرف، كما لم تصرف حمراء، وجمعها أشاوى – كما جمعوا عذراء عذارى، وصحراء صحارى – وأشياوات؛ كما قيل : حمـراوات. ولو كانت على التوهم لكان أملك الوجهين بها أن تُجرى؛ لأن الحرف إذا كثر به الكلام خَـف؛ كما كثرت التسمية بيزيد فأجروه وفيه ياء زائدة تمنع من الإجراء. ولكنا نرى أن أشياء جمعـت على أفعلاء كما جمع لَين وأليناء، فحذف من وسط أشياء همزة، كـان ينبغـي لهـا أن تكـون (أشْيئاء) فحذفت الهمزة لكثرتها. وقد قالت العرب : هذا من أبناوات سعد، وأُعيـذك بأسـماوات ا ، واحدها أسماء وأبناء تجرى" [3].

---

[1] ينظر الأسترابادي : شرح شافية ابن الحاجب 21/1، وابن جني : شرح كتاب التصريف للمـازني 97/2، 98، وابـن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 118.

[2] آية 101 سورة المائدة .

[3] الفراء : معاني القرآن 321/1.

2- سلسبيل : ويخالف فيها أكثر النحاة الذين يرون أن وزنها فعليل، فيذكر أن وزنها فعفليـل، وقال ذلك في دردبيس؛ ذلك أنه يجيز تكرير حرف أصلي مع توسط حرف أصلي بينهما "[1].

3- موسى : ووزنها مفْعل من أوسيتُ أي حلَقْتُ، في حين يرى الفراء وجمهـور الكـوفيين أن وزنها فُعلى من ماس "[2].

4- آية : وفيها ثلاثة أقوال نذكر منها رأي الفراء، الذي يرى أن وزنها (فَعلة) وأصلها (أييـة)، فاستثقلوا اجتماع ياءين، فأبدلوا من الساكنة ألفاً تخفيفاً. قال: "وإذا كانوا يفعلون باليـاء السـاكنة وحدها، في نحو (عيب وعاب) و (ذيم وذام)، فالأحرى أن يفعلوا ذلك إذا انضـاف إليهـا يـاء أخرى "[3]. وكان ابن عصفور يقول بفساد هذا الرأي، فيقول :"وهذا الذي ذهب إليه فاسـد، لأن فيه إعلال العين، مع أن العين معتلّة كما في مذهب الخليل، مع أن إبدال الياء الساكنة ألفاً لـيس بمستمر. وأما (العاب والعيب) و (الذام والذّيم) فهما مما جاء على (فَعلٍ) تارة، وعلـى (فَعـلٍ) أخرى " [4].وهذا الرأي في تصغيرها يخالف فيه الفراء الكسائي الذي كان يذهب إلى أن وزنهـا (فاعلة)، والأصل (آيية)، فحذفت استثقالاً لاجتماع الياءين[5].

5- مأق : وأصلها عند ابن جني (مأقي)، ثم خُفّفَ، والياءان للنسب. وهذا عند ابـن عصـفور باطل بدليل قولهم: (مآق)، ويفضل رأي الفراء القائل: إن وزنها (مفعل) مما لامه ياء، وشـذوا فيه فقالوا : (المفعل) من المعتل اللام مفتوح العين. ونظيره في الشذوذ (مأوي الإبل) والفصـيح

---

(1) الأسترباذي : شرح شافية ابن الحاجب 351/2.

(2) المصدر السابق 344/2.

(3) ابن عصفور : الممتع في التصريف 583/2.

(4) ابن عصفور: الممتع في التصريف 583/2.

(5) المصدر السابق 583/2.

(مأوى). قال ا تعالى: (فإن الجنةَ هي المأوى)[1]. وتكون الميم زائدة كما تكون فـي (مـؤقَ) ويكون (مأقٌ) و (مأق) من باب (سبِط وسبطر)[2].

6- سيد وميت، وهين: ذهب الكوفيون إلى أن وزنها (فعيل)، نحو: (سويد، وهوين، ومويـت). وذهب البصريون إلى أن وزنه (فَيعلٌ) – بكسر العين – وذهب قوم إلى أن وزنه (فَيعل) بفـتح العين. وقد بنى الكوفيون رأيهم في وزن هذه الكلمات على السماع وتوفر النظير، فيقولـون: إن أصله (فَعيلٌ) على نحو (سويد) و (هوين) و (مويت)؛ لأن له نظير من كلامهم، فلما كان هـذا هو الأصل أرادوا أن يعلوا عين الفعل كما أعلت في (ساد يسود)، وفي (مات ويموت) فقـدمت الياء الساكنة على الواو فانقلبت الواو ياء؛ لأن الواو والياء إذا اجتمعتا والسابق منهما ساكن قلبوا الواو ياء؛ لأن الواو والياء إذا اجتمعتا والسابق منهما ساكن قلبوا الواو يـاء، وجعلوهمـا يـاء مشددة[3].

7- خطايا : ذهب الكوفيون إلى أن (خَطَايا) جمع (خطيئة) على وزن (فَعالى)، وقد سبقهم إلى ذلك الخليل بن أحمد. أما بقية البصريين فيرون أن (خطايا) على وزن (فَعائِـل). وقـد احـتج الكوفيون على ذلك بقولهم : "إنما قلنا إن وزنه (فَعالى)، وذلك لأن الأصل أن يقال فـي جمـع (خطيئة): (خطايئ) مثل (خطايع)، إلا أنه قُدمت الهمزة على الياء؛ لئلاّ يؤدي إلى إبـدال اليـاء همزة كما تبدل في (صحيفة وصحائف)، و(كتيبة وكتائب) لوقوعها قبل الطرف بحرف؛ لأنهـم يجرون ما قبل الطرف بحرف من هذا النوع مجرى الطرف في الإبدال، وهم يبدلون من اليـاء

---

[1] آية 41 سورة النازعات .

[2] ابن عصفور : الممتع في التصريف 93/1.

[3] ابن الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 115.

إذا وقعت طرفاً وقبلها ألف زائدة همزة، فلو لم تقدم الهمزة على الياء في (خطايئ) لكان يـؤدي إلى اجتماع همزتين، وذلك مرفوض في كلامهم "[1].

8- إنسان: ذهب الكوفيون إلى أن وزنها (إفْعان). أما البصريون فيرون أن وزنه (فعلان)، وإلى ذلك ذهب بعض الكوفيين.

وحجتهم في ذلك "أن الأصل في (إنْسان): (إنْسيان) على (إفْعلان) من (النسيان)، إلا أنه لما كثر في كلامهم وجرى على ألسنتهم حذفوا منه الياء – التي هي لام- لكثرته فـي اسـتعمالهم، والحذف لكثرة الاستعمال كثير في كلامهم، لقولهم: (أيش) في (أي شيء)، و (عم صباحاً) فـي (انْعم صباحاً)، و (ويلُمه) في (ويل أُمه) [2].

9- أول: يذهب البصريون إلى أن وزنها (أفعل) لأن تصريفه (أُولى) و (أُول) دليل علـى أنـه أفعل التفضيل. أما الكوفيون فيرون أنه (فوعل) من (وَأَلَ) فقلبت الـواو الأولـى إلـى همـزة. وتصريفه كتصريف أفعل التفضيل واستعماله. ويرى الأستراباذي أن الأصح في ذلك هـو مـا ذهب إليه البصريون بقوله :"والصحيح أنه أفعل من تركيب (وول) وإن لم يستعمل في غير هذا اللفظ، لا من أولَ ولا من (وَأَلَ) لئلا يلزم قلب الهمزة شاذاً كما ذكرنا في أفعل التفضيل"[3].

ويشير إلى خروج بعض المفردات عن الأوزان المشهورة في اللغة بالزيادة ككنْتأو، سنْدأو، قنْدأو. يقول الأسترباذي : "ومثله كنْتأو، وسنْدأو، وقنْدأو، وقال الفراء: في مثلها: الزائـد: إمـا النون وحدها فهو فنْعلٌ، وإما النون مع الواو فهو فيعلْو، وإما النون، وإما النون مع الهمزة فهـو فنْعأل، وجعل النون زائدة على كل حال "[4].

---

[1] ابن الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 116.

[2] المصدر السابق مسألة 117.

[3] الأسترابإذي: شرح شافية ابن الحاجب 340/2، 341.

[4] الأسترإباذي: شرح شافية ابن الحاجب 362/2.

ويكثر الفراء في أثناء تفسيره لآيات القرآن الكريم من ذكر أوزان بعض المفـردات، علـى نحو ما جاء في (عورة) عند تفسيره لقوله تعالى: (لا مقّام لّكُم) [1]. يقول: " كل القـراء الـذين نعرف على تسكين الواو من (عورة) وذُكر عن بعض القراء أنه قرأ (عوِرة) على ميزان فَعلـة وهو وجه. والعرب تقول: قد أعور منزلك إذا بدت منه عورة، وأعور الفـارس إذا كـان فيـه موضع خال للضرب "[2].

فكما هو واضح من هذا الاقتباس فإن الفراء يحشد كثيراً من الوسائل اللغويـة مـن أجـل توضيح معنى النص القرآني، كما أنه يطبق المفاهيم اللغوية التي درسها علـى آيـات القـرآن الكريم، ويظهر ذلك في أثناء حديثه عن أشياء الذي هو على وزن أفعلاء لأن أصـلها أشْـيئاء. يقول الفراء : "ولكنا نرى أن أشياء جمعت على أفعلاء كما جمع لَين و أَلْيناء، فحذف من وسـط أشياء همزة، كان ينبغي لها أن تكون (أَشْيئاء) فحذفت الهمزة لكثرتها "[3].

معاني حروف الزيادة

يجمع علماء الصرف على أن التغيير في المبنى يؤدي إلى تغيير في المعنى؛ لأن ذلـك قـد يكون بالنقص، سواء أكانت الزيادة صوتية إلحاقية أم معنوية. واتفقوا على أن حروف الزيـادة هي: الهمزة، والألف، والواو، والياء، والسين، والـلام، والبـاء، والمـيم، والنـون، والهـاء، والتضعيف، وجمعوها في : (سألتمونيها).

الكنْتَأو : الجمل الشديد والعظيم اللحية الكثها، أو الحسنها، والسنْدأو: الخفيف، وقيل هو الجريء المقـدم. و قيـل: هـو القصير، وقيل: هو الرقيق الجسم مع عرض رأس، والعظيم الرأس، والجمع سنْدأوون، والقنْدأو : السيء الخلق، والقصير من الرجال، والقصير العنق الشديد الرأس، والجريء المقدم. ينظر الطاهر أحمد الزاوي: ترتيب القاموس المحـيط علـى طريقة المصباح المنير و أساس البلاغة 85/4، 627/2، 697/3.

[1] آية 13 سورة الأحزاب.

[2] الفراء: معاني القرآن 337/2.

[3] المصدر السابق 321/1.

وتُظهر جهوده الصرفية المتناثرة في كتبه، وكتب اللغة القديمة أنه لم يكن صاحب فلسفة خاصة بهذا الجانب، إلا فيما يتعلق ببعض الاستعمالات، التي لم تفرغ الزيادة فيها معاني جديدة، وسبب ذلك أنها لغة عن العرب، أو أن القبائل التي تكلمت بها لم تكن تشعر بذلك الفارق بين الصيغتين موضع الدراسة والتفسير. على أن هذه الصيغ قد اصطلح الصرفيون على أنها مما تفرغ معاني جديدة، وقد شعر بحسه اللغوي أن بعض الصيغ التي حدثت فيها الزيادة قد حملت معاني جديدة أفرزتها الزيادة. وأكثر ذلك نجده في (معاني القرآن)، حيث استخدم الزيادة من أجل تفسير النص وفهم مدلوله. وأهم الصيغ التي أدت الزيادة فيها في المبنى إلى زيادة في المعنى هي :-

1- التضعيف : ويفيد عنده التكثير والمبالغة على نحو (تَفْجر و تُفَجر) من قوله تعالى : (من الأرض ينْبوعاً)[1]. يقول : "الذي ينْبع، ويقال: ينْبع لغتان. و (تَفْجر) قرأها يحيى بن وثاب وأصحاب عبد ا بالتخفيف. وكأن الفجر مرة واحدة و(تُفَجر) فكأن التفجير من أماكن. وهو بمنزلة فَتَحت الأبواب. وفَتحها[2]".

ويبدو معنى المبالغة والتكثير الذي يفيده التضعيف واضحاً أيضاً في تفسيره لقوله تعالى : (وفَجرنَا خلالَهما نَهراً)[3]. يقول: "يقال: كيف جاز التشديد وإنما النهر واحد؟ قلت : لأن النهر يمتد حتى صار التفجر كأنه فيه كله فالتخفيف فيه والتثقيل جائزان. ومثله (حتى تَفْجر لَنَا من الأرض ينْبوعاً)[4] يثقل ويخفف[5].

---

[1] آية 90 سورة الإسراء .

[2] الفراء : معاني القرآن 31/2.

[3] آية 33 سورة الكهف .

[4] آية 90 سورة الإسراء .

[5] الفراء : معاني القرآن 144/2.

ومن الأمثلة التي توضح هذه القضية بصورة أفضل ما جاء في تفسيره لقوله تعـالى :

(في بروجٍ مشَيدة) [1]، حيث ذهب إلى أن التضعيف قد أفاد معنى التكثير والتردد والمبالغة. يقول : "يشدد ما كان من جمع؛ مثل قولك : مررت بثياب مصبغة وأكبشٍ مذبحة فجـاز التشـديد لأن الفعل متفرق في جمع، فإذا أفردت الواحد من ذلك فإن كان الفعل يتردد في الواحد ويكثر جـاز فيه التشديد و التخفيف؛ مثل قولك: مررت برجل مشجج، وبثوب ممزق؛ جاز التشديد؛ لأن الفعل قد تردد فيه وكثر. وتقول: مررت بكبش مذبوح، ولا تقل مذّبح لأن الـذبح لا يتـردد كتـردد التخرق، وقوله: (وبِئْرٍ معطلة وقصرٍ مشيد) [2] يجوز فيه التشديد؛ لأن التشييد بناء فهو يتطـاول ويتردد" [3].

ويعمد الفراء إلى المقارنة بين الكلمة التي حصلت فيها الزيادة بالتضعيف، والكلمة التي جاءت على أصلها، أو زيدت فيها الهمزة، على نحو قوله في أثناء تفسيره للآيـة الكريمـة (أن يفْرط علَينَا) [4]. يقول "و (يفْرِط) يريد في العجلة إلى عقوبتنا. والعرب تقول: فَرطَ منـه أمـر وأفْرط: أسرف، وفَرط: توانى ونسى" [5]. وفي قوله تعالى: (فَإِنهم لاَ يكَذبونَك) [6]. يقول "قرأها "قرأها العامة بالتشديد. وقرأت (يكْذبونك) مخففة. ومعنى التخفيف – وا أعلم - : لا يجعلونك كذّابا، وإنما يريدون أن ما جئت به باطل؛ لأنهم لم يجربوا عليه صلى ا عليـه وسـلم كـذباً

[1] آية 78 سورة النساء .

[2] آية 45 سورة الحج.

[3] الفراء : معاني القرآن 277/1.

[4] آية 45 سورة طه.

[5] الفراء : معاني القرآن 180/2.

[6] آية 33 سورة الأنعام .

فيكذبوه وإنما أكذبوه، أي ما جئت به كذب لا نعرفه. والتكذيب : أن يقال: كذَبت. وا أعلم "[1].

ويتحدث الفراء عن أن معنى فاعلت وفعلت واحد؛ لأن العرب تكاد توفق بينهما في كثير من الكلام، يقول في أثناء تفسيره لقوله تعالى : (فَزيلْنَا بينَهم)[2] يقول : "ليست من زلْتُ؛ إنما هي من زِلْتُ ذا من ذا: إذا مزت أنت ذا من ذا. وقال (فزيلنا) لكثرة الفعل . ولو قّل لقلت : زل ذا من ذا؛ كقولك : مزذا من ذا، وقرأ بعضهم (فزايلنا بينهم) وهو مثل قوله (يراءون ويرءون)[3] (ولا تُصعر، ولا تُصاعر)[4] والعرب تكاد توفق بين فاعلت وفعلت في كثير من الكلام؛ ما لم لم تُرد فَعلتَ بي وفعلتُ بك، فإذا أرادوا هذا لم تكن إلا فاعلت. فإذا أردت :عاهدتك وراعيتك وما يكون الفعل فيه مفرداً فهو الذي يحتمل فعلت وفاعلت. كذلك يقولون: كالمت فلاناً وكلمته، وكانا متصارمين فصارا يتكالمان ويتكلمان "[5].

2- الهمزة : وقد جاءت عنده لعدة معان يمكن إجمالها من خلال التعرض لتفسيره للآيات القرآنية التالية :

أ- قولـه تعالى: (أَفَمن يمشي مكباً على وجهه)[6]. حيث زيدت الهمزة في (أكب) لغير التعدية، فلما ذهبت الهمزة أصبح الفعل متعديا. يقول :" تقول : قد أكب الرجل: إذا كان فعله غير واقع على أحد، فإذا وقع الفعل أسقطت الألف، فتقول: قد كبه ا لوجهه، وكببته أنا لوجهه "[7].

---

[1] الفراء : معاني القرآن 331/1.

[2] آية 28 سورة يونس.

[3] آية 142 سورة النساء.

[4] آية 18سورة لقمان.

[5] الفراء : معاني القرآن 462/1.

[6] آية 22 سورة الملك.

[7] الفراء : معاني القرآن 171/3.

ب- في قوله تعالى: (ثُم أَماتَه فَأقبره) [1]. حيث إن زيادة الهمزة في (أقبره) أعطت الفعل معنـى جديداً وهو السلب والإزالة. يقول :" جعله مقبوراً، ولم يجعله ممن يلْقى للسباع والطير، ولا ممن يلقى في النواويس، كأن القبر مما أكرم المسلم به، ولم يقل: فقبره؛ لأن القابر هو الـدافن بيـده، والمقبِر : ا تبارك وتعالى؛ لأنه صيره ذا قبر، وليس فعله كفعل الآدمي. والعرب تقول: بترت ذنب البعير، وا أبتره. وعضبت قرن الثور، وا أعضبه. وطردت فلاناً عنـي، وا أطـرده صيره طريداً، ولو قال قائل : فقبره، أو قال في الآدمي : أقبره إذا وجهه لجهته صـلح، وكـان صواباً؛ ألا ترى أنك تقول: قتل فلان أخاه، فيقول الآخر : ا قتله. والعرب تقول: هـذه كلمـة مقتلة مخيفة إذا كانت من قالها قُتل قيلت هكذا، ولو قيل فيها: قاتلة خائفة كان صواباً، كما تقول: هذا الداء قاتلك " [2]. وقد ورد هذا المعنى في تفسيره للآيات الكريمة، من ذلك ما جاء في أثنـاء حديثه عن قوله تعالى : (ولاَ هم عنْها ينْزفُون)[3]. حيث أفادت الهمزة في (أَنْزف) معنى السلب والإزالة. يقول: "و (ينْزفُون) وأصحاب عبد ا يقرءون (ينْزِفُون) وله معنيان . يقال: قد أنزف الرجل إذا فنيت خمره، وأنزف إذا ذهب عقله. فهذان وجهان. ومن قـال (ينْزفـون) يقـول: لا تذهب عقولهم وهو من نُزِف الرجل فهو منْزوف"[4].

ت- في قوله تعالى: (واسأَلْهم عنِ الْقَرية التي كَانَتْ حاضرةَ الْبحرِ إِذْ يعدون في السبت) [5]. فقد فقد أفادت زيادة الهمزة في (أسبت) معنى الدخول في الزمان. يقول: "والعرب تقـول: يسـبِتون

---

[1] آية 21 سورة عبس .

[2] الفراء : معاني القرآن 237/3.

[3] آية 47 سورة الصافات .

[4] الفراء : معاني القرآن 385/2.

[5] آية 163 سورة الأعراف.

ويسبتون وسبت وأسبت. ومعنى أسبتوا : دخلوا في السبت، ومعنى يسبتون: يفعلـون سـبتهم. ومثله في الكلام : قد أجمعنا، أي مرت بنا جمعة، وجمعنا: شهدنا الجمعة"[1].

ث- في قوله تعالى: (فَأَقْبَلُوا إِلَيهِ يزِفُّون)[2]. حيث تحدث عن أن زيادة الهمزة تـؤدي معنـى الصيرورة. يقول : "قد أطردت الرجل أي، صيرته طريداً، وطردته إذا أنت قلت له: اذهب عنا فيكون (يزِفّون) أي جاءوا على هذه الهيئة بمنزلة المزفوفة على هذه الحال فتدخل الألف؛ كمـا تقول للرجل: هو محمود إذا أظهرت حمده، وهو محمد إذا رأيت أمره إلى الحمد ولم تنشر حمده ... أقهر أي صار إلى قهر وإنما هو قُهر "[3].

وفي أحيان كثيرة لا تؤدي الزيادة في المبنى عنده إلى زيادة في المعنى، فالهمز –علـى سبيل المثال- عنده لا يؤدي إلى معنى من جديد، من ذلك نبتت وأنبتـت مـن قولـه تعـالى : (وشَجرةً تَخْرج من طُورِ سينَاء)[4]. يقول: " هي شجرة الزيتون (تُنْبِتُ بالدهن) وهما لغتان نبتت وأنبتت" [5]. وأمثلة ذلك كثيرة مما لا يفرق فيه الفراء بين اللغتين في المعنى منها قوله في وحى وحى وأوحى: "والعرب تقول: أوحى إلي ووحى و أومأ إلي وومى بمعنى واحد[6]".

وقد لجأ الفراء إلى التفريق بين الكلمة التي حصلت فيها الزيادة ومجردها، لتوضيح دلالة بعض الألفاظ القرآنية، أو فيما يدرج ضمن دراسته اللغوية للقرآن، والأمثلة على ذلـك كثيـرة نذكر منها ما يلي:-

---

(1) الفراء : معاني القرآن 398/1.

(2) آية 94 سورة الصافات.

(3) الفراء : معاني القرآن 389/2.

(4) آية 20 سورة المؤمنين.

(5) الفراء : معاني القرآن 232/2.

(6) المصدر السابق 163/2.

1- سقى و أسقى من قوله تعالى: (نُسقيكُم مما في بطُونه) [1]. يقول : "العرب تقول لكل ما كان في بطون الأنعام ومن السماء أو نهر يجري لقوم: أسقيت. فإذا سقاك الرجل قلت سقاك الرجل الماء لشَفَتك قالوا : سقاه. ولم يقولوا : أسقَاه؛ كما قال ا عز وجل (وسقَاهم ربهـم شَراباً طَهوراً) [2] وقال (والّذي هو يطْعمني ويسقين) [3] وربما قالوا لما في بطون الأنعـام ولماء السماء سقى وأسقى "[4].

2- يبغونكم وأبغونكم في قوله تعالى: (يبغُونَكُم الْفتْنَةَ) [5]. يقول: "المعنى: يبغونها لكم. ولو أعانوهم على بغائها لقلت : أبغيتك الفتنة. وهو مثل قولك : أحلبني واحلُبني "[6].

3- ضللت وأضللت من قوله تعالى: (في كتَابِ لاَ يضل ربي) [7]. يقول: "وتقول: أضـللت الشيء إذا ضاع؛ مثل الناقة والفرس وما انفلت منك. وإذا أخطأت الشيء الثابـت موضـعه مثل الدار والمكان قلت: ضلّلته وضللته لغتان ولا تقل أضللت ولا أضللته"[8].

4- سفر وأسفر من قوله تعالى: (وجوه يومئِذ مسفرةٌ) [9]. يقول: "مشرقة مضيئة، وإذا ألقت ألقت المرأة نقابها، أو برقعها قيل: سفرت فهي سافر، ولا يقال أسفرت"[10].

كما أن الفراء يورد أمثلة على أن زيادة التضعيف والألف لا تؤدي إلى زيادة في المعنـى، نحو مدركُون ومدركُون من قوله تعالى : (إنا لَمدركُون) [1] يقول: "و (لَمدركُون) مفتعلون مـن

---

[1] آية 66 سورة النحل .
[2] آية 21 سورة الإنسان.
[3] آية 79 سورة الشعراء .
[4] الفراء: معاني القرآن 108/2.
[5] آية 47 سورة التوبة.
[6] الفراء: معاني القرآن 440/1.
[7] آية 52 سورة طه.
[8] الفراء: معاني القرآن 181/2.
[9] آية 38 سورة عبس.
[10] الفراء: معاني القرآن 239/3.

الإدراك كما تقول: حفرت واحتفرت بمعنى واحد، فكذلك (لَمدركُون) و (لَمـدركُون) معناهمـا واحد وا أعلم"[2]. وكذلك الحال في جازيت وجزيت من قوله تعـالى : (ذَلِـكَ جزينَـاهم) [3]. يقول: "إن جازيناه بمنزلة كافأناه، والسيئة للكافر بمثلها، وأما المؤمن فيجزي لأنه يزاد ويتَفَضل عليه ولا يجازي. وقد يقال : جازيت في جزيت، إلا أن المعنى في أبين الكلام على ما وصـفت لك؛ ألا ترى أنه قد قال (ذلك جزيناهم) ولم يقل (جازيناهم) وقد سمعت جازيت في معنى جزيت وهي مثل عاقبت وعقّبت، الفعل منك وحدك"[4].

وللفراء رأي يتعلق بالزيادة يتمثل في أن حروف الزيادة إذا كثرت ملازمتها للكلمة تصـبح جزءاً منها على نحو اللام في لقد وما في كما. يقول : "فأدخل على (لَقَد) لاماً أخرى لكثرة مـا تلزم العرب اللام في (لَقَد) حتى صارت كأنها منها ... قال : (كما) ثم زاد معها (مـا) أخـرى لكثرة (كما) في الكلام فصارت كأنها منها "[5].

فكما هو واضح من الأمثلة السابقة، فإن مبحث معاني الزيادة قـد جـاء ضـمن القضـايا الأسلوبية التي استعان بها لتفسير النص القرآني، وقد جاءت هذه الآيات – في مجملها- من أجل توضيح معاني الآيات، وبيان مدلولاتها، وهو إذ يفعل ذلك فإنه يحاول توظيف مصطلح الزيـادة في دراسة النص واستيعاب معناه.

---

(1) آية 61 سورة الشعراء .

(2) الفراء: معاني القرآن 280/2.

(3) آية 17 سورة سبأ .

(4) الفراء: معاني القرآن 359/2.

(5) المصدر السابق 68/1.

المصـــــادر

يعرفه ابن هشام بأنه "الاسم الدال على مجرد الحدث إن كان علمـا، كـــ (فَجـارِ) و (حماد) لـ (الفجرة) و (المحمدة) ،أو مبدوءاً بميم زائدة لغير المفاعلة، كـ (مضرب) و (مقْتَل)، أو متجاوزاً فعله الثلاثة، وهو بزنة اسم حدث الثلاثي، كـ (غَسلٍ) و (وضــوء) فـي قولـك: (اغْتَسل غُسلاً) و (تَوضأ وضوءاً)، فإنهما بزنة (القُرب) و (الدخول) في (قَرب قُرباً)، و (دخَـلَ دخولاً)؛ فهو اسم مصدر، وإلا فالمصدر"[1]. وقد أدرج الفراء المصدر في باب الأفعال وأطلـق عليه مصطلح الفعل كما أسلفنا سابقاً، وهذا يؤكد لنا أن فهمه لمعنى المصدر لم يكن مشابهاً لفهم علماء اللغة، ولا سيما أن الاسم يفيد الثبوت، في حين يفيد الفعل معنى التجدد والحدوث، فإذا قلنا (خالد مجتهد) أفاد ثبوت الاجتهاد لخالد، وإذا قلنا (يجتهد خالد) أفاد التجدد والحدوث، وإذا قلنـا (هو يجود) دل على التجدد والحدوث، أما إذا قلنا (هو جواد) فإنه يـدل علـى ثبـوت الصـفة لصاحبها. فالأفعال الماضي والمضارع مقيدة بالزمان الماضي أو الحال والاستقبال، أما الاسـم فهو غير مقيد بزمن؛ لذلك فهو أشمل وأعم وأكثر ثبوتاً .

وأهم ما يتعلق بهذه المسألة عنده هو أنه كان يكثر من الاستعانة بالمصدر في دراسة الآيات القرآنية وتفسيرها، وينسجم ذلك مع طريقته في التفسير التي يحاول فيها الاستعانة بكثيـر مـن الوسائل اللغوية التي من شأنها أن تعينه على فهم النص وتوضيح معناه، من ذلك أنه كان يـورد المصدر، وينص على الفعل الذي أخذ منه ذلك المصدر، أو أنه يفرق بين الاسم والمصدر مـن خلال حركة البناء الداخلي للمفردات، وأبرز المواطن التي نص فيها على أن الكلمـة موضـع الدرس مصدر مع ذكر الفعل الذي أخذ منه؛ هي:

---

[1] ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 405/1.

1- كاذبةٌ من قوله تعالى: (ليس لِوقْعتها كاذبةٌ) [1]. يقول: "ليس لها مردودة ولا رد، فالكاذبة ها هنا مصدر مثل: العاقبة، والعافية" [2].

2- الإصباح من قوله تعالى: (فَالِقُ الإِصباحِ) [3]. يقول :"والإصباح مصدر أصبحنا إصباحا، والأصباح صبح كل يوم بمجموع" [4].

3- أَثارة من قوله تعالى: (أو أَثارة من علْم) [5]. يقول: "قرأها العوام : (أثارة)، وقرأها بعضهم قال: قرأ أبو عبد الرحمن فيما أعلم و (أثْرةً) خفيفة. وقد ذكر عن بعض القراء (أثَرة). والمعنى فيهن كلهن. بقية من علم، أو شيء مأثور من كتب الأولين. فمن قرأ (أثارة) فهو كالمصدر مثل قولك: (السماحة، وهو الشجاعة) [6].

4- لَقْفا من قوله تعالى : (تَلْقَفُ ما يأفكُون) [7]. يقول: "و (تَلَقفُ). يقال لقفت الشيء فأنا ألقفه لقفا، يجعلون مصدره لقفانا. وهي في التفسير : تبتلع " [8].

5- سلَماً من قوله تعالى: (رجلاً سالِماً لِرجلٍ) [9]. يقول: "هو المؤمن الموحد. وقد قرأ العوام (سلَماً) وسلَم وسالم متقاربان في المعنى، وكأن (سلما) مصدر لقولك : سلم له سلَماً والعرب تقول: ربح ربحاً وربحاً، وسلم سلماً وسلَماً وسلامة. فسالم من صفة الرجل، وسلَم مصدر لذلك. وا أعلم " [10].

---

[1] آية 2 سورة الواقعة.

[2] الفراء : معاني القرآن 121/3.

[3] آية 96 سورة الأنعام .

[4] الفراء : معاني القرآن 346/1.

[5] آية 4 سورة الأحقاف.

[6] الفراء : معاني القرآن 50/3.

[7] آية 117 سورة الأعراف.

[8] الفراء : معاني القرآن 390/1.

[9] آية 29 سورة الزمر.

[10] الفراء : معاني القرآن 419/2.

إلى غير ذلك من المواطن الكثيرة التي ينص فيها على أن هذه الكلمة أو تلك مصدر، مع الحرص على ذكر الفعل الذي أخذ منه. أما المواطن التي تعرض فيها للتفريق بين الاسم والمصدر فكثيرة أيضاً، وقد كانت وسيلة التفريق بينهما حركات حروف الكلمة، وأبرز المواطن التي يظهر فيها هذا التفريق هي :

1- نَصوحا من قوله تعالى : (تَوبةً نَصوحاً) [1]. يقول : "قرأها بفتح النون أهل المدينة والأعمش، وذكر عن عاصم والحسن (نُصوحاً)، بضم النون، وكأن الذين قالوا: (نُصوحا) أرادوا المصدر مثل: قُعوداً، والذين قالوا : (نَصوحا) جعلوه من صفة التوبة، ومعناها: يحدث نفسه إذا تاب من ذلك الذنب ألاّ يعود إليه أبداً "[2].

2- الحزن من قوله تعالى: (عدواً حزناً) [3]. يقول:" هذه لأصحاب عبد ا والعوام (حزنا) وكأن الحزن الاسم في القرآن كثير يرفع بالضمير "[4].

3- الختام من قوله تعالى: (خَاتَمه مسك) [5]. فقد ذهب الفراء أن القراء تجيز (ختَامه مسك). "والخاتم والختام متقاربان في المعنى، إلا أن الخاتم: الاسم، والختام : المصدر، قال الفرزدق :

(الوافر)

فَبِتْن جنَابتي مصرعات ويت أفُض أَغْلاقَ الختامِ [6]

---

(1) آية 8 سورة التحريم.

(2) الفراء : معاني القرآن 168/3.

(3) آية 8 سورة القصص .

(4) الفراء : معاني القرآن 302/2.

(5) آية 26 سورة المطففين.

(6) البيت للفرزدق، وقد ورد في لسان العرب مادة (ختم) 791/1.

ومثل الخاتم، والختام قولك للرجل: هو كريم الطابع، والطباع، وتفسيره: أن أحـدهم إذا شرب وجد آخر كأسه ريح المسك "[1].

4- الزلزال من قوله تعالى: (إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا) [2].

يقول: "والزلزال بالكسر: المصدر والزلزال بالفتح : الاسم. كذلك القَعقاع الـذي يقعقـع – الاسم، والقعقاع المصدر. والوسواس: الشيطان وما وسوس إليك أو حدثك، فهو اسم والوسواس المصدر "[3].

وعلى النقيض مما سبق فإنه ينص في مواطن كثيرة، على أن الكلمة موضـع الـدرس يجوز أن تعد اسماً ومصدرا في نفس الوقت، ويبدو ذلك واضحاً في أثناء حديثه عن (نَجِياً) مـن قوله تعالى: (وقَربنَاه نَجِياً) [4]. يقول : "اسم ليس بمصدر ولكنه كقولـك : مجـالس وجلـيس. والنجِي والنجوى قد يكونان اسماً ومصدراً" [5]. وكذلك الحال في (الجِنة) مـن قولـه تعـالى: "(جِنةٌ)[6]. يقول: "هو الجنون – وقد يقال للجن الجِنة، يتفق الاسم والمصدر " [7].

ويجيز الفراء أن يأتي الفعل بمعنى المصدر، لذلك يحاول تأويل النص القرآني، وحمـل آياته على لغات عربية، كما هو عليه الحال في قوله تعالى: (ووالِـد وما ولَد) [8]. يقول:" وقـد وقـد

---

(1) الفراء : معاني القرآن 248/3.

(2) آية 1 سورة الزلزلة.

(3) الفراء : معاني القرآن 283/3.

(4) آية 52 سورة مريم.

(5) الفراء: معاني القرآن 169/2.

(6) آية 25 سورة المؤمنين.

(7) الفراء : معاني القرآن 234/2.

(8) آية 2 سورة البلد.

تكون: (ما) وما بعدها في معنى مصدر، كقوله:(والسماء وما بنَاهـا) [1]،(ونَفْـسٍ ومـا سواها) [2]، كأنه قال : السماء وبنائها ونفس وتَسويتها. ووالد وولادته، وخلقه الـذكر والأنثـى، فأينما وجهته فصواب"[3]. وفي موضع آخر يقول: "وكل مصدر تكلمت العرب في معناه بفَعل أو أو يفعل فالنصب فيه جائز. ومن ذلك الحمد لله لأنك قد تقول في موضعه يحمد اللّـه. وكـذلك أعوذ با تصلح في معنى معاذ ا "[4].

وكان الفراء يقول بعدم جمع المصادر من خلال تفسيره لكثير من الآيات منهـا: قولـه تعالى: (إنني براء مما تَعبدون) [5]. يقول: "العرب تقول: نحن منك البـراء والخـلا، والواحـد والاثنان والجميع من المؤنث والمذكر يقال فيه: براء؛ لأنه مصدر، ولو قال: (بريء) لقيل فـي الاثنين: بريئان، وفي القوم: بريئون وبرءاء، وهي في قراءة عبد ا : (إنني برِيء مما تَعبدون) ولو قرأها قارئ كان صواباً موافقاً لقراءتنا؛ لأن العرب تكتب: يستهزئ يستهزأ فيجعلون الهمزة مكتوبة بالألف في كل حالاتها. يكتبون شيء شيأ ومثله كثير فـي مصـاحف عبـد ا ، وفـي مصحفنا: ويهيئ لكم ويهيأ بالألف" [6]. وقوله تعالى: (حتى تَكُون حرضاً) [7]. يقول: "يقال رجل رجل حرض وامرأة حرض، يكون موحداً على كل حال، وللأنثى حارضـة، فيثنـى هـا هنـا ويجمع؛ لأنه قد خرج على صورة فاعل وفاعل يجمع. والحارض: الفاسد في جسمه أو عقلـه. ويقال للرجل: إنه لحارض أي أحمق. والفاسد في عقله أيضاً. وأما حرض فترك جمعـه لأنـه

---

[1] آية 5 سورة الشمس.

[2] آية 7 سورة الشمس.

[3] الفراء : معاني القرآن 263/3، 264.

[4] المصدر السابق 52/2.

[5] آية 26 سورة الزخرف.

[6] الفراء : معاني القرآن 30/3.

[7] آية 85 سورة يوسف.

مصدر بمنزلة دنَف، وضنًى*. والعرب تقول: قوم دنف، وضنًى وعدل، ورضا، وزور، وعود، وضيف. ولو ثنى وجمع لكان صوابا" [1]. وقوله تعالى: (ثُبوراً واحداً)[2]. يقول: "الثبور مصدر، فلذلك قال (ثُبوراً كثيراً) لأن المصادر لا تجمع: ألا ترى أنك تقـول: قعـدت قُعـودا طـويلا، وضربته ضربا كثيرا فلا تجمع. والعرب تقول: ما ثبرك عن ذا ؟ أي ما صرفك عنه. وكـأنهم دعوا بما فعلوا، كما يقول الرجل: واندامتَاه "[3].

ويجيز الفراء تعدد المصادر، ويحتج لذلك بكلام العرب. يقول:" والعرب تقول: فعل ذلك في غُلوميته، وفي غلومته، وفي غلاميته، وسمع الكسائي العرب تقول: فعل ذلك فـي وليديتـه يريد: وهو وليد أي: مولود، فما جاءك من مصدر لاسم موضوع، فلك فيه: الفُعولة، والفُعوليـة، وأن تجعله منسوباً على صورة الاسم، من ذلك أن تقول: عبد بين العبودية، والعبودة والعبديـة، فقس على هذا"[4]. ومن ذلك أيضاً ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى :"والله لا يحب الْفَسـاد) [5]. يقول: "من العرب من يقول: فسد الشيء فسوداً، مثل قولهم: ذهب ذُهوباً وذهاباً، وكسد كُسـوداً وكسادا "[6].

وفي بعض الأحيان يعمد الفراء إلى بناء القاعدة الخاصة بالمصادر التي ينـتظم تحتهـا الكثير منها، أو أنه يصح القياس عليها، كما هو الحال في مصادر الأفعال الثلاثيـة التـي مـن

---

[1] الفراء : معاني القرآن 54/2.

*الدنَف: المرض الملازم، ويقال: دنفَ المريض – كفرح – ثَقُل. وضنى ضنًى : أي مرض مرضا مخامرا كلّما ظُن برؤه نُكس.

[2] آية 14 سورة الفرقان .

[3] الفراء : معاني القرآن 263/2.

[4] المصدر السابق 137/3.

[5] آية 205 سورة البقرة .

[6] الفراء : معاني القرآن 124/1.

فعلت. يقول الفراء في أثناء حديثه عن قوله تعالى: (وكذبوا بآياتنا كذابا) [1] و(خفضها علي بـن أبي طالب رحمه ا : كذَابا)، وثقلها عاصم والأعمش وأهل المدينة والحسن البصري.

وهي لغة يمانية يقولون : كذبت به كذابا، وخرقت القميص، وكل فعلت فمصدره فعـال في لغتهم مشددة، قال لي أعرابي منهم: على المروة: آلحلقُ أحب إليك أم القصار ؟ يستفتيني"[2].

وكان ينص على أن كل فَعلَ جاء ولم يسمع له مصدر، فإن مصدره فعلا للحجاز وفُعولا ِلنَجـد، يقول: (إذا جاءك فَعلَ مما لم يسمع مصدره فاجعله فَعلا للحجاز وفُعولا ِلنَجـد، ونحـو هـدى وجرى مختص بالمنقوص، ونحو طابٍ مختص بيفْعلُ، إلا جلَب الجرح والْقَلَب"[3].

كما أنه يفسر كثيراً من المصادر الثلاثية، بأن الياء فيها قد قلبت واوا، بقوله : "العرب تقول في ذوات الياء مما يشبه زغت وسرت وطرت طيرورة وحدت حيدودة فيما لا يختص من هذا الضرب ذلك، وقد أتى عنهم أربعة أحرف منها، الكينونة من كان يكون، والديمومـة مـن دمت، والهيعوعة من الهواع، والسيدودة من سدت[4].

ويجيز دخول التاء في مصدر الفعل (يفعل) بضم العين الذي مصدره فَعل بفتح العـين، ويستشهد على ذلك بما جاء في القرآن الكريم والشعر. يقول الأستراباذي موضـحاً كـلام ابـن الحاجب : (ونحو طَلَبٍ مختص بيفْعل). يقول : "يعني لم يجئ في باب فَعلَ المفتوح مصدر على فَعل المفتوح العين إلا ومضارعه يفْعل بالضم سوى حرفين يغْلب الجرح جلَبـاً: أي أخـذ فـي الالتئام، والمضارع من جلَب الجرح يجلب ويجلُب معاً، وليس مختصاً بيفْعل بالضم، وأما الْغَلَب

---

(1) آية 28 سورة النبأ .

(2) الفراء : معاني القرآن 229/3.

(3) الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب 151/1، 152.

(4) المصدر السابق 152/3.

فهو من باب غَلَب، قال ا تعالى: (وهم من بعد غَلَبِهم سيغْلبون) [1] قال الفراء: يجوز أن يكون في الأصل من بعد غلبتهم بالتاء؛ فحذف التاء، كما في قوله[2]:

(البسيط)

إن الْخَليطَ أجدوا البين فَانْجردوا وأخْلَفُوك عد الأمرِ الذي وعدوا [3]

وللكوفيين رأي في أصل المصادر الثلاثية التي هي على التفْعال فيرون أن أصل التفْعال التفْعيل الذي يفيد التكثير، وهذا خلاف ما ذهب إليه سيبويه من أن هذه المصادر بنيـت علـى التفْعال الذي يفيد التكثير. يقول الرضي :"إذا قصدت المبالغة في مصدر الثلاثـي بنيتـه علـى التفْعال، وهذا قول سيبويه، كالتهذار في الهذر الكثير، والتلْعاب والترداد، وهو مع كثرته لـيس بقياس مطرد، وقال الكوفيون: إن التفْعال أصله التفْعيل الذي يفيد التكثير، قلبت ياؤه ألفاً فأصـل التكْرار التكرير[4].

ويتعرض الفراء للمصادر من أفعلت، نحو: أقمت وأحببت عند تفسيره لقولـه تعـالى: (وإقَامِ الصلاَة) [5]. فينص على أن المصدر "من ذوات الثلاثة إذا قلت : أفعلت كقيلـك: أقمـت وأجرت وأجبت يقال فيه كله: إقامة الصلاة وإجارة وإجابة لا يسقط منه الهاء. وإنما أدخلت لأن الحرف قد سقطت منه العين، كان ينبغي أن يقال: أقمته إقواما وإجوابا فلما سكنت الواو وبعدها ألف الإفعال فسكنتا سقطت الأولى منهما. فجعلوا فيه الهاء كأنها تكثير للحرف [6].

---

[1] آية 3 سورة الروم.

[2] البيت للفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب عبد العزى بن عبد المطلب أحد شعراء الدولة الأموية والشاهد فيه (عـد الأمر) حيث حذف التاء كما حذفها في الآية الكريمة.

[3] الأستراذباي: شرح شافية ابن الحاجب 158/1.

[4] المصدر السابق167/1.

[5] آية 37 سورة المؤمنين.

[6] الفراء : معاني القرآن 254/2.

و حديثه عن المصادر في كتبه التي بين أيدينا غير (معاني القرآن) يجيء على هـامش الدراسة اللغوية، كما هو واضح في قوله : "باب ما يقصر ويمد وأوله على صورة واحدة ... و الونا يقصر ويمد وهو مصدر قال الشاعر "[1].

(الطويل)

مسح إذا ما السابحاتُ على الونَى أثَرن الغُبار بالكديد المركل [2]

وقوله : "الجرا مصدر الجارية يكسر فيمد فإذا فتح قُصر وربما مد وهو مفتوح في الشـعر"[3]، وقوله : "باب الممدود المكسور أوله .... حناء وهو مصدر جنت إذا أرادت الفحل" [4].

من خلال هذه القضايا يتضح لنا منهج الفراء وطريقته في دراسة المصادر، فهو مـنهج قائم على الاستقلالية والتميز في التفكير، بشكل يقوده للخروج بنتائج لم يسبق إليها، أو مخالفـة العلماء السابقين له في بعض الأحيان، وأهم هذه المصادر هي :

اسـ ـ ـم المـ ـ ـرة

هو ما يذكر لبيان عدد الفعل، ويصاغ من الفعل الثلاثي على وزن فَعلة، كقولنا : ضربه ضربةً، ووقف وقْفَةً ووقفتين ووقفات. وإذا كان منتهياً بتاء فيجب إضافة كلمة واحـدة، نحـو : رحم رحمةً واحدة. أما من الفعل فوق الثلاثي فنأتي بمصدره العادي، ثم نضـيف تـاء، نحـو أكرمته إكرامةً، واستغفر استغفارةً، وتدحرج تدحرجةً. وإذا كان منتهياً بتاء أضفت إليه واحـدة نحو استقام استقامةً واحدة [5].

---

(1) البيت لامرئ القيس وهو من معلقته المشهورة. ينظر الزوزني: شرح المعلقات السبع 42.

(2) الفراء : المنقوص والممدود 27، 28.

(3) المصدر السابق 25.

(4) المصدر السابق 42، 43.

(5) أحمد حسن حامد، ويحيى عبد الرؤوف جبر: الواضح في علم الصرف 70.

ومع ذلك فإنه يصرح أكثر من مرة في كتبه على أن هذا المصدر هو مصدر المرة، قال: "وأما المرة من الفعل، فلا يختلف فيها أن يفتح أولها أو يسكن ثانيها، كقولك: (لَقم لَقْمةً) و (قَطَع قَطْعةً). ومنه: (الحسوة)، وهي المرة الواحدة، و(الحسوة): الماء بعينه، (الخُطْوة) ما بين القدمين إذا خَطوت، و(الخَطْوة) المرة. و(الغُرفة) المغروف، و(الغَرفة) المرة الواحدة.

ومنه قول العرب : أتيا فلاناً فكُنّا في لَحمة ونَبيذة وسمنة وعسلة، إنما يريدون المرة الواحدة. وهذا يشبه : حصاة من الحصى، وشاة من الشاء، وبقرة من البقر "[1].

ومما جاء من مصدر المرة المشتق من الفعل الثلاثي تلك الأمثلة التي أوردها عند تفسيره لقوله تعالى: (وفَعلْتَ فَعلَتَك الّتي فَعلْتَ) [2]. يقول مفرقا بينه وبين مصدر الهيئة: "قَتْلة النفس فالفعلة منصوبة الفاء لأنها مرة واحدة. ولا تكون وهي مرة فعلة. ولو أريد بها مثل الجِلْسة والمشْية جاز كسرها "[3].وفي قوله تعالى: (ولا تأْخُذْكُم) [4]. يحاول الفراء فيها أن يفرق بين المصدر العادي واسم المرة، بقوله :"وفي الرأْفة والكأْبة والسأْمة لغتان السأمة فَعلة والسآمة مثل فعالة والرأفة والرآفة والكأْبة والكآبة وكأن السأْمة والرأْفة مرة، والسآمة المصدر، كما تقول: قد ضؤُل ضآلةً، وقبح قباحة "[5].

مما سبق نلاحظ أن الفراء يعمد إلى تطبيق القواعد الخاصة باشتقاق هذا المصدر، كما أنه في المصدر الثلاثي نص على أنه يتحدث عن اسم المرة، ولم يترك الأمر مبهماً بحيث يبدو وكأنه يحدث عن المصدر العادي.

---

(1) الفراء : المذكر والمؤنث 119، 120.

(2) آية 16سورة الشعراء .

(3) الفراء: معاني القرآن 278/2.

(4) آية 2 سورة النور.

(5) الفراء: معاني القرآن 245/2.

المصــدر المــيمي

وهو اسم يدل عليه المصدر العادي مبدوءاً بميم زائدة. وهو من المصادر القياسية[1].

ويأتي من الفعل الثلاثي المجرد على (مفْعل) باطّراد. إلا أن الفراء أخرج مكْرمة ومعونة من هذا المصدر، لأنهما نادران. يقول الأستراباذي: "وذهب الفراء إلى أنهما جمعان، على ما هو مذهبه في تمر وتفاح. فيجيز مكْرما و معونا في غير الضرورة، فعند الفراء يجئ مفْعل جمعاً، وقد جاء مهلُك بمعنى الهلْك، ومأْلُك، وله أن يدعي فيهما أنهما مهلُكة ومأْلُكة، وجاء في بعض القراءات (فَنَظِرةٌ إلى ميسرة) [2] "[3]. وينص الفراء على ذلك في أثناء تفسيره لقوله تعالى : (لِمهلكهم موعداً) [4]. يقول : "وما كان مصدراً مؤنثاً فإن العرب قد ترفع عينه، مثل المقدرة وأشباهه. ولا يفعلون ذلك في مذكّر ليست فيه الهاء؛ لأن الهاء إذا أدخلت سقط عنها بناء فعل يفعل فصارت اسماً مختلفاً، ومفعل يبنى على يفعل، فاجتنبوا الرفعة في مفعل، لأن خلقة يفعل التي يلزمها الضم كرم يكرم فكرهوا أن يلزموا العين من مفعل ضمة فيظن الجاهل في مفعل فرقا يلزم كما يلزم فَعل يفعل الفُروقُ، ففتحت إرادة أن تَخلط بمصادر الواقع. فأما قول الشاعر: (الرجز)

لِيوم روعٍ أو فَعال مكْرم[5]

فإنه جمع مكْرمة ومكْرم. ومثله قول الآخر :

---

[1] أحمد حسن حامد، ويحيى عبد الرؤوف جبر: الواضح في علم الصرف 71.

[2] آية 280 سورة البقرة.

[3] الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب 169/1، 170.

[4] آية 59 سورة الكهف.

[5] وردت نسبته في صفحة 143.

(الطويل)

بثين الزمي لا إنه إن لزمته   على كثرة الواشين أي معون

أراد جمع معونة. وكان الكسائي يقول: هما مفعل نادران لا يقاس عليهما وقد ذهب مذهبا. إلا أني أجد الوجه الأول أجمل للعربية "[1].

ويطلق الفراء عليه المصدر دون أن يقيده بالميمي، ويذكر أمثلة كثيرة للتفريق بينه وبين الاسم، ويبدو ذلك واضحاً في قوله : " ومن أراد المصدر فتح العين. مثل المضرب والمضرب والمدب والمدب والمفر والمفَر فإذا كان يفعل مفتوح العين آثرت العرب فتحها في مفعل، اسماً كان أو مصدرا. وربما كسروا العين في مفعل إذا أرادوا به الاسم. منهم من قال (مجمع البحرين) [2] وهو القياس وإن كان قليلاً .

فإذا كان يفعل مضموم العين مثل يدخل ويخرج آثرت العرب في الاسم منه والمصدر فتح العين: إلا أحرفاً من الأسماء ألزموها كسر العين في مفعل. من ذلك المسجِد والمطلع والمغرب والمشرق والمسقط والمجزر، والمنبت. فجعلوا الكسر علامة للاسم، والفتح علامة للمصدر. وربما فتحه بعض العرب في الاسم وقد قرئ مسكن ومسكَن. وقد سمعنا المسجد والمسجد وهم يريدون الاسم، والمطلَع والمطلع. والنصب في كلّه جائز وإن لم تسمعه فلا تنكرنه إن أتى [3]".

ويفيض الفراء في حديثه عن المصدر الميمي المشتق من الفعل فوق الثلاثي؛ لكثرة اللغات التي يرويها في هذه القضية عن العرب، بقوله :"وما كان من ميم زائدة أدخلتها على فعل رباعي قد زيد على ثلاثيه شيء من الزيادات فالميم منه في الفاعل والمفعول به والمصدر

(1) الفراء: معاني القرآن 151/2، 152.

(2) آية 60 سورة الكهف.

(3) الفراء: معاني القرآن 148/2، 149.

مضمومة. من ذلك قولك رجل مستضرب ومستطعم ومستطعم. يكون المستطعم –بالفتح- مصدراً ورجلاً وكذلك المضارِب هو الفاعل والمضارَب- بالفتح –مصدر ورجل. وكل الزيادات على هذا لا ينكسر، ولا يختلف فيه في لغات ولا غيرها؛ إلا أن من العرب – وهم قليل- من يقول في المتكبر : متكبر كأنهم بنوه على يتكبر ... "[1].

مصـــدر الهيئـــة

ويطلق عليه اسم الهيئة ومصدر النوع. ولا يصاغ من الفعل الثلاثي. وقياسه على وزن (فعلة)، وهو من المصادر المقيدة بدلالتها على النوع[2]. يقول ابن عقيل :" إذا أريد بيان المرة من مصدر الفعل الثلاثي قيل فَعلَة – بفتح الفاء – نحو : ضربتُه ضربةً، وقتلته قتلةً [3].

ويبدو عدم التفريق بين هذا النوع من المصادر والمصدر العادي واضحاً حين نراه يطلق عليه مصطلح الفعل الذي هو مصطلح للمصدر عنده على مصدر الهيئة عند تفسيره لقوله تعالى : (من خطْبة النساء) [4]. يقول: "الخطبة مصدر بمنزلة الخطْب، وهو مثل قولك: إنه لحسن القعدة والجِلسة؛ يريد القعود والجلوس[5].

ويذكر الفراء كلاماً يفيد بالمصطلح، وذلك في قوله :"والخَطْوة: المرة، وما كان مكسوراً فهو مصدر مثل إنه لحسن المشْية، والجِلْسة، والقعدة[6]"، وقوله: "ولو أراد مرة لقال الضغْطَة، ولو أراد الفعل لقال الضغْطة، كما قال المشْية"[7].

---

(1) الفراء: معاني القرآن 153/2.

(2) أحمد حسن حامد، ويحيى عبد الرؤوف جبر: الواضح في علم الصرف 71.

(3) ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك 132/3.

(4) آية 235 سورة البقرة .

(5) الفراء : معاني القرآن 152/1.

(6) المصدر السابق 190/2.

(7) المصدر السابق 278/2.

المشـ ـ ـتقات

اسـ ـم الفـ ـاعل

ويعرفه ابن هشام له، والذي يقول فيه :"هو ما دل على حدث والحدوث وفاعله"[1].

وقد أدرجه الفراء في باب الأفعال حين أطلق عليه (الفعل الدائم) و(الفعل)؛ لمشابهته للأفعال في العمل والمجاراة اللفظية والمعنوية لها، كما أن اسم الفاعل يدل على الحدوث والاستمرار لا على الثبوت. وقد حاول بعض المحدثين الدفاع عن وجهة نظر الفراء هذه، فقد عده أحمد مكي الأنصاري مقبولاً ودافع عنه[2]. كما أن مهدي المخزومي ينتصر له ويفضله على التسمية الأخرى (اسم الفاعل)؛ لأن لتقسيم الأفعال عند الكوفيين نظيراً من اللغات السامية. يقول: "ويبدو أن الفراء كان صادق الملاحظة في تسمية اسم الفاعل فعلا دائما، فإن الدراسين المحدثين، المعنيين بالساميات قد أثبتوا أن في البابلية أو الأكدية مثل هذا التقسيم الكوفي للأفعال، أو أثبتوا وجود الفعل الدائم بنفس التسمية التي سمى الفراء اسم الفاعل بها"[3]. وبناء على تقسيمه الذي حاول فيه إدراج اسم الفاعل ضمن مادة الفعل، فقد عمد بعض النحويين إلى اعتباره قسماً من أقسام الزمن، وقسيماً للزمنين الماضي والحاضر[4] .

ومعظم ما جاء من أفكار خاصة باسم الفاعل عنده يتعلق بالجانب المعنوي أو التفسيري كأن يفرق بين اسم الفاعل والمفعول المشتقين من الفعل فوق الثلاثي، مع ذكر ما يترتب على اختلاف اللغة والقراءة من اختلاف في المعنى، مثال ذاك: المخلَصين والمخلصين من قوله

---

(1) ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 411/1.

(2) أحمد مكي الأنصاري: أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة 453.

(3) مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة 241.

(4) ينظر شوقي ضيف: المدارس النحوية 197.

تعالى: (إلاّ عبادك منْهم الْمخُلَصين) [1]. يقول :"ويقرأ (المخْلصين) فمن كسر اللام جعل الفعل لهم كقوله تبارك وتعالى : (وأَخْلَصوا دينَهم) [2] ومن فتح فا أخلصهم كقوله: (إنا أَخْلَصنَاهم بِخَالِصة ذكْرى الدار) [3] "[4]. ومما فرق فيه بين اسمي الفاعل والمفعول، ما جاء في مبينات ومبينات من قوله تعالى: (ولَقَد أَنْزلْنَا إِلَيكُم آيات مبينات) [5]. يقول: "قرأ يحيى بن وثّاب (مبينَات) بالكسر. والناس بعد (مبينات) جعل الفعل واقعاً عليهن، وقد بينهن ا و أوضحهن (ومبينَات): هاديات واضحات "[6].

ويعرض الفراء لصيغ اسم الفاعل والمفعول والمصدر من غير الثلاثي، بقوله :"وما كان من ميم زائدة أدخلتها على فعل رباعي قد زيد على ثلاثيه شيء من الزيادات فالميم منه في الفاعل والمفعول به والمصدر مضمومة. من ذلك رجل مستَضرب و مستطعم ومستطعم. يكون المستطعم – بالفتح- مصدرا ورجلاً وكذلك المضارِب هو الفاعل والمضارب – بالفتح – مصدر ورجل. وكل الزيادات على هذا لا ينكسر، ولا يختلف فيه في لغات ولا غيرها؛ إلا أن من العرب –وهم قليل– من يقول في المتكبر: متكبر كأنهم بنوه على يتكبر. وهو من لغة الأنصار"[7].

وكثيراً ما يفرق في المعنى بين اسم الفاعل المشتق من الفعل الثلاثي، واسم الفاعل المشتق من الفعل فوق الثلاثي، على نحو ما جاء في قوله عزوجل:(ومنا الْقَاسطُون) [8]. يقول:

---

(1) آية 40 سورة الحجر.

(2) آية 146 سورة النساء.

(3) آية 46 سورة ص.

(4) الفراء : معاني القرآن 89/2.

(5) آية 34 سورة النور.

(6) الفراء : معاني القرآن 251/2.

(7) المصدر السابق 153/2.

(8) آية 14 سورة الجن.

يقول: "وهم: الجائرون الكفار، والمقسطون: العادلون المسلمون"[1]. وفي قوله تعالى: (والنازِعات غَرقاً)[2]. يقول :"والذي سمعت من العرب أن يقولوا: أنشَطتُ وكأنما أُنشط من عقال، وربطها: نشطها، فإذا ربطت الحبل من يد البعير فأنت ناشط، وإذا حللته فقد أنشطته، وأنت منشط "[3].

ويذكر لنا الأثر الذي يحدثه تصريف الأفعال إلى اسم الفاعل، على نحو ما جاء في أثناء تفسيره لقوله تعالى: (بلَى قَادرِين علَى أَن نُسوي بنَانَه) [4]. يقول: "وقول الناس: بلى قادرين : بلى نقدر، فلما صرفت إلى قادرين نصبت – خطأ؛ لأن الفعل لا ينصب بتحويله من يفعل إلى فاعل. ألا ترى أنك تقول : أتقوم إلينا؛ فإن حولتها إلى فاعل قلت أقائم، وكان خطأ أن تقول : أقائماً أنت إلينا ؟ وقد كانوا يحتجون بقول الفرزدق :

(الطويل)

علَى قَسمٍ لاَ أَشْتم الدهر مسلماً ولا خارجاً من في زور كلام [5]

فقالوا إنما أراد: لا أشتم، ولا يخرج، فلما صرفها إلى خارجها نصبها، وإنما نصب لأنه أراد : عاهدت ربي لا شاتماً أحدا، ولا خارجا من في زور كلام. وقوله : لا أشتم في موضع نصب "[6].

ويفرق الفراء بين اسم الفاعل المنون واسم الفاعل غير المنون، على نحو ما جاء في تفسيره لقوله تعالى:(هلْ هن كاشفَات ضره وممسكاتُ رحمته) [1]. يقول: نون فيها عاصم

---

[1] الفراء: معاني القرآن 193/3.

[2] آية 1 سورة النازعات.

[3] الفراء : معاني القرآن 230/3.

[4] آية 4 سورة القيامة.

[5] البيت للفرزدق . ينظر سيبويه: الكتاب 346/1، ومطلعه: علَى حلْفَة لاَ أَشْتُم الدهر مسلما .

[6] الفراء : معاني القرآن 208/3.

والحسن وشَيبة المدني. وأضاف يحيى بن وثّاب. وكل صواب. ومثله (إن اللّه بالِغُ أَمرِه) [2] و (بالِغٌ أمره) و (موهن كيد ألكافرين) [3] و (موهن كيد الكافرين) وللإضافة معنى مضى من الفعل. فإذا رأيت الفعل قد مضى في المعنى فآثر الإضافة فيه، تقول أخوك أخذ حقه، فتقول ها هنا: أخوك آخذُ حقه. ويقبح أن تقول : آخذٌ حقه. فإذا كان مستقبلاً لم يقع بعد قلت : أخوك آخذٌ حقه عن قليل، وآخذُ حقه عن قليل: ألا ترى أنك لا تقول: هذا قاتلٌ حمزة مبغضاً، لأن معناه ماض فقبح التنوين؛ لأنه اسم "[4].

كما أنه يفرق بين مائت وميت ويفاضل بينهما، على نحو ما جاء في قوله تعالى: (بعد ذَلِك لَميتُون) [5]. يقول: "تقرأ (لميتون) و (لمائتون) وميتون أكثر، والعرب تقول لمن لم يمت: إنك ميت عن قليل ومائِت. ولا يقولون للميت الذي قد مات، هذا مائت؛ إنما يقال في الاستقبال، ولا يجاوز به الاستقبال"[6].

مما سبق نلاحظ أن الفراء يوظف اسم الفاعل كوسيلة من وسائل اللغة لدراسة النص القرآني وتفسيره، ومن أجل ذلك يتناول أكثر من قضية تخص اسم الفاعل كأن يقارن بينه وبين اسم المفعول المشتق من الثلاثي وغير الثلاثي، أو أنه يتحدث عن صيغ اسم الفاعل، كما أنه يتحدث عن قضايا تخص اشتقاقه ومعناه الذي يحدده النص.

---

(1) آية 38 سورة الزمر .
(2) آية 3 سورة الطلاق.
(3) آية 18 سورة الأنفال.
(4) الفراء : معاني القرآن 420/2.
(5) آية 15 سورة المؤمنين.
(6) الفراء : معاني القرآن 232/2.

اسـم المفعـول

"هو ما دال على حدث ومفعوله، كـ (مضروبٍ)، و (مكْرمٍ) [1]. وعلى غرار اسم الفاعل فإن حديثه عنه – أي اسم المفعول- يأتي في إطار الدراسة الأسلوبية، فيتحدث على سبيل المثال عن المشتق منه من الفعل فوق الثلاثي، وأنه يجوز أن يأتي على أصله، أو أن يأتي على ما جاء عليه بعد الإعلال، مثال ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى : (وكانَت الْجِبالُ كثيباً مهيلاً)[2]. يقول: "والكثيب : الرمل، والمهيل: الذي تحرك أسفله فينهال عليك من أعلاه، والمهيل: المفعول، والعرب تقول: مهيل ومهيول، ومكيد ومكيود" [3]. وكذلك الحال مع (مرضي) من قوله تعالى: (وكان عنْد ربه مرضياً) [4]. يقول: "ولو أتت: مرضوا كان صوابا؛ لأن أصلها الواو؛ ألا ترى أن الرضوان بالواو. والذين قالوا مرضيا بنوه على رضيت ومرضوا لغة أهل الحجاز"[5].

وكثيراً ما يلجأ إلى التفريق بين اسم الفاعل واسم المفعول، وما يتبع ذلك من أثر في معنى المفردة والآية الكريمة وقد يشير إلى أن الكلمة اسم فاعل أو اسم مفعول، وقد لا يشير، مثال ذلك ما جاء في مستنفرة ومستنفَرة من قوله تعالى: (كأنهم حمر مستَنْفرةٌ) [6]. يقول: "قرأها "قرأها عاصم والأعمش: (مستنفرة) بالكسر، وقرأها أهل الحجاز (مستنفَرة) بفتح الفاء وهما جميعاً كثيرتان في كلام العرب"[7]، ومن ذلك أيضاً قوله في مأتيا وآتيا من قوله تعالى: (إنه كان

---

[1] ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 418/1.

[2] آية 14 سورة المزمل.

[3] الفراء : معاني القرآن 198/3.

[4] آية 55 سورة مريم.

[5] الفراء : معاني القرآن 169/2، 170.

[6] آية 50 سورة المدثر.

[7] الفراء : معاني القرآن 206/3.

كان وعده مأتيا) [1]. يقول : "ولم يقل: آتيا. وكل ما آتاك فأنت تأتيه؛ ألا ترى أنك تقول أتيت على خمسين سنة وأتت علي خمسون سنة. وكل ذلك صواب "[2].

وقد ينص على جواز مجيء اسم المفعول بأكثر من صيغة طبقاً للأصل الذي يؤخذ منه على نحو ما جاء في كلمة (معين) من قوله تعالى: (وآويناهما إلى ربوة ذات قرارٍ ومعينٍ) [3]. يقول: "الربوة: ما ارتفع من الارض. وقوله (ذات قرار) منبسطة وقوله (ومعينٍ): الماء الظاهر والجاري. ولك أن تجعل المعين مفعولا من العيون، وأن تجعله فَعيلاً من الماعون ويكون أصله المعن. قال الفراء: المعن الاستقامة"[4].

وللكوفيين موقف خاص من اسم المفعول المشتق من الفعل فوق الثلاثي المضعف على نحو أفعالّ وأفعلّ إذ لا فارق عندهم بين اسم الفاعل واسم المفعول؛ لأنهم يدغمون على عكس البصريين. يقول ابن جني : "وليس كذلك اسم الفاعل والمفعول في افعل وافعال إذا ضعف فيه حرفا علّة، بل ينفصل فيه اسم الفاعل من اسم المفعول عندنا. وذلك قول : هذا رجل مغْزاوٍ؛ لكنه على مذهب الكوفيين لا فرق بينهما؛ لأنهم يدغمون* هذا النحو من مضاعف المعتل، ويجرونه مجرى الصحيح، فيقولون اغزاو، يغزو. واستشهد أبو الحسن على فساد مذهبهم بقول العرب: ارعوى. قال: ولم يقولوا: ارعو "[5].

---

(1) آية 61 سورة مريم.

(2) الفراء : معاني القرآن 170/2.

(3) آية 50 سورة المؤمنين.

(4) الفراء : معاني القرآن 236/2، 237.

(5) ابن جني : الخصائص 104/2.

*هذا هو مصطلح البصريين في الإدغام بتشديد الدال، والكوفيون يخففونها.

الصـفة المشبـهة

ويعرفها ابن هشام بأنها :"الصفة المصوغة لغير تفضيل لإفادة الثبوت، كـ (حسنٍ، وظَريف، وطَاهرٍ، وضامرٍ) ولا يتقدمها معمولها"[1]، أو "هي اسم مشتق من الفعل الثلاثي اللازم للدلالة على صفة ثابتة في الموصوف" [2]. على أننا لم نعثر عنده على تعريف لهذا المصطلح حتى إنه لم يذكر هذا المصطلح في كتبه إلا ما كان من صيغ وأوزان تدرج ضمن هذا المفهوم، ومما ذكره من هذه الصيغ (سلى الشاة) الذي يكتب بالياء، فإذا وصفت قلت: سلياء. يقول: "السلى سلى الشاة يكتب بالياء و إذا وصفت بذلك قلت سلْياء وقد سليت الشاة إذا تدلى ذلك منها"[3].

ويفرق الفراء بين الصفة المشبهة واسم الفاعل في لفتات تُبين لنا اهتمامه بالمعنى. يقول: "وقوله: (حاذرون) [4] وحذرون ... وقرأها ابن مسعود (وإنا لجميع حاذرون) يقولون: مؤْدون في السلاح. يقول : ذَوو أداة من السلاح. و(حذرون) وكأن الحاذر: الذي يحذرك الآن. وكان الحذر : المخلوق حذراً لا تلقاه إلا حذراً"[5].

وعلى هذا فإن اسم الفاعل عنده يدل على الحدث أما الصفة المشبهة فتدل على الثبوت، وفي موضع آخر يفرق بين متم ومتم من قوله تعالى : (واللّه متم نُورِه) [6]. يقول : "قرأها يحيى يحيى أو الأعمش شك الفراء: (واللّه متم نُورِه) بالإضافة، ونونها أهل الحجاز: متم نوره. وكل

---

[1] ابن هشام: شرح قطر الندى وبل الصدى 302.
[2] أحمد حسن حامد، ويحيى عبد الرؤوف جبر: الواضح في علم الصرف 80.
[3] الفراء : المنقوص والممدود 32.
[4] آية 56 سورة المؤمنين.
[5] الفراء : معاني القرآن 280/2.
[6] آية 8 سورة الصف.

صواب" [1]. كما أنه يفرق بين بالغٌ وبالغُ في قوله تعالى: (بالِغٌ أمرِه) [2]. يقول : "القراء جميعاً على التنوين، ولو قرئت بالغ أمرِه على الإضافة لكان صوابا، ولو قرئ: بالغٌ أمره بالرفع لجاز"[3]، وفي مكان آخر يفرق بين عليم وعالم من قوله تعالى: (وبشروه بِغُلامٍ عليم) [4]. يقول: يقول: "إذا كبر، وكان بعض مشيختنا يقول: إذا كان العلْم منتظراً لمن يوصف به قلت العليم إذا لم يعلم: إنه لعالم عن قليل وفاقه، وفي السيد: سائد، والكريم: كارم. والذي قال حسن، وهذا كلام عربي حسن، قد قال اللّه في عليم، وحليم، وميت.

وكان المشيخة يقولون للذي لما يمت وسيموت: هو مائت عن قليل، وقول اللّه عزوجل أصوب من قيلهم"[5]، ويناقش القضية في موضع آخر فيقول: "فإذا أخبرت أن يكون سيدهم عن قليل قلت : هذا سائِد قومه عن قليلٍ وسيد. وكذلك الطمع، تقول: هو طامع فيما قبلَك غداً. فإذا وصفته بالطمع قلت: هو طَمِع. وكذلك الشريف تقول: إنه لشريف قومه، وهو شّارف عن قليل"[6].

صيـغ المبالغـة

هي "ألفاظ تدل على ما يدل عليه اسم الفاعل مع مبالغة في المعنى. وتسمى صيغها صيغ المبالغة "[7]. وجميع صيـغ المبالغة تؤول إلى معنى الصفة المشبهة؛ لأن الإكثـار من الفعـل

(1) الفراء : معاني القرآن 153/2.
(2) آية 3 سورة الطلاق.
(3) الفراء : معاني القرآن 163/3.
(4) آية 28 سورة الذاريات.
(5) الفراء : معاني القرآن 86/3، 87.
(6) المصدر السابق 232/2.
(7) الأنطاكي: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها.

والمبالغة فيه يجعلانه كالصفة الراسخة في النفس "[1].

ويندرج ما أورده الفراء من صيغ للمبالغة في إطارما جاء؛ لتوضيح مدلول النص القرآني ومعانيه، فمما تحدث فيه عن هذه الصيغ أن فعيل وفعال تأتيان بمعنى واحد. فيقول في تفسيره لقوله تعالى: (ومكروا مكْراً كُباراً) [2]. يقول: "الكُبار: الكبير، والعرب تقول كُبار.

ويقولون: رجل حسان جمال بالتشديد. وحسان جمال بالتخفيف في كثير من أشباهه"[3]. وإلى ذلك أيضاً يشير في أثناء حديثه عن (عجاب) من قوله تعالى: (لَشَيء عجاب)[4]. يقول: "وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي (لشيء عجاب) والعرب تقول: هذا رجل كريم وكُرام، وكُرام والمعنى كله واحد مثله قوله تعالى : (ومكروا مكْراً كُباراً) [5] "[6].

كما أنه لا يجيز تعدية صيغ المبالغة كفعال وفعول لأنهما مدح إلا في ضرورة الشعر. يقول :"وكذلك إذا قلت للرجل : ضراب وضروب فلا توقعنهما على شيء لأنهما مدح، فإذا احتاج الشاعر إلى إيقاعها فَعلَ "[7]. ومما جاءت فيه صيغ المبالغة للمدح أيضاً: ما جاء في أثناء أثناء تفسيره لقوله تعالى: (الله لاَ إِلَه إِلا هو الحي القَيوم) [8]. يقول : "حدثنا محمد بن الجهم عن عن الفراء (الحي القيوم) قراءة العامة، وقرأها عمر بن الخطاب وابن مسعود (القيام) وصور

---

[1] أحمد حسن حامد، ويحيى عبد الرؤوف جبر: الواضح في علم الصرف 83.
[2] آية 22 سورة نوح.
[3] الفراء : معاني القرآن 189/3 .
[4] آية 5 سورة ص.
[5] آية 22 سورة نوح.
[6] الفراء : معاني القرآن 398/2.
[7] المصدر السابق 228/3.
[8] آية 2 سورة آل عمران.

القيوم: الفيعول، والقيام الفيعال، وهما جميعاً مدح. وأهل الحجاز أكثر شيء قولاً: الفَيعال من ذوات الثلاثة. فيقولون للصواغ : الصياغ "[1].

ولا يجيز الفراء اشتقاق فعال من أفعلت، على نحو ما جاء في حديثه عن قوله تعالى : (وما أَنْتَ عليهم بجبارٍ) [2]، إذ يعلل ذلك بسماعه عن العرب، فيقول : "والعرب لا تقول: فعال من أفعلت، لا يقولون : هذا خَراج ولا دخّال، يريدون مدخل ولا مخْرِج من أدخلت، إنما يقولون: دخال من دخلت، وفعال من فعلت. وقد قالت العرب: دراك من أدركت، وهو شاذ، فإن حملت الجبار على هذا المعنى فهو وجه.

وقد سمعت بعض العرب يقول: جبره على الأمر يريد: أجبره، فالجبار من هذه اللغة صحيح يراد به : يقهرهم ويجبرهم "[3].

اسـم الـظرف

(الزمـان والمكـان)

ويقصد به " ذلك الاسم الذي يشتق من الفعل للدلالة على ظرف الحدث، زمانه أو مكانه"[4].

ويكثر الفراء من التعرض للقضايا الخاصة باسم الظرف، من ذلك أنه لم يكن يجز كسر الواو في (مأوى)؛ لأنه لم يجئ في ذوات الياء والواو (مفْعل) بكسر العين [5].

---

[1] الفراء : معاني القرآن 190/1.

[2] آية 45 سورة ق.

[3] الفراء : معاني القرآن 81/3.

[4] أحمد حسن حامد، ويحيى عبد الرؤوف جبر : الواضح في علم الصرف 83.

[5] الأستراباذي : شرح شافية ابن الحاجب 182/1، 183.

ويعمد في كثير من الأحيان إلى التفريق بين اسم الزمان والمكان من جهة والمصدر من جهة أخرى دون أن يذكرهما بمصطلح المكان والزمان مفضلاً الإشارة إليهما بالاسم دون تقييد، ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى خلط واضطراب في تناول القضايا اللغوية. مثال ذلك كلمة (مقَام) من قوله تعالى: (لاَ مقَام لكُم) [1]. يقول: "قراءة العوام بفتح الميم؛ إلا أبا عبد الرحمن فإنه ضم الميم فقال (لا مقام لكم) فمن قال (لا مقام) فكأنه أراد: لا موضع قيامٍ. ومن قرأ (لا مقام) كأنه أراد : لا إقامة لكم (فارجِعوا) [2].وكذلك الحال في (المهلَك) من قوله تعالى: (لِمهلَكهم موعداً)[3]. يقول : (وقرأ عاصم (لَمهلَكهم) فتح الميم واللام ويجوز (لمهلكهم) تبنيه على هلَك يهلك. فمن أراد الاسم مما يفْعل منه مكسور العين كسر مفعلا.

ومن أراد المصدر فتح العين. مثل المضرب والمضرب والمدب والمدب والمفر والمفَر فإذا كان يفعل مفتوح العين آثرت العرب فتحها في مفعل، اسما كان أو مصدراً. وربما كسروا العين في مفعل إذا أرادوا به الاسم. منهم من قال (مجمع البحرين) [4] وهو القياس وإن كان قليلاً"[5].

كما أنه يتعرض في كثير من الأحيان لاسم الزمان والمكان وأثرهما في معنى النص القرآني على نحو المقامة والمقامة من قوله تعالى: (دار المقَامة) [6]. يقول: هي الإقامة أو المقَامة: المجلس الذي يقام فيه. فالمجلس مفتوح لا غير"[7].

---

(1) آية 13 سورة الأحزاب .

(2) الفراء : معاني القرآن 336/2، 337.

(3) آية 59 سورة الكهف.

(4) آية 60 سورة الكهف .

(5) الفراء : معاني القرآن 148/2.

(6) آية 35 سورة فاطر .

(7) الفراء : معاني القرآن 370/2.

ويكثر من ذكر ما سمعه من أسماء المكان، مع التفريق في المعنى بين ما جاء منها على لغتين من لغات العرب. على نحو حديثه عن الآية الكريمة :(أين المْفَر) [1]. يقول : "قرأه الناس المفَر بفتح الفاء ... ويروى أن ابن عباس قرأه : (أين المفر) وقال: إنما المفَر مفَر الدابة حيث تفر، وهما لغتان : المفر والمفَر، والمدب والمدب. وما كان يفعل فيه مكسوراً مثل: يدب، ويفر، ويضج، فالعرب تقول: مفر ومفَر، ومصح ومصح، ومدب ومدب. أنشدني بعضهم :

(الطويل)

كأن بقَايا الأَثْر فوقَ متُونه مدب الدبى فوقَ النقَا وهو سارِح [2]

ينشدونه: مدب، وهو أكثر من مدب. ويقال: جاء على مدب السيل، ومدب السيل، وما في قميصه مصح ولا مصح "[3].

اســـم الآلـــة

"وهو اسم يشتق من الفعل الثلاثي المجرد المتعدي للدلالة على أداة يكون الفعل بها"[4].

ولعل من أهم ما يلاحظ على هذا المبحث عند الفراء هو إطلاقه عليه مصطلح الاسم، أو أنه يكتفي بذكر الوزن أو الصفة الدالة عليه. وقد يذكره بمسماه المتداول والمتعارف، على نحو قوله: "وما كان مما يعمل به من الآلة مثل المروحة والمطْرقة وأشباه ذلك مما تكون فيه أو لا تكون فهو مكسور الميم منصوب العين؛ مثل المدرع والملْحف والمطرق وأشباه ذلك. إلا أنهم قالوا : المطهرة والمطهرة، والمرقاة والمرقاة والمسقاة والمسقاة. فمن كسرها شَبهها بالآلة التي

---

(1) آية 10 سورة القيامة .

(2) الدبى: الجراد قبل أن يطير، وعن أبي عبيدة : الجراد أول ما يكون سرو وهو أبيض، فإذا تحرك واسود فهو دبى قبل أن تنبت أجنحته. والنقا: الكثيب من الرمل. وقد ورد هذا البيت في تفسير الطبري دون نسبة. الطبري: جامع البيـان فـي تفسير القرآن 113/29.

(3) الفراء: معاني القرآن 210/3.

(4) أحمد حسن حامد، ويحيى عبد الرؤوف جبر: الواضح في علم الصرف 84.

يعمل بها. ومن فتح قال: هذا موضع يفعل فيه فجعله مخالفاً ففتح الميم؛ ألا ترى أن المروحة وأشباهها آلة يعمل بها، وأن المطهرة والمرقاة في موضعهما لا تزولان يعمل فيهما"[1].

ويكثر من رواية ما سمعه من أسماء للآلة عن العرب حتى إنه ليدخل في اسم الآلة ما ليس منه، على نحو قوله: "وقد قالت العرب في أحرف فضموا الميم والعين، وكسروا الميم والعين جميعاً. فمما ضموا عينه وميمه قولهم: مُكْحلة ومسعط ومدهن ومدقّ. ومما كسروا ميمه وعينه مِنْخِر ومِنْتِن. ومما زادوا عليه ياء للكسر، وواواً للضم مسكين ومنديل ومنطيق. والواو نحو مُغْفُور ومُنْثُور وهو الذي يسقط على الثمام ويقال للمنْخر: منخور وهم طيء. والذين ضموا أوله وعينه شبهوا الميم بما هو من الأصل، كأنه فُعلول. وكذلك الذين كسروا الميم والعين شبهوه بفعليل وفعال "[2].

صيغتـــا التـــعجب

وهي كما يعرفها ابن عصفور : "استعظام زيادة في وصف الفاعل خفي سببها، وخرج بها المتعجب منه عن نظيره، أو قل نظيره فيها "[3]. وهذا المبحث واسع في اللغة يؤدى بألفاظ كثيرة، غير مبوب لها في النحو العربي. ومن الأمثلة الدالة على التعجب قولهم : سبحان ا ، و دره فارساً، وفي القرآن الكريم : (كَيفَ تَكْفُرون بِاللّه !) [4] وقد وضع النحاة للتعجب صيغتين هما: ما أفعله وأفعل به [5].

---

[1] الفراء: معاني القرآن 151/2.

[2] الفراء: معاني القرآن 152/2.

[3] ابن هشام : حاشية أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 430/1.

[4] آية 28 سورة البقرة.

[5] أحمد حسن حامد، ويحيى عبد الرؤوف جبر: الواضح في علم الصرف 84.

وأبرز القضايا التي تناولها وتخص التعجب هي صيغة (أفعل به) لفظها ومعناها إذ وافق البصريون على فعليته إلا أنه خالفهم فيما يذهبون إليه من أنها جاءت على لفظ الأمر ومعناها الخبر، وهي في الأصل فعلاً ماضياً على صيغة (أفعل) بمعنى صار ذا كذا، كـ (أَغَدّ الْبعير) أي: صار ذا غُدة، ثم غُيرت الصيغة، ففتح إسناد صيغة الأمر إلى الاسم الظاهر، فزيدت الباء في الفاعل؛ ليصير على صورة المفعول به، كـ (امرر بزيد)، ولذاك التُزِمتْ، بخلافها في: (وكَفَى بِاللّه شَهِيداً) [1]، فيجوز تركها كقوله :

(الطويل)

عميرةَ ودع إِن تَجهزتَ غَاديا   كَفَى الشيب والإِسلاَم لِلْمرء نَاهياً [2]

أما الفراء والزجاج والزمخشري وابن كيسان وابن خروف فكانوا يذهبون إلى أن لفظه ومعناه الأمر، وفيه ضمير، والباء للتعدية، والضمير للمخاطب، وقد التزم إفراده لأنه كلام جرى مجرى المثل [3].

وقد جوز الكوفيون التعجب من البياض والسواد خاصة من بين سائر الألوان، نحو: هذا الثوب ما أبيضه، وهذا الشعر ما أَسوده، في حين ذهب البصريون إلى أن ذلك لا يجوز فيهما كغيرها من سائر الألوان. وحجة الكوفيين في التجويز تعتمد على النقل، والقياس. أما النقل فمنه قول الشاعر:

(البسيط)

إِذَا الرجالُ شَتَوا واشْتَد أَكْلُهم   فَأَنْتَ أَبيضهم سربالَ طَباخِ [4]

---

[1] آية 28 سورة الفتح.

[2] البيت لسحيم عبد بني الحساس. وقد ورد في اللسان مادة (كفى) 280/3.

[3] ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 431/1، 432.

[4] وردت نسبته في البحث صفحة 144.

ووجه الاحتجاج في أبيضهم أنه جوز التعجب من خصوص البياض بـ (أفعل)، وجواز ذلك في (أفعل) من شأنه أن يجيز التعجب في (أفعل به)؛ لأنهما بمنزلة واحدة، قال الشاعر: (الرجز)

جاريةٌ في درعها الفَضفَاضِ   تُقْطِع الحديثَ بالإيماضِ

أَبيض من أُخْت بني أَباضِ [1]

فأبيض وهو (أفعل) من (البياض)، وإذا جاز ذلك في أفعل من كذا فإنه يجوز في (أفعل به)؛ لأن مالا يجوز فيه (ما أفعله) لا يجوز فيه (أفعل به)؛ لأنهما بمنزلة واحدة في هذا الباب.

وأما القياس فقد ذهبوا إلى أنهم أجازوا ذلك من (السواد) و(البياض) دون سائر الألوان؛ لأنهما أصل الألوان، ومنهما يتركب سائرها من الحمرة؛ والصفرة، والخضرة، والصهبة، والشهبة، والكُهبة * إلى غير ذلك، فما داما أصلي الألوان فإنه يجوز فيهما مالا يجوز للألوان الأخرى؛ لأنهما أصلين لهما متقدمين عليهما[2].

ويوظف هاتين الصيغتين لتوضيح معنى النص القرآني وتفسيره، ويبدو ذلك واضحاً في تفسيره لقوله تعالى: (أَبصر به وأَسمع) [3]. يقول:"يريد ا تبارك وتعالى كقولك في الكلام: أكرم بعبد ا ومعناه: ما أكرم عبد ا وكذلك قوله (أَسمع بهم وأَبصر): ما أسمعهم ما أبصرهم. وكل ما كان فيه معنى من المدح والذم فإنك تقول فيه: أظرف به وأكرم به، ومن الياء والواو: أَطْيب به طعاماً، وأَجود به ثوباً، ومن المضاعف تظهر فيه التضعيف ولا يجوز الإدغام، كما لم يجز نقص الياء ولا الواو؛ لأن أصله ما أجوده وما أشده وأطيبه فترك على ذلك، وأما أَشْدد به

---

[1] وردت نسبته في البحث صفحة 144.

[2] ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 16.

* الصهبة : حمرة أو شُقْرة في الشعر، والشهبة بياض يصدعه سواد، والكُهبة: غبرة مشْربةٌ سواداً.

[3] آية 26 سورة الكهف.

فإنه ظهر التضعيف لسكون اللام من الفعل، وترك فيه التضعيف لأنه لا يثنى ولا يؤنث، لا تقول للاثنين: أشدا بهما، ولا للقوم أشدوا بهم. وإنما استجازت العرب أن يقولوا مد في موضع امدد لأنهم قد يقولون في الاثنين: مدا وللجميع: مدوا، فبنى الواحد على الجميع "[1].

ومن آرائه في التعجب أن إلى تدخل على الجملة فتفيد معنى التعجب، على نحو ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبراهيم) [2]. يقول: "وإدخال العرب (إلى) في هذا الموضع على جهة التعجب؛ كما تقول للرجل: أما ترى إلى هذا: والمعنى – وا أعلم-: هل رأيت مثل هذا أو رأيت هكذا ! والدليل على ذلك أنه قال: (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ) [3]. فكأنه قال: هل رأيت كمثل الذي حاج إبراهيم في ربه "[4].

اســـم التفضـــيل

"هو اسم فيه صفة تدل على أن شيئين اشتركا في صفة وزاد أحدهما عن الآخر فيها. أو هو الوصف الموازن للفعل تحقيقاً كأفضل أو تقديراً كخير وشر وفي نحو قوله تعالى: (أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَاناً) [5] وقوله سبحانه :(هو خَيْرٌ مما يجمعون) [6]"[7].

ويبدو أن الفراء يخالف البصريين في اشتقاق أسماء التفضيل من الوصف الذي هو على وزن أفعل، فقد اشترط البصريون في اشتقاقه ألا يكون الوصف منه على أفْعل الذي مؤنثه فَعلاء، وألا يكون دالا على لون، أو عيب، أو حلْية؛ لأن الصيغة مشغولة بالوصف عن

---

[1] الفراء : معاني القرآن 139/2.

[2] آية 258 سورة البقرة.

[3] آية 259 سورة البقرة.

[4] الفراء : معاني القرآن 170/1.

[5] آية 77 سورة يوسف.

[6] آية 58 سورة يونس.

[7] أحمد حسن حامد، ويحيى عبد الرؤوف جبر: الواضح في علم الصرف 86.

التفضيل، إلا أن الفراء لا يشترط ذلك، ويجيز صياغته، ولكن ليس مطلقاً[1]، على نحو قوله: "والعرب إذا قالوا: هو أفعل منك قالوه في كل فاعل وفَعيل، ومالا يزاد في فعله شيء على ثلاثة أحرف. فإذا كان على فَعللت مثل زخرفت، أو افعللت مثل احمررت واصفررت لم يقولوا: هو أفعل منك؛ إلا أن يقولوا: هو أشد حمرة منك، وأشد زخرفة منك. وإنما جاز في العمى لأنه لم يرد به عمى العين، إنما أراد به – وا أعلم – عمى القلب. فيقال: فلان أعمى من فلان في القلب ولا تقل: هو أعمى منه في العين. فذلك أنه لما جاء على مذهب أحمر وحمراء ترك فيه أفعل منك كما تركها في كثيرة. وقد تَلْقَى بعض النحويين يقول: أجيزه في الأعمى والأعشى والأعرج والأزرق، لأنا قد نقول: عمي وزرِق وعرج وعشي ولا نقول: صفر و لا حمر ولا بيض. وليس ذلك بشيء، إنما ينظر في هذا إلى ما كان لصاحبه فيه فعل يقلّ أو يكثر، فيكون أفعل دليلاً على قلة الشيء وكثرته؛ ألا ترى أنك قد تقول : فلان أقْوم من فلان وأجمل؛ لأن قيام ذا وجماله قد يزيد على قيام الآخر وجماله، ولا تقول لأعميين: هذا أعمى من هذا، ولا لميتين: هذا أموت من هذا "[2].

ويوظف الفراء اسم التفضيل في تفسير النص القرآني، كما أنه ينص على جواز صياغة اسم التفضيل من بعض الصيغ وعدمه من صيغ أخرى، ويبدو ذلك واضحاً فيما قاله في أثناء تفسيره لقوله تعالى:(أَصحاب الجنة يومئذ خَير مستَقَرا وأَحسن مقيلاً) [3] يقول :"وأهل الكلام إذا اجتمع لهم أحمق وعاقل لم يستجيزوا أن يقولوا: هذا أحمق الرجلين ولا أعقل الرجلين، ويقولون لا نقول: هذا أعقل الرجلين إلا لعاقلين تفضل أحدهما على صاحبه. وقد سمعت قول ا (خير

---

[1] أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف 84.

[2] الفراء: معاني القرآن 127/2، 128.

[3] آية 24 سورة الفرقان .

مستقراً) فجعل أهل الجنة خيرا مستقراً بين أهل النار، وليس في مستقر أهل النار شيء من الخير فاعرف ذلك من خطائهم" [1].

كما أنه يتحدث في أثناء تفسيره للآية الكريمة (إذ انْبعثَ أَشْقَاها) [2] عن حالات أسماء التفضيل. يقول: "ولم يقل: أشْقياها، وذلك جائز ولو أتى؛ لأن العرب إذا أضافت أفعل التي يمدحون بها وتدخل فيها من إلى أسماء وحدوها في موضع الاثنين والمؤنث والجمع، فيقولون للاثنين: هذان أفضل الناس، وهذان خير الناس، ويثنون أيضاً ... ومن وحد في الإثنين قال في الأنثى أيضاً : هي أشقى القوم، ومن ثنى قال: هي شُقْيا النسوة على فُعلى"[3].

ويبدي رأيه في اسم التفضيل المشتق من الفعل فوق الثلاثي إلا أن هذا الرأي ينبني على اهتمامه بتوظيف المفاهيم والمصطلحات اللغوية؛ لتفسير الآيات، كقوله تعالى: (ومن كان في هذه أَعمى) [4]، فهو يحاول من خلالها أن يبين لنا القاعدة الخاصة باشتقاق اسم التفضيل من الفعل فوق الثلاثي، فيقول :"والعرب إذا قالوا : هو أفعل منك قالوه في كل فاعل وفَعيل، وما لا يزاد في فعله شيء على ثلاثة أحرف. فإذا كان على فَعلت مثل زخرفت، أو افعللت مثل احمررت واصفررت لم يقولوا: هو أفعل منك؛ إلا أن يقولوا: هو أشد حمرةً منك، وأشد زخرفة منك. وإنما جاز في العمى لأنه لم يرِد به عمى العين، إنما أراد به – والله أعلم – عمى القلب. فيقال: فلان أعمى من فلان في القلب ولا تقل: هو أعمى منه في العين. فذلك أنه لما جاء على مذهب أحمر وحمراء تُرك فيه أفعل منك كما تُرك في كثيره. وقد تَلْقَى بعض النحويين يقول: أجيزه في الأعمى والأعشى والأعرج والأزرق، ... ألا ترى أنك قد تقول: فلان أقْوم من فلان

[1] الفراء : معاني القرآن 266/2/ 267.

[2] آية 12 سورة الشمس .

[3] الفراء : معاني القرآن 3 /268.

[4] آية 72 سورة الإسراء .

وأجمل؛ لأن قيام ذا وجمال قد يزيد على قيام الآخر وجماله، ولا تقول لأعميين: هذا أعمى من هذا، ولا لميتين هذا أموت من هذا "[1].

تنـاوب المشـتقات

ونقصد به أن تأتي بصيغة من صيغ المشتقات وأنت تريد صيغة أخرى، أو أن تأتي بصيغة من صيغ المشتقات مكان صيغة أخرى. وهذا المصطلح قريب إلى حد بعيد من مصطلح العدل، الذي هو :"أن تلفظ ببناء وأنت تريد بناء آخر على نحو قولك عمر، وأنت تريد عامراً، وزفَرا وأنت تريد زافرا "[2].

وأمثلة تناوب المشتقات في كتبه كثيرة، بشكل يصبح فيه حصرها من باب التطويل، إلا أن أبرز هذه النماذج هي :

1- مجيء صيغة الفاعل بمعنى المفعول، ويظهر ذلك جلياً في تفسيره لقوله تعالى : (لاَ عاصم الْيوم من أَمرِ اللّه ِإلاّ من رحم) [3].

يقول: "ولكن لو جعلت العاصم في تأويل معصوم كأنك قلت: لا معصوم اليوم من أمر ا لجاز رفع من ولا تنكرن أن يخرج المفعول على فاعل؛ ألا ترى قوله (من ماء دافق) [4] فمعناه وا أعلم: مدفوق وقوله (في عيشَة راضية) [5] معناها مرضية"[6].

---

[1] الفراء: معاني القرآن 127/2، 128.

[2] ابن جني: اللمع في العربية 236.

[3] آية 43 سورة هود .

[4] آية 6 سورة الطارق.

[5] آية 21 سورة الحاقة.

[6] الفراء : معاني القرآن 15/2، 16.

2- مجيء المصدر بمعنى اسم المفعول على نحو ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: (وجاؤُوا على قميصه بِدمٍ كذبٍ) [1]. يقول: "معناه مكذوب: والعرب تقول للكذب . مكذوب وللضعف: مضعوف"[2].

3- مجيء اسم الفاعل مكان صيغة المبالغة، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى:(إِذْ قالَ له قومه لا تَفْرح إن الله لا يحب الفَرِحين) [3]. يقول: (الفَرِحين) ولو قيل: الفارحين كان صوابا[4].

4- مجيء فعيل التي يستوي فيها المذكر والمؤنث معدولة عن مفعول، نحو قوله: "رجل كريم، وامرأة كريمة، فيمن القياس بهذا لا ينكسر، حتى ينتهي إلى (إمرأة قتيل) و (كف خضيب) وعنزرمي؛ طرحوا الهاء من هذا لأنه مصروف عن جهته، وكان ينبغي أن يقول: (كف مخضوبة) و(امرأة مقتولة) فصرف إلى (فَعيل)، وطرحت الهاء منه؛ ليكون فرقاً بين ما هو مفعولٌ به، وبين ماله الفعلُ، ألا ترى أن قولك: (كفّ خضيب) معناها: خُضبتْ، و(امرأة كريمة) معناها: كرمتْ "[5].

5- مجيء فَعول معدولة عن فاعل، نحو قوله : "ثم يأتي نوع آخر، من قولهم: (صبور) و (شَكور) فيمر في هذا أنثاه كذكره بغير الهاء. وإنما ألقيت من أنثاه الهاء، لأنه عدلُ (صابر) إلى (صبور) فلم يكن له فعل يبنى عليه، فترك كالمذكر، ألا ترى أنك لا تجد للصبور فعلا، فإن قلت: قد صبر، فذلك للصابر" [6].

---

(1) آية 18 سورة يوسف.

(2) الفراء : معاني القرآن 38/2.

(3) آية 76 سورة القصص.

(4) الفراء : معاني القرآن 311/2

(5) الفراء : المذكر والمؤنث 60.

(6) المصدر السابق 63.

6- مجيء (مفعال) معدولة عن فعول، نحو قوله :"ثم تقول في (مفعل) من هذا القول وغيره : (امرأة محماق) و (مذْكار) و(مئْناث)، تلد الإناث، و(ديمة مدرار). ولا يقال من هذا شيء بالهاء؛ وذلك أنه انعدل عن الصفات انعدالاً أشد من انعدال (صبور) و(شكور)، وما أشبههما من المعروف عن جهته؛ لأنه شبيه بالمصادر، إذ كان مكسورا، ولزيادة هذه الميم فيه، ولأنه مبني على غير فعل "[1].

مما سبق نلاحظ أن آراء الفراء في المشتقات ليست جديدة – في معظمها- فيكاد التجديد عنده ينحصر في الدراسة الأسلوبية أو التفسير اللغوي الذي من خلاله يحاول توظيف المفاهيم الخاصة بالمشتقات لفهم مدلول النص القرآني، وسبر أعماقه، ويبدو فيما ذكره من تناوب المشتقات والمصادر أنه كان يلح على أن المشتقات والمصادر أصلها الفعل، وهذا مخالف لرأي البصريين الذين يرون أن المصدر هو أصل المشتقات؛ للتشابه الدلالي بينهما.

النحـــت

وهو "أن تنتزع أصوات كلمة من كلمتين فأكثر أو من جملة للدلالة على معنى مركب من معاني الأصول التي انتزعت منها"[2]. ويعرفه مهدي المخزومي بأنه : استخلاص كلمة واحدة من أكثر من أصل واحد، ويتحقق النحت باستخلاص كلمة من كلمتين، أو ثلاث كلمات، بعد انقطاع بعض أجزائها [3].

فيكون النحت أن تعمد إلى كلمتين أو جملة فتنتزع من مجموع كلماتها كلمة تدل على الجملة نفسها. ولما كان هذا النوع يشبه النحت من الحجارة والخشب، فقد سمي نحتا. وهو

---

(1) الفراء : المذكر والمؤنث 66.

(2) علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة 149.

(3) مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة 208.

قريب من الاشتقاق إلا أنه ليس اشتقاقاً؛ ذلك أن الاشتقاق أن تنزع كلمة من كلمة، والنحت أن تنزع كلمة من كلمتين أو أكثر [1].

ويقسم مهدي المخزومي المنحوتات التي وجدت عند الكوفيين إلى قسمين الأول قديم والآخر إسلامي حديث. وتنتظم الأدوات النحوية والحروف، كليس، ولكن، والمنحوتات المؤلفة من مضاف ومضاف إليه كعبشمي، وعبدري، وعبقسي، وتيملي، ومرقسي نسبة إلى عبد الشمس، وعبد الدار، وعبد القيس، وتيم اللات، وامرئ القيس في إطار النوع الأول من المنحوتات.

أما المنحوتات الحديثة، فهي من باب نحت الجمل، فأمثلتها كثيرة، كالبسملة، والحمدلة، والحوقلة، والهيللة، والحسبلة، والسمعلة، وقد نحتت من بسم ا الرحمن الرحيم، والحمد ، ولا حول ولا قوة إلا با ، ولا إله إلا ا ، وحسبي ا ، وحي على الصلاة، وسمع ا لمن حمده"[2].

ولم أعثر فيما قرأت من كتب حملت آراءه الصرفية على منحوتات تتعلق بنحت الجملة أو النحت الإضافي، وكل ما وجدته من منحوتات عنده هو تلك المنحوتات التي لها علاقة قوية بالدراسة النحوية، وتتمثل بالأدوات والحروف. على أن الفراء قد تفرد من بين الكوفيين في دراستها وتخريجها لغوياً؛ لأن كل ما جاء عن غيره من الكوفيين يتعلق بجزيئات هذه الظاهرة، أما هو فقد بحثها بصورة كلية، ويعلل مهدي المخزومي ذلك بقوله: "وأكبر الظن أن انفراد الفراء بهذا، يرجع إلى عقليته المتفلسفة، لأنه كان من أصحاب الكلام، ولأصحاب الكلام

(1) ينظر القصبي محمود زلط: القرطبي ومنهجه في التفسير 246، 247.

(2) ينظر مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة 210، 211، وعلي عبد الواحد وافي: فقه اللغة 150، 151.

محاولات في هذا الصدد، تتمثل في رأيهم بأن اللغة اصطلاح، وليست وحيا، ولا إلهاما، وظهرت نتائجها في أعمال الخليل، وغيره من أصحاب الكلام اللغويين"[1].

والأدوات التي يتبين فيها رأي الفراء في المنحوتات كثيرة، لا سيما التي نحتت من أكثر من كلمة، وأصبح لها بالنحت حكماً جديداً، نكتفي بذكر ما جاء منها في كتبه، أو أوردته كتب اللغة المختلفة، وأبرزها :

1- لهنك: ذهب الفراء إلى أنها منحوتة، وأصلها: (واللّه إنك)، روى عن العرب أنهم يقولون: (لَه ربي لا أقول ذلك: بقصر اللام، ثم حذف حرف الجر، كما يقال: (اللّه لأفعلن)، وحذفت لام التفريق أيضاً، ويقال: (لاه أبوك)، ثم حذفت ألف (فعال) كما يحذف الممدود إذا قصر، كما يقال: (الحصاد) و (الحصد)[2].

أما سيبويه فيرى أنها بسيطة لا تركيب فيها، فقد قال: "هذه كلمة تكلم بها العرب في حال اليمين وليس كل العرب تتكلم بها، تقول: (لَهِنك لَرجلٌ صدق، فهي إن ولكنهم أبدلوا الهاء مكان الألف كقوله: هرقت، ولحقت هذه اللام إن كما ولحقت ما حين قلت: إن زيدا لما لَينطلقن، فلحقت إن اللام في اليمين كما لحقتْ ما، فاللام الأولى في لَهنك لام اليمين، والثانية لام إن. وفي لَما لينطلقن اللام الأولى لأن، والثانية لليمين"[3].

2- هلم: ويرى أنها منحوتة من (هل أُم)، فخففت الهمزة، بأن حركتها على اللام وحذفت الهمزة، فصارت (هلُم) وأَصلها من الفعل (أم) بمعنى قصد، وهل هنا ليس حرف استفهام وإنما هي عنده زجر وحث. وهذا مخالف للبصريين الذين يذهبون إلى أنها مركبة من هاء

---

(1) مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة 213.

(2) الأستراباذي: شرح كافية ابن الحاجب 380/4.

(3) سيبويه: الكتاب 150/3.

التنبيه ولم الفعل (ها لُم)؛ ولكثرة الاستعمال حذفت الألف من الهاء وأصبحت كأنها كلمة واحدة[1].

3- اللهم: وهي عند الكوفيين والبصريين بناء مركب إلا أن تركيبها عند الكوفيين مختلف عما هو عليه عند البصريين، إذ إن تركيبها عند الكوفيين تركيب نحت، فيرون أن الميم المشددة في (اللهم) ليس عوضاً من (يا) التي للتنبيه في النداء. وذهب البصريون إلى أنها عوض عن (يا) التي للتنبيه في النداء؛ والهاء مبنية على الضم لأنه منادى[2].

4- ليس: ويذهب فيها مذهب الخليل، فقد قرر أن أصلها (لا أَيس)، فطرحت الهمزة، وألزمت اللام بالياء. يقول :"أصل ليس: لا أَيس، ودليل ذلك قول العرب ائْتيني به من حيث أَيس وليْس، وجيء به من أَيس وليْتَ، أي من حيث هو، وليْس هو"[3].

5- لكن: وهي عنده مركبة تركيب نحت، فذهب إلى أن أصلها (لكن أن) فطرحت الهمزة للتخفيف، ونون (لكن) للساكنين، أما البصريون فقد خالفوه فيها، وذهبوا إلى أنها بسيطة لا تركيب فيها. وقد استدل على أن تركيبها تركيب نحت بقول الشاعر :

(الطويل)

ولاك اسقني إن كان ماؤك ذا فضل[4]

وأما بقية الكوفيين فكانوا يرون أنها مركبة من لا، وإن الكاف الزائدة، لا التشبيهية، وحذفت الهمزة تخفيفاً [5].

---

[1] ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 47، وابن جني: الخصائص 35/3، 36.

[2] ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 47.

[3] ينظر ابن منظور: اللسان مادة (ليس) 422/3.

[4] البيت للفرزدق، ومطلعه : فَلَستُ بِآتيه ولا مستَطيعه. ينظر: الأسترابادي: شرح كافية ابن الحاجب 393/4.

[5] ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب 384.

6- أداة الاستثناء "إلا : ويذهب الفراء وجماعته إلى أنها منحوتة من حرفين (إن) التي تنصب المبتدأ، وترفع الخبر، و (لا) ثم خففت (إن)، و أدغمت في لا، فنصبوا بها في الإيجاب اعتبارا بـ (إن)، و عطفوا بها في النفي اعتباراً بـ (لا) [1].

أما البصريون فكانوا يذهبون إلى أنها بسيطة لا تركيب فيها، وقد صرح الخليل بن أحمد بذلك حين قاسها على (دفْلى). يقول سيبويه : "قال الخليل: إلا التي للاستثناء بمنزلة دفْلى"[2] يعني بذلك أنها بسيطة.

يتضح مما ذكرنا أن الفراء قد ركز اهتمامه على المنحوتات الخاصة بالأدوات النحوية والحروف، وترك الحديث عن النحت الخاص بالجمل، أو المتعلق بالتركيب الإضافي. علماً أنه قد تعرض بالدراسة اللغوية لمعظم الآيات القرآنية التي احتوت على بعض القضايا الخاصة بنحت الجمل والتي من الممكن أن يدعم تفسيره، وتوضيحه للآيات القرآنية بالتعرض لها. ويبدو أن رغبته في التميز والاستقلالية قد صرفت اهتمامه عن نحت الجمل للحديث عن الأدوات والحروف، والخروج بنتائج مستقلة عن أسلافه ومعاصريه.

الاشتـــقاق

وهو أن تنزع من كلمة كلمات أخرى، بحيث تعد الكلمة التي أخذت منها المفردات الجديدة أصلاً، والكلمات المشتقة فرعاً [3]. يقول ابن جني: "الاشتقاق عندي على ضربين: كبير وصغير، فالصغير في أيدي الناس وكتبهم؛ كأن تأخذ أصلاً من الأصول فَتَتَقَّراه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغه ومبانيه. وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في

---

(1) ينظر سيبويه: الكتاب 67/2.

(2) ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 34.

(3) ينظر القصبي محمود زلط : القرطبي ومنهجه في التفسير 246، 247.

تصرفه، نحو سلم ويسلم، وسالم، وسلمان، وسلمى وسلامة. وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف الصنعة والتأويل إليه؛ كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد"[1].

وقد جاء حديثه عن الاشتقاق في (معاني القرآن) على هامش الدراسة اللغوية للآيات القرآنية، فقد استعان به في توضيح مدلول المفردات القرآنية والآيات، فكان يأتي – على سبيل المثال – بالمعنى اللغوي للكلمة موضع الدرس، فيجعله أصلا لمعاني الكلمات التي تقترب في بنيتها وحروفها من الأصل. ويتضح من خلال تفسيره لقوله تعالى : (وله الدين واصباً) [2]. يقول :"معناه: دائماً. يقال: وصب يصب : دام. ويقال: خالصا"[3]. والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما جاء في قوله تعالى: (مواخر فيه) [4]. يقول: "واحدهما ماخرة، وهو صوت جري الفُلْك بالرياح، وقد مخَرت تمخَر وتمخُر " [5]، وقوله في اشتقاق الولق من قوله تعالى: (إِذْ تَلَقونَه بِأَلْسنَتِكُم) [6] " وقرأت عائشة (إذ تَلقونه) وهو (الولق) أي تَرددونه يقول: كان الرجل يلقى الآخر فيقول: أما بلغك كذا وكذا فيذكر قصة عائشة لتشيع الفاحشة ... ويقال في الولْق من الكذب: هو الأَلْق والإِلقْ ! وفعلت منه : ألقت وأنتم تأْلِقونه "[7]. وكذلك الحال في اشتقاقه للفدية من قوله تعالى: (فَالْيوم لا يؤْخَذْ منْكُم فديةٌ)[8]. يقول : "القراء على الياء، وقد قال بعض أهل الحجاز لا

---

[1] ابن جني: الخصائص 133/2، 134.

[2] آية 52 سورة النحل.

[3] الفراء : معاني القرآن 104/2.

[4] آية 14 سورة النحل.

[5] الفراء : معاني القرآن 98/2.

[6] آية 15 سورة النور.

[7] الفراء : معاني القرآن 247، 248.

[8] آية 15 سورة الحديد.

تؤخذ والفدية مشتقة من الفداء، فإذا تقدم الفعل قبل الفدية والشفاعة والصيحة والبينة وما أشبه ذاك، فإنك تؤنث فعله وتذكره"[1].

ففي هذه الأمثلة نلاحظ أنه وظف الاشتقاق من أجل تفسير النص القرآني وتوضيح معناه، وفي مواطن أخرى من كتابه نجده يذكر للكلمة أكثر من أصل اشتقاقي، ويفاضل بين هذه الأصول، ويرجح بعضها على الآخر، وقد يتركها دون ترجيح، مكتفياً بذكر الأصول الاشتقاقية للمفردة، من ذلك (ربتْ) من قوله تعالى : (اهتَزتْ وربتْ) [2]، حيث يرى أن لها أصلين، فهي إما أن تكون من تَربو، أو من (ربأْت) وقد قرأها أبو جعفر المدني بالهمز. يقول الفراء مخرجا للقراءة الثانية "فإن كان ذهب إلى الربيئة الذي يحرس القوم فهذا مذهب، أي ارتفعت حتى صارت كالموضع للربيئة. فإن لم يكن أراد من هذا فهو غلط قد تغلطه العرب فتقول: حلأْت السِويق، ولبأْت بالحج، ورثأت الميت. وهو كما قرأ الحسن (ولا َأدرأْتُكُم بِه)[3] يهمز. وهو مما يرفَض من القراءة"[4]. وكذلك الحال في قوله تعالى : (قَد يعلَم اللّه الذين يتَسللون منْكُم ِلواذاً) [5]. [5]. يقول: "أي يستتر هذا بهذا وإنما قالوا: لواذا لأنها مصدر لاوذْت، ولو كانت مصدر للذت لكانت لياذا أي لذت لياذا، كما تقول : قمت إليه قياما، وقاومتك قواما طويلا"[6]. فهذان الاقتباسان يؤكدان ما ذهبنا إليه من أن الفراء قد عد الاشتقاق في هذا الكتاب أحد الوسائل اللغوية التي من شأنها أن تعين في دراسة النص القرآن وفهم معناه.

---

(1) الفراء : معاني القرآن 134/3.

(2) آية 5 سورة الحج.

(3) آية 16 سورة يونس.

(4) الفراء: معاني القرآن 216/2.

(5) آية 63 سورة النور.

(6) الفراء: معاني القرآن 262/2.

وقد حملت لنا كتب اللغة كثيراً من الآراء المنسوبة للفراء في قضية الاشتقاق والتي خالف فيها البصريين وأستاذه الكسائي، وفي مقدمتها حديثه عن أصل الاشتقاق أهو الفعل أم المصدر؟ فقد ذهب البصريون إلى أن الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه، في حين ذهب الكوفيون إلى خلاف ذلك، فقالوا: إن المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه، مشتق من الفعل وفرع عليه، ويصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله؛ لذلك فإننا نقول: (قاوم قواما)، فيصح المصدر لصحة الفعل، ونقول: (قام قياماً) فيعتل لاعتلاله؛ فلما صح لصحته واعتل لاعتلاله دل على أنه فرع عليه[1].

وللفراء موقف من الكلمات المولدة إذ يذهب إلى أن العرب إذا اشتقت من الأعجمي خلطت فيه؛ لأنه ليس من كلامهم، وقد بدا ذلك واضحاً في حديثه عن اشتقاق المنجنيق. يقول الأستراباذي: "حكى الفراء (جَنَقْنَاهم) وزعم أن المنجنيق مولدة. أي أعجمية، وهم إذا اشتقوا من الأعجمي خلطوا فيه؛ لأنه ليس من كلامهم، فقولهم (جنَقُونا) وقول الأعرابي (كانت بيننا حروب عون، تفقأ فيها العيون مرة بجْنَق، وأخرى نُرشَق) من معنى منجنيق، لا من لفظه، كدمث و دمثْر، وثَرة وثَرثَار، وإنما تجنبوا من كونه من تركيب جنق لأن زيادة حرفين في أول اسم غير جار على الفعل كمنطلق قليل نادر عندهم، وذلك كإنْقَحل، وكون منجنيق منفعيلا لشبهة جنقونا مذهب المتقدمين"[2].

وله وقفات مع الاشتقاق الأكبر أو الكبير، فقد أدرج الحديث عنه ضمن الإبدال الذي هو: أن تتعاقب الحروف فتبدل بعضها من بعض، ويبقى المعنى بعد هذا الإبدال متقارباً، ويبدو ذلك

---

(1) ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 28.

(2) الأسترباذي: شرح شافية ابن الحاجب 350/2.

عنده واضحاً في أثناء تفسيره لقوله تعالى: (وفُومها وعدسها وبصلها) [1]. يقول: "فإن الفوم فيما ذكر لغة قديمة وهي الحنْطَة والخُبز جميعاً قد ذُكرا. قال بعضهم: سمعنا العرب من أهل هذه اللغة يقولون: فَوموا لنا بالتشديد لا غير، يريدون اختبزوا وهي في قراءة عبد اللّه (وثُومها) بالثاء، فكأنه أشبه المعنيين بالصواب؛ لأنه مع ما يشاكله: من العدس والبصل وشبهه. والعرب تُبدل الفاء بالثاء فيقولون: جدث وجدف، ووقعوا في عاُثور شر وعافُور شر، والأثاثي والأثافي. وسمعت كثيراً من بني أسد يسمي المغافير المغاثير* "[2]. وفي قوله تعالى : (من طينٍ لازِبٍ)[3]. يقولون: "اللازب: اللاصق. وقيس تقول: طين لازب ... والعرب تقول: ليس هذا بضربة لازب ولازم، يبدلون الباء ميماً؛ لتقارب المخرج "[4].

---

[1] آية 61 سورة البقرة.

* المغافير والمغاثير: صمغ يسيل من شجر الرمث والعرفط وهو حلو يؤكل غير أن له رائحة غير طيبة.

[2] الفراء : معاني القرآن 41/1.

[3] آية 11 سورة الصافات.

[4] الفراء: معاني القرآن 284/2.

الأســـماء

التـــرخيـم :

هو حذف أواخر الكلم في النداء، نحو (يا سعا) والأصل (يا سعاد) [1].

ويبدو أن جهوده وجهود جمهور الكوفيين في هذا الجانب تكاد تنحصر في المسائل الخلافية التي خالفوا فيها البصريين، وأبرز هذه القضايا :

1- ترخيم المنادى المركب : إذ أجاز الكوفيون ترخيم ذي الإضافة بحذف عجز المضـاف إليه، وحجتهم قول الشاعر :

(الطويل)

أبا عرو لا تَبعد فكل ابن حرة   سيدعوه داعي ميتَة فيجيب [2]

فالشاهد في هذا البيت قوله (أبا عرو) حيث حذف عجز ما أضيف إليه المنـادى للتـرخيم، وهو حذف جائز عند الكوفيين مرفوض عنـد البصـريين، إذ لا يجيـزون تـرخيم المنـادى المركب[3].

2- ترخيم الاسم الرباعي الذي قبل آخره أو ثالثه حرف ساكن: فقد ذهب الكوفيـون إلـى جواز أن يرخم الاسم الذي قبل آخره حرف ساكن، ويكون ذلك بحذفه وحذف الحـرف الذي بعده، نحو: (قمطْرٍ) : (يا قم)، و (سبطْرٍ): (يا سب)، وما أشبه ذلك. فـي حـين ذهب البصريون إلى أن ترخيمه يكون بحذف الحرف الأخير منه فقط[4].

---

(1) ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك 288/3.

(2) ورد البيت بلا نسبة عند ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف في مسألة 48.

(3) ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 27/3، 28.

(4) ابن الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 50.

3- ترخيم الاسم الثلاثي: حيث ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز ترخيم الاسم الثلاثي إذا كـان أوسطه متحركاً، نحو: (عنُق) : (ياعن)، و (حجر): (يا حج)، و (كتف): (يا كت)، وقد ذهب بعضهم إلى جواز ترخميه على الإطلاق دون تقييد بتحريك الوسط. أما البصريون فيذهبون إلى أن ترخيم ما كان على ثلاثة أحرف لا يجوز، وقد تابعهم في ذلك الكسائي من الكوفيين [1].

4- ما جاء من يا فلا بمعنى فلان ويا فلة بمعنى فلانة. وقد تعـرض الأسـترابادي لهـذه القضية، فذكر أن ابن الحاجب يقول : "إن يا فل بمعنى يا فلان ويا فلة بمعنى يا فلانـة. قال: وهما الأصل، فلا يستعملون منقوصين في غير نداء إلا في ضرورة فقـد وافـق الكوفيين في أنهما كناية عن العلم وأن أصلهما فلان وفلانة وخالفهم في التـرخيم ورده بالوجهين السابقين "[2].

هـــاء الســكت

وهي الهاء التي تدخل على الكلمة المكونة من حرف واحد لا سيما أن حروف الكلمـة فـي الأصل اثنان : حرف متحرك يبتدأ به، وحرف ساكن يوقف عليه، فإذا صارت بعـد الإعـلال حرفاً اضطر المتكلم لجلب الهاء ليقف عليها، ومن أجل ذلك كان اجتلابها مع فعل الأمر واجباً، ومع المضارع جائزاً؛ لأن حرف المضارعة يقع به الابتداء، إلا أن ابن عقيل ينص على وجوب دخولها على المضارع المجزوم [3].

---

(1) ابن الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 49.

(2) الأسترابادي: شرح شافية ابن الحاجب 222/1.

(3) ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك 307/4.

وقد اختلف النحاة في الهاء في قوله (يا هنَاه) فقد ذهب أبو زيد والأخفش والكوفيون، إلى أن الهاء فيه للسكت. أما البصريون، فيرون أنها بدل من الواو، وأصله عندهم هنَاو؛ لقولهم هنَوات، وقيل: الهاء أصل، وهو ضعيف لقلة باب سلسٍ وقلق [1].

وقد تعرض الفراء لهاء السكت في عدة مواطن من (معاني القـرآن) دون أن يشـير إلـى مصطلح هاء السكت، من ذلك ما جاء في أثناء حديثه عن المنادى المندوب في قوله تعالى: (يـا بنَي) [2]. يقول: " (يا بني) و (يا بني) لغتان، كقولك : يا أبتَ ويا أبت لأن من نصب أراد النُّدبة: يا أبتاه فحذفها " [3]. كما أنه يناقش بعض القضايا الخاصة بها في الوصل وهل هـي أصـل أم زائدة في أثناء تفسيره لقوله تعالى : (لَم يتَسنه) [4]. يقول: "جاء التفسير : لـم يتغيـر بمـرور السنين عليه، مأخوذ من السنة، وتكون الهاء من أًصله من قولك : بعته مسانهة، تثبت وصـلاً ووقفاً. ومن وصله بغير هاء جعله من المساناة؛ لأن لام سنة تعتقب عليها الهاء والواو، وتكـون زائِدةً صلةً بمنزلة قوله (فَبِهداهم اقْتَده) [5] فمن جعل الهاء زائدة جعل فعلت منه تسنيت، ألا ترى أنك تجمع السنة سنوات فيكون تفعلت على صحة، ومن قال في تصغير السنة سنَينة وإن كـان ذلك قليلاً جاز أن يكون تسنيت لفعلت أبدلت النون بالياء لما كثرت النونات، كما قـالوا تظنيـت وأصله الظن. وقد قالوا هو مأخوذ من قوله (من حمإٍ مسنُونٍ) [6] يريد: متغير. فإن يكن كـذلك فهو أيضاً مما أبدلت نونه ياء، ونرى أن معناه مأخوذ من السنة؛ أي لم تغيره السنون "[7].

---

[1] الأستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب 225/3.

[2] آية 4 سورة يوسف.

[3] الفراء : معاني القرآن 35/2.

[4] آية 259 سورة البقرة.

[5] آية 90 سورة الأنعام .

[6] آية 26 سورة الحجر .

[7] الفراء : معاني القرآن 172/1.

الاسم الممنوع من الصـرف

من المباحث التي انفردت بدراستها الكتب النحوية، ذلك أن الشيء الذي أثار انتباه العلمـاء كثيراً هو الأثر الإعرابي الذي يحدثه انتقال الاسم من حال الصرف إلى المنع مـن الصـرف، فدرسوا القضايا الخاصة بتغير حركة الاسم الممنوع من الصرف في حال الجر، غير فاصـلين بين ما يتعلق ببنية الكلمة ونسيجها الداخلي من جهة، وما يتعلق بالأثر الإعرابي والنحوي مـن جهة أخرى لا سيما أن تغير الأثر الإعرابي في كثير من الأحيان ناتج عن التغير الحاصل فـي بنية الكلمة ونسيجها .

والقضايا التي تعرض الفراء فيها للممنوع من الصرف كثيرة، من ذلك أن الكوفيين كانوا لا يجيزون صرف أفعل التفضيل (أفْعَلَ منْك) في ضرورة الشعر، في حين أجاز البصريون خلاف ذلك. وحجة الكوفيين في ذلك "أن (من) لما اتصلت به منعت من صرفه لقوة اتصالها به، ولهذا كان في المذكر والمؤنث والتثنية والجمع على لفظ واحد، نحو : (زيد أَفْضلُ من عمرو) و (هنْد أفضلُ من دعد)، و (الزيدان أفضلُ من العمرين)، (والزيدون أَفْضلُ من الْعمرين) ومـا أشـبه ذلك؛ فدل على قوة اتصالها به، فلهذا قلنا : لا يجوز صرفه "[1].

وكان الكوفيون يقولون بجواز منع صرف الاسم المنصرف فـي ضـرورة الشـعر، أمـا البصريون غير الأخفش وأبي علي الفارسي وأبي القاسم بن برهان، فكانوا يـذهبون إلـى أنـه يجوز صرف مالا ينصرف في ضرورة الشعر. وحجة الكوفيين في ذلك أنهم قد سـمعوا علـى ترك صرف ما ينصرف لضرورة الشعر كثيراً من الأشعار [2].

---

[1] ابن الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 69.

[2] المصدر السابق مسألة 70. وينظر ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 69/2، 70.

ويرى الفراء أن (القُوباء) ممنوعة من الصرف سواء أكانت ساكنة أم متحركة أم معرفة أم نكرة. يقول :"القُوباء تؤنث وتذكر، وتحرك وتسكن، فيقال هذه قوبـاء – بالتحريـك – فـلا تصرف في معرفة ولا نكرة، ويلحق بباب فقهاء وهو نادر، وتقول في التخفيف هذه قوباء؛ فـلا تصرف في المعرفة وتصرف في النكرة. ومراده بالتخفيف سكون الواو، وإنما كانـت محتملـة للصرف وعدمه حينئذ لكون الألف للإلحاق، ولو كانت للتأنيث لم تنصرف معرفة ولا نكرة؛ لأن ألف التأنيث تستقل وحدها بالمنع من الصرف"[1].

وقد خالف الفراء الخليل وبعض النحويين في توجيه منع صرف أشياء، فذهب إلى أنهـا جمعت على أفعلاء مثل بين و أبيناء، فأصبحت أشيئاء، وحذفت الهمـزة مـن وسـطها لكثـرة الاستعمال، وبعض النحويين يذهبون إلى أن جمعها أفعال غير أنها أشبهت فعلاء مثـل حمـراء فمنعوها من الصرف توهماً. يقول الفراء :"وأشياء في موضع خفض لا تُجرى. وقد قـال فيهـا بعض النحويين: إنما كثرت في الكلام وهي (أفعال) فأشبهت فَعلاء فلم تصرف؛ كما لم تصرف حمراء، وجمعها أشاوى – كما جمعوا عذراء عذارى، وصحراء صحارى – وأشياوات"[2].

وتكاد القضايا الخاصة بالممنوع من الصرف تنحصر عنده في ذكر بعـض المفـردات الممنوعة من الصرف، وتوجيه صرفه أو منعه، على نحو ما جاء في (زكريا) من قوله تعالى : (وكفلها زكريا) [3]. يقول :"من شدد جعل زكرياء في موضع نصب؛ كقولك : ضمنها زكريـاء، ومن خفف الفاء جعل زكرياء في موضع رفع. وفي زكريا ثلاث لغات : القصر في ألفه، فـلا يستبين فيها رفع ولا نصب ولا خفض، وتمد ألفه فتنصب وترفع بلا نون؛ لأنه لا يجرى، وكثير من كلام العرب أن تحذف المدة والياء الساكنة فيقال : هذا زكري قد جاء فيجرى؛ لأنـه يشـبه

---

(1) الأسترابادي : شرح شافية ابن الحاجب 196/1.

(2) الفراء : معاني القرآن 1/ 321 .

(3) آية 37 سورة آل عمران .

المنسوب من أسماء العرب "[1]. وكذلك الحال في عدم صرف (سقر) من قوله تعـالى: (ذُوقُـوا مس سقَر) [2]. يقول: "سقر: اسم من أسماء جهنم لا يجرى، وكل اسم كان لمؤنث فيه الهـاء أو ليس فيه الهاء فهو لا يجرى إلا أسماء مخصوصة خفت فأجريت، وتـرك بعضـهم إجراءهـا، وهي: هند، ودعد، وجمل، ورئم، تُجرى ولا تُجرى"[3].

المجـــرد والمـــزيد

ولا تخص هذه القضية الأسماء وحسب، ولكنها تطال الأفعـال أيضـاً. والأصـل فـي الأسماء أن تكون مجردة، ثم يزاد عليها من الحروف ما يزاد، كما هو الحال في الأفعال التـي الأصل فيها أن تكون مجردة، ثم يزاد عليها من الحروف ما يـؤدي إلـى تغيـر فـي دلالتهـا ومعناها[4]، وحين نعرض للمجردات والمزيدات فإننا نقصد ما زاد على الكلمة مـن أصـوات ساكنة محركة بحركات الفتحة، أو الضمة، أو الكسرة، إذ زيدت هذه الحروف لزيادة في المعنى المستفاد من المجرد.

وقد كان الفراء وغيره من القدماء الذين لم يدخلوا الحركات في إطـار الحـروف ولـم يدخلوها في إطار الزائد من الحروف؛ إذ لو اعتبرت الحركات حروفاً زائدة لَتَعذر وجود كلمات مجردة لا زيادة فيها؛ إذ إنه ما من كلمة إلا وفيها أحرف المد واللين، أو الحركات؛ لِتَعذر النطق بالأصوات الساكنة وحدها، فالكلمات عند العلماء تتآلف بضم الأصوات السـاكنة بعضـها إلـى

---

[1] الفراء : معاني القرآن 208/1.

[2] آية 48 سورة القمر.

[3] الفراء : معاني القرآن 101/3.

[4] أحمد حسن حامد، ويحيى عبد الرؤوف جبر: الواضح في علم الصرف 94.

بعض، إلا أنها لا تؤدي معنى وهي ساكنة، ولا يستطيع المتكلم أن يتوصـل إلـى النطـق إلا بحروف اللين، أو بالحركات التي هي بعض حروف المد واللين[1].

وقد ذهب الكوفيون إلى أن أقل الأصول ثلاثة، وهو مذهب البصريين نفسـه، فـالمجرد على هذا هو (ف ع لـ)، وخالفوا البصريين في أن أكثر الأصول ثلاثة، وما زاد على الثلاثـة فزائد على أصل البناء، وعلى ذلك تكون زيادة اللام في الرباعي المجرد، واللامين في الخماسي المجرد زيادة طارئة على أصل البناء، وهذا المذهب هو مذهب الكسائي والفراء من الكـوفيين، وقد بدا ذلك واضحاً في اختلافهم على الزائد من الأصول الثلاثية المجردة بحرف أو حـرفين. يقول الأستراباذي :"اعلم أن مذهب سيبويه وجمهور النحاة أن الرباعي والخماسي صنفان غيـر الثلاثي، وقال الفراء والكسائي: بل أصلهما الثلاثي، قال الفراء: الزائد في الرباعي حرفه الأخير وفي الخماسي الحرفان الأخيران، وقال الكسائي: الزائد في الرباعي الحرف الذي قبل آخره "[2].

وقد وجد الكوفيون أنفسهم حين عدوا أصول المفردات ثلاثة، ومـا زاد يـدخل ضـمن الزيادة الطارئة أمام مشكلة تتعلق في أن الزائد في الوزن يجب أن يكون بلفظه؛ لأنه ليس مـن الأصل، فينبغي أن يجعل وزن (جعفر) على سبيل المثال (فعلر) عندما يجعل الزائد الآخـر، و (فعفل) عندما يجعل الزائد ما قبل الآخر، وأن يجعل وزن (سفرجل) : (فعلجل) أو (فعرجـل)، فمنهم – أي أهل الكوفة – من كان يزن جعفر : (فعلر) و (سفرجل): (فعلجل)، ومنهم من قضى بزيادة ما فوق الثلاثي إلا أنه لا يزن. فإن سئِلَ مـا وزن (جعفـر) و (فـرزدق) ؟ قـال : لا أدري![3].

---

[1] ينظر مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة 183.

[2] الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب 47/1.

[3] ابن عصفور: الممتع في التصريف 312/1.

وهذا الرأي باطل من وجهة نظر كثير من النحويين. يقول ابن عصفور: "وكـل ذلـك باطل، لما ذكرناه، من أنه لا ينبغي أن يقضى على حرف بزيادة، إلا بـدليل. فالصـحيح فـي النظر، والجاري في تمثيل الكلمة بالفعل، ما ذهب إليه أهل البصرة "[1].

وكان الكوفيون يرون أن الحرف الثالث من الرباعي المضعف المجرد هو الزائد، علـى نحو : (زلْزلَ) و (صرصر). يقول الأستراباذي موضحاً رأيهم : "إن الثالـث زائـد؛ لشـهادة الاشتقاق، فزلْزلَ من زل، وصرصر من صر، ودمدم من دم، وأما ما لم يكن كـذلك كالبلْبـال والْخَلْخَال، فلا يرتكبون ذلك فيه "[2].

ويناقش الفراء بعض الكلمات التي فيها زيادة، وتؤدي الزيادة فيها إلـى الخـروج عـن الأوزان العربية المشهورة. مثال ذلك (كنْتأو و سنْدأو و قنْدأو). يروي الأسترباذي رأي الفـراء في ذلك، فيقول:

"وقال الفراء في مثلها: الزائد إما النون وحدها فهو فنْعل، وإما النون مـع الـواو فهـو فنْعلو، وإما النون مع الهمزة فهو فنْعألٌ، وجعل النون زائدة على كل حال، وقال سيبويه: الـواو مع ثلاثة أصول من الغوالب فيحكم بزيادتها، وكل واحدة من النون والهمزة وسيلَتُها في الأمثلـة المذكورة؛ فيجعل حكم إحداهما في الزيادة حكم الواو، وإن لم يكونا من الغوالب، والحكم بزيادة النون أولى من الحكم بزيادة الهمز "[3].

ويرى الفراء أن الميم في منجنيق زائدة إذ لو كانت أصلية لوجب أن نقـول: (نُمجنَـق) ويؤيد رأيه بما سمع عن العرب، فيروي عن العرب: (جنقوهم بالمجانيق) [4].

---

[1] ابن عصفور: الممتع في التصريف 313/1.

[2] الأستراذباي: شرح شافية ابن الحاجب 62/1.

[3] المصدر السابق 362/2.

[4] ابن عصفور : الممتع في التصريف 245/1

ويزيد الفراء على الرباعي المزيد بحرف على وزن (فعلال) حرفا آخر، وهذا الحـرف من غير المضعف يتمثل فيما حكاه عن العرب (ناقه بها خَزعال) [(1)]فخَزعال التي هي على وزن فعلال ليست مضعفة. يقول ابن عصفور :"وعلى فَعلال : لا يكون في المضعف الذي بالحرفين الأخيرين منه بمنزلة الأولين، فالاسم نحو (زلزال)، والصفة نحو (صلْصال)، إلا حرف واحـد شذ من غير المضاعف، حكاه الفراء وهو (ناقة بها خَزعال) "[(2)].

ولما كان رأي الفراء وجمهور الكوفيين أن بناء الكلمة لا يكون على أقـل مـن ثلاثـة أصول، فقد اعترضتهم أسماء شذت عن قاعدتهم، خصوصاً تلك التي يدل ظاهرها علـى أنهـا تألفت من أصلين، ولكي يستقيم لهم ذلك عمدوا إلى التخلص مما استعصى عليهم أصـله إلـى التأويل، فزعموا أن هذه الأصول إنما كان مبنياً في الأصل على ثلاثة، غير أن كثرة استعمالها، و دورانها على الألسن أدت إلى إسقاط جزء منها. وأمثلة ذلك عند الفراء وجمهـور الكـوفيين كثيرة منها أخ، وأب، وحم، وفو. فالواو في الثلاثة الأولى محذوفة وتظهر إذا قلنـا : أخـوان، وأبوان، وحموان. وفي فو فإن الهاء محذوفة إذ الأصل فوه، وتظهر إذا قلنا: أفـواه[(3)]. فـالفراء يوجه هذه المفردات لتتلاءم مع منهجهم وتفكيرهم، الذي ينسجم مع ما يذهبون إليه في أن أقـل الأصول ثلاثة.

ومن ذلك أيضاً السين التي تدخل على الفعل المضارع إذ يـرى الكوفيـون أن أصـلها (سوف)، فلما كثر استعمالها في كلامهم، وجريها على ألسـنتهم، وهـم أبـداً يحـذفون لكثـرة الاستعمال، كقولهم : (لا أدرِ) (أُبالْ)، و(لم يك)، و (خُذْ) و (كُلْ)، وأَصـلها: (لا أدري)، و(لـم

---

(1) الخَزعال: هو الظَلْع .

(2) ابن عصفور: الممتع في التصريف 151/1.

(3) ينظر الأشموني : منهج السالك إلى ألفية ابن مالك 780/3.

أبال)، و (لم يكُن) و (الأخذْ)، و (الأكلْ)؛ فقد حذفوا في هذه المواضع لكثرة الاستعمال، وكذلك الحال في (سوف) لما كثر استعمالها حذفوا منها الواو والفاء تخفيفاً[1].

ففي هذا المثال نلاحظ أن تفسير الكوفيين يتفق مع واقع اللغة، واقتصاد المتكلم في المجهود، عن طريق اسقاط بعض أجزاء الكلمة، وخصوصاً إذا كان انتشارها على الألسن كثيراً، إلا أن البصريين قد رفضوا فكرة الكوفيين هذه واستبعدوا أن تكون كثرة استعمال الكلمة سبباً في إسقاط بعض أجزائها؛ لأن الأصل عندهم في كل حرف يدل على معنى ألا يدخله الحذف، وأن يكون أصلاً في نفسه، والسين حرف يدل على معنى؛ فينبغي أن يكون أصلاً في نفسه، لا مأخوذاً من غيره"[2].

وقد تحدث الفراء في (معاني القرآن) عن جواز حذف الفاء من سوف في قوله تعالى: (ولَسوفَ يعطيك ربك فتَرضى)[3]. يقول: "وهي في قراءة عبد الله (ولسيعطيك ربك فترضى) والمعنى واحد، إلا أن (سوف) كثرت في الكلام، وعرف موضعها، فترك منها الفاء والواو، والحرف إذا كثر فربما فعل به ذلك، كما قيل: أَيشٍ تقول، وكما قيل: قم لا باك، وقم لا بشانئك، يريدون: لا أبا لك، ولا أبا لشانئك "[4].

إلا أن الكوفيين سرعان ما وجهوا كثيراً من الألفاظ التي استعصى عليهم إدراجها ضمن الأصل الذي أخذوا به، وهو أن أقل ما تتألف الكلمة العربية إنما هو ثلاثة أصول، وهذه

---

(1) ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 92.

(2) المصدر السابق مسألة 92.

(3) آية 5 سورة الضحى.

(4) الفراء : معاني القرآن 274/3.

المفردات كانت في مجملها أدوات وكنايات أكثر منها أسـماء صـريحة كالضـمائر، وأسـماء الإشارة، والأسماء الموصولة، التي بني أكثرها على مقطع واحد، أو مقطعين [1].

التـــــذكير والتـــأنيث

الأصل في الأسماء التذكير، والتأنيث فرع عنه، ولأن التذكير هو الأصل فقـد اسـتغنى عن علامة تدل على تذكيره، ولكون التأنيث فرعاً عن التذكير افتقر إلى علامات تـدل عليـه، وهي: التاء، والألف المقصورة، أو الممدودة. على أن التاء هي أكثر هذه العلامـات اسـتعمالاً؛ لذلك قدرت في بعض الأسماء كعين وكتف [2].

وقد اهتم الفراء بهذه القضية كثيراً، فألف كتاباً بعنوان (المذكر والمؤنث) الذي يعد أقـدم ما وصل إلينا في هذا الفن، كما أن كتبه قد حملت مناقشات كثيرة لهذه القضية، وخصوصاً مـا يتعلق بتوظيفها في تفسير النص القرآني. وقد أشار رمضان عبد التواب إلـى أسـبقية الفـراء للتأليف في هذا الفن[3].

وأهم الأمور الخاصة بهذه القضية ما جاء في تقسيمه لكتاب المذكر والمؤنث، فيظهر في تقسيمه لهذا الكتاب أنه كان يحاول احتواء الظاهرة ومناقشتها بشكل كلي، كما أن الفراء بتقسيمه لهذا الكتاب يكتشف بعض المؤنثات التي لم يهتد إليها من سبقوه، وأهم القضايا التي تناولها فـي هذا الكتاب هي :-

---

[1] ينظر مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة 190.

[2] ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك 91/4.

[3] ينظر رمضان عبد التواب: مقدمة المذكر والمؤنث 39.

1- المؤنث الذي يعرف بالحدود والعلامات، وقد ذكر في هذا القسم الصفات التـي تخـص المؤنث، وأشار إلى أن بعض المؤنثات لا يحتاج تأنيثها إلى الهاء، وما جاء منها مقترناً بالتاء فلضرورة الشعر [1].

2- صيغة (فَعيل) المعدولة عن (مفْعول) وقد جاء الحديث عنها في القسم الثاني من الكتاب الذي عنونه بـ (نوع آخر)، وقد ذكر أن هذه الصفة هي ممـا يسـتوي فيـه المـذكر والمؤنث بشرط أن يذكر؛ مثل : (امرأة قتيل)، و (كف خضيب)، كما تحدث فيـه عـن تغليب المذكر على المؤنث في هذه الصيغ، لأن الوصف فيها أكثر في الرجـال؛ مثـل (أميرنا امرأة) و (مؤذن بني فلان امرأة) [2].

3- صيغة (فعول) المعدولة عن (فاعل)، وقد جاء الحديث عنها في القسم الثالث من الكتاب، الذي جاء تحت عنوان : (نوع آخر)، وهذه الصفة مما يستوي في الوصف بها المـذكر والمؤنث؛ مثل (امرأة صبور وشكور)، كما أنه يشير في هذا القسـم إلـى أن (فعـول) المعدولة عن (مفعولة)، فيوجب دخول الهاء فيها مثل: (حلوبة وركوبة) [3].

4- صيغة (مفعال) وقد جاء حديثه عنها تحت عنوان (نوع آخر)، فذكر أن هذه الصـيغة لا تدخلها الهاء؛ لأنها معدولة عن صفة أشد من (صبور، وشكور)، مثال هـذه الصـيغة (امرأة مذكار ومئناث)، أما ما جاءت فيه الهاء فإنه من باب الشاذ الذي يدرج في إطار المدح والمبالغة، نحو: (إنه لرواية وعلامة)، و (إنه لَمنْكَرة من المناكير)، وإما للذم نحو قولهم : (إنه لَجخَابة هلباجة فَقَاقة)، كأنه يذهب به إلى البهيمة [4].

---

[1] الفراء: المذكر والمؤنث 57-60.

[2] الفراء: المذكر والمؤنث 60-62.

[3] المصدر السابق 63-66.

[4] المصدر السابق 67-68.

5- المذكر الذي يفرق بينه وبين مؤنثه بالهاء وهو اسم الجنس، نحو: (جراد وجرادة)، فذكر أن الأول جمع والثاني مفرد للذكر والأنثى، وقد يستخدمون الأول للمذكر والثاني للمؤنث، نحو قولهم : (رأيت جراداً على جرادة) و (حماما على حمامة)، يريدون بذلك ذكراً على أنثى، كما درس في هذا القسم الذي جاء عنوانه أيضاً (نوع آخر) الأسماء المبهمة؛ مثل: (أحد، وديار، ومثل، وغير). وذَكَر أن مؤنثها يجري على لفظ المذكر؛ مثل: (مثلها قام) [1].

6- المؤنثات السماعية، وقد جاء الحديث عنها في القسم الأخير من الكتاب، الذي هو أكبر هذه الأقسام، فعرض فيه لموقف القبائل العربية من تأنيث بعض الكلمات وتذكيرها[2].

ومناقشة الفراء لهذه القضية توحي بأنه استوعب لغات العرب، وناقش موقفهم منها، فذكر القبائل التي تؤنث هذه الكلمة أو تلك، والقبائل التي تذكرها، مثال ذلك قوله: "و(الذراع) أنثى وقد ذكر الذراع بعض بني عكْل. وتصغيرها : (ذُريعة)، وربما قالوا : (ذُريع) [3]، وقوله: "(والطريق) يؤنثه أهل الحجاز، ويذكّره أهل نجد"[4] وكذلك الحال في قوله: "و (الصاع) يؤنثه أهل الحجاز، ويجمعون ثلاثها إلى عشرها : آصع وأصوع. والكثيرة صيعان. وأَسد وأهل نجد يذكرونه ويجمعونه: أصواعا، وربما أنثه بعض بني أَسد "[5].

وتظهر أقسام كتابه أن له اليد الطولى في اكتشاف كثير من أصول الظواهر في موضوع التذكير والتأنيث، كتعليله لوجود الهاء في وصف المذكر في مثل قولهم (إنه لمنكرة المناكير). يقول "وقد قيل (رجل مجذامة) و (مطْرابة) و (مضرابة)، فجعلوا فيها الهاء، وهو

---

[1] الفراء: المذكر والمؤنث 69-72.

[2] المصدر السابق 73-122.

[3] المصدر السابق 77.

[4] المصدر السابق 87.

[5] المصدر السابق 96.

على غير القياس، وزادوا فيه الهاء؛ لأن العرب قد تدخل الهاء في المذكر على وجهين؛ أما أحدهما فعلى المدح، والآخر ذم، فيوجهون المدح إلى الداهية، وتكون الهاء التي دخلت على الذكر، يراد بها المدح والمبالغة في نوعه الذي وصف بها، فيقال: (إنه لَمنْكَرة من المناكير) و (إنه لراوية وعلامة). فهذا مذهب الداهية والمدح "[1]. فهو بذلك يفسر لنا تطور كثير من المؤنثات السماعية، وقد روي فيها التذكير عن العرب، مثال ذلك أيضاً الـريح التـي هـي مؤنثة إلا عند بني أسد. يقول :"و(الرياح) كلها إناث. قال : أنشدني بعض بني أسد :

(البسيط)

كم من جِرابٍ عظيم جئتَ تحملُه ودهنة ريحها يغْطى على التفَل"[2].

ويعلل الفراء دخول الهاء على المؤنث السماعي، بأن العرب تهـدف تأكيـد التأنيـث، وإذهاب الشك عن السامع، من ذلك (الفرس، والعجوز) اللتين سمعتا عن العرب بـ ـ (فرسـة، وعجوزة). يقول معقباً على هاتين الكلمتين : "وذلك منهم إرادة تأكيد المؤنث، وإذهاب الشك عن سامعه. ومثله اجتمع عليه مما كان ينبغي للهاء أن لا يدخل فيه : (ناقة) و (نعجـة)؛ لأن لفـظ الناقة مخالف للجمل، ولفظ النعجة مخالف للكبش، فكان ينبغي أن يكتفى بالخلاف من الهاء، كما اكتفوا في (عناق) بطرح الهاء؛ لأن ذكرها (جدي) وكذلك (الحمار) و (الأتان) اكتفـى بخـلاف اللفظ من الهاء، وكان ينبغي ألا تدخل الهاء في مخالف، فإذا رأيت ذلك، فهو من التأكيـد الـذي وصفت لك "[3].

والواضح في كتابه أنه يدخل في المـذكر أو المؤنـث ألفاظـاً يخـالف فيهـا النحـاة والصرفيين، ويعود سبب ذلك بصورة كبيرة إلى أنه قد فتح باب السماع، فأخـذ عـن القبائـل

---

(1) الفراء: المذكر والمؤنث 67.

(2) المصدر السابق 97.

(3) المصدر السابق 88.

العربية دون استثناء، وقد كان لذلك أثر كبير في أن يخرج بنتائج مختلفة تتعلق بدراسـة هـذه الظاهرة.

ويكثر في كتاب (المذكر والمؤنث) من ذكر القواعد التي تنتظم فـي إطارهـا قضـايا التذكير والتأنيث، ويؤيد ذلك في كثير من الأحيان بالسماع عن العرب، أو بالقياس فـي أحيـان قليلة من الكتاب، من ذلك ما قاله في (اليمـين، والشـمال). "و(اليمـين) و (الشـمال) أنثيـان، ويجمعان: أيمان وشمائل، وأيمن وأشمل، وهو مما يدل على تأنيث المؤنث الذي على فَعول، أو فَعيل، أو فعال ... وما جاء مثل (عناق) و (عقاب) مؤنثا، فأجمعه على أفعل" [1].

وبما أن الهاء هي إحدى علامات التأنيث فإن الفراء كثيراً ما يعقد مقارنات في كتابه بين المذكر والمؤنث، إذ لا فارق بينهما إلا دخول التاء أو إسقاطها، وأمثلـة ذلـك فـي (المـذكر والمؤنث) كثيرة؛ فلا تكاد صفحة تخلو من عقد تلك المقارنات. ومما يذكر فيه رأيه (الظـروف، والصفات، والمواضع)، إذ يذهب إلى أنها مذكرة، على نحو قوله :"والمواضع كلها التي يسـميها النحويون. (الظروف، والصفات، والمحال*)، فهي ذكران إلا ما رأيت فيه شـيئاً يـدل علـى التأنيث، إلا أنهم يؤنثون: (أمام) و (قُدام) و (وراء)؛ فيقولون: (فلان وريئة الحائط)، علـى وزن : (وريعة)، فيدخلون في تحقيرها الهاء، فذلك دليل على تأنيثهـا، وكـذلك: (قـدام) (قُديديمـة، وقُديديم) ... و (أمام) تحقيرها : (أُميم وأُميمة). و (فُوقُ السهم وفوقةُ السهم)، وتجمع: (الفُـوق) إذا قيل : (فُوقة). قال: وجمع (الفُوق) : (أفواق) ... وإن ذكرت قلت : (أفْواق) و (فُوقَة) "[2].

ومما ينسب للكوفيين في هذه القضية أنهم كانوا يرون أن علامة التأنيـث فـي نحـو: (طالق) و (طامث) و (حائض)، و (حامل) إنما حذفت منها لاختصـاص المؤنـث بهـا. أمـا

---

[1] الفراء : المذكر والمؤنث 98، 99.

* المحال : هي إصطلاح كوفي تقابلها عند البصريين الظروف.

[2] المصدر السابق 110، 111.

البصريون فكانوا يرون أن علامة التأنيث إنما حذفت لأنهم قصدوا به النسب ولم يجروه علـى الفعل، وقسم منهم يرى أن سبب حذفها هو أنهم حملوا التأنيث على المعنى، كأنهم قالوا : (شيء حائض) [1].

وكان الفراء يقول بتأنيث (الموسى) واستدل على ذلك بقول الشاعر :

(الطويل)

فَإن تَكُنِ المُوسى جرتْ فَوقَ بظْرِها فما خُتِنَتْ إلاّ ومصان قاعد [2]

أما السماء فيذكر أنها تذكر وتؤنث. يقول البغدادي: "حكي عن الفراء أن السماء تـذكر وتؤنث، فإن كان ذلك صحيحاً فقوله تعالى: (مُنْفَطِر بِهِ) [3] اسم فاعل جار علـى موصـوفه ولا تأويل فيه، وأكثر العلماء على أن السماء مؤنث ولهذا احتاجوا إلى التأويل في هذه الجملة، فمنهم من أول في السماء فذكر أنها بمعنى السقف أو الشيء المرتفع، فلهذا جاء الخبر عنهـا مـذكرا، ومنهم من أول منفطر فذكر أنه نسب وليس اسم فاعل "[4].

وكثيراً ما يناقش الفراء هذه القضية على هامش المقصور والممدود، إذ يشـير إلـى أن هذه الكلمة مذكرة أو مؤنثة، وإلى احتمال تغيرها من التذكير إلى التأنيث أو العكس، مثال ذلـك: (الضحى) فإنها مؤنث مقصور، وإذا مدت انتفى تأنيثها. يقول: "وأما الضحى فإنما ُأنث فقصـر. فإذا قلت ارتفع الضحاء مددت ولم تؤنث، وهو عندهم بمنزلة الغداء إذا أكلت ضحوةً، ويقال للغنم أو الإبل قد طال ضحاؤها مثل قولك قد طال غَداؤك "[5]، وكذلك الحال في قوله:" وما كان جمعاً

---

[1] ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 111.

[2] البغدادي : شرح شواهد الشافية 293/4.

[3] آية 18 سورة المزمل .

[4] الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب 86/2، 87.

[5] الفراء : المنقوص والممدود 27.

واحدته تؤنث مثل شَجرة وقَصبة وطَرفَة وحلَفَة، ويقال حلفة * يجمع بزيادة الألف في آخره فهو ممدود يكتب بالألف مثل شَجرة وشجراء، وقَصبة وقَصباء و طَرفَة وطَرفَاء * وحلَفـة وحلْفَـاء إلى غير ذلك من المواطن التي يجيء فيها حديثه عن المذكر والمؤنث في كتابيه (المقصـور والممدود، والمنقوص والممدود) كوسائل تعين في فهم القضية التي بنى عليها الكتابان.[1]

أما في معاني القرآن فإن مناقشته لهذه القضية فقد جاءت في إطـار التفسـير اللغـوي والدراسة الأسلوبية للقرآن الكريم، فقد عمد إلى تطبيق القواعـد النظريـة الخاصـة بالمـذكر والمؤنث على النص القرآن فتحدث على سبيل المثال عن التأنيث بغير هاء في أثنـاء تفسـيره لقوله تعالى: (وإِذْ يرفَع إِبراهيم الْقَواعد من الْبيت وإِسماعيلُ) [2]. يقول: "يقال هي إساس* البيت. واحدتها قاعدة، ومن النساء اللواتي قد قعدن عن المحيض قاعد بغير هاء. ويقال لامرأة الرجـل قعيدته "[3].

وأمثلة ذلك كثيرة، تكاد تتكرر في كل صفحة من صفحات الكتاب، نكتفي بذكر بعـض الأمثلة للتدليل على ما نذهب إليه، وأهمها :-

1- اللسان من قوله تعالى: (يوم تَشْهد) [4]، إذ يذهب إلى جواز تذكير اللسان، لأن يحيى بن وثاب وأصحاب عبد ا قرأوا (يشهد) دلالة على أن التـاء لتأنيـث اللسـان، واليـاء لتذكيره[5].

---

*هو نبات واحده حلفَة وحلْفة وحلفاء وحلفاة .

*شجرة ليست لها خشب ولكنها تخرج عصيا .

[1] الفراء : المقصور والممدود 13.

[2] آية 127 سورة البقرة .

* إساس : جمع أُس بضم الهمزة .

[3] الفراء : معاني القرآن 78/1.

[4] آية 24 سورة النور .

[5] الفراء : معاني القرآن 248/2.

2- النفس من قوله تعالى: (الذي خَلَقَكُم من نَفْسٍ واحدة) [1]، فقد ذهب الفراء إلى جواز تذكيرها ذهاباً بها إلى تذكير الرجل. يقول: "قال واحدة لأن النفس مؤنثة، فقال: واحدة لتأنيث النفس، وهو يعني آدم. ولو كانت (من نفس واحد) لكان صواباً، يذهب إلى تذكير الرجل "[2].

3- الفلك من قوله تعالى: (الفُلْك المشْحون)[3]، فيذهب إلى أنه يجوز تذكيرها وتأنيثها ذهاباً بها إلى الجمع. يقول : "والفُلْك يذكر ويؤنث يذهب بها إلى الجمع؛ قال اللّه (حتى إذَا كُنْتُم في الفُلْك وجرين بِهِم) [4] فجعلها جمعا. وهو بمنزلة الطفل يكون واحداً وجمعاً، والضيف والبشر مثله "[5].

4- الصواع من قوله تعالى: (قَالُوا نَفْقد صواع الْملك) [6]، حيث ذهب إلى جواز تذكيرها وتأنيثها، حملا على أن ذلك يجوز في لغة العرب. يقول :"الصواع ذكر. وهو الإناء الذي كان الملك يشرب فيه. والصاع يؤنث ويذكّر. فمن أنثه قال: ثلاث أصوع مثل ثلاث أَدؤُر. ومن ذكّره قال ثلاثة أصواع مثل أبواب "[7].

5- السبيل من قوله تعالى: (ومن الناسِ من يشْتري لَهو الْحديث لِيضل بِه عن سبِيل اللّه)[8]. فقد ذهب إلى أنه يجوز تذكيرها وتأنيثها اعتمادا على جواز أن تقرأ بأكثر من وجه. يقول :"و (يتخذَها) يذهب إلى آيات القرآن. وإن شئت جعلتها للسبيل؛ لأن السبيل

(1) آية 1 سورة النساء .

(2) الفراء : معاني القرآن 252/1.

(3) آية 140 سورة الصافات .

(4) آية 22 سورة يونس .

(5) الفراء : معاني القرآن 293/2.

(6) آية 72 سورة يوسف.

(7) الفراء : معاني القرآن 51/2.

(8) آية 6 سورة لقمان .

قد تؤنث قال (قُلْ هذه سبيلي أَدعوا إِلى اللّه) [1] وفي قراءة أُبي (وإِن يروا سبيلَ الرشْد يتخذُوها سبيلاً وإن يروا سبيلَ الغَي يتخذُوها سبيلاً) [2] "[3].

6- العنكبوت من قوله تعالى: (كمثَل العنْكبوت اتخَذَتْ بيتاً) [4]. فقد ذهب إلى أنها مذكرة إلا إلا أن العرب تؤنثها، يقول: "ضربه مثلاً لمن اتّخذ من دون ا وليا أنه لا ينفعه ولا يضره، كما أن بيت العنكبوت لا يقيها حراً ولا برداً. والعنكبوت أنثى. وقد يذكرها بعض العرب. قال الشاعر:

(الوافر)

على هطّالهم[5] منْهم بيوتٌ كأن العنْكبوتَ هو ابتَنَاها "[6].

إلى غير ذلك من المفردات التي يجيز فيها الفراء التذكير والتأنيث اعتماداً على القرآن الكريم، وقراءاته، وكلام العرب، وأشعارها.

الإفراد والتثنية والجمع

يقسم الاسم من حيث عدده إلى ثلاثة أقسام هي : المفرد، والمثنى، والجمع. "والمفرد : هو ما دل على واحد لا ثاني معه فيه نحو : كتاب، وقلم، وفتاة. والمثنى : ما دل على اثنين مطلقا، بزيادة ألف ونون في حالة الرفع، أو ياء ونون في حالة النصب و الجر ... أما الجمع في العرف اللغوي فهو ما زاد على اثنين "[7].

---

(1) آية 108 سورة يوسف.
(2) آية 146 سورة الأعراف .
(3) الفراء : معاني القرآن 327/2.
(4) آية 41 سورة العنكبوت.
(5) هطالهم : اسم جبل .
(6) الفراء : معاني القرآن 317/2.
(7) أحمد حسن حامد، ويحيى عبد الرؤوف جبر : الواضح في علم الصرف 102.

وكما أسلفنا في فصل المصطلح الصرفي فإن مصطلح الجمع عنده يتسع ليضم كل ما له واحد من تركيبه سواء أكان اسم جمع كـ (باقر، وركب)، أو اسم جنس كـ (تمر، وروم)، فهو جمع، أما إذا لم يكن له مفرد من لفظه فهو ليس جمعاً نحو إبل الذي لا مفرد له من لفظه كان يعده مفرداً وليس جمعا [1].

وأول ما يلقانا من جهوده الخاصة بالجمع يتمثل في أن الكوفيين يجيزون أن يجمع الاسم الذي آخره تاء التأنيث إذا سميت به رجلاً بالواو والنون نحو (طَلْحة): (طَلْحون)، على خلاف البصريين الذين يرفضون ذلك ولا يجيزونه. وحجة الكوفيين في ذلك أنه في التقدير جمع (طَلْح)؛ لأن الجمع قد تستعمله العرب على تقدير حذف حرف من الكلمة[2].

وقد أشار ابن عقيل إلى هذه القضية، بقوله : "وإن كان فيه تاء التأنيث فكذلك لا يجمع بهما؛ فلا يقال في (طَلْحة) طَلْحون، وأجاز ذلك الكوفيون "[3].

وكان الفراء يذهب مذهب البصريين في أن ما كان من الوصف نحو (أفعل فعلاء) لا يجمع جمع مذكر سالما، وهو بذلك يخالف ما ذهب إليه بقية الكوفيين، فيكون بناء على ذلك الأشعرون الذي هو جمع لـ (الأشعري) لا (الأشعر). يقول الأستراباذي: "الأشعرون: جمع مذكر سالم مفرده أشعري، ونقول : إنما وجب أن يكون الأشعرون جمع الأشعري لا الأشعر – بغير ياء – لأن الأشعرون وصف بمعنى كثير الشعر ومؤنثه شعراء، وقد علمنا فيما مضى قريباً أن أفعل فعلاء لا يجمع جمع المذكر السالم على ما هو مذهب البصريين والفراء من الكوفيين. فإن جاز جمع هذا الوصف كما هو مذهب بقية الكوفيين صح أن يكون الأشعرون جمع الأشعر، ومثل

---

(1) ينظر شرف الدين الراجحي: في المصطلح الصرفي عند الفراء في كتابه (معاني القرآن) 153.

(2) ينظر ابن الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 4.

(3) ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك 60/1.

ذلك الأعجمون في قوله تعالى : (ولو نَزلْنَاه على بعضِ الأعجمين فَقَرأه عليهم مـا كـانُوا بِـه يؤْمنُون) [1] "[2].

ويفسر الفراء جمع كلمة (عليون) التي هي ملحقة بجمع المذكر السـالم، علـى أن معناهـا ارتفاع بعد ارتفاع؛ فكأنها من جمع لا غاية له. يقول في أثناء تفسيره لقوله تعالى: (كلاّ إِن كتَاب الأبرارِ لَفي عليين) [3]. يقول: "يقول القائل كيف جمعت (عليون) بالنون، وهذا من جمع الرجال؛ فإن العرب إذا جمعت جمعاً لا يذهبون فيه إلى أن له بناء من واحد واثنين، فقالوه في المؤنـث، والمذكر بالنون، فمن ذلك هذا، وهو شيء فوق شيء غير معروف واحده ولا أنثاه.

وسمعت بعض العرب يقول : أطْعمنا مرقة مرقّين يريد : الألحـم إذا طبخـت بمـرق .... ونرى أن قول العرب : عشرون، وثلاثون؛ إذ جعل للنساء وللرجال من العدد الذي يشـبه هـذا النوع، وكذلك عليون : ارتفاع بعد ارتفاع؛ وكأنه لا غاية له "[4].

كما أنه يفسر جمع (عضين) جمع مذكر سالم، فيحملها على أكثر من لغة، مـن ذلـك أنهـا وردت بالياء في كل حالاتها، وأُعربت بالحركات، كما أن جمعهم لها بالنون حملوه على التـوهم بأن الواو أصلية وأنها على فُعول؛ ذلك أنهم لا يقولون ذلك في الصالحين والمسلمين وما أشبهه. يقول في تفسيره لقوله تعالى: (الذين جعلُوا الْقُرآن عضين)" [5]. ومن العرب من يجعلها باليـاء على كل حال ويعرب نونها فيقول: عضينُك، ومررت بعضينك وسنينك وهي كثيرة فـي أسـد وتميم. وعامر ...."[6].

---

[1] آية 198، 199 سورة الشعراء.

[2] الأستراباذي : شرح شافية ابن الحاجب 191/2، 192.

[3] آية 18 سورة المطففين.

[4] الفراء : معاني القرآن 247/3.

[5] آية 91 سورة الحجر.

[6] الفراء : معاني القرآن 92/2، 93.

وكثيراً ما يتعرض الفراء في (معاني القرآن) للحديث عن جمع المؤنث السالم في أثناء تفسيره للآيات القرآنية من ذلك ما جاء في جمع الأسماء المؤنثة المنقوصة، وأنها لا تقاس عليها حركة التاء في النصب والخفض وإنما المعول على ما كان تاما. يقول :"وكذلك قولهم الثبات واللغات، وربما عربوا التاء منها بالنصب والخفض وهي تاء جماع ينبغي أن تكون خفضاً في النصب والخفض، فيتوهمون أنها هاء، وأن الألف قبلها من الفعل. وأنشدني بعضهم[1]:

(الطويل)

إِذَا ما جلاَها بالأيامِ تحيرت ثُباتاً عليها ذُلها واكتئابها

وقال أبو الجراح في كلامه: ما من قوم إلا وقد سمعنا لغاتَهم- قال: قال الفراء: رجع أبو الجراح في كلامه عن قول لغاتَهم – ولا يجوز ذلك في الصالحات والأخوات لأنها تامة لم ينقص من واحدها شيء، وما كان من حرف نُقص من أوله مثل زِنة ولادة ودية فإنه لا يقاس على هذا لأن نقصه من أوله لا من لامه فما كان مؤنثاً أو مذكرا فأجره على التام مثل الصالحين والصالحات تقول رأيت لداتك وديك ولا تقل ِلدينَك ولا لداتَك إلا أن يغلط الشاعر فإنه ربما شبه الشيء بالشيء إذا خرج عن لفظه، كما لم يجز بعضهم أبو سمان والنون من أصله من السمن لشبهه بلفظ ريان وشبهه "[2].

ويجيز الفراء أن تجمع (فاعلة) على (فواعل وفاعلات)، على نحو تفسيره لقوله تعالى: (فَالصالِحاتُ) [3]. يقول : "وفي قراءة عبد ا (فالصوالح قوانت) تصلح فواعل وفاعلات في

---

[1] البيت لأبي ذؤيب الهذلي : وروايته في ديوان الهذليين :

فلما أُجتَلاها بالإيام تَحيزتْ ثُبات علَيها ذُلها واكتئابها

والمعنى : أنه لما أخرج النحل من بيوتها بالدخان الذي دخن به لئلا تلسعه، تضامنت جماعات يبدو عليها الذل والاكتئاب. ينظر ديوان الهذليين 79/1.

[2] الفراء : معاني القرآن 93/2.

[3] آية 34 سورة النساء .

جمع فاعل" [1]، كما أن الفراء يرى أن تجمع (فعلة) على (فعل) لا أن تجمع جمع مذكر، كما هو الحال في نعمة من قوله تعالى: (بِنعمة الله) [2]. يقول: "وقد قرئت (بِنعمات الله) وقلما تفعل العرب ذلك بفعلة : أن تُجمع على التاء إنما يجمعونها على فعلٍ؛ مثل سدرة وسدر، وفرقة وفرق. وإنما كرهوا جمعه بالتاء لأنهم يلزمون أنفسهم كسر ثانيه إذا جمع؛ كما جمعوا ظُلْمة ظُلُمات فرفعوا ثانيها إتباعاً لرفعة أولها، وكما قالوا : حسراتٌ فأتبعوا ثانيها أولها. فلما لزمهم أن يقولوا : بِنعمات استثقلوا أن تتوالى كسرتان في كلامهم؛ لأنا لم نجد ذلك إلا في الإبل وحدها. وقد احتمله بعض العرب فقال: نعماتٌ وسدراتٌ "[3].

أما جمع التكسير الذي هو :" كل جمع تغير فيه نظم الواحد، وبناؤه يكون لمن يعقل ولما لا يعقل. وإعرابه جار على آخره كما يجري على الواحد الصحيح "[4]. فقد ذكر ابن جني بعض الصيغ التي رواها الفراء عن العرب في قوله :"ومن فك الصيغة –إلا أن ذلك إلى الزيادة لا إلى النقص – ما حكاه الفراء من جمع أَتُون: أتاتين. فهذا كأنه زاد على عينه أخرى، فصار من فعول مخفف العين إلى فعول مشددها، فتصوره حينئذ على أَتون، فقال فيه: أتاتين كسفود وسفافيد، وكلاوب وكلاليب"[5].

كما أنه يروي بعض الأمثلة الشاذة من جمع التكسير، ويستشهد على ذلك بالشعر. يقول ابن جني : "ألا ترى أن ما كان من تكسير فعيل وفَعول وفَعال مما لامه معتلة لا يأتي على فُعل. فلذلك لم يقولوا في كساء: كُسو ولا في رداء : ردى ولا في صبي : صبو ولا نحو ذلك؛ لأن

---

[1] الفراء : معاني القرآن 265/1.
[2] آية 31 سورة لقمان.
[3] الفراء : معاني القرآن 329/2، 330.
[4] ابن جني: اللمع في العربية 107.
[5] ابن جني : الخصائص 119/3.

أصله فُعل. وهي اللغة الحجازية القوية. وقد جاء شيء من ذلك شاذاً. وهو ما حكاه من قولهم : ثنّى ثُنٍ . وأنشد الفراء :

(الرجز)

قُلْو تَرى فَيهن سر العتْق بين كماتي و حو بلق [1]

فهذا جمع خاف وكلا ذينك شاذ "[2].

ويناقش الفراء هذا الجمع على هامش حديثه عن المقصور والممدود، فيذهب إلى أن ما كان من (فعيل، وفَعال، وفَعول) جمعاً فإنه يأتي محدوداً. يقول : "وما جمع من فعيـل أو فعـال أو فَعول على فعال مد أيضاً، مثل قولك قصير وقصار، وكريم، وكرام، مثال هذين من الياء والواو ممدود يكتب بالألف وأكثر ما يجمع من الياء والواو من جمع فعيل على أفعلاء، يمـد ويكتـب بالألف، من ذلك ولي وأولياء، ودعي وأَدعياء، وغَني وأغنياء. وإن جمع على فعلاء مد أيضـاً وكتب بالألف "[3].

وكان الفراء يرى أن جمع (شياطين) جمع مذكر سالم هو من غلط الشيخ، يقول فـي أثنـاء تفسيره لقوله تعالى: (وما تَنَزلَتْ به الشياطين) [4]. يقول: "ترفع بالنون. قال الفراء: وجاء عـن الحسن (الشياطون) وكأنه من غلط الشيخ ظن أنه بمنزلة المسلمين والمسلمون "[5].

ويرى الفراء أن تجمع معيشة على معايش بالياء؛ لأن حرف اللين فيها عين للكلمة، ولـيس حرفا زائداً مثل ياء صحيفة التي تجمع على صحائف، ومدينة التي جمعها مدائن، وقبيلـة التـي

---

[1] الفلو: المهر الصغير، والكماتي: جمع أكمت في معنى الكميت، وهو الأحمر. والعتق : كرم الأصل، والحو : السود.

[2] ابن جني : الخصائص 335/2.

[3] الفراء : المنقوص والممدود 13.

[4] آية 210 سورة الشعراء .

[5] الفراء : معاني القرآن 284/2، 285.

جمعها قبائل. يقول في تفسيره للآية الكريمة : (وجعلْنَا لَكُم فيها معايشَ) [1] "لا تهمز؛ لأنهـا – يعني الواحدة – مفعلة، الياء من الفعل، فلذلك لم تهمز، إنما يهمز من هذا ما كانت اليـاء فيـه زائدة؛ مثل مدينة ومدائن، وقبيلة وقبائل لما كانت الياء لا يعرف لها أَصل ثم قارفتهـا* ألـف مجهولة أيضاً همزت، ومثل معايش من الواو مما لا يهمز لو جمعت، معونة قلت : (معـاون أو منارة قلت مناور، وذلك أن الواو ترجع إلى أصلها؛ لسكون الألف قبلها. وربما همزت العـرب هذا وشبهه، يتوهمون أنها فعيلة لشبهها بوزنها في اللفظ وعدة الحروف؛ كما جمعوا مسيل الماء أمسلة، شُبه بفعيل وهو مفعل. وقد جمعت العرب المصائب وواحدتها مصيبة؛ شـبهت بفعيلـة لكثرتها في الكلام " [2].

ويذهب الفراء إلى أن (معون) جمع لمعونة، و (مكْرم) جمع لمكرمة، إلا أن الكسائي كـان يرى أن هاتين الكلمتين اللتين هما : (مفعل) نادرتان لا يقاس عليهما، وقد كان الفـراء ينتصـر لرأيه، ويراه أفضل من الرأي الثاني؛ لأنه أجمل للعربية. يقول :"فأما قول الشاعر :

(الرجز)

لِيومِ روعٍ أَو فَعالِ مكْرمِ [3]

فإنه جمع مكرمة مكرم. ومثله قول الآخر :

(الطويل)

بثين الْزمي لا إنّه إن لزمته على كثرة الواشين أي معونِ [4]

---

[1] آية 10 سورة الأعراف.

* قارفتها: خالطتها، والمقارفة المخالطة، وهو داء يقتل البعير.

[2] الفراء : معاني القرآن 373/1، 374.

[3] وردت نسبته في البحث صفحة 143.

[4] وردت نسبته في البحث صفحة 143.

أراد جمع معونة. وكان الكسائي يقول: هما مفعل نادران لا يقاس عليهما وقد ذهب مـذهباً. إلا أني أجد الوجه الأول أجمل للعربية مما قال "[1].

وكلمة (باطل) التي هي على وزن فاعل القياس في جمعها (بواطل) على (فواعل)، إلا أنـه قد جاء على (فواعيل) بإشباع الكسر كـ (طوابيق، و دوانيق*، وخواتيم)، وقد كان الفراء يرى أن جمع (فاعل: فواعيل) ليس مفردا، وإنما جاز ذلك؛ لأنه جاء فـي كـلام المولـدين. يقـول الأسترباذي : "قياس فاعل – بفتح العين وكسرها – في الاسم ؛ فواعل، قياساً لا ينكسـر، وقـد جاء فَواعيل بإشباع الكسر كطوابيق، ودوانيق، وخواتيم، وليس بمطرد، وقيـل: خـواتيم جمـع خاتام، قال: (مشطور الرجز)

أَخَذْتُ خَاتَامي بِغيرِ حق

فخواتم على هذا قياس، قال الفراء: قد جاء في كلام المولدين بواطيل في جمع باطل"[2].

وللفراء أثر واضح في جموع القلة فله يرجع الفضل في إضافة الجمع الخامس إلى الجمـوع الأربعة المعروفة وهي: (أَفْعُلٌ، وَأَفْعال، وَأَفْعِلَة، وفعلَة) وهو (فَعلة) بفتح العين والفاء، كأَكلـة، وحملة، وحفَظة. وقد ضعف الأسترباذي هذا الوزن؛ ذلك أن قرينة القلة توجد مع هـذا الـوزن نحو : (هم أكلة رأس)، فالقلة موجودة من إطلاق رأس لا من (فَعلة) [3].

وقد ذكر الفراء أن وزن (أفعل) من جموع القلة يجمع منه كل ما كان علـى وزن (فَعـل) بالفتح والسكون والمؤنث الرباعي الذي ثالثه مد وفَعل : بالكسر والفتح والكسر والسكون والضم: كل هذه الأوزان قالوا لا يطرد فيها هذا الوزن من جموع القلة في الأصح بل ما ورد منه يسمع

---

(1) الفراء : معاني القرآن 151/2، 152.

* الدنيق: الذي يأكل وحده بالليل والنهار حتى لا يراه الضيف .

(2) الأسترباذي : شرح شافية ابن الحاجب 151/2، 152.

(3) المصدر السابق 467/3.

ولا يقاس عليه وقال الفراء: يطرد فيه وفيما بعده كذلك كقدر أقْدر وقدَم وأقدم وغُـول وأغـول وعجز وأعجز وعنُق وأعنُق [1].

كما أدرج الفراء بعض الأوزان الخاصة بجمع الكثرة في إطار جموع القلة، وهذا الرأي قـد تفرد به دون غيره عمن سبقوه أو عاصروه من العلماء، فجعل أوزان (فُعل) بضم الفـاء وفـتح العين. مثل : (ظُلَم) و (فعل) بكسر الفاء وفتح العين مثل: نقَم و (فعلَة) بكسر الفاء وفتح العـين مثل : (قردة) جعلها من جموع القلة لا من جموع الكثرة، وهذا الرأي قد تفرد بـه دون غيـره؛ لأن إجماع العلماء على أنها جموع كثرة [2].

وقد جعل الفراء الأوزان (فُعلى) بضم الواو وسكون العين، نحو:(رجعى)، و(فُعلة) بضـم الفاء وسكون العين، نحو (جوزة) قال في جمعها رجع وجوز، كما قالوا في رؤية رؤى جعلهـا أوزاناً قياسية، في حين جعلها غيره مما يحفظ ولا يقاس عليه[3].

وفي مواطن كثيرة يفرق الفراء بين جمع القلة والكثرة، مثال ذلك ما جاء في أثناء حديثه عن جواز تذكير الضلع وتأنيثه. يقول: "و(الضلع) أنثى؛ يقولون: ثلاث أضلاع وأضلُع، و إذا كثرت فهي الضلوع، والأضالع؛ جاء في الحديث (خُلقَتْ المرأَةُ من ضلَعٍ عوجاء) [4] ويقـال إذا كـان القوم يميلون على الرجل: إنكم علَى ضلَع جائرة "[5]، كما يفرق بينهما في أثناء تفسـيره لقولـه تعالى:(من وراء الحجرات) [6]. يقول:"وجه الكلام أن تضم الحاء والجيم، وبعض العرب يقـول:

---

[1] السيوطي : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع 174/2.

[2] الصبان: حاشية الصبان على شرح الأشموني 121/4.

[3] المصدر السابق 129/4، 130.

[4] البخاري: صحيح البخاري كتاب النكاح 145/6، 146.

[5] الفراء : المذكر والمؤنث 78، 79.

[6] آية 4 سورة الحجرات.

الحجرات والركبات وكل جمع كأن يقال في ثلاثة إلى عشرة : غرف وحجر، فإذا جمعته بالتـاء نصبت ثانية، فالرفع أجود "[1].

ويبدو حديثه عن جمع الجمع في (معاني القرآن) واضحاً حين تعرض لتفسير قوله تعـالى: (قُلْ هلْ أُنَبِّئُكُم بشَر من ذَلِك مثُوبةً) [2]. يقول: "وكان أصحاب عبد ا يقرأون (وعبد الطاغُوت) على فَعل، ويضيفونها إلى الطاغوت، ويفسرونها: خدمة الطاغوت. فأراد قـوم هـذا المعنـى، فرفعوا العين فقالوا: عبد الطاغوت؛ مثل ثمار وثُمر يكون جمع جمع "[3].

وأول القضايا التي يناقشها في التثنية يتمثل في ذهاب الكوفيين إلى أن (كلا وكلتا) مثنيتـان لفظاً ومعنى، وأصل (كلا): (كُل) فخففت اللام، وزيدت الألف للتثنية، وزيدت التاء فـي (كلتـا) للتأنيث، والألف فيهما كالألف في (الزيدان) و (العُمران) ولزم حذف نون التثنية منهما للزومهما الإضافة. أما البصريون فقد ذهبوا إلى أن فيهما إفراداً لفظياً وتثنية معنوية، والألف فيهما كالألف في (عصاً) و (رحاً) [4].

كما يجيز الكوفيون تثنية الاسم الممدود بتغيير همزته بقلبها واوا، وهو ما همزته بدل مـن ألف التأنيث كـ (حمراء: حمراوان)، وكذلك الحال إذا كانت ألفه واوا وجب تصحيح الهمـزة؛ لئلا يجتمع واوان وليس بينهما إلا ألف، وشذ مـن ذلـك (حمرايـان) بقلـب الهمـزة يـاء، و (قُرفُصان)، و (خُنْفُسان) و (عاشوران)، بحذف الألف والهمزة معا [5]. يقول الحملاوي : "قـال السيرافي: إذا كان قبل ألف التأنيث واو، وجب تصحيح الهمزة، لئلا يجتمع واوان ليس بينهما إلا

(1) الفراء : معاني القرآن 70/3.
(2) آية 60 سورة المائدة.
(3) الفراء : معاني القرآن 314/1.
(4) ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 62.
(5) ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 137/2.

الألف، كعشواء، فتقول عشواءان، والكوفيون يجيزون الوجهين فيهما، وشذ حمرايـان باليـاء، وخُنْفُساء وعاشوراء وقُرفصاء "[1].

وقد أجاز الفراء تثنية ما ليس له واحد من لفظه على نحو ما جاء في تفسيره لقوله تعـالى: (ولِمن خَافَ مقَام ربه جنّتَانِ) [2].إذ يذهب إلى أن (جنتان) مثنى جنة؛ ذلك أن العرب تثنيها فـي كلامها وأشعارها. يقول : ذكر المفسرون: أنهما بستانان من بساتين الجنـة، وقـد يكـون فـي العربية: جنة تثنيها العرب في أشعارها ... وأنشدني آخر :

(الرجز)

يسعى بِكَيداء ولَهذَمين قد جعلَ الأرطَاةَ جنتَينِ [3]

وذلك أن الشعر له قواف يقيمها الزيادة والنقصان، فيحتمل مالا يحتمله الكلام [4].

وكثيراً ما يناقش قضايا الإفراد والتثنية والجمع على هامش حديثه عن المذكر والمؤنـث، أو المقصور والممدود. فأثناء حديثه عما يعرف من المنقوص والممدود بحد وعلامة. يقول: "ومـا كان جمعاً واحده مؤنثة مثل شجرة وقَصبة وحلقَة وطَرفة جمع بزيادة ألف في آخره فهو ممدود يكتب بالألف، مثل شَجرة وشَجراء، وقَصبة وقصباء" [5]، وفي أثنـاء حديثـه عـن المقصـور والممدود مما تتفق كتابته فيشكل يقول : "الرجا على وجهين، الواحد مـن قـول ا عزوجـل: (والْملَك علَى أَرجائِها) [6] والملك على أرجائها. مقصور يكتب بالألف الواحـد رجـاً. ويثنـى

---

[1] أحمد الحملاوي : شذا العرف في فن الصرف 97، 98.

[2] آية 46 سورة الرحمن.

[3] الكيداء : القوس، ولهذم ولهذَم لغتان، وهو السهم.

[4] الفراء : معاني القرآن 118/3.

[5] الفراء : المنقوص والممدود 15.

[6] آية 17 سورة الحاقة .

رجوان" [1]. وفي أثناء حديثه عن (الفتى) يقول :"والفتى من الفتيان مقصور يكتب بالياء ويثنّـى فيكتب بالياء قال ا عزوجل : (ودخَلَ معه السجن فَتَيان) [2]؛ والفتاء المصدر من الشباب تقول إنه لفَتى بين الفَتاء للرجل والدابة "[3]. إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي لا تكاد تخلو منهـا صفحة من كتبه (المنقوص والممدود، والمقصور والممدود، والمذكر والمؤنث والأيام والليـالي والشهور). وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من قبل أنه بالرغم من أن عناوينها خلصت لموضوع واحـد إلا أنها إلى الدراسة اللغوية أقرب من التخصص الصرفي .

وفي (معاني القرآن) أيضاً نجده يعرض لأمور عامة تخص هذه القضية؛ ذلك أن الفراء قـد استخدمها –في الغالب– كوسيلة من الوسائل اللغوية التي تساعد في فهم النص القرآني ودراسته، من ذلك ما جاء في تجويزه لقراءة الجمع والإفراد في أثناء تفسيره لقوله تعـالى : (إن هـؤُلاء لَشرذمةٌ قَليلُون) [4]. يقول :"عصبة قليلة وقليلون وكثيرون وأكثر كلام العرب أن يقولوا : قومك قليل وقومنا كثير. وقليلون وكثيرون جائز عربي وإنما جاز لأن القلة تدخلهم جميعـاً. فقيـلَ : قليلٌ، وأوثر قليل على قليلين. وجاز الجمع إذ كانت القلة تلزم جميعهم فـي المعنـى فظهـرت أسماؤهم على ذلك. ومثله أنتم حي واحد وحي واحدون"[5].

وكان الفراء ينص على أن جمع الاسمين يجب أن يكون على تسمية الأشهر، ويبدو ذلك في أثناء تفسيره لقوله تعالى: (يا لَيتَ بيني وبينَك بعد الْمشْرِقَين) [6]. يقول: (يريد: ما بـين مشـرق

---

[1] الفراء : المنقوص والممدود 16.

[2] آية 36 سورة يوسف.

[3] الفراء : المنقوص والممدود 17.

[4] آية 54 سورة الشعراء .

[5] الفراء : معاني القرآن 280/2.

[6] آية 38 سورة الزخرف .

الشتاء ومشرق الصيف، ويقال: إنه أراد المشرق والمغرب: فقال المشرقين، وهو أشبه الوجهين بالصواب؛ لأن العرب قد تجمع الاسمين على تسمية أشهرهما، فيقال: قد جـاءك الزهـدمان*، وإنما أحدهما زهدم "[1].

وكثيراً ما يحمل التفسير قواعد تخص هذه الظاهرة في العربية، كما هو واضح فيما يـذهب إليه من أن (فَاعل وفَعيل وفَعل) يجوز أن تجمع على (الفَعلى)، مثال ذلك كلمة سكرى من قولـه تعالى:(وتَرى الناس سكرى وماهم بِسكْرى) [2]. والقراء على: (سكارى و ماهم بِسكارى) وقـرأ ابن مسعود: (وتَرى الناس سكْرى وماهم بِسكْرى). يقول الفراء: "وهو وجه جيد في العربية: أنه بمنزلة الهلْكى والجرحى، وليس بمذهب النَشْوان والنَشاوى. والعرب تذهب بِفَاعل وفَعيل وفَعـل إذا كان صاحبه كالمريض أو الصريع أو الجريح فيجمعونه على الفَعلى فجعلوا علامة لجمع كل ذي زمانة وضررٍ وهلاك. ولا يبالون أكان واحده فاعلا أم فعيلاً أم فعلان فاختير سكرى بطرح الألف من هول ذلك اليوم وفزعه. ولو قيل (سكْرى) على أن الجمع يقع عليه التأنيـث فيكـون كالواحدة كان وجها "[3].

وفي مواطن كثيرة كان ينص على أن هذه الكلمة مفردة وتلك جمع أو العكس، أو أنه يجوز الوجهان حملاً على لغات العرب، من ذلك (لُبداً) من قوله تعالى: (أَهلَكْتُ مالاً لبداً) [4]. يقـول :

---

* الزهدمان : أخوان من عبس.

(1) الفراء : معاني القرن 33/3.

(2) آية 2 سورة الحج .

(3) الفراء : معاني القرآن 214/2، 215.

(4) آية 6 سورة البلد.

"اللبد: الكثير . قال بعضهم واحدته: لبدة، ولُبد جماع. وجعله بعضهم على جهة قُثَم، وحطَم واحدا، وهو في الوجهين جميعاً الكثير " [1].

وكذلك الحال في (مكلبين) من قوله تعالى : (وما علمتُم مّن الْجوارِح مكلبِين) [2]. يقول: "يعني الكلاّب. و(مكلبين) نصب على الحال خارجة من (لكم)، يعني بمكلبين: الرجال أصحاب الكلاب، يقال للواحد: مكلب وكلاب "[3].

وكثيراً ما يفرق الفراء بين المصدر والجمع، نحو (إسرارهم وأسرارهم) من قوله تعالى: (إسرارهم) [4]. يقول: "قرأها الناس: أسرارهم: جمع سر، وقرأها يحيى بن وثاب وحده: إسرارهم بكسر الألف، واتبعه الأعمش وحمزة والكسائي، وهو مصدر، ومثله : (وإدبار السجود) [5] "[6].كما أنه يفرق بين المفرد والجمع والمصدر في قوله تعالى: (كما زعمتَ علَينَا كسفاً) [7]. يقول :" و (كسفاً) الكسف: الجِماع. قال سمعت أعرابياً يقول لبزاز ونحن بطريق مكة. أعطني كسفة أي قطعة. والكسف مصدر. وقد تكون الكسف جمع كسفة وكسف"[8].

والظاهرة اللافتة للنظر في (معاني القرآن) تتمثل في إشارات الفراء المتكررة إلى جواز الاكتفاء بالواحد من الاثنين، أو الواحد من الجمع، أو لنقل مجيء الواحد بمعنى المثنى أو الجمع والعكس، على نحو ما جاء في أثناء تفسيره للآيات الكريمة التالية :-

---

[1] الفراء : معاني القرآن 263/3.
[2] آية 4 سورة المائدة.
[3] الفراء: معاني القرآن 302/1.
[4] آية 26 سورة محمد.
[5] آية 40 سورة ق.
[6] الفراء : معاني القرآن 63/3.
[7] آية 92 سورة الإسراء .
[8] الفراء : معاني القرآن 131/2.

1- قوله تعالى: (الذين قَالَ لَهم الناس) [1]. فيذكر الفراء أن الخطاب في هذه القضية جاء لشخص بعينه، وهو نُعيم بن مسعود الأشجعي، فقد جاء الخطاب للناس وهو يريد المفرد[2].

2- قوله تعالى: (وكَم من ملَك في السماوات لاَ تُغْني شَفَاعتُهم شَيئاً) [3]. حيث أشار الفراء في أثناء تفسيره للآية الكريمة إلى أن (ملَكاً) مفرد، وإنما أراد ا تعالى الجمع. يقول :"وإنما ذكر ملَكاً واحداً، وذلك أن (كم) تدل على أنه أراد جمعاً، والعرب تذهب بأحد وبالواحد إلى الجمع في المعنى يقولون : هل اخْتصم أحد اليوم. والاختصام لا يكون إلا للاثنين، فما زاد"[4].

3- قوله تعالى: (إنا رسولاَ ربك) [5]. حيث يذهب إلى أن الرسول تأتي للمفرد والجمع والمثنى يقول :"ويجوز رسول ربك لأن الرسول قد يكون للجمع والاثنين والواحد. قال الشاعر [6]. (المتقارب)

أَلِكْني إِلَيها وخَير الرسو ... ل أَعلَمهم بِنَواحي الْخَبرِ

أراد : الرسلَ " [7].

4- قوله تعالى:(والذين يكْنزون الذهب والْفضةَ ولاَ ينْفقُونَها في سبِيل الله) [8]. فقد استخدم الذهب والفضة مفردة؛ لأنه يكتفى فيها بذكر الواحد على التأويل، يقول :"ولم يقل: ينفقونهما. فإن شئت وجهت الذهب والفضة إلى الكنوز فكان توحيدها من ذاك. وإن شئت اكتفيت بذكر

---

[1] آية 173 سورة آل عمران.

[2] الفراء : معاني القرآن 247/1.

[3] آية 26 سورة النجم .

[4] الفراء : معاني القرآن 99/3.

[5] آية 47 سورة طه .

[6] البيت لأبي ذؤيب الهذلي، وأَلِكني إليها : كن رسولي إليها. ينظر ديوان الهذليين 146/1.

[7] الفراء : معاني القرآن 180/2.

[8] آية 34 سورة التوبة .

أحدهما من صاحبه؛ كما قال: (وإذَا رأَوا تجارةً أو لهواً انْفَضوا إليها) [1] فجعله للتجارة "[2].

"[2].

5- قوله تعالى: (بِيدي أَستكْبرتَ) [3]، فيذهب في تفسيره لهذه الآية أن الواحد يكفي من الاثنين في (يدي). يقول: "اجتمع القراء على التثنية ولو قرأها قارئ (بيدى) يريد يداً على واحدة كان صواباً؛ كقول الشاعر :

(الخفيف)

أيها المبتَغي فَنَاء قُريش بيد اللّه عمرها والفَنَاء

والواحد من هذا يكفي من الاثنين، وكذلك العينان والرجلان واليدان تكتفي إحداهما من الأخرى؛ لأن معناهما واحد "[4].

6- قوله تعالى: (اتبِعوا ما أُنْزِلَ إليكُم) [5]. حيث تحدث في تفسيرها عن مخاطبة الواحد وإرادة الجماعة. يقول :"وإنما خاطب النبي صلى ا عليه وسلم وحده لأن ما أُنذر ربه فقد أُنذرت به أمته؛ كما قال : (يا أَيها النبي إِذَا طَلَقْتُم النساء) [6] فخاطبه، ثم جعل الفعل للجميع، وأنت قد تقول للرجل: ويحك أما تتقون ا ، تذهب إليه وإلى أهل بيته أو عشيرته. وقد يكون قوله: (اتبعوا) محكيا من قوله (لتنذر به) لأن الإنذار قول، فكأنه قيل له: لتقول لهم اتبعوا؛ كما قال ا تبارك وتعالى: (يوصيكُم الله في أَولادكُم لِلذكر مثْلُ حظ الأُنْثَيين) [7] لأن الوصية

---

(1) آية 11 سورة الجمعة .

(2) الفراء : معاني القرآن 434/1.

(3) آية 75 سورة ص .

(4) الفراء : معاني القرآن 412/2.

(5) آية 3 سورة الأعراف .

(6) آية 1 سورة الطلاق.

(7) آية 11 سورة النساء.

قول"[1]. إلى غير ذلك من المواطن التي يذكر فيها الإفراد والتثنية والجمع والتي يبدو من خلالها أنه يناقشها باستفاضة وتوسع، ويدل ذلك على سعة ثقافته، وعمق تفكيره. كما أن فيها ما يؤكد أن الفراء قد فتح باب السماع إلى أقصى حد يمكنه، فاستوعب كلام العرب وأقوالها، واستشهد به في أثناء مناقشته لهذه الظاهرة.

المقصور والمنقوص والممدود

الاسم المقصور هو: "كل اسم وقعت في آخره ألف مفردة، مفتوح ما قبلها نحو عصا، ورحا، والمقصور كله لا يدخله شيء من الإعراب؛ لأن في آخره ألفا، والألف لا تكون إلا ساكنة" [2]، والاسم المنقوص هو :"كل اسم وقع آخره ياء قبلها كسرة نحو: القاضي، والداعي، وهذه الياء لا تدخلها ضمة ولا كسرة، وإن لقيها ساكن بعدها حذفت لالتقاء الساكنين – تقول في الرفع: هذا قاضٍ يا فتى وفي الجر مررت بقاضٍ "[3]، والاسم الممدود هو : "كل اسم وقعت في آخره همزة قبلها ألف نحو : كساء، ورداء، والإعراب جار عليه تقول: هذا كساء ورداء، رأيت كساء، ورداء ومررت بكساء، ورداء، والمهموز كله يجري عليه الإعراب كما يجري على الصحيح "[4].

ونظرة فاحصة في كتابيه (المنقوص والممدود، والمقصور والممدود) تظهر لنا أن لديه اضطراباً في فهم هذه المصطلحات، إذ إن مفهوم المقصور والمنقوص لديه لم يكن كما نفهمه من التعريفات السابقة، فالدارس لهذين الكتابين يجد نفسه أمام خلط واضح في دراسة هذين المصطلحين؛ لاسيما أن موضوعات الكتابين متشابهة، على الرغم من اختلاف عناوينها، كما أن

---

(1) الفراء : معاني القرآن 371/1.

(2) ابن جني: اللمع في العربية 99.

(3) المصدر السابق 96، 97.

(4) المصدر السابق 98.

أقسام الكتابين توحي بأنه لم يكن يفصل بين هذين المصطلحين خصوصاً أنها أقسام متشابهة في العناوين والموضوعات.

وأقسام كتاب المنقوص والممدود تنتظم فيه جميع القضايا الخاصة بهذه الظاهرة، على أنن ـا في ذكرنا لهذه الأقسام ما يغني عن ذكر الأقسام الخاصة بالمقصور والممدود، وأهم أقسام كتاب المنقوص والممدود وأبوابه هي :-

1- باب ما يعرف من المنقوص والممدود بالتحديد والعلامات [1].

2- باب الممدود والمقصور مما تتّفق كتابته فَيشْكل [2].

3- باب ما يفتح أوله فيمد وإذا كسر أوله قصر [3].

4- ومما يفتح أوله فيقصر ويكسر فيمد [4].

5- ومما يفتح فيمد ويضم فيقصر [5].

6- باب ما يقصر ويمد وأوله على صورة واحدة [6].

7- باب ما يقصر فيهمز بعضه ويكتب بالألف [7].

8- ومن المقصور المهموز الذي لا نظير له [8].

9- باب الممدود الذي لا يشبهه شيء [9].

---

[1] الفراء : المنقوص والممدود 11-16.

[2] المصدر السابق 16-23.

[3] المصدر السابق 23، 24.

[4] المصدر السابق 24 –26.

[5] المصدر السابق 26، 27.

[6] المصدر السابق 27، 28.

[7] المصدر السابق 28-30.

[8] المصدر السابق 30، 31.

[9] المصدر السابق 31 –42.

10- باب الممدود المكسور أوله [1].

11- باب الممدود والمفتوح أوله [2].

12- باب الممدود الذي يضم أوله [3].

13- وقد جاء عنوان البابين الأخيرين بـ (نوع آخر منه)، و (نوع آخر) [4].

وهذه الأبواب تنتظم في إطارها جميع القضايا الخاصة بالمقصور والمنقوص والممدود، كما أن أبواب هذا الكتاب هي نفس أبواب كتاب المقصور والممدود،. على أن هذه الكتب لم تخلص لهذه الموضوعات وحسب بل هي إلى أنها كتب لغة أقرب، ذلك أن الفراء يكثر فيها من الاستشهاد بالقرآن الكريم وقراءاته والحديث الشريف والشعر وكلام العرب، كما أنه يلجأ من أجل مناقشة القضية من جميع جوانبها إلى الاستعانة بوسائل لغوية أخرى.

والمقصور عنده يشمل ما كان بالألف المقصورة والقائمة على حد سواء. يقول :" الصبا على وجهين الصبا الريح مقصور يكتب بالألف والصبا هو أن يصبو إلى اللهو صباء شديداً ممدود، وقد صبي يصبى صبى مقصور"[5]، والرواء على وجهين الرؤى جمع الرؤيا مقصور يكتب بالياء وليس لهذا الرجل رواء أي منظر ممدود يكتب بالألف "[6]. وفي باب (المقصور الذي لا يشبهه شيء) يقول: "السدى بالياء واحدته سداة وهو على ثلاثة أضرب السدى من الندى

---

[1] الفراء : المنقوص والممدود 42-44. .

[2] المصدر السابق 44-46.

[3] المصدر السابق 47.

[4] المصدر السابق 48 –50.

[5] المصدر السابق 20، 21.

[6] المصدر السابق 22.

والسدى لحمة الثوب وإحدى البلح الواحد سداةٌ ويقال في سدى الثـوب سـتى يكتـبن ثلاثـتهن بالياء"[1].

وهذه الأمثلة توضح أن الفراء بالرغم من تسميته للكتاب بـ (المنقوص والممـدود)، إلا أنه كان يناقش قضايا المقصور والممدود، لذلك فإن محقق الكتاب كان يذهب إلى أن تسميته بـ (المقصور والممدود) أوفق. يقول: "وأما رسمه بكتاب المنقوص والممدود، فـإنني قفـوت فيـه الأصل، وإلا فإنه عند ابن النديم، والسيوطي، واللسان، والتنبيهات [2]كتاب المقصور والممدود، وهو الأوفق لأن فيه بعض كلمات آخرها ألف زائدة فلا تسمى منقوصة "[3].

وتظهر لنا أبواب الكتاب أن دراسته الصرفية لهذه القضية لم تكن منتظمة إلى حد كبير، إذ كثيراً ما يضع عنواناً للكتاب، ومن ثم يخرق هذا العنوان ويخرج عن القاعدة التي وضعها في بداية الباب، ويعود ذلك لفتحه السماع. ويدل ذلك دلالة واضحة على مدى أمانته وحرصه علـى تدوين ما سمعه عن العرب مما شذ عن القاعدة التي يضعها في مقدمة كل بـاب، ففـي البـاب الثالث الذي عنوانه : (باب ما يفتح أوله فيمد وإذا كسر أوله قصر). يقول : "وأما اللقاء فإنه إذا كسر َأوله مد ويضم أوله فيقصر وأنشدني بعضهم :

(الطويل)

وإن لُقاها في المنام وغيره وإن لم تَجد بالبذل عندي لرابح " [4]

---

[1] الفراء: المنقوص والممدود 32.

[2] لعلي بن حمزة البصري اللغوي المكنى بأبي القاسم ، من المشهورين بعلوم اللغة والأدب له كتب، منها (التنبيهات على أغاليط الرواة)، وردود على : (الإصلاح) لابن السكيت و (الفصيح) لثعلب و (النبات) للدينوري، و (الحيوان) للجاحظ، و (المقصور والممدود) لابن ولاد . ينظر الزركلي : الأعلام 283/4.

[3] الفراء : مقدمة المنقوص والممدود 6.

[4] المصدر السابق 23، 24.

وفي الباب الرابع الذي هو (باب ما يفتح أوله فيقصر ويكسر فيمـد). يقـول : "الجـرا مصدر الجارية يكسر فيمد فإذا فتح قصر وربما مد وهو مفتوح في الشعر قال الشاعر :

(مشطور الرجز)

قد علمت أم أبي السعلاء   وعلمتْ ذاك مع الجراء [1]

أن نعم مأكولاً على الخواء

فمد السعلى والجرا والخوى وكلهن مقصورات " [2]

وقد يصف ما خرج عن عنوان الباب بأنه شاذ أو نادر على نحو ما نلقاه في باب (مـا يعرف من المنقوص والممدود بالتحديد والعلامات). يقول : "فكلما جاءك ألف مضموما أولـه فهو ممدود، إلا ثلاثة أحرف نوادر من ذلك الأربى وهي الداهية، والأدمى موضع، وشُعبى اسم بلدة الشاعر :

(الوافر)

أعبدا حل في شعبى غريبا   ألؤما لا أبالك واغترابا

وما كان من اسم على مثال عباد وحماد، أو فَعال أو فعال أو فُعال، فهو ممدود يكتـب بالألف "[3].

ومن أبرز المواطن التي تتضح فيها جهوده في هذه القضية ما جاء مـن أن الكـوفيين يذهبون إلى أنه يجوز مد المقصور في ضرورة الشعر، وإلى ذلك ذهب أبو الحسن الأخفش من البصريين، أما بقية البصريين فذهبوا إلى أنه لا يجوز ذلك .

---

[1] السعلاء : أخبث الغيلان . وقد أوردها ابن منظور في مادة (لها) ضمن خمسة أبيات من الرجز المشطور، وجاءت من غير نسبة. ينظر اللسان مادة (لها) 407/3.

[2] الفراء : المنقوص والممدود 25.

[3] المصدر السابق 14.

ويذهب الفراء في ذلك مذهب الكوفيين إلا أنه يشترط لجـواز قصـر الممـدود ومـد المقصور شروطا لم يشترطها غيره من الكوفيين؛ فكان يرى أنه لا يجوز أن يمد من المقصـور مالا يجئ في بابه ممدود، نحو : (فَعلى) تأنيث (فَعلان)، و (سكْرى) و (عطْشَى)؛ فهذا لا يجوز أن يمد؛ لأن مذكره (سكران) و(عطشان)، و (فَعلى) تأنيث (فَعـلان) لا تجـيء إلا مقصـورة، وكذلك حكم كل ما يقتضي القياس أن يكون مقصوراً، وكذلك لا يجوز أن يقصر من الممدود ما لا يجيء في بابه مقصور، نحو تأنيث (أفْعل)، نحو : (بيضاء) و (سوداء)، و(فَعـلاء) تأنيـث (أفْعلَ) لا يكون إلا ممدودا، وكذلك حكم كل ما يقتضي القياس أن يكون ممدود، أمـا عـدا مـا يوجب القياس أن يكون مقصورا أو ممدوداً من المقصور والممدود فإنه يجـوز أن يمـد منـه المقصور ويقصر منه الممدود إذا كان له نظير من المقصور والممدود إذا كان له نظيـر مـن المقصور أو الممدود؛ فيجوز عنده مد (رحى) و (هدى)، و (حجى) لأنها إذا مدت صارت إلـى مثال (سماء) و (دعاء) و (رداء)، لأنها إذا قصرت مثال (رحى) و (هدى) و (حجى)، فأما مالا مثال له من المقصور والممدود إذا مد وقصر، فلا يخرج عن بابه من المد والقصر[1].

وللفراء موقف من الاسم المقصور المنون، لا سيما الذي يوقف عليه، فكان يذهب إلـى أن الألف فيه بدل من التنوين، واستصحب حذف الألف المنقلبة وصلا ووقفا، كما أن الكـوفيين كانوا يرون أنها الألف المنقلبة لما حذف التنوين عادت مطلقاً [2].

ومن أبرز القضايا التي من شأنها أن تصنف كتابيه (المنقوص والممـدود، والمقصـور والممدود) ضمن الكتب اللغوية، أنه كان يعمد في كثير من الأحيان إلى تفسير الكلمة قبل الحديث عن القصر والمد فيها على نحو ما جاء في أثناء حديثه عن الممدود الذي يضـم أولـه. بقولـه:

---

[1] ابن الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 109.

[2] الأستراباذي : شرح شافية ابن الحاجب 282/2.

"والزقاء زقاء الديك، والمكاء وهو الصفير: والعواء وهو عواء الكَلْبِ، وبغَاء البعيـر .... " [1]، وقوله:" الكافر الليلُ، وذُكاء اسم للشمس، والثقَلُ البيض، والرشيد المنَضد[2].

كما أنه ينص في كثير من الأحيان على أن هذه الكلمة مذكرة وتلك مؤنثـة فـي أثنـاء عرضه للقضايا الخاصة بالمقصور والممدود. يقول : "وأما الضحى فإنها أنثى تُقْصر، فإذا فـتح أولها قيل ارتفع الضحاء فيمد ويذكر، وهو عندهم بمنزلة الغَداء . إذا أكلت ضـحوة قـد طـال ضحاؤُها، وهو مثلُ قولِك قَد طالَ غَداؤُها "[3].

وقد يأتي بالمسألة الصرفية، ويذكر ما جاء منها على القياس، وما جاء على غير القياس مثال ذلك ما جاء في قوله : "وقُرى، جاءت على غير القياس، وما كان من اسم مؤنث من الواو مثل رِشْوة وكسوة، فإنك تجمعه منقوصاً وترده في الجمع إلى ضم أوله، فتقول رِشْـوة ورشـى وكسوة وكُسى، يكتب بالياء وأصله الواو للضمة التي في أوله "[4].

ولـه طريقته الخاصة في صياغة القواعد بهذا الجانب، والتي تدل دلالة واضـحة علـى سعة اطلاعه وعمق ثقافته من ذلك قوله :"وإذا كان المصدر مـن فعـل زائـد مثـل الانفعـال والاستفعال والافتعال والإفعال فكله ممدود، من ذلك الاستخفاء والانتهاء والادعـاء والإعطـاء والإرجاء يكتب بالألف "[5]، ومن الأمثلة الأخرى على ذلك ما جاء في باب مـا يعـرف مـن المنقوص والممدود بالتحديد والعلامات "وما كان من جمع الواو والياء على أَفعالٍ فهـو ممـدود مثل آباء، وأبناء وأحياء. وما كان من جمع فَعلة من الياء والواو على فعال كان ممـدوداً مثـل

---

[1] الفراء : المقصور والممدود 89.

[2] المصدر السابق 90.

[3] المصدر السابق 41.

[4] الفراء : المنقوص والممدود 13.

[5] الفراء : المقصور والممدود 7.

ركوة وركاء، وشَكوة وشكاء ..."[1]، وكذلك الحال في متى التي هي في لغة هذيل، بمعنى وسط، ثم استشهد على ذلك بما أنشده الكسائي. يقول :"ومتى للاستفهام يكتب بالياء، ومتى في لغة هذيل بمعنى وسط، يقال جعلْتُه في متى كُمي أي وسطه، وأنشد الكسائي:

(الطويل)

شَربن بماء البحرِ ثم تَرفعتْ   متَى لُججٍ خُضرٍ لَهن نَئيج [2] "[3].

وتبدو رغبة الفراء في أن يكون كتابا (المنقوص والممدود، والمقصور والممدود) شاملين لجميع القضايا الخاصة بهذه الظواهر في مقدمة الكتابين التي جاءت على النحو التالي: "قال يحيى بن زياد الفراء رحمه ا تعالى: فمن المنقوص ما يعرف نقصه بحد وعلامة، ومنه ما يأتي مختلفا كما تختلف المصادر، فيكون منها فعل نحو ثقَل، وفَعل نحو عمل وعمد، فمثال ثقَل وعمل من الواو، والياء من دعوتُ وقَضيت منقوصان، ومنه ما تزاد فيه الألف مثل القتال والذهاب، فمثال هذين من الياء والواو ممدودان مثل الدعاء من دعوت، والقضاء من قضيت. فإذا أتاك مصدر فاعمل فيه كما عملت في هذين الوجهين من النقص والمد، وما كان من المنقوص فكتابته على أصله إن كان من الياء وجاز كتابته بالألف مثل قضى يكتب بالياء والألف، وما كان من الواو كتب بالألف لا غير مثل خلا ودعا " [4].

وكثيراً ما يتحدث الفراء عن قواعد كتابة ألف الاسم المقصور والمنقوص، على نحو ما جاء في قوله :" وما كان من المنقوص فكتابته على أصله إن كان من الياء كتبته بالياء وجاز

---

[1] الفراء : المقصور والممدود 8 .

[2] البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، وروايته في ديوان الهذليين :

تَروتْ بماء البحرِ ثم تَنَصبت   على حبشيات لهن نَئِيج

ينظر ديوان الهذليين 51/1.

[3] الفراء: المقصور والممدود 57.

[4] المصدر السابق 52.

بالألف مثل قضى يكتب بالياء والألف، وما كان من الواو كتب بـالألف لا غيـر مثـل خـلا ودعا"[1]، وكذلك الحال في أثناء حديثه عن كتابة متى وحتى فيقول :" ولست أعرف لهـا فعـلا (أي متى)، فإن شئت كتبتها بالياء، وإن شئت كتبتها بالألف، وحتى تكتب بالياء لأنه لا يعـرف لها فعل، ويجوز بالألف. قال سلمة: سألت الفراء كيف تكتب حتى ؟ فقال : بالألف، ثـم رجـع فقال : بالياء، وهي في مصاحف ابن الزبير كلها بالألف "[2].

ومن أبرز جهوده الخاصة بقضايا المنقوص والمقصور إطلاقه على الألف المقصـورة ياء، علماً أن هناك فرقاً كبيراً بين هذين الحرفين، فالألف المقصورة في الواقـع هـي حركـة طويلة، وهي مخالفة للياء سواء أكانت نصف حركة أم حركة طويلة ويستدل الفراء علـى أنهـا ياء؛ لأن المثنى من الفتى يأتي بالياء. يقول: "الفتى من الفتيان مقصور يكتب بالياء ويثنى فيكتب بالياء قال ا عزوجل: (ودخَلَ معه السّجن فَتَيان) [3]؛ والفَتَا المصدر من الشباب تقول: إنه لفَتًى بين الفَتَاء للرجل[4].

كما أنه يلمح في كثير من المواطن إلى الفارق الدلالي بين المقصور والمنقوص من جهة والممدود من جهة أخرى، من ذلك قوله :"الثرى على وجهين : الثرى من الندى مقصور يكتـب بالياء، والثراء كثرة المال واليسار ممدود يكتب بالألف "[5]، وقولـه: "والخَوا علـى ضـربين إذا خَفّت المرأة في النفاس قيل قد أصابها خَوى شديد وهو منقوص يكتب بالياء وإذا خلت الدار من أهلها يقال خَويت الدار والمدينة قد تبين خَواؤها " [6].

---

(1) الفراء : المقصور والممدود 55.

(2) المصدر السابق 58.

(3) آية 36 سورة يوسف.

(4) الفراء : المقصور والممدود 20، 21.

(5) المصدر السابق 18.

(6) الفراء : المنقوص والممدود 18.

وقد كان فتح الفراء لباب السماع في هذه القضية سبباً حدا بابن جني أن يعد الفراء متسمحا في تجويز أن تأتي كلمة الثراء مقصورة وممدودة. يقول : "وليس الثرى من لفظ الثراء على الحقيقة. وأما الثراء لكثرة المال – فمن تركيب (ث ر و) لأنه من الثروة؛ ومنه الثريا؛ لأنها من الثروة ولكثرة كواكبها مع صغر مرآتها، فكأنها كثيرة الورد بالإضافة إلى حفيف المحلّ ومنه قولهم : ثرونا بني فلان، نثروهم ثروة، إذ كنا أكثر منهم. فاللفظان – كما ترى مختلفان، فلا تجنيس إذا إلا للظاهر. وقد ذكرت هذا الموضع في كتابي المقصور والممدود عن ابن السكيت، وأن الفراء تسمح في ذكر مثل هذا على خلاف أصوله، وأن عذره في ذلك تشابه اللفظين بعد القلب "[1].

أما في كتابه (معاني القرآن) فيجيء حديثه عن هذه الموضوعات ضمن تفسيره اللغوي للقرآن الكريم، كأن يذكر أن هذه الكلمة مقصورة أو ممدودة، أو أنه يجوز فيها الوجهان، أو أنه يجوز قصر الممدود انسجاماً مع لغات العرب، والأمثلة على ذلك كثيرة أهمها:-

1- زكريا من قوله تعالى: (وكَفَّلَها زكَرِيا) [2]. حيث ذهب إلى أن فيها ثلاث لغات. يقول: "من شدد جعل زكرياء في موضع نصب، كقولك : ضمنها زكرياء، ومن خفّف الفاء جعل زكرياء في موضع رفع. وفي زكريا ثلاث لغات: القصر في ألفه، فلا يستبين فيها رفع ولا نصب ولا خفض، وتمد ألفه فتنصب وترفع بلا نون؛ لأنه لا يجرى، وكثير من كلام العرب أن تحذف المدة والياء الساكنة فيقال : هذا زكري قد جاء فَيجرى؛ لأنه يشبه المنصوب من أسماء العرب "[3].

---

(1) ابن جني: الخصائص 48/2.

(2) آية 37 سورة آل عمران .

(3) الفراء : معاني القرآن 208/1.

2- خطئا من قوله تعالى: (خِطْئاً كَبِيراً) [1]. حيث يجوز في (خِطْئاً) القصر والهمز. يقول: " وقرأ الحسن خَطَاء كبيرا بالمد. وقرأ أبو جعفر المدني (خَطَأً كَبِيراً) قصر وهمز. وكل صواب. وكأن الخطأ الإثم. وقد يكون في معنى خَطَأ بالقصر "[2].

3- سيناء من قوله تعالى: (وشَجرةً تَخْرج من طُورِ سينَاء) [3]. فقد ذكر أن (سينَاء) تقرأ بالمد. يقول :"وقرأ أهل الحجاز (سِينَاء) بكسر السين والمد، وقرأ عاصم وغيره ممدودة مفتوحة السين. والشجرة منصوبة بالرد على الجنات، ولو كانت مرفوعة إذ لم يصحبها الفعل كان صوابا، كمن قرأ (وحور عين) [4] "[5].

4- جفاء من قوله تعالى :(فَيذْهب جفَاء) [6]. حيث ذهب إلى أن (جفَاء) يجوز فيها المد والهمز. يقول :"ممدود أصله الهمز يقول : جفأ الوادي غُثَاءه جفْئا. وقيل : الجفَاء : كما قيل: الغُثَاء : وكل مصدر اجتمع بعضه إلى بعض مثل القُماش والدقاق والغُثَاء والحطَام فهو مصدر"[7].

مما تقدم نرى أن الفراء يناقش قضايا المنقوص والمقصور والممدود من جميع جوانبها، مع خلط واضح بين المقصور والمنقوص، فقد كانت قضايا المنقوص نفسها قضايا المقصور والعكس، وقد كان السماع عن العرب السبب الرئيس والمباشر في ذلك.

---

(1) آية 31 سورة الإسراء .

(2) الفراء : معاني القرآن 123/2.

(3) آية 20 سورة المؤمنين .

(4) آية 22 سورة الواقعة.

(5) الفراء : معاني القرآن 233/2.

(6) آية 17 سورة الرعد .

(7) الفراء : معاني القرآن 62/2.

اسم الجنـــس

وهو نوعان : اسم جنس إفرادي، واسم جنس جمعي. أما الأول فهو : كل اسم دال على جمع وليس له مفرد من لفظه، نحو : عسل، وماء وتراب. أما الثاني فهو : كل اسم يدل علـى جمع ويفرق بينه وبين مفرده، إما بالتاء كتمر : تمرة، وشجر : شجرة، أو بالياء كترك: تركي، وروم: رومي، وعرب : عربي [(1)].

وقد عد الكوفيون اسم الجنس ذا التاء جمع تكسير، إلا أن ابن الحاجب يـرى أن رأيهـم فاسد لفظا ومعنى، بقوله : "وهو عند الكوفيين جمع مكسر واحده ذو التاء، وقولهم فاسد من حيث اللفظ والمعنى: أما اللفظ فلتصغير مثل هذا الاسم على لفظه، فلو كان جمعا وليس على صـيغة جمع القلة لكان يجب رده إلى واحده، وأيضاً لغلبة التذكير على المجرد من التاء فيهـا، نحـو : تمر طيب، ونخل منقعر ، ولا يجوز رجال فاضل، وأما المعنى فلوقوع المجرد من التـاء منـه على الواحد والمثنى أيضاً؛ إذ يجوز لك أن تقول: أكلت عنبا أو تفاحا، مع أنك لم تأكل إلا واحدة أو اثنتين، بلى قد يجيء شيء منه لا يطلق إلا على الجمع، وذلك من حيث الاسـتعمال لا مـن حيث الوضع، كالكلم، والأكم[(2)]، وهو قليل" [(3)].

وقد جاء حديث الفراء عنه في كتبه على هامش الدراسة اللغوية والتفسير القرآني، مـن ذلك حديثه عن المذكر الذي يفرق بينه وبين مؤنثه بالتاء. يقول : "وسـمعت الكسـائي يقـول: سمعت كل هذا النوع من العرب بطرح الهاء من ذكره إلا قولهم : (رأيتُ حيةً على حية)؛ فـإن

---

(1) ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك 15/1.

(2) الأكم : المواضع المرتفعة وواحدها أكمة.

(3) الأستراباذي : شرح شافية ابن الحاجب 194/2، 195.

الهاء لم تطرح من ذكره، وذلك أنه لم يقل : (حية وحي كثير)، كما قيل (بقـرة وبقـر كثيـر) فصارت الحية موضوعاً "[1].

ويعرض لاسم الجنس الذي يفرق بينه وبين مفرده بالتاء في أثناء تفسيره لقوله تعـالى : (وينْشئَ السحاب الثقَال) [2]. يقول : "السحاب وإن كان لفظه واحدا فإنه جمع، واحدته سـحابة. جعل نعته على الجمع كقوله (متَكِئين علَى رفْرف خُضرٍ وعبقَرِي حسانٍ) [3] ولم يقل: أخضـر، ولا حسن، ولا الثقيل، للسحاب. ولو أتى بشيء من ذلك كان صوابا؛ كقوله: (جعـلَ لَكُـم مـن الشجرِ الْأَخضرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُم منْه تُوقدون) [4] فإذا كان نعت شيء من ذا يرجع إلـى صـغر أو كبر، لم تقله إلا على تأويل الجمع. فمن ذلك أن تقول : هذا تمر طيب، ولا تقول تمر صغير من قبل أن الطيب عام فيه، وأن الصغر والكبر والطول والقصر في كل تمرة على حدتها "[5].

كما أنه يفرق بين الكلمة والكلم، والشجرة والشجر، والخَلفة والخَلف في أثنـاء تفسـيره لقوله تعالى: (إِلَيه يصعد الكلم الطيب) [6]. يقول:" القراء مجتمعون على (الكلـم) إلا أبـا عبـد الرحمن فإنه قرأ (الكلام الطيب) وكل حسن، و(الكلم) أجود، لأنها كلمة وكلم. وقوله (الكلمـات) في كثير من القرآن يدل على أن الكلم أجود : والعرب تقول كلمة وكلم. فأما الكلام فمصدر .

---

[1] الفراء : المذكر والمؤنث 70.

[2] آية 12 سورة الرعد.

[3] أية 76 سورة الرحمن.

[4] آية 80 سورة يس .

[5] الفراء : معاني القرآن 60/2، 61.

[6] آية 10 سورة فاطر .

وقد قال الشاعر :

(الرجز)

مالك تَرغين ولا يرغُو الخَلفْ   وتَضجرين والمطى معترِف [1]

فجمع الخَلفة بطرح الهاء، كما يقال : شجرة وشجر "[2].

وكثيراً ما يطلق الفراء عليه اسم (الجمع الذي لا مفرد له)، ويبدو ذلك في أثناء تفسـيره لمجموعة من الآيات القرآنية، من ذلك (الأثاث) من قوله تعالى: (أَحسن أَثَاثًا ورِئْياً) [3]. يقـول: "الأثاث: المتاع. والرئى : المنظر، والأثاث لا واحد له، كما أن المتاع لا واحد لـه. والعـرب تجمع المتاع أمتعة وأماتيع ومتُعاً" [4]. (أبابيل) التي ينص على أنه لا مفرد لها مثل : الشماطيط، الشماطيط، والعباديد، والشعارير* "[5].

---

[1] ترغين من الرغاء . وهو صياح الإبل. والخاف جمع خلفة وهي الناقة الحامل. والمعترف الصابر .

[2] الفراء : معاني القرآن 367/2.

[3] آية 74 سورة مريم .

[4] الفراء : معاني القرآن 171/2.

* العباديد والشماطيط: الخيل المتفرقة، والشعارير: لعبة للصبيان.

[5] المصدر السابق 125/2.

التصـــغير

التصغير والتحقير بمعنى واحد خاصة لدى الأقدمين الذين جعلوا التصغير للتحقيـر، أو لتقليل الكثير، أو لتقريب البعيد[1]، أو هو "تقليل الكثير وتحقير العظيم، وتقريب البعيـد وإدنـاء الحبيب من القلب. أما تقليل الكثير فهو مثل قولك : نُصيف، وبعيض وما شاكل ذلك، وأما تحقير العظيم فهو مثل: جبيل وجميل، وما شاكل ذلك، وأما تقريب البعيد فهو مثل قولك: رحيلة ومـا شاكل ذلك. وأما إدناء الحبيب من النفس فهو مثل قولك: ُأبي وُأخَي، وما شاكل ذلك"[2].

وقد أضاف الكوفيون للتصغير فائدة خامسة* هي التعظيم، إلا أن البصريين أنكروا هذه الفائدة، وقد احتج الكوفيون على ذلك بقول لبيد بن ربيعة العامري :

(الطويل)

وكُل ُأنَاسٍ سوفَ تَدخُلُ بيتُهم　　　　دويهيةٌ تَصفَر منْها الأنَاملُ

وحجة البصريين تتمثل في أن التصغير لا يكون للتعظيم؛ لأنهما متنافيان [3].

وآراء الفراء وجهوده في التصغير كثيرة من ذلك أنه لم يكن يجيز تصغير التـرخيم إلا ما كان علما، نحو ما قيل في تصغير إبراهيم وإسماعيل: بريه، وسميع"[4].

---

(1) ابن جني: اللمع في العربية 299.

(2) الصنعاني: التهذيب الوسيط في النحو 362.

* فوائد التصغير هي : 1- تصغير ما يتوهم كبره نحو : جبيل، تصغير جبل. 2- تحقير ما يتوهم عظمه، نحو : سـبيع، تصغير سبع. 3- تقليل ما يتوهم كثرته، نحو : دريهمات، تصغير جمع درهم. 4- تقريب ما يتوهم بعده : إما في الـزمن نحو : قبيل العصر، وإما في المكان نحو : فويق الدار، وإما في الرتبة نحو : أصيغر منك .

(3) ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك 139/4، 140.

(4) الأستراباذي : شرح شافية ابن الحاجب 283/1.

ولا يجيز الفراء تصغير الاسم المصغر من باب أنه لا شيء على من سها في سجود السهو، فقد سأله ابن خالته محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة عمن سها في سجود السهو فقال لا شيء عليه؛ لأن المصغر لا يصغر.

يروي بشر المريسي ذلك بأنه قال للفراء : "يا أبا زكريا، أريد أن أسألك مسألة في الفقه ؟ فقال: سل، فقال : ما تقول في رجل سها في سجدتي السهو ؟ قال : لا شيء عليه، قال: من أين قلت ذلك ؟ قال : قسته على مذاهبنا في العربية، وذلك أن المصغر لا يصغر، وكذلك لا يلتفت إلى السهو في السهو، فسكت "[1].

وكان الفراء يرى أن الاسم المركب تركيباً إضافياً إذا كان كنية فإننا نصغر المضاف إليه خلافاً للمعروف والدارج عند النحاة من أن المصغر هو صدره. يقول ابن الحاجب : "المركب يصغر صدره، مضافاً كان أو لا، نحو: أُبي بكر، وأميمة عمرو، ومعيد كرب، وخميسة عشر، وذهب الفراء في المضاف إذا كان كنية إلى تصغير المضاف إليه، احتجاجاً بنحو أم حبين وأبي الحصين ، وقوله[2] :

(الكامل)

أَعلاقَةً أم الْولَيد بعدما   أَفْنَان رأسك كالثغامِ الْمخْلس "[3]

وتحدث الفراء عن تصغير كثير من المفردات، التي كان تصغير بعضها خلافيا، وبعضها الآخر لا خلاف على تصغيره، من ذلك موقفه من تصغير الكلمات التي الهمزة فيها

---

[1] ابن الأنباري : نزهة الألباء في طبقات الأدباء 101، 102.

[2] هذا البيت للمرار الأسدي، ويقال للمرار الفَقْسي. والعلاقة : الحب. وأم الولَيد تصغير أم الوليد. وهذا هو الشاهد إذ صغر عجز الاسم المركب، ولو صغر الصدر لقال : أميمة الوليد. والأفنان : جمع فنن وأصله الغصن من الشجرة، وأراد به هنا خصل شعر الرأس. والثغام : نبت أبيض الثمر والزهر يشبه بياض الشيب به. والمخلس : يطلق على النبات إذ كان بعضه أخضر وبعضه أبيض.

[3] الأستراباذي : شرح شافية ابن الحاجب 273/1.

أصلية، والكلمات التي لا تعرف فيها الهمزة أصل هي أم بدل، فإن كانت الهمزة أصـلية فإننـا نخليها؛ لأن الهمزة موجودة، ولا دليل على أنها كانت في الأصل شيئاً آخر. يقول الأستراباذي: "وإن كانت الهمزة أصلية خليتها كأُلية في تصغير ألاءة، وإن لم تعرف هل الهمزة أصل أو بدل من الواو والياء خَلّيت الهمز في التصغير بحاله ولم تقلبه، إلى أن يقـوم دليـل علـى وجـوب التصغير بحاله ولم تقلبه، إلى أن يقوم دليل على وجوب انقلابه؛ لأن الهمزة موجودة، ولا دليـل على أنها كانت في الأصل شيئاً آخر[1]، واعتماداً على هذه القاعدة فإنه يتحـدث عـن تصـغير (البرية). يقول الأستراباذي نقلاً عن ابن منظور:" قال الفراء : هي من برأ ا الخلق أي خلقهم، وأصلها الهمز، وقد تركت العرب همزها ونظيره النبي والذرية. وأهل مكة يخالفون غيرهم من العرب يهمزون البريئة والنبيء والذريئة من ذرأ ا الخلق وذلك قليل. قال الفراء: وإذا أخـذت البرية من البري وهو التراب فأصلها غير الهمزة. وقال اللحياني: أجمعت على ترك همز هـذه الثلاثة ولم يستثن أهل مكة، ويقول الأستراباذي: "كذلك ترد أصل الياء الثانية في بريـة وهـو الهمزة عند من قال : إنها من برأ أي خلق؛ لأنها إنما قلبت ياء لكون الياء قبلها ساكنة حتى تدغم فيها، ومن جعلها من البرى – وهو التراب – لم يهمزها في التصغير، وكذا النبي أصـله عنـد سيبويه الهمز، لقولهم تنبأ مسيلمة فخففت بالإدغام كما في برية[2].

والمفردات التي خالف الفراء وجمهور الكوفيين في تصغيرها البصريين كثيـرة منهـا (فُلْ) التي يصغرونها (فُلَين)؛ لأن لامه نون فهو من فلان، يقـول الأسـتراباذي موضـحاً رأي الكوفيين: "وتقول في تصغير فُلْ فُلَين؛ لأن لامه نون من قولهم فلان، وتقول في تصـغير قـطْ

[1] الأستراباذي : شرح شافية ابن الحاجب 212/1.

[2] المصدر السابق 212/1.

ورب وبخٍ مخففات: قُطَيط وربيب وبخَيخ وتقول في تصغير ذه مسكن الهاء ذُيي لأن الهاء بـدل من الياء، والأصل ذي كما مر في أسماء الإشارة[1]".

ويجيز الفراء تصغير (شُقْران وسودان) جمـع أشـقر وأسـود علـى لفظـه. يقـول الأستراباذي: "وأجاز الكسائي والفراء تصغير شُقْران وسودان جمع أشقر وأسود على لفظه، نحو شُقَيران وسويدان "[2].

ويستخدم الفراء التصغير في مناقشة قضية التذكير والتأنيث، إذ إنـه فـي كثيـر مـن المواطن يستخدم التصغير في التعرف إلى الكلمة هل هي مذكرة أم مؤنثة ؟ وقد كانت طريقتـه في ذلك أنه ينص على أن الكلمة مؤنثة ثم يقوم بتصغيرها للدلالة على تأنيثها؛ لأن التاء تعـود إلى الاسم المؤنث بعد تصغيره، مثال ذلك ما جاء في تصغير (الضـحى) التـي تختلـف فـي تصغيرها عن (الضحوة). يقول: "و(الضحى) أنثى؛ يقـال : ارتفعـت الضـحى، وتصـغيرها: "ضحيا) بغير الهاء، كأنهم كرهوا أن يشبه تصغيرها تصغير (ضحوة) بغير الهاء قال الشاعر: (الطويل)

يفَعتُ خُلَيقاً بعدما اشْتَدت الضحى بمرتَقَبٍ عالي النشازِ رفيع [3]

تصغير خَلْقاء. وإذا قلت: (الضحاء)، فهو ذكر ممدود"[4].

وفي موضع آخر يتحدث عن تذكير الظروف، والصفات، والمحال وتأنيثها، وفي أثناء دراسته لبعض المفردات الخاصة بكل نوع من هذه الأنواع يستعين بالتصغير. يقول: "والمواضع كلها التي يسميها النحويين. (الظروف، والصفات، والمحالّ) فهي ذُكران إلا ما رأيت فيه شيئاً

---

[1] الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب 222/1، 223.

[2] المصدر السابق 268/1.

[3] ورد هذا البيت في معجم البلدان دون نسبة. ينظر الحموي: معجم البلدان 442/2.

[4] الفراء : المذكر والمؤنث 84.

يدل على التأنيث، إلا أنهم يؤنثون : (أمام) و (قُدام) و (وراء)؛ فيقولون: (فلان وريئة الحائط، على وزن (وريعة)، فيدخلون في تحقيرها الهاء، فذلك دليل على تأنيثها، وكذلك: (قدام) (قُديديمة، وقُديديم). قال الشاعر:

(الطويل)

قُديديمةُ التجريبِ والحلمِ إنني   أرى غَفَلات العيشِ قبلَ التجاربِ[1] "[2]

وكما هو مع مختلف الموضوعات الصرفية، فإنه يستخدم التصغير في (معاني القـرآن) من أجل توضيح معنى النص القرآني، وتفسيره على نحو تصغيره (إنسان) على (أنيسان) فـي أثناء تفسيره لقوله تعالى: (وأُنَاسي كثيراً) [3]. يقول :"واحدهم إنْسي وإن شئت جعلته إنساناً ثـم تجمعه أناسي فتكون الياء عوضاً من النون والإنسان في الأصل إنْسيان لأن العـرب تصـغره أُنيسان. وإذ قالوا : أناسين فهو بين مثل بستان وبساتين، وإذا قالوا (أناسي كثيرا) فخففوا اليـاء أسقطوا الياء التي تكون فيما بين عين الفعل ولامه مثل قراقير وقراقر، ويبـين جـواز أناسـي بالتخفيف قول العرب أناسيةٌ كثيرة ولم نَسمعه في القراءة "[4].

النسـبة

وهي إلحاق ياء مشددة مكسور ما قبلها بالاسم للدلالة على نسبة شيء إلى شيء آخـر. وقد أطلق عليه سيبويه مصطلح الإضافة[5] بمعنى الإلحاق. ومن الواضح أن ياء النسبة هي التي تمتص القيمة التعبيرية للكلمة، إذ تضفي عليها معنى جديداً [6].

---

(1) وردت نسبته في صفحة 137.

(2) الفراء : المذكر والمؤنث 109.

(3) آية 49 سورة الفرقان .

(4) الفراء : معاني القرآن 269/2، 270.

(5) ينظر سيبويه : الكتاب 335/3.

(6) أحمد حسن حامد ويحيى عبد الرؤوف جبر : الواضح في علم الصرف 122.

يقول ابن عقيل: "إذا أريد إضافة شيء إلى بلد أو قبيلة، أو نحو ذلك – جعل آخره يـاء مشددة، مكسوراً ما قبلها؛ فيقال في النسب إلى (دمشق) : (دمشقي)، وإلى (تمـيم): (تميمـي)، وإلى (أحمد) : (أحمدي) [1]. ويقول ابن جني :"النسب إلى كل اسم بزيادة ياء مشددة مكسور مـا قبلها، تقول في النسب إلى زيد زيدين وإلى عمرو عمري، وإلى محمد محمدي"[2].

وجهوده الخاصة بالنسبة قليلة لا تكاد تذكر إذا مـا قيسـت بالموضـوعات الصـرفية الأخرى، وأبرز ما تحدث عنه في هذه القضية يتمثل في نسبة (امرؤ)، فيذهب إلى أن الراء فيها مفتوحة على كل حال، ومضمومة على كل حال؛ لأن الأصل أن تتبع حركة الراء حركة همـزة الوصل. يقول الأستراباذي : "أما امرؤ فلامه موجودة، فلا يكون الهمزة عوضاً من الـلام فلـذا قال سيبويه لا يجوز فيه امرئي وأما مرئى في (امرئ القيس) فشاذ، قال السيرافي: هـذا قيـاس منه، وإلا فالمسموع مرئى في امرئ القيس، لا امرئ، واعلم أن الراء في مرئى المنسوب إلـى امرئ مفتوح، وذلك لأنك لما حذفت همزة الوصل على غير القياس بقي حركة الـراء بحالهـا، وهي تابعة لحركة الهمزة التي هي اللام، والهمزة لزمها الكسر لأجل ياء النسب، فكسرت الراء أيضاً. فصار مرئي كنمري، ثم فتحت في نَمرِي، وحكى الفراء في امرئ فتح الراء علـى كـل حال وضمها على كل حال "[3].

---

[1] ابن عقيل : شرح ألفية ابن مالك 152/4.

[2] ابن جني : اللمع في العربية 79.

[3] الأستراباذي : شرح شافية ابن الحاجب 67/2.

قضايا صرفية صوتية

علاقة علم الصرف بعلم الأصوات :

تجدر الإشارة إلى أن القضايا والمباحث التي سنتناولها في هذه الجزئية من البحث ليست مباحث صرفية بحتة، لكنها مباحث صرفية صوتية – إن جاز لنا التعبير – فلذلك ما يبرره في العرف اللغوي القديم، فقد جرت عادة القدماء على عدم الفصل بين العلوم اللغوية حتى غدت وكأنها مادة لعلم واحد.

ولما كان علم الأصوات عتبة يطؤها الباحث، لدراسة علم الصرف، فإن من المهم أن نشير إلى أن هناك علاقة قوية بين هذين العلمين شأنهما شأن العلوم اللغوية الأخرى. إلا أننا لا نقصد بعلم الأصوات في هذا السياق ما يتعلق بتوصيف الأصوات،وتصنيفها،وآلية إنتاجها، أو ما يعرفه مهدي المخزومي في قوله: "والصوت الإنساني ذبذبة تنشأ من اندفاع الهواء في الرئتين نحو الخارج، ملامساً وتري الحنجرة، والحلق، واللسان، والشفتين، وهو المادة الوحيدة التي تتكون منها اللغات البشرية على اختلافها، بعد تآلف الذبذبات في صور شتى، وأبسط أنواع التآلف بين هذه الذبذبات هي المقاطع، التي يتكون كل مقطع منها من صوتين: صوت ساكن، وصوت لين. فلا يكاد يوجد في لغة من اللغات صوت بسيط مستقل، وإنما يوجد مع غيره في صورة مقطع بسيط، مكون من ذينك الصوتين اللذين أشرت إليهما "[1].

وإلى مثل الذي نذهب إليه كان قد ذهب مهدي المخزومي في أثناء حديثه عن القضايا الصرفية الصوتية الخاصة بالمدرسة الكوفية؛ ذلك أن دراسة الصوت المفرد لم تكن قد وجدت بصورة علمية دقيقة اعتماداً على الأجهزة الدقيقة في ذلك. يقول :"وطريقة التسجيل الميكانيكي

---

[1] مهدي المخزومي : مدرسة الكوفة 166.

للأصوات لم تكن لتكون إلا بعد تقدم العلم، وكشف أجهزة دقيقة لتحديد مخارج الحروف، وتسجيل حركات النطق، ورصد تموجات الهواء التي يحدثها إخراج الصوت. وبلغ التسجيل الآلي من الدقة بحيث استطاع تقدير كم الصوت، وتقدير درجته[1].

فالقضايا الصرفية في هذه الجزئية تتمثل فيما كان منها ذا علاقة بكثير من الظواهر الصرفية كحركة عين الكلمة، وحركة همزة الوصل، وقصر حروف المد، والتقاء الساكنين، والهمزة، والخفة والثقل، والإبدال، والإدغام، والإظهار، والإعلال. فبحث هذه القضايا في إطار علم الصرف يحتاج إلى الاستعانة بعلم الأصوات؛ لأن الصرف يدرس إئتلاف الكلمات وبنيتها الداخلية، ومكونات البنى هو الصوت المفرد الذي لا معنى له إلا بانضمام عدة أصوات مفردة إلى بعضها بعضاً. يقول مهدي المخزومي: "ودراسة البناء تقوم على دراسة الظواهر اللغوية، التي يرجع كثير منها إلى قوانين صوتية، كالظواهر اللغوية، التي يرجع كثير منها إلى قوانين صوتية، كالظواهر التي اعتاد النحاة أن يذكروها في النصف الثاني من مصنفاتهم تحت عنوان : (التصريف)، وتقوم أيضاً على ملاحظة التطورات التي انتهى إليها كثير من الصيغ والأبنية، كالآثار التي تركها الاستعمال في أدوات وفي أبنية كثيرة، وهي الآثار التي تقوم عليها ظاهرة النحت والتركيب "[2].

حركة البناء الداخلي للمفردات

نود أن نشير في بداية حديثنا عن هذه القضية إلى أن الكلمة في اللغة العربية تتألف بضم الأصوات الساكنة والحركات بعضها إلى بعض؛ لأن الكلمات لو تكونت من أصوات ساكنة وحسب؛ لاستحال النطق بها، ولغدت خالية من أي معنى، فالتوصل إلى النطق لا يتم إلا

---

[1] مهدي المخزومي : مدرسة الكوفة 168.

[2] المصدر السابق 164.

بالحركات التي هي أبعاض حروف المد واللين، أو كما يسميها الدرس الحديث بالحركات القصيرة والطويلة وأشباه الحركات [1].

على أن دراسة هذه الجزئية في إطار علم الصرف مهمة جداً؛ لما كان لها من أثر في تغيير البنية كأن تتغير من اسم إلى صفة والعكس، أو من اسم إلى مصدر والعكس أيضاً، أو أن النسيج الحركي للمفردة قد يؤدي إلى تغيير معنى الكلمة في أوضاعها المختلفة، وقد يؤدي إلى تغيير الصيغة والوزن فقط اعتماداً على وجود مثيل لذلك في لغات العرب وكلامهم.

وأول ما يصادف الدارس لكتب الفراء مما يتعلق بهذه القضية ذلك الكم الهائل من القراءات التي يجوز فيها وجهان أو أنها لغات وردت عن العرب؛ لذلك قرأت القراء بها، وهو في كل ذلك يعمد إلى توجيهها، وحملها على أكثر من لغة ولا فارق بينها إلا النسيج الحركي للبناء الداخلي للمفردة، كأن يلجأ للحديث عن قراءة حرك فيها عين الكلمة الساكن، وقد نص صاحب الشافية على أن الكوفيين عامة قد أجازوا تحريك الحرف الحلقي الساكن الواقع بعد الحرف المفتوح، بقوله: "وإن كان عين فعل المفتوح الفاء حلقيا ساكناً جاز تحريكه بالفتح نحو الشعر والشعر، والبحر، والبحر، ومثلهما لغتان عند البصريين في بعض الكلمات، وليست إحداهما فرعاً للأخرى. وأما الكوفيون فجعلوا المفتوح العين فرعاً لساكنها، ورأوا هذا قياساً في كل فَعل شأنه ما ذكرنا، وذلك لمناسبة حرف الحلق للفتح كما يجيء في باب المضارع"[2].

وينص في (معاني القرآن) كثيراً على جواز تخفيف وتثقيل[3] الحرف الثاني الذي بعده حرف حلقي من حروف الحلق الستة مثل كلمة (الظعن) من قوله تعالى: (وجعلَ لَكُم من جلُود

---

[1] مهدي المخزومي : مدرسة الكوفة 183، 184.

[2] الأستراباذي : شرح شافية ابن الحاجب 47/1.

[3] التخفيف والتثقيل عند الفراء يقابلان التسكين والتحريك .

الأَنْعامِ) [1]. يقول : "يعني الفَساطيط* للسفر، وبيوت العرب التي من الصوف والشعر. والظعن يثقل في القراءة ويخفف؛ لأن ثانيه عين، والعرب تفعل ذلك بما كان ثانيه أحد الستة مثل الشعر والبحر والنهر "[2].

وتكثر الإشارة في كتبه إلى جواز تضعيف عين الفعل لإكساب اللفظ الشـدة والمبالغـة، وكثرة الوقوع، والصيرورة من حال إلى حال، ويبدو ذلك جليا في أثناء حديثه عن قولـه تعـالى: (فَوسطْن به جمعاً) [3]. يقول : "اجتمعوا على تخفيف (فوسطن). ولو قرئـت (فوسـطن) كـان صوابا؛ لأن العرب تقول : وسطت الشيء، ووسطته وتوسطته، بمعنى واحد" [4]. ومثال ذلـك أيضاً (كُبارا) من قوله تعالى: (ومكروا مكْراً كُباراً) [5]. يقول: "الكُبار : الكبير، والعرب تقـول كُبار.

ولا يقتصر أمر البناء الداخلي للمفردات عنده على التضعيف وعدمه وحسب؛ ذلـك أن هناك في كتبه كثيراً من المفردات التي يجوز فيها وجهان، ولا خلاف بينهما إلا الحركات، مـع تغير في معنى بعضها بسبب اختلاف البناء الداخلي الذي أضافته هذه الحركات، وأكثر القضـايا الخاصة بهذه القضية وضوحا تتمثل في تسكين عين الكلمة في النعوت وتحريكها في الأسـماء. يقول الفراء: "لُجبة ولُجبات، حركتها العرب. والعرب تقول : ضخْمة وضخْمات، وعبلة عبلات، فلا يحركون ويحركون الأسماء، فيقولون تمرة وتَمرات، فحركوا الأسماء وسكنوا النعـوت، لأن النعوت يكون فيها ذكر الاسم فتثقل فلم يزيدوه حركة، فيدخلوا ثقلا على ثقل، ففرقوا بين النعوت

---

[1] آية 80 سورة النحل .

* جمع الفسطاط، وهو بيت من الشعر .

[2] الفراء : معاني القرآن 111/2، 112.

[3] آية 5 سورة العاديات .

[4] الفراء : معاني القرآن 285/3.

[5] آية 22 سورة نوح .

وبين الأسماء. وقال الكسائي : سمعت لَجبة ولَجبات ولَجبةً ولجِبات، فجاء بها على القياس. وقال : لم يحكها غيره. وكذلك ربعة ربعات، حركت وهي نعت. وقال: هذان الحرفان حركا في النعوت إلا في قول الكسائي، فإذا جاء به على القياس في لَجبة. ولم يحك الفراء ولا الكسائي في ربعة إلا التحريك. للمذكر والمؤنث وكأنه اسم نُعت به "[1].

وقد يكون التغيير الحاصل في الحركات بإبدال حركة مكان أخرى، سواء أكان ذلك في عين الكلمة أم فائها، من ذلك ما جاء في قوله تعالى:(يا أَرض ابلَعي) [2]. يقول: (يقال: (بلعتْ وبلَعتْ)[3]. وفي قوله تعالى:(ولا هم عنْها ينْزِفُون) [4]. يقول: "و (ينْزفُون) وأصحاب عبد ا يقرأون (ينْزِفُون) وله معنيان . يقال: قد أنزف الرجل إذا فنيت خَمره. وأَنْزف إذا ذهب عقله. فهذان وجهان. ومن قال (ينْزفون) يقول: لا تذهب عقولهم وهو من نُزِف الرجل فهو منزوف"[5].

ويجيز (المطلع والمطلَع) من القراءة مع التفريق بينهما من جهة المعنى على نحو ما جاء في أثناء حديثه عن قوله تعالى: (تَنَزلُ الملائِكَةُ والروح فيها) [6]. يقول : "وقول العوام: انقطع الكلام عند قوله: (من كُل أَمرٍ)، ثم استأنف فقال : (سلاَم هي حتى مطْلَعِ الفَجرِ) و (المطلع) كسره يحيى بن وثاب وحده، وقرأه العوام (مطلَع). وقول العوام أقوى في قياس

---

[1] أبو العباس ثعلب : مجالس ثعلب 527/2.
[2] آية 43 سورة هود .
[3] الفراء : معاني القرآن 17/2.
[4] آية 47 سورة الصافات.
[5] الفراء : معاني القرآن 385/2.
[6] آية 4 سورة القدر .

العربية؛ لأن المطلَع بالفتح هو : الطلوع، والمطلع: المشرق، والمطلع الذي تطلـع منـه إلا أن العرب يقولون: طلعت الشمس مطلعا فيكسرون. وهم يريدون: المصدر"[1].

وللدلالة على عموم هذه الظاهرة في كتبه، نشير إلى المواطن التي اختلفت فيها القـراءة باختلاف النسيج الحركي للمفردات؛ مما أدى في كثير من الأحيان إلى اخـتلاف فـي المعنـى الدلالي للمفردات موضع الدرس، وقد بنى اختلاف القراءة في أكثرها علـى أنهـا وردت عـن العرب ويجوز أن تحمل على أكثر من لغة من لغات العرب. وأبرز هذه المواطن هي :

1- جواز إِفَكُهم وإفَكَهم[2] من قوله تعالى: (وذَلِك إِفْكُهم وما كانُوا يفْتَرون) [3].

2- جواز جمع وجمع[4] من قوله تعالى: (الذي جمع مالاً وعدده) [5].

3- جواز المَقام والمقَام من قوله تعالى: (في مقَامٍ أَمينٍ) [6] وقد فاضل بين هاتين اللغتـين ونص على أن القراءة بالفتح أجود في العربية [7].

4- جواز حرِجا وحرجا[8] من قوله تعالى: (يجعل صدره ضيقاً حرجا) [9].

5- جواز المفَر والمفر[10] من قوله تعالى: (أين الْمفَر) [11].

6- المنْسك والمنْسك[12] في قوله تعالى: (لِكُل أُمة جعلْنَا منْسكاً هم نَاسكُوه) [1].

---

(1) الفراء : معاني القرآن 280/3، 281.
(2) الفراء : معاني القرآن 56/3.
(3) آية 28 سورة الأحقاف .
(4) الفراء : معاني القرآن 473/1.
(5) آية 2 سورة الهمزة .
(6) آية 51 سورة الدخان .
(7) الفراء : معاني القرآن 44/3.
(8) المصدر السابق 353/1.
(9) آية 125 سورة الأنعام .
(10) الفراء : معاني القرآن 210/3.
(11) آية 10 سورة القيامة.
(12) الفراء : معاني القرآن 230/2.

7- جواز سخريا وسخْريا وسخْريا على أن الضم عنده أجود من الكسر[2] وذلك فـي قولـه تعالى: (فَاتَّخَذْتُموهم سخْرِياً حتى أَنْسوكُم ذكْرِي) [3].

8- جواز زعمهم وزعمهم وزعمهم على نحو الفَتْك والفُتْك والفتْك والود والود والود[4] من قوله تعالى: (هذَا لِله بِزعمهم) [5].

9- جواز الكَذب والكُذُب[6] من قوله تعالى: (وتَصفُ أَلْسنَتُهم الكَذب أَن لَهم الْحسنَى)[7].

10- جواز الورِق والورق نحو كَبد وكبد وكبد، وكلمة وكلْمة وكلْمة[8] من قولـه تعـالى: (فَابعثُوا أَحدكُم بِورِقكُم) [9].

إلى غير ذلك من الحالات التي يورد فيها للآية القرآنية موضع الدراسة أكثر مـن قـراءة، وفي كل مرة يقيس هذه القراءات على كلام العرب ولغاتهم، فهو يجيز ما أجازته لغاتهم، وتناقله القراء الثقات منهم، وقد كان في أثناء عرضه لهذه القراءات يوضح الفروق الدقيقة بين المفردات التي لا فارق بينها من ناحية اللفظ والهيئة إلا الحركات.

قصـر حـروف المـد

ونقصد بذلك تحويل حرف المد الذي هو حركة طويلة إلى حركة قصيرة كالفتحة والضـمة والكسرة، لا كما يذهب هو إلى حذف حرف المد والاكتفاء بالحركة منه. ومن أمثلة ذلك تقصير

---

(1) آية 67 سورة الحج.

(2) الفراء : معاني القرآن 243/2.

(3) آية 110 سورة المؤمنين.

(4) الفراء : معاني القرآن 356/1.

(5) آية 136 سورة الأنعام .

(6) الفراء : معاني القرآن 107/2.

(7) آية 62 سورة النحل.

(8) الفراء : معاني القرآن 137/2.

(9) آية 19 سورة الكهف .

واو الجمع إلى ضمة أو كما يقول: الاكتفاء بالضمة عن واو الجمع ويقول في أثناء حديثه عن قول الشاعر :

(الوافر)

فلو أن الأطبا كان حولي وكان مع الأطباء الأساةُ

يقول: "وأما قوله (كان حولي) فإنه اكتفى بالضمة عن واو الجمع[1].

كما أنه يعطي نماذج وأمثلة من تقصير الياء إلى كسرة، على نحو ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: (فَإِن حاجوك فَقُلْ أَسلَمتُ وجهي لِله ومن اتبعنِ) [2]. يقول: "للعرب في الياء التي في أواخر الحروف – مثل اتبعن، وأكرمن، وأهانن، ومثل قوله: (دعوةَ الداعِ إذَا دعانِ[3]– وقد هدانِ) [4] أن يحذفوا الياء مرة ويثبتوها مرة. فمن حذفها اكتفى بالكسرة التي قبلها دليلاً عليها. وذلك أنها كالصلة *؛ إذ سكنت وهي في أواخر الحروف واستثقلت فحذفت. ومن أتمها فهو البناء والأصل. ويفعلون ذلك في الياء وإن لم يكن قبلها نون؛ فيقولون هذا غلامي قد جاء، وغلامِ قد جاء؛ قال الله تبارك وتعالى (فَبشر عباد الذين) [5] في غير نداء بحذف الياء. وأكثر ما تحذف بالإضافة في النداء؛ لأن النداء مستعمل في كثير من الكلام فحذف في غير نداء. وقال إبراهيم (ربنَا وتَقَبل دعاء) [6] بغير ياء، وقال في سورة الملك (كيفَ كان نَكير)[7] و (نَذير) [8]

---

(1) أبو العباس ثعلب : مجالس ثعلب 88/1.

(2) آية 20 سورة آل عمران.

(3) آية 186 سورة البقرة.

(4) آية 80 سورة الأنعام.

* المقصود بالصلة الزيادة.

(5) آية 17 سورة الزمر .

(6) آية 40 سورة إبراهيم .

(7) آية 18 سورة الملك.

[1] وذلك أنهن رؤوس الآيات، لم يكن في الآيات قبلهن ياء ثانية فأجرين على ما قبلها؛ إذ كـان ذلك في كلام العرب "[2].

وعلى العكس من ذلك فإن الفراء كان يجيز مطل الحركات وتطويلها، اعتماداً على الروايات التي أثبتت جواز ذلك، نحو: لحم التي مطلت الفتحة فيها إلى ألف فصارت لحما. يقول ابن جني: (وحكى الفراء عنهم : أكلت لحما شاة، أراد : لحم شاة، فمطل الفتحة، فأنشأ عنها أَلِفا "[3].

وهذه الأمثلة تبين رأي الفراء في الحركات، الذي هو مشابه لرأي القدماء، وهو أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، فالكسرة بعض الياء، والفتحة بعض الألف، والضمة بعض الواو.

التـقاء السـاكنين وتـوالي الحـركات

يعد التحريك وسيلة من وسائل التخفيف اللغوي[4]، وخصوصـاً حـين تتـوالى الصـوامت الساكنة، فيلجأ المتكلمون باللغة إلى التحريك هروبا من توالي الصوامت. من ذلك أن الأصل في حركة همزة الوصل أن تتبع حركة عين الفعل، في حين ذهب بعضهم إلى أن الأصل فيهـا أن تكون ساكنة وإنما حركت هروباً من التقاء الساكنين. يقول الأسترابادي : (الكوفيـون علـى أن أصل الهمزة السكون؛ لأن زيادتها أقرب إلى الأصل؛ لما فيها من تعليل الزيـادة، ثـم حركـت بالكسر كما هو حكم أول الساكنين إذا لم يكن مداً المحتاج إلى حركته"[5].

وللهروب من التقاء الساكنين فقد عمدوا إلى تقصير حروف المد إلى حركات من جنس هذه الحروف، كما هو الحال في تقصيرهم للياء إلى كسرة؛ بهدف التخلص من التقاء الساكنين فـي

---

[1] آية 17 سورة الملك.

[2] الفراء : معاني القرآن 200/1، 2001.

[3] ابن جني : الخصائص 123/3.

[4] ينظر حسن حامد، ويحيى عبد الرؤوف جبر: الواضح في علم الصرف 42.

[5] الأسترابادي : شرح شافية ابن الحاجب 262/2.

قوله تعالى: (فَإن حاجوك فَقُلْ أَسلَمتُ وجهي ِلله ومن اتبعنِ) [1]. يقول: "للعرب في الياءات التي في أواخر الحروف – مثل اتبعن، وأكرمن، وأهانن، ومثل قوله (دعوةَ الداعِ ِإذَا دعان[2] – وقَد هدانِ) [3] – أن يحذفوا الياء مرة ويثبتوها مرة ... و يفعلون ذلك في الياء الأصلية؛ فيقولـون : هذا قاض ورام وداع بغير ياء، لا يثبتون الياء في شيء من فاعل. فإذا أدخلوا فيه الألف واللام قالوا بالوجهين، فأثبتوا الياء وحذفوها – وقال ا (من يهد الله فَهو المهتَد) [4] في كـل القـرآن بغير ياء. وقال في الأعراف (فَهو الْمهتَدي) [5] وكذلك قال (يوم ينَادي المنَـاد) [6]، و (أُجيـب دعوةَ الداعِ) [7]. وأحب ذلك إلي أن أثبت الياء في الألف واللام؛ لأن طرحها في قاض ومفتـرٍ وما أشبهه بما أتاها من مقارنة نون الإعراب[8] وهي ساكنة والياء ساكنة، فلم يستقم جمع بـين ساكنين، فحذفت الياء لسكونها. فإذا أدخلت الألف واللام لم يجز إدخال النـون، فلـذلك أحببـت إثبات الياء. ومن حذفها فهو يرى هذه العلّة: قال : وجدت الحرف بغير ياء قبل أن تكـون فيـه الألف واللام، فكرهت إذ دخلت أن أزيد ما لم يكن. وكل صواب"[9].

وللفراء رأي في توالي الحركات، لا سيما أن الاستعمال يرفض هذا التوالي، فيلجأ المتكلمون إلى إسكان أحد الحروف المتحركة هروباً من الحركات المتوالية. يقول :" ومن القراء من يسكن العين من عشر في هذا النوع كله، إلا اثنا عشر. وذلك أنهم استثقلوا كثرة الحركات" [10].

---

[1] آية 20 سورة آل عمران .
[2] آية 186 سورة البقرة .
[3] آية 80 سورة الأنعام.
[4] آية 97 سورة الإسراء .
[5] آية 178 سورة الأعراف.
[6] آية 41 سورة ق.
[7] آية 186 سورة البقرة .
[8] المقصود بنون الإعراب : التنوين، وقد سماه نون الإعراب؛ لأنه يدخل في المعرب وينكب عن المبني.
[9] الفراء : معاني القرآن 200/1، 2001.
[10] الفراء : معاني القرآن 34/2.

كما ينص على ذلك أيضاً في أثناء حديثه عن (ثلاثة عشر) عند تعرضه لقوله تعالى: (عليها تسعةَ عشَر) [1]. يقول: "فإن العرب تنصب ما بين أحد عشر إلى تسـعة عشـر فـي الخفـض والرفع، ومنهم من يخفف العين في تسعة عشر، فيجزم العين في الذكران، ولا يخففها في ثلاث عشرة إلى تسع عشرة؛ لأنهم إنما خفضوا في المذكر لكثرة الحركات. فأما المؤنث، فإن الشـين من عشرة ساكنة، فلم يخففوا العين منها فيلتقي ساكنان. وكذلك: اثنا عشر في الذكران لا يخفف العين، لأن الألف من : اثنا عشر ساكنة فلا يسكن بعدها فيلتقي ساكنان"[2].

ويشير إلى جزم آخر الكلمة التي حقها التحريك هروبا من توالي الحركات كما هو واضـح في أثناء حديثه عن قوله تعالى: (استكباراً في الأرض) [3]. يقول: "أي فعلوا ذلك استكباراً (ومكْر (ومكْر السيء) أضيف المكر إلى السيء، وهو كما قال (إن هذَا لَهو حق اليقـين) [4] وتصـديق ذلك في قراءة عبد اللّه (ومكْراً سيئاً) وقوله (ومكر السيء) الهمزة في (السيء) مخفوضة وقـد جزمها الأعمش وحمزة لكثرة الحركات، كما قال (لاَ يحزنْهم الْفَزع الأَكْبر)[5]"[6].

---

[1] آية 30 سورة المدثر.

[2] الفراء : معاني القرآن 203/3.

[3] آية 43 سورة فاطر .

[4] آية 95 سورة الواقعة.

[5] آية 103 سورة الأنبياء .

[6] الفراء : معاني القرآن 371/2.

الخفـــة والثقـــــل

ومادة هذا المبحث قليلة إلا ما جاء متعلقاً بكثرة استعمال المفـردة؛ لأن كثـرة الاسـتعمال والدوران على الألسن تؤدي إلى نزوع المتكلم للتخفيف رغبة في الاقتصاد بالمجهود العضـلي في أثناء النطق، من ذلك (السين) التي تدخل على الفعل المضارع، التـي يـرى الكوفيـون أن أصلها (سوف) وإنما حذفت الواو والفاء؛ لكثرة الاستعمال، نحو: (لا أَدرِ)، و (لم أُبلْ)، و (لـم يك) و (خُذْ)، و (كُلْ) و أشباه ذلك، والأصل : (لا أدري)، و (لم أبال)، و (لم يكُن)، و (أأخذ) و (أأكلْ)، فحذفوا في هذه المواضع ونحوها لكثرة الاستعمال، ولما كثر استعمال (سوف) حـذفوا منها الواو والفاء تخفيفاً[1].

وينص الفراء على جواز حذف الفاء من (سوف وكيف)؛ لكثرة دورانهـا علـى الألسـن، وجنوح المتكلم نحو النطق بالأسهل على نحو ما جاء في أثناء في تفسيره لقوله تعالى: (ولَسوفَ يعطيك ربك فَتَرضى) [2]. يقول: "وفي قراءة عبد ا : (ولسيعطيك ربك فترضى) والمعنى واحد، إلا أن (سوف) كثرت في الكلام، وعرف موضعها، فترك منها الفاء والواو، والحرف إذا كثـر فربما فعل به ذلك، كما قيل: أيش تقول، وكما قيل: قم لاباك، وقم يشانئك، يريدون: لا أبالك، ولا أبا لشانئك، وقد سمعت بيتا حذفت الفاء فيه من كيف، قال الشاعر[3]:

(البسيط)

من طَالِبين لِبعرانٍ لَنَا رفَضت   كيلاَ يحسون من بعراننَا أَثَرا

---

[1] ابن الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 92.

[2] آية 5 سورة الضحى .

[3] ورد هذا البيت في خزانة الأدب، وروايته :

من طالبين لبعران لهم شردت كيما يحسون من بعرانهم خبرا

ينظر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية، 195/3.

أراد: كيف لا يحسون ؟ وهذا لذاك "[1].

ويعرض لخفض الدال من (الْحمدِ لِلّه) [2]؛ ذلك أنها لما كثرت في الكلام، وجرت على الألسن صارت كالاسم الواحد. فيقول: "وأما من خَفَضَ الدال من (الحمد) فإنه قال: هذه كلمة كثرت على ألسن العرب حتى صارت كالاسم، فثقُل عليهم أن يجتمع في اسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة، أو كسرة بعدها ضمة، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد مثل إبِل؛ فكسروا الدال ليكون على المثال من أسمائهم "[3].

ويعرض الفراء للتخفيف الحاصل في (شيء) التي هي مفرد أشياء، فمذهبه أنها مخففة من (فَيعل)، والأصل (شَيِء) فخفف (ميت) و (هيّن)، فقالوا (ميتٌ) و (هين) [4].

و(مأق) عنده يجب أن تكون مخففة من ثقيلة، على نحو ما ذكره ابن جني:"ومثل مؤْق في هذه القضية ما رواه الفراء من قول بعضهم فيه: مأْق، فيجب أيضاً أن يكون مخففا من ثقيلة "[5].

من هذه الأمثلة نلاحظ أن كثرة الاستعمال، ودوران المفردات على الألسن هي السبب في جنوح المتكلمين إلى الخفة والسهولة في النطق، والاقتصاد في المجهود العضلي.

همزة القطع والوصل

يعرفهما ابن جني بقوله:"همزة القطع التي ينقطع باللفظ بها قبلها عما بعدها، وهمزة الوصل التي تثبت في الابتداء، وتحذف في الوصل؛ لأنها إنما جيء بها توصلا إلى النطق بالساكن ما لم يمكن الابتداء به، فإذا اتصل ما بعدها بما قبلها حذفتها للاستغناء عنها"[6].

---

(1) الفراء : معاني القرآن 274/3.

(2) آية 2 سورة الفاتحة.

(3) الفراء : معاني القرآن 3/1.

(4) ابن عصفور : الممتع في التصريف 513/2.

(5) ابن جني : الخصائص 206/3.

(6) ابن جني : اللمع في العربية 305.

وقد أطلق على همزة القطع مصطلح (الألف) في حين أطلق على همزة الوصـل (الألـف الخفيفة)، وإطلاقه الألف على هاتين الهمزتين له ما يبرره – من وجهة نظـره – إذ إن الألـف عنده صورة الهمزة، فيبين سبب تسميته الهمزة ألفا على النحو التالي: "وأكثر ما يكتـب الهمـز على ما قبله. فإن كان ما قبله مفتوحاً كتبت بالألف. وإن كان مضموماً كُتبـتْ باليـاء، وربمـا كتبتها العرب بالألف في كل حال؛ لأن أصلها ألف.

قالوا نراها إذا ابتدئت تكتب بالألف في نصبها وكسرها وضمها؛ مثل قولك: أُمروا، وأَمرت، و(قد جئت شيئاً إمرا) [1] فذهبوا هذا المذهب. قال: ورأيتها في مصحف عبد ا (شيأ) في رفعه وخفضه بالألف. ورأيت يستهزءون يستهزأون بالألف وهو القياس. والأول أكثر في الكتب"[2].

كما يبين سبب ذلك في أثناء تفسيره لقوله تعالى: (إنني براء مما تَعبدون) [3]. يقول: "العرب تقول: نحن منك البراء والخلا، والواحد والاثنان والجميع من المؤنث والمذكر يقال فيه: بـراء؛ لأنه مصدر، ولو قال : (برئ) لقيل في الاثنين: بريئان، وفي القوم: بريئون وبرءاء، هـي فـي قراءة عبد اللّه: (إنني بريء مما تَعبدون) ولو قرأها قارئ كان صـوابا موافقـا لقراءتنـا؛ لأن العرب تكتب: يستهزئ يستهزأ فيجعلون الهمزة مكتوبة بالألف في كل حالاتها. يكتبـون شـيء ومثله في مصاحف عبد ا ، وفي مصحفنا، ويهيء لكم، ويهيأ لكم "[4].

---

* يرى البصريون أن الهمزة على ضربين : قطع ووصل، أما الكوفيون فيجعلونها ستة أضرب: همزة وصل مثل: اسم، وهمزة قطع مثل: أكرم، وهمزة أصلية مثل أتى، وهمزة الاستفهام مثل: أأنذرتهم ؟ وهمزة المضارعة مثل : أذهب، وهمزة ما لم يسم فاعله مثل: استخرج، والبصريون يقولون باندراج هذه كلها تحت همزة الوصل والقطع. ينظر ابن جني: اللمع في العربية 305.

[1] آية 71 سورة الكهف.

[2] الفراء: معاني القرآن 134/2، 135.

[3] آية 26 سورة الزخرف .

[4] الفراء : معاني القرآن 30/3.

وقد ذهب ابن جني إلى أن الفراء أول من تنبه إلى هذه القضية. بقوله: (واعلم أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة في الحقيقة، وإنما كتبت الهمزة واوا مرة وياء أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف، ولو أريد تحقيقها ألبتة لوجب أن تكتب ألفاً على كل حال. يدل على صحة ذلك أنك إذا أوقعتها موقعا لا يمكن فيه تخفيفها، ولا تكون فيه إلا محققة، لم يجز أن تكتب إلا ألفا، مفتوحة كانت أو مضمومة أو مكسورة، وذلك إذا وقعت أولا، نحو: أَخَذَ وأُخذَ، وإبراهيم، فلما وقعت موقعا لا بد فيه من تحقيقها اجتمع على كتبها ألفا البتة. وعلى هذا وجدت في بعض المصاحف (يستَهزِأُون) [1] بالألف قبل الواو. ووجد فيها أيضاً (وإن من شَيٍأ إلا يسبح بحمده) [2] بالألف بعد الياء. وإنما ذلك لتوكيد التحقيق.

وهذه علة في الهمزة كنت قديما أنا رأيتها ثم عَبَرت زمانا، فرأيت بعض كلام أبي محمد بن السري – رحمه ا - وقد أوردها فيه غير مسندة إلى غيره. ثم إني رأيتها بعد ذلك في بعض كلام الفراء، فلا أدري أألصاب أبا بكر مع الفراء ما أصابني أنا من المواردة له، أم هو شيء سمعه فحكاه واعتقده ؟ وهي دلالة قاطعة قوية. وفيها دلالة أخرى، وهي أن كل حرف سميته ففي أول حروف تسميته لفظه بعينه؛ ألا ترى أنك إذا قلت (جيم) فأول حروف الحرف (جيم)، وإذا قلت (دال) فأول حروف الحرف (دال)، وإذا قلت (حاء) فأول ما لفظت به حاء. وكذلك إذا قلت (ألف) فأول الحروف التي نطقت بها همزة. فهذه دلالة أخرى غريبة، على كون صورة الهمزة مع التحقيق ألفاً "[3].

ويؤكد صحة ما ذهب إليه الفراء أبو عبيد القاسم ابن سلام بقوله :"الألف عند العرب ألفان، ألف مهموزة، وهي الهمزة، وإنما جعلت صورتها ألفا، لأنها تقوم بنفسها. ألا تراها تنقلب في

---

[1] آية 5 سورة الأنعام.

[2] آية 44 سورة الإسراء.

[3] ابن جني: سر صناعة الإعراب 41/1، 42.

الرفع واواً، وفي الفتح ألفا، وفي الكسر ياء. والألف الأخرى هي التي تكـون مـع الـلام فـي الحروف المعجمة. وهي ساكنة. لا ألف في الكلام غير هاتين "[1].

ويطلق عليها الفراء المصطلح المعروف (الهمزة) سواء أكانت وسطا أم متطرفة ويسـميها في بعض المواطن (النبرة)، ويضع القواعد الإملائية الخاصة بكتابتها، كما يناقش اختلاف لغات العرب في الهمز، وفي كل المواطن يتسم موقفه بالوسطية، فأحياناً يعرض المسائل بلا تـرجيح، وفي أحيان أخرى يرجح رأيا على الآخر، وهذا المنهج الذي سار عليه الفراء في دراسته للهمزة هو منهج تعليمي، ومن أبرز نماذجه ما جاء في أثناء تفسيره للآيات القرآنية التالية :

1- قولـه تعالى: (سلْ بني إسرائِيلَ) [2]. يقول: "لا تُهمز في شيء من القرآن؛ لأنها لو همـزت كانت (اسأل) بألف. وإنما ترك همزها في الأمر خاصة؛ لأنها كثيرة الدوران فـي الكـلام؛ فلذلك ترك همزه كما قالوا: كُلْ، وخُذْ، فلم يهمزوا في الأمر، وهمزوه في النهي وما سواه. وقد تهمزه العرب. فأما في القرآن فقد جاء بترك الهمز. وكان حمزة الزيات يهمز الأمر إذا كانت فيه الفاء أو الواو؛ مثل قوله: (واسأَل الْقَريةَ الّتي كُنا فيها) [3]، ومثل قولـه: (فاسـأَل الّذين يقْرءون الْكتَاب) [4] ولست أشتهي ذلك، لأنها لو كانت مهموزة لكتبت فيها الألف كمـا كتبوها في قوله (فَاضرِب لَهم طَرِيقاً) [5]، (واضرِب لَهم مثَلاً) [6] بالألف" [7].

---

[1] المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني 180.

[2] آية 211 سورة البقرة.

[3] آية 82 سورة يوسف.

[4] آية 49 سورة يونس.

[5] آية 77 سورة طه.

[6] آية 13 سورة يس.

[7] الفراء : معاني القرآن 124/1، 125.

2- قوله تعالى: (لَكُم فيها دفْء) [1]. يقول: "وكتبت بغير همز لأن الهمزة إذا سكن ما قبلها حذفت من الكتاب، وذلك لخفاء الهمزة إذا سكت عليها، فلما سكن ما قبلها ولم يقدروا على همزها في السكت كان سكوتهم كأنه على الفاء. وكذلك قوله: (يخْرِج الخَبء) و (النَشْأَة) و (مِلْء الأرض) واعمل في الهمز بما وجدت في هذين الحرفين"[2].

3- قوله تعالى: (وهيء) [3]. يقول: "وأكثر ما يكتب الهمز على ما قبله. فإن كان ما قبله مفتوحاً مفتوحاً كتبت بالألف. وإن كان مضموماً كتب بالواو، وإن كان مكسوراً كُتبتْ بالياء. وربما كتبتها العرب بالألف في كل حال؛ لأن أصلها ألف" [4].

وجهود الفراء الخاصة بهذه القضية كثيرة من ذلك أنه كان كغيره من الكوفيين يذهب إلى أن همزة بين بين ساكنة، في حين ذهب البصريون إلى أنها متحركة. وحجة الكوفيين أن همزة بين بين لا يجوز أن تقع مبتدأة، ولو كانت متحركة لجاز أن تقع مبتدأة فلما امتنع الابتداء بها دل على أنها ساكنة؛ لأن الساكن لا يبتَدأ به [5].

وكان يذهب إلى جواز أن تأتي همزة المد مكان همزة القطع والعكس على نحو قراءة: (آتُوني أُفرِغُ علَيه قِطْراً) [6]. يروي ثعلب رأيه، فيقول: "أراد آتوني قطرا أفرغ عليه. ومن قصر قال الفراء : إنما أراد هذا المعنى، ولكنه ترك الهمز، وإذا ابتدأ قال ائتوني بلا مد على

---

[1] آية 5 سورة النحل.

[2] الفراء : معاني القرآن 96/2.

[3] آية 10 سورة الكهف .

[4] الفراء : المصدر السابق 134/2.

[5] ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة 105.

[6] آية 96 سورة الكهف .

ترك الهمز. ومن هذه اللغة يقولون أَدَم موضع آدم، بطرح الألف الأولى. وهمزة جعل الممدود والمقصور واحدا "[1].

وله في (معاني القرآن) آراء تطبيقية تتعلق بالهمز في اللغة العربية، تتفق مـع منهجـه القائم على دراسة القرآن الكريم دراسة أسلوبية، كما أنها تنسجم مع ميله إلى التبسيط والتسهيل؛ لتحقيق الهدف التعليمي الذي وضع من أجله هذا الكتاب، من ذلك أنه يتحدث عن كتابة الهمـزة في (لأوضعوا) من قوله تعالى: (ولأوضعوا خلالكم) [2]. يقول :"الإيضاع: السير بـين القـوم. وكتبت بلام ألف وألف بعد ذلك، ولم يكتب في القرآن لها نظير. وذلك أنهم لا يكادون يستمرون في الكتاب على جهة واحدة؛ ألا ترى أنهم كتبوا (فَما تُغْنِ النذُر) [3] بغير ياء، (وما تُغْني الآياتُ والنذُر) [4] بالياء، و هو من سوء هجاء الأولين. (ولا أوضعوا) مجتمع عليه في المصاحف[5].

وكثيراً ما يتحدث عن جواز الهمز في بعض القراءات وتركه اعتماداً على بعض اللغات من ذلك ما جاء في (سلْ) من قوله تعالى : (سلْ بني إِسرائِيلَ) [6] حيث قرر أنها إنما حذفت في الأمر خاصة؛ لأنها كثيرة الدوران على الألسن. يقول: "لا تهمز في شيء من القرآن؛ لأنها لـو همزت كانت (اسأل) بألف. وإنما ترك همزها في الأمر خاصة؛ لأنها كثيرة الدور في الكـلام؛ فذلك ترك همزه كما قالوا: كُلْ، وخُذْ، فلم يهمزوا في الأمر، وهمزوه في النهي وما سواه. وقـد تهمزه العرب. فأما في القرآن فقد جاء بترك الهمز. وكان حمزة الزيات يهمز الأمر إذا كانـت

---

[1] أبو العباس ثعلب : مجالس ثعلب 164/1.

[2] آية 47 سورة التوبة.

[3] آية 5 سورة القمر.

[4] آية 101 سورة يونس .

[5] الفراء : معاني القرآن 124/1، 125.

[6] آية 211 سورة البقرة.

فيه الفاء أو الواو؛ مثل قوله: (واسأَل الْقَريةَ التي كُنا فيها) [1] ومثل قوله: (فَاسأَل الّذين يقْـرؤُون الْكتَاب) [2] ولست أشتهي ذلك؛ لأنها لو كانت مهموزة لكتبت فيها الألف كما كتبوها فـي قولـه (فَاضرِب لَهم طَرِيقاً) [3] ، و(اضرِب لَهم مثَلاً) [4] بالألف "[5].

وينص الفراء على جواز حذف الهمزة إذا سكن ما قبلها[6]، نحو (دفْء) من قوله تعالى: تعالى: (لَكُم فيها دفْء) [7].

ويعلل الفراء ترك همز (يؤوسا) من قوله تعالى: (كَان يؤُوساً)[8]. فيقـول: "إذا تركـت الهمزة من **قوله** (يؤوساً) فإن العرب تقول يوساً ويووساً يجمعون بين ساكنين وكذلك (ولاَ يؤُوده حفْظُهما) [9] وكذلك (يعذَابٍ بِئِيسٍ) يقول بيسٍ و (بييسٍ) و (يؤوده) يجمعون بين ساكنين. فهـذا كلام العرب: والقراء يقولون (يووساً) و (يووده) فيحركون الواو إلى الرفع و (بييسٍ) يحركـون الياء الأولى إلى الخفض. ولم نجد ذلك في كلامهم، لأن تحريك الياء والواو أثقـل مـن تـرك الهمزة، فلم يكونوا ليخرجوا من ثقل إلى ما هو أثقل منه "[10].

ويكثر الفراء من الإشارة إلى أن المفردة موضع الدراسة يجوز فيها وجهـان الهمـز وعدمه، وفي أثناء ذلك كان يشير إلى جواز قراءتين أو أكثر وإذا بدا له أن واحدة منها لا تتسق مع قواعد العربية يحاول تخريجها، وأمثلة هذه الظاهرة في كتابه (معاني القرآن) كثيرة، نكتفـي

---

[1] آية 82 سورة يوسف.
[2] آية 94 سورة يونس.
[3] آية 77 سورة طه.
[4] آية 13 سورة يس.
[5] الفراء : معاني القرآن 125/1.
[6] المصدر السابق 96/2 .
[7] آية 5 سورة النحل.
[8] آية 83 سورة الاسراء .
[9] آية 255 سورة البقرة.
[10] الفراء : معاني القرآن 130/2.

بالإشارة إليها وإلى الآيات التي حملت في أثنائها المفردات التي يدرسها، وأبرز هذه المـواطن هي : -

1- يكْلَؤُكُم ويكْلُوكُم [1]من قوله تعالى: (قُلْ من يكْلَؤُكُم) [2].

2- بادئَ وبادي[3] من قوله تعالى: (ما نَراك إلا بشَراً مثْلَنَا وما نَراك اتبعك إلاَّ الذين هم أَراذلُنَا بادي الرَّأْيِ) [4].

3- متكَأً ومتكاً[5] من قوله تعالى: (وأَعتَدتْ لَهن متكَأً) [6].

4- أدخلوا وادخلوا[7] من قوله تعالى: (ويوم تَقُوم الساعةُ أَدخلُوا آلَ فرعون) [8].

إلى غير ذلك من المواطن التي يشير فيها الفراء إلى جواز الهمز وعدمه حمـلاً علـى لغات العرب وكلامهم.

وفي مواطن كثيرة كان الفراء ينص على عدم جواز الهمز، من ذلك (معايش) التي جاء حديثه عنها عند تفسيره لقوله تعالى: (وجعلْنَا لَكُم فيها معايشَ) [9]. يقول: "لا تهمز؛ لأنها – يعني يعني الواحدة- مفعلة، الياء من الفعل، فلذلك لم تهمز، إنما يهمز من هذا ما كانـت اليـاء فيـه زائدة؛ مثل مدينة ومدائن، وقبيلة وقبائل لما كانت الياء لا يعرف لها أصل ثـم قارفتهـا ألـف مجهولة أيضاً همزت"[10].

---

[1] الفراء : معاني القرآن 204/2.

[2] آية 42 سورة الأنبياء .

[3] الفراء : معاني القرآن 11/2.

[4] آية 27 سورة هود.

[5] الفراء : معاني القرآن 42/2.

[6] آية 31 سورة يوسف.

[7] الفراء : معاني القرآن 10/3.

[8] آية 46 سورة غافر.

[9] آية 10 سورة الأعراف.

[10] الفراء : معاني القرآن 373/1، 374.

وعلى النقيض من ذلك فإنه يشير في بعض الأحيان إلى أن هذه الكلمة أو تلك موضع الدرس لا يجوز فيها إلا الهمز، وإن جاء خلاف ذلك فإنه من غلط قد تغلطه العرب مثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: (قُلْ لَو شَاء الله ما تَلَوتُه علَيكُم ولاَ أَدراكُم بِه) [1]. يقول: "وقد ذكر عن الحسن أنه قال: (ولاَ أَدرأْتُكُم بِه) فإن يكن فيها لغة سوى دريت فلعل الحسن ذهب إليها."[2].

ويجيز الفراء زيادة مدة بين الهمزتين إذا تحركتا، على نحو ما جاء في أثناء تفسيره لقوله تعالى: (أأَمنْتُم) [3]. يقول: "يجوز أن تجعل بين الألفين ألفاً غير مهموزة، كما يقال: آأنتم، آإذا متْنا كذلك، فافعل بكل همزتين تحركتا فزد بينهما مدة، وهي من لغة بني تميم "[4].

ويفرق الفراء في مواطن كثيرة بين كلمات مهموزة بهمزة مد وأخرى مهموزة بهمزة قطع على نحو ما جاء في أثناء تفسيره لقوله تعالى: (ولَو دخلَتْ علَيهِم من أَقْطَارِها) [5]. يقول: "يعني نواحي المدينة (ثُم سئِلوا الفتْنَةَ) يقول: الرجوع إلى الكفر (لأتَوها) يقول: لأعطَوا الفتنة. فقرأ عاصم والأعمش بتطويل الألف وقصرها أهل المدينة: (لأتَوها) يريد: لفعلوها. والذين طولوا يقولون: لما وقع عليها السؤال وقع عليها الإعطاء؛ كما تقول: سألتني حاجةً فأعطيتكها وآتيتكها"[6]. وقوله تعالى: (آتُوني أُفْرِغُ علَيه قطْراً). يقول: "قرأ حمزة والأعمش (قال ائْتُوني) مقصورة فنصبا القطر بها وجعلاها من جيئوني و (آتوني) أعطوني. إذا طولت الألف كان جيداً " [7].

---

[1] آية 16 سورة يونس.
[2] الفراء : معاني القرآن 459/1.
[3] آية 16 سورة الملك.
[4] الفراء : معاني القرآن 171/3.
[5] آية 14 سورة الأحزاب .
[6] الفراء : معاني القرآن 337/2.
[7] المصدر السابق 160/2.

وكثيراً ما يعرض الفراء لقضايا تتعلق بالهمز وعدمه في كتابيه (المقصور والممـدود، والمنقوص والممدود)، إلا أن الحديث عن هذه القضية كان يأتي على هامش دراسة الموضوعات التي ألفت من أجلها هذه الكتب والدليل على ذلك قوله: "والضنا كثرة الولد غيـر مهمـوز قـال وربما همز يقال قد أضنت المرأة وأضنأت وضنتْ وضنَأتْ وقد أضنى القوم وأضنأوا "[1].

مما سبق نلاحظ أن الفراء في هذه الآراء التي انفرد فيها، أو شارك فيهـا غيـره مـن الكوفيين قد غلّب الجانب الوظيفي في دراسته للهمزة، فهو يدرسها دراسة لغوية يستعين من أجل ذلك بكافة مستويات اللغة، وإن غلب جانبا منها على الجانب الآخر فإن هدفه توضـيح الـنص القرآني وفك الإبهام والغموض عن آياته.

---

[1] الفراء : المنقوص والممدود 38.

الإبـــــدال

وهو "أن تضع حرفاً مكان آخر بعد إزالته، وهو مختص بالحروف الصحيحة، وهنـاك مفارقة ما بين اصطلاح إبدال وبدل، إذ جعل الأول اصـطلاحاً صـرفياً والثـاني اصـطلاحاً نحوياً"[1].

وهو من الظواهر التي التفت إليها الفراء واستشهد عليها بأمثلة وشـواهد مـن القـرآن الكريم وقراءاته والحديث النبوي الشريف والشعر وكلام العرب، وهذه الظاهرة تتكرر في كتبه، بشكل يؤدي إلى صعوبة في حصرها، والاستشهاد بكل جهوده الخاصة بها. وقد فسـر مهـدي المخزومي هذه الظاهرة بقوله :"وظاهرة الإبدال مظهر من مظاهر الاخـتلاف بـين اللهجـات القديمة، وهي يختلف بعضها عن بعض فيما تعوده كل منها من إيثار الأصـوات الشـديدة، أو الرخوة أو المهموسة، أو المجهورة، ومن تحمل الهمز أو التخفف منه، تسهيلاً أو حذفاً أو إبدالاً إلى غير ذلك "[2].

وأمثلة الإبدال التي ترويها كتبه، وكتب اللغة القديمة كثيرة، جاءت في إطار ما يعـرف باللهجات من ذلك ما جاء في إطار قلب العين الساكنة نوناً فيما يعرف بالاستنطاء، وقلب الكاف شيناً مطلقاً فيما يعرف بالكشكشة، وإبدال لام التعريف فيما يعرف بالطمطمانية، وإبـدال اليـاء جيما فيما يعرف بالعجعجة، وإبدال الهمزة عيناً فيما يعرف بالعنعنة، وإبدال الكاف سـيناً فيمـا يعرف بالكسكسة. إلى غير ذلك من الحالات التي يوردها الفراء في كتبـه، أو يـورده غيـره منسوبة له [3].

---

[1] أحمد حسن حامد، ويحيى عبد الرؤوف جبر : الواضح في علم الصرف 149.

[2] مهدي المخزومي : مدرسة الكوفة 176.

[3] ينظر رمضان عبد التواب : فصول في فقه اللغة 120 فصاعداً.

ومعظم الحروف التي يحصل فيها الإبدال متقاربة المخرج، أو تشترك فيما بينهـا فـي كثير من الملامح والصفات التي تميز الأصوات بعضها من بعض، وقد نص الفراء على ذلـك في أثناء تفسيره لقوله تعالى: (وإِذَا السماء كُشطَتْ) [1]. يقول: "نُزعت وطويت، وفي قراءة عبد الله: (قشطت) بالقاف، وهما لغتان، والعرب تقول: القافور والكـافور، والقَـف والكَـف – إذا تقارب الحرفان في المخرج تعاقبا في اللغات : كما يقال: جدف وجدث، تعاقبت الفاء الثاء في كثير من الكلام، كما قيل: الأثافي والأثاثي، وثوب فُرقبي وثرقبي ووقعوا في عاثورِشَر، وعافورشر* "[2].

ونماذج الإبدال التي أوردها الفراء في كتبه تدل دلالة واضحة على تأثره بلهجات العرب المختلفة وسماعه لهذه القبيلة أو تلك، وأبرز هذه النماذج هي :-

* إبدال الزاي تاء أو ميما، وذلك واضح في (لازب ولاتب) من قوله تعالى :(من طينٍ لازِبٍ) [3]. يقول: "اللازب: اللاصق. وقيس تقول : طين لاتب[4].

* وإبدال التاء دالا، نحو : (ازدجِر) من قوله تعالى: (وقَالُوا مجنون وازدجِر) [5]. يقول: "زجِر بالشتم، وازدجر افتعل من زجرتُ، وإذا كان الحرف أَولُه زاي صارت تاء الافتعال فيه دالا؛ من ذلك: زجِر، وازدجِر، ومزدجر، ومن ذلك: المزدلِفُ ويزداد هي من الفعل يفْتعلُ فقس عليه مـا ورد "[6]، ومما ورد فيه إبدال التاء والذال دالا (يدخر ويدكر ومدكر). يقول: "فأما الذين يقولون

---

[1] آية 11 سورة التكوير.

* الأثافي : جمع أثفية، وهي الحجر الذي يوضع تحت القدر. الثرقبية والفرقبية: ثياب كتان وقيـل: مـن ثيـاب مصـر. والعاثور: ما عثر به، ووقعوا في عاثور شر، أي : في اختلاط من شر وشدة .

[2] الفراء : معاني القرآن 241/3.

[3] آية 11 سورة الصافات.

[4] الفراء : معاني القرآن 384/2.

[5] آية 9 سورة القمر .

[6] الفراء : معاني القرآن 106/3.

: يدخر ويدكر ومدكر فإنهم وجدوا التاء إذا سكنت واستقبلتها ذال دخلت التاء في الذال فصارت ذالا؛ فكرهوا أن تصير التاء ذالا فلا يعرفُ الافتعال من ذلك، فنظروا إلى حرف يكـون عـدلا بينهما في المقاربة، فجعلوه مكان التاء ومكان الذال.

وأما الذين غلّبوا الذال فأمضوا القياس، ولم يلتفتوا إلى أنه حرف واحد، فأدغموا تاء الافتعال عند الذال والتاء والطاء[1].

* إبدال الثاء فاء مثل (ثومها وفومها) من قوله تعالى: (وفُومها وعدسها وبصلها) [2]. يقول: "فإن الفوم فيما ذكر لغة قديمة وهي الحنْطة والخُبز جميعاً قد ذُكرا. قال بعضهم: سمعنا العرب مـن أهل هذه اللغة يقولون: فَوموا لنا بالتشديد لا غير، يريدون اختبزوا وهي فـي قـراءة عبـد ا (وثُومها) بالثاء، فكأنه أشبه المعنيين بالصواب؛ لأنه مع ما يشاكله: من العدس والبصل وشبهه. والعرب تُبدل الفاء بالثاء فيقولون: جدثٌ وجدفٌ، ووقعوا في عاثُور شر وعافُور شر، والأثـافي والأثافي. وسمعت كثيراً من بني أسد يسمى المغافير المغاثير "[3].

* إبدال الطاء والظاء تاء في (أحطتُ) من قوله تعالى: (فَمكَثَ غَير بعيد فَقَالَ أَحطتُ بما لَم تُحطْ به) [4]. يقول: "قرأها الناس بالضم، وقرأها عاصم بالفتح: فَمكَثَ. وهي في قـراءة عبـد اللّـه (فتمكث) ومعنى (غير بعيد) غير طويل من الإقامة. والبعيد والطويل متقاربان. وقولـه (فَقَـالَ أَحطْتُ بما لَم يحطْ به وجِئْتُك) قال بعض العرب : أحط فأدخل الطاء مكان التـاء. والعـرب إذا لقيت الطاء التاء فسكنت الطاء قبلها صيروا الطاء تاء، فيقولون: أَحت، كما يحولون الظاء تـاء في قوله: (أوعت

---

[1] الفراء : معاني القرآن 215/1، 216.

[2] آية 61 سورة البقرة.

[3] الفراء : معاني القرآن 41/1.

[4] آية 22 سورة النمل.

أم لم تكُن من الواعظين) [(1)]" [(2)].

* إبدال العين همزة والعكس، وقد روى البغدادي ما قاله ابن السكيت في ذلك، بقوله: "ويقـال: عباب الموج وأبابه. ويقال: لأطَه بعين ولأطَه بسهم ولعطه إذا أصابه به، أبو زيد: يقال: صبأْتُ على القوم أصبأصباً وصبعت عليهم أصبع صبعا، وهما واحد، وهو أن تدخل علـيهم غيـرهم، الفراء: يقال: يوم عك، ويوم أك من شدة الحر، ويقال: ذهب القوم عباديـد و أباديـد، وعبابيـد وأبابيد، ويقال: انجأفتْ النخلة وانْجعفَت، إذا انقلعت من أصلها، وقال الأصـمعي: سـمعت أبـا الصقر ينشد [(3)]:

(الطويل)

أريني جواداً ماتَ هزلاً لألني أرى ما ترين أو بخيلاً مخَلداً "[(4)].

* إبدال الزاي راء في (نُنْشزها) من قوله تعالى: (وانْظُر إلى الْعظَامِ كيفَ نُنْشزها) [(5)]. يقـول: "وقوله (ننشزها) قرأ زيد بن ثابت كذلك، والإنشاز نقلها إلى موضـعها. وقرأهـا ابـن عبـاس (نُنْشرها). إنشارها: إحياؤها. واحتج بقوله: (ثُم إذَا شَاء أَنْشَره)[(6)].

* إبدال الصاد تاء، وذلك واضح فيما ذكره البغدادي عن ابن السكيت.

قال الفراء: "وطيء يسمون اللصوص اللصوت، ويسمون اللص لِصتاً، وهم الذين يقولون للطس طَست"[(7)].

---

(1) آية 136 سورة الشعراء.

(2) الفراء : معاني القرآن 289/2.

(3) موطن الشاهد هو (لألني) حيث أبدلت العين همزة والأصل أن يقول : (لعلني).

(4) البغدادي: شرح شواهد الشافية 434/4 .

(5) آية 259 سورة البقرة .

(6) آية 22 سورة عبس.

(7) البغدادي: شرح شواهد الشافية 475/4 .

* إبدال الحاء خاء في (سبحاً) من قوله تعالى: (إن لك في النهارِ سبحاً طَويلاً) [1]. يقول: "لـك في النهار ما يقضى حوائجك. وقد قرأ بعضهم : (سبخا) بالخاء، والتسـبيخ: توسـعة الصـوف والقطن وما أشبهه، يقال: سبخي قطنك. قال أبو الفضل: سمعت أبا عبد ا يقول: حضـر أبـو زياد الكلابي مجلس الفراء في هذا اليوم، فسأله الفراء عن هذا الحرف فقال: أهل باديتنا يقولون: اللهم سبخ عنه للمريض والملسوع ونحوه "[2].

* إبدال السين زايا في (الرجس) من قوله تعالى: (ويجعلُ الِّرجس على الـذين لا يعقلُـون) [3]. يقول: "العذاب والغضب، وهو مضارع لقوله الرجز، ولعلهما لغتان بدلت السين زايا كمـا قيـل الأسد والأزد "[4].

* إبدال القاف كافا في (كُشطَتْ) من قوله تعالى: (وإذَ السماء كُشـطَتْ) [5]. يقـول: "نزعـت وطويت، وفي قراءة عبد اللّه (قشطَت) بالقاف، وهما لغتان"[6].

* إبدال الواو همزة في (الوصيد) من قوله تعالى: (ذراعيه بِالوصيد) [7]. يقـول: "الوصـيد : الفناء. والوصيد والأصيد لغتان مثل الإكاف والوكاف[8]"

* إبدال اللام نونا في (إلْياسِيَن) من قوله تعالى: (سلاَم على إِلْياسين) [1]. يقول: "فجعله بـالنون. والعجمي من الأسماء قد يفعل به العرب. تقول: ميكالُ وميكائِيل وميكائل وميكائين بالنون. وهي في بني أسد يقولون: هذا إسماعين قد جاء، بالنون، وسائر العرب باللام.

---

(1) آية 7 سورة المزمل.

(2) الفراء : معاني القرآن 197/3.

(3) آية 100 سورة يونس.

(4) الفراء : معاني القرآن 480/1.

(5) آية 11 سورة التكوير.

(6) الفراء : معاني القرآن 241/3.

(7) آية 18 سورة الكهف.

(8) هو برذعة الحمار.

فهذا وجه لقوله: إلياسين. وإن شئت ذهبت بإلياسين إلى أن تجعله جمعا "[2].

* إبدال الغين عينا في (شَغَفَها) من قوله تعالى: (قَد شَغَفَها حباً) [3]. يقول: "أي قد خرق شَـغَاف قلبها وتقرأ (قَد شَعفَها) بالعين وهو من قولك: شُعِف بها. كأنه ذهب بها كل مذهب. والشـعف: رؤوس الجبال "[4].

* إبدال السين ياء في (دساها) من قوله تعالى: (قَد أَفْلَح من زكّاها، وقَد خَاب مـن دسـاها) [5]. يقول: "قد أفلحت نفس زكاها ا ، وقد خابت نفس دساها، ويقال: قد أفلح من زكى نفسه بالطاعة والصدقة، وقد خاب من دسى نفسه، فأخملها بترك الصدقة والطاعة، ونرى – وا أعلـم – أن دساها من: دستْ، بدلت بعض سيناتها ياء، كما قالوا: تظنيت من : الظن، وتقضـيت يريـدون: تقضضت من: تقضض البازي[6].

* إبدال الميم نونا، ويبدو ذلك فيما رواه الأصمعي منسوبا إلى الفراء، وغيره من علماء اللغـة. يقول: "يقال للبعير إذا قارب الخطو وأسرع. بعير دهامج * وبعير دهانج، وقد دهمـج يـدهمج دهمجة ودهنَج يدهنج دهنَجةً، ويقال أسود قاتم، وقاتن "[7].

* إبدال الميم باء، على نحو قول البغدادي: "الفراء: يقال: أومأت إليه و أوبأت إليـه ...الفـراء أطمأننت إليه، ولغة بني أسد اطبأننت ... الفراء ذهب القول شَذَر مذَر، وشَذَر بذَر "[8].

---

[1] آية 130 سورة الصافات .

[2] الفراء : معاني القرآن 391/2.

[3] آية 30 سورة يوسف.

[4] الفراء : معاني القرآن 42/2.

[5] الآيتان 9، 10 سورة الشمس.

[6] الفراء : معاني القرآن 267/3.

* دهامج : الدهامج هو البعير ذو السنّامين، والمقارب الخطو المسرع.

[7] البغدادي: شرح شواهد الشافية 457/4.

[8] المصدر السابق 462/4، 463.

* إبدال الهمزة هاء، وفي ذلك يقول البغدادي : "وحكى الفراء : أَهرقت الماء فهو مهراق، ويقال: إياك أن يفعل وهياك أن تفعل، وإنما يقولون: هياك في موضع زجر، ولا يقولون: هياك أكرمت"[1].

* إبدال النون لاما، وفي ذلك يقول الاستراباذي: " الفراء: هو شَثْن الأصابع وشَثْلها، وقد شَثُنَت كفه شُثُونة وشثانة وشَثُلت، وهو الغليظ الخشن"[2].

* إبدال الياء المشددة جيما، وهي لهجة عربية معروفة، إلا أن الفراء أجاز إبدال الياء الخفيفة أيضاً، وقد عرض لرأي الفراء في ذلك ابن عصفور بقوله:" ومن إبدال الجيم من الياء المخففة ما أنشده أبو عمرو بن العلاء، لهميان بن قحافة، من قوله [3]:

(الرجز)

يطير عنها الوبر الصهابجا

وموقف الفراء من إبدال الياء المشددة أو المخففة جيما لا يخرج عن موقف علماء اللغة الذين يرون أن هذا الإبدال يتم في الشعر فقط، فلم نعثر فيما قرأنا على أن الفراء سمع عن العرب أو أجاز الإبدال في غير الشعر[4].

هذه هي أهم نماذج الإبدال التي تحدث عنها الفراء في كتبه، وكتب القدماء، وكما هو واضح فإن حديثه عنها مبني على اختلاف اللغات واللهجات؛ لا سيما أن لكل قبيلة عربية سماتها اللهجية التي تميزها عن القبائل الأخرى، وقد ذكر كثيراً من القراءات التي تشابهت مع هذه النماذج اعتماداً على السماع في معظم الأحيان .

---

(1) البغدادي: شرح شواهد الشافية 438/4، 439 .

(2) المصدر السابق 465/4.

(3) البيت في اللسان مادة (صهب) 485/2، وأراد الصهابج الصهابي، ويقال جمل صهابي أي أصهب، والأصهب من الإبل الذي ليس بشديد البياض.

(4) البغدادي : شرح شواهد الشافية 215/4، 216.

الإدغـــام

ويقصد به "نطق حرفين متصلين في مخرج واحد، ساكن فمتحرك وذلـك بـأن يرتفـع اللسان بهما وينحط دفعة واحدة كأنهما حرف واحد. أو هو إدخال حرف في حرف مـن جنسـه بحيث يصبحان حرفاً واحداً مشددا. ويقع الإدغام فـي الحـرفين المتقـاربين فـي المخـرج، والمتجانسين في الصفة نحو : مد، وشَد، وامحى، وادعى في انمحى وادتعى "[1].

ومصطلح الإدغام بتسكين الدال مصطلح خاص بالكوفيين دون البصريين. يقـول ابـن جني: "وأما الإدغام في اللغة فمعناه الإدخال – يقال أدغم اللجام في الفرس إذا أدخله فيه؛ ويجوز في داله التشديد وهو لغة البصريين والتخفيف وهو لغة الكوفيين، قال بعض الشعراء المحدثين : (الخفيف)

أدغَموا الذا يلات في مثْلها مذْ   هم في الْمثْل يحسن الإدغَام

و أمالُـو إليهـم أَلِفـَات الن   بل حين لم يحمهم منْـه لاَم [2]

وقد بنيت ظاهرة الإدغام "على أن لبعض الحروف تـأثيراً فـي بعـض، يـدعو إليـه الاستعمال، وما يتطلبه من اقتصاد في المجهود العضلي، وانسجام في الموسيقى اللغويـة، وقـد تنبه القدماء من فقهاء اللغة على هذا التأثر المتبادل بين الحروف، ولكنهم فسروه بما لا يتفق مع ما وصل إليه الدرس الحديث، فاعتبروا بعض الحروف قويا، وبعضه الآخر ضعيفا، وقالوا: إن للحروف القوية تأثيراً في الحروف الضعيفة ما اجتمع حرفان: قوي وضعيف"[3].

---

[1] أحمد حسن حامد، ويحيى عبد الرؤوف جبر: الواضح في علم الصرف 137.

[2] ابن جني : التصريف الملوكي 61.

[3] مهدي المخزومي : مدرسة الكوفة 175. وينظر ابن جني : الخصائص 53، 54.

وجهوده الخاصة بهذه القضية تندرج في إطار الأصوات المتجانسة أو المتقاربـة فـي الملامح والصفات، سواء أكان ذلك بعرضه للقراءات القرآنية التي يستعين بها في تفسير الـنص القرآني تفسيراً لغويا، أم فيما يندرج في إطار مخالفته للعلماء الآخرين بقضايا الإدغام. وأول ما يلقانا من ذلك يتمثل في اهتمامه بالصورة الصوتية للإدغام، وفكرة الأصل والفرع التي تتفق مع النحو التوليدي والتحويلي بما يسمى البنية العميقة. يقول شرف الدين الراجحي: "ونلاحظ اهتمام الفراء بالصورة الصوتية للإدغام وفكرة الأصل والفرع التي تتفق مع النحو التوليدي – التحويلي بما يسمى البنية العميقة. فقد ذكر الإدغام في كثير من أمثلته السابقة من أصل وفرع مثل ازدجر ومعناها ازتجر ومدكر وأصلُها مذتكر – واثاقلتم وأصلها تثاقلتم وهكذا "[(1)].

ويربط الفراء بين الإبدال والإدغام، ويستدل على حدوث الإبدال بين الصـوتين بأنهمـا متقاربان، وبذلك يجوز أن يكون فيهما الإدغام، وأمثلة ذلك كثيرة في كتابه (معاني القرآن)، من ذلك ما جاء في أثناء تفسيره لقوله تعالى: (الّذين يلْمزون الْمطـوّعين) [(2)]. يقـول: "يـراد بـه المتطوعين فأدغم التاء عند الطاء فصارت طاء مشـددة. وكـذلك (ومـن يطـوع خَيـرا) [(3)]، (والْمطهرِين) [(4)]"[(5)]. وفي قوله تعالى: (فَهلْ من مدكرٍ) [(6)]. يقول: "المعنى: مذتَكر، وإذا قلـت: مفْتعلٌ فيما أوله ذال صارت الذال والإفتعال دالاً مشددة وبعض بنـي أسـد يقولـون : مـذّكر، فَيغَلبون الذال فتصير ذالاً مشددة ... قال: قلنا لعبد ا : فهل من مذكرٍ، أو مدكر، فقال: أقرأنـي

---

(1) شرف الدين الراجحي : في المصطلح الصرفي عند الفراء في كتابه (معاني القرآن)، 109.

(2) آية 79 سورة التوبة.

(3) آية 158 سورة البقرة.

(4) آية 108 سورة التوبة.

(5) الفراء : معاني القرآن 447/1.

(6) آية 15 سورة القمر .

رسول ا صلى ا عليه وسلم : (مدكر) بالدال" [1]. ويبدو ذلك أيضاً في تفسيره لقوله تعـالى: (ما لَكُم إِذَا قِيلَ لَكُم انْفِروا في سبيل الله اثاقَلْتُم) [2]. يقول: "معنـاه وا أعلـم: (تثـاقلتم) فـإذا وصلتها العرب بكلام أدغموا التاء في الثاء؛ لأنها مناسبة لها، ويحدثون أَلِفا لـم يكـن؛ ليبنـوا الحرف على الإدغام في الابتداء والوصل. وكأن إحداثهم الألف ليقطع بها الابتداء، ولو حـذفت لأظهروا التاء لأنها مبتدأة، والمبتدأ لا يكون إلا متحركا. وكذلك قوله: (حتّى إِذَا اداركُـوا فيهـا جميعاً) [3]، وقولـه: (وازينَتْ) [4]- وا أعلم - : تزينت، و(قالُوا اطيرنَـا) [5]معنـاه: تطيرنـا. والعرب تقول: (حتى إذا ادراكوا) تجمع بين ساكنين: بين التاء من تداركوا وبين الألف من إذا. وبذلك كان يأخذ أبو عمرو بن العلاء ويرد الوجه الأول، وأنشدني الكسائي:

(البسيط)

تُولِي الضجِيع إِذَا ما استَافها[6] خَصراً   عذْب المذَاق إِذَا ما اتّابع القُبَلُ "[7].

ويبدو ربطه بين الإدغام والإبدال أيضاً في أثنـاء تفسـيره لقولـه تعـالى: (تَشَـابهتْ قُلُوبهم)[8]. يقول :"تشابهت قلوبهم في اتفاقهم على الكفر. فجعله اشتباها، ولا يجـوز تشّـابهت بالتثقيل؛ لأنه لا يستقيم دخول تاءين زائدتين في تفاعلات ولا في أشباهها. وإنما يجوز الإدغام إذا قلت في الاستقبال: تتشابه عن قليل فتدغم التاء الثانية عند الشين" [9]. وفي قوله تعالى: (وأُنَبئُكُم

---

(1) الفراء : معاني القرآن 107/3.

(2) آية 37 سورة التوبة.

(3) آية 38 سورة الأعراف.

(4) آية 24 سورة يونس.

(5) آية 47 سورة النمل.

(6) استافها : شمها. والخصر : البارد. يريد ريقها .

(7) الفراء : معاني القرآن 437/1، 438.

(8) آية 118 سورة البقرة .

(9) الفراء : معاني القرآن 75/1.

بما تأكلُون وما تَدخرون في بيوتكُم) [1]. يقول: "وقوله: (وما تَدخرون) هي تفتعلون من ذخرت، وتقرأ (وما تدخَرون) خفيفة على تَفْعلون، وبعض العرب يقول: تدخرون فيجعل الـدال والـذال يعتقبان في تفتعلون من ذخرت، وظلمت تقول: مظّلم ومطلم، ومذكر ومدكر، وسمعت بعض بني أسد يقول: قد اتغر، وهذه اللغة كثيرة فيهم خاصة، وغيرهم: قد اثغر.

فأما الذين يقولون : يدخر ويدكر فإنهم وجدوا التاء إذا سكنت واستقبلتها ذال دخلت التاء في الذال فصارت ذالا فكرهوا أن تصير التاء ذالا فلا يعرف الافتعال من ذلك، فنظـروا إلـى حرف يكون عدلا بينهما في المقاربة، فجعلوه مكان التاء ومكان الذال.

وأما الذين غلبوا الذال فأمضوا القياس، ولم يلتفتوا إلى أنه حرف واحد، فـادغموا تـاء الافتعال عند الذال والتاء والطاء.

ولا تنكرن اختيارهم الحرف بين الحرفين؛ فقد قالوا: ازدجر ومعناها: ازتجر، فجعلـوا الدال عدلا بين التاء والزاي. ولقد قال بعضهم: مزجر، فغلب الزاي كما غلب التاء "[2].

وقد عقب السيرافي على رأي الفراء هذا ورده بقوله : إنما يعلم ما تناسب من الحروف باللغة أن يبدل الحرف من أخيه ويكون معه في قافية واحدة مثل مدح ومده والنون والميم فـي قافية، والعين والهمزة مثل استأديت واستعديت وهذا كثير، ويبدل الحرف من أخيه فيدغم فيه إذا قرب ذلك القرب[3]. ويرد السيرافي رأيه ويأتي ذلك متسقاً مع منهجه في الهجوم عليه بقولـه : "وهذا كله خطأ فاحش في باب الإدغام، لأنه يلزم قائله إذا اعتبر الإدغام بالقلب والإبـدال فـي

---

(1) آية 49 سورة آل عمران.

(2) الفراء : معاني القرآن 215/1، 216.

(3) السيرافي: شرح كتاب سيبويه، (مخطوط) 53/3. نقلاً عن شرف الدين الراجحي: في المصطلح الصرفي عند الفـراء في كتابه (معاني القرآن) 108.

بعض المواضع أن يدغم الهمزة في العين، والعين في الهمزة، مـن حيـث قـالوا: اسـتأديت واستعديت، وهذا لا يقوله أحد "[1].

كما عقب عبد الصبور على رأي الفراء ونقد السيرافي لـه، بقولـه: "ويلاحـظ علـى السيرافي في نقده هذا اعتباره لكثير من الألفاظ المترادفة في باب الإبدال، كما في أجـم وأحـم، وجاس وحاس، وألمعى، ويلمعي، ويرقان وأرقان، مع أن الصوتين المتبادلين متباعدا المخـرج والصفة وإن كان في ملاحظته عموماً نصيب كبير من الصواب .

والواقع أننا لو استبعدنا الأصوات غير القابلة للإدغام في ذاتها كالهمزة، أو مع غيرهـا كالهاء في العين، يمكن أن نعتبر رأي الفراء قريباً من الصواب، مع بعض تعديلات ينبغـي أن تدعم بها ملاحظته [2].

ويعرض الفراء لإدغام التاء في الطاء نحو (يخْطَفُ) من قوله تعـالى: (يكـاد الْبـرقُ يخْطَفُ أبصارهم) [3]. يقول: "والقراء تقرأ (يخَطفُ أبصارهم) بنصب الياء والخـاء والتشـديد. وبعضهم ينصب الياء ويخفض الخاء ويشدد الطاء فيقول: (يخطفُ). وبعضهم يكسر الياء والخاء والطاء فيجمع بين ساكنين فيقول: (يخْطف). فأما من قال: (يخَطفُ) فإنه نقـل إعـراب التـاء المدغمة إلى الخاء إذ كانت منجزمة. وأما من كسر الخاء فإنه طلب كسرة الألـف التـي فـي اختطف والاختطاف؛ وقد قال فيه بعض النحويين: إنما كسرت الخاء لأنها سكنت وأُسكنت التاء بعدها فالتقى ساكنان فخفضت الأول؛ كما قال : اضرِب الرجل؛ فخففت الياء لاسـتقبالها الـلام. وليس الذي قالوا بشيء؛ لأن ذلك لو كان كما قالوا لقالت العرب في يمد: يمد؛ لأن الميم كانـت

---

[1] السيرافي : شرح كتاب سيبويه 54/3 : نقلاً عن شرف الدين الراجحي : في المصطلح الصرفي عند الفراء في كتابـه (معاني القرآن) 108.

[2] عبد الصبور شاهين : أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي (أبو عمرو بن العلاء) 268. نقلاً عن شرف الـدين الراجحي: في المصطلح الصرفي عند الفراء في كتابه (معاني القرآن) 109.

[3] آية 20 سورة البقرة.

ساكنة وسكنت الأولى من الدالين. ولقالوا في يعض: يعض. وأما من خفض الياء والخـاء فإنـه أيضاً من طَلَبه كسرة الألف؛ لأنها كانت في ابتداء الحرف مكسورة. وأما من جمع بين الساكنين فإنه كمن بنى على التبيان؛ إلا أنه إدغام خفي "[1].

وقد ذكر ابن جني رواية الفراء أن بعض أهل المدينة يسكن الخاء والطاء ويشدد فيجمع بين ساكنين، ورأى بطلان هذا الرأي بقوله : "هذا الذي يجيزه الفراء من اجتماع الساكنين فـي نحو هذا لا يثبته أصحابنا، وإنما هو اختلاس وإخفاء فيلطف عليهم فيرون أنه إدغام، وإنما هـو إخفاء للحركة وإضعاف للصوت[2].

ومن أبرز المسائل التي وردت عن الفراء، وتخص هذه القضية، ما ذهب إليه هو أستاذه الكسائي من جواز إدغام الراء في اللام، وحجتهما في ذلك أن الراء إذا أدغمت في اللام صارت لاما، ذلك أن لفظ اللام أسهل وأخف من أن نأتي براء فيها تكرير وبعدها لام، وهي مقاربة للفظ الراء، فيصير كالنطق بثلاثة أحرف من موضع واحد، وذلك مثل قوله تعالى: (فَـاغْفر لَنـا[3]، واستَغْفر لَهم[4]، ويغْفر لَكُم[5])[6].

وقد علل مهدي المخزومي هذا الإدغام بقوله :"وهذا يشعرنا بـأنهم كـانوا علـى علـم بالأسس الصوتية التي شهدها زمانهم، لقد عرفوا أن الحرفين المتقاربين إذا اجتمعا تأثر أحـدهما بالآخر، وإدغام الراء في اللام يؤيده الدرس الحديث، وذلك لقرب المخرج مع اتحاد الصفة"[7].

---

[1] الفراء : معاني القرآن 17/1، 18.
[2] ابن جني : المحتَسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها 61/1، 62.
[3] آية 16 سورة آل عمران.
[4] آية 159 سورة آل عمران.
[5] آية 71 سورة الأحزاب.
[6] ابن يعيش: شرح المفصل 143/10.
[7] مهدي المخزومي : مدرسة الكوفة 171.

وقد عرض الفراء في كتابه (معاني القرآن) لكثير من قضايا الإدغام ونماذجه، وأبرزها:

كراهية إدغام الطاء في التاء، "فلم يقولوا : "اتلع واتلم في اطلع واطّلم لـئلا يلتـبس باتعـد واتزن هكذا قاله الفراء فأبدلوا من التاء طاء، لأنها من مخرجها على ما ذكرناه فأدغموا الطـاء وصار الإدغام ها هنا لازما لسكونه "[1].

وقد عقب مهدي المخزومي على هذا النوع من الادغام، بقوله: "والفراء هنا – فـي أكبـر الظن – على حق في منعه الإدغام في التاء، حتى تصبح الطاء تاء، لئلا تلتبس بـاتزن واتعـد، والعرب يغايرون أحياناً بين مواضع من كلامهم، وإن اشتركت هذه المواضع في نظام واحـد، كأنهم كانوا ينتبهون إلى ما يحدث توحيدها في الحكم، من التباس صيغة بأخرى، وكأن الكوفيين كانوا قد شعروا بهذا، فعللوا حذف الواو في نحو (يعد)، وثبوتها في (يوجل) بنفس التعليل الـذي علل به الفراء، من كراهية العرب إدغام الطاء في التاء في (اطلع)؛ وكانوا يرون أن ثبوت الواو في (يوجل) إنما هو للفرق بين المتعدي واللازم"[2].

* إدغام الذال في التاء في (عذْتُ) من قوله تعالى: (وإني عذْتُ بربي وربكُم) [3]. يقول: "وفـي قراءة عبد ا (اتخّتم العجلَ) [4] (وإني عت بربي وربكُم) [5] فأدغمت الذال أيضاً عنـد التـاء. وذلك أنهما متناسبتان في قرب المخرج، والثاء والذال مخرجهما ثقيل، فـأنزل الإدغـام بهمـا لثقلهما؛ ألا ترى أن مخرجهما من طَرف اللسان، وكذلك الظاء تشاركهن في الثقل. فما أتاك من هذه الثلاثة الأحرف فأدغم. وليس تركك الإدغام بخطأ، إنما هو استثقال"[6].

---

[1] ابن يعيش: شرح المفصل 149/10.

[2] مهدي المخزومي : مدرسة الكوفة 174. وينظر الأسترابازي : شرح شافية ابن الحاجب 282/3، 283.

[3] آية 20 سورة الدخان .

[4] آية 92 سورة البقرة.

[5] آية 20 سورة الدخان .

[6] الفراء : معاني القرآن 172/1.

* إدغام التاء في الطاء في (أحطْتُ) [1] من قوله تعالى: (أحطْتُ بما لَم تُحطْ بِه) [2].

* صيغة الافتعال، وما يطرأ عليها من إدغام بعض الحروف في التاء[3]، نحو (مدكرٍ) من قوله تعالى :(فَهلْ من مدكرٍ) [4].

* ومن مسائل الإدغام التي نسبت إليه تجويزه لإدغام المثلين إذا كانا في كلمتين، ولو لم ينطبق على القضية الشرطان اللذان اشترطهما البصريون، وهما: ألا يكونا همزتين، مثل: قرأ آية، وألا يكون الحرف الذي قبلهما ساكناً غير لين، مثل: شهر رمضان [5]. والأمثلة على هذه الظـاهرة في (معاني القرآن) كثيرة، من ذلك إدغام النون من أنا مع النون من لكن، كما هو عليه الحـال في قوله تعالى: (لَكنّا هو اللّه ربي) [6]. يقول: "معناه: لكن أنا هو اللّه ربي تُرِك همزة الألف من من أنا، وكثر بها الكلام، فأدغمت النون من (أنا) مع النون من (لكن) [7].

ومن ذلك أيضاً إدغام اللام في بل وهل بالتاء، على نحو ما جاء في أثناء تفسيره لقوله تعالى: (قُلْ هلْ تَربصون بِنَا إلا إِحدى الحسنَيين) [8]. يقول: "الظفَر أو الشهادة، فهما الحسنيان. والعرب تدغم اللام من (هل) و (بل) عند التاء خاصة. وهو في كلامهم عال كثير؛ يقول: هلْ تدري، وهتدرِي"[9].

---

[1] الفراء : معاني القرآن 172/1.

[2] آية 22 سورة النمل .

[3] الفراء : معاني القرآن 172/3.

[4] آية 15 سورة القمر .

[5] الأشموني: منهج السالك إلى ألفية ابن مالك 890/3.

[6] آية 38 سورة الكهف .

[7] الفراء : معاني القرآن 144/2، 145.

[8] آية 52 سورة التوبة .

[9] الفراء : معاني القرآن 441/1 .

* إدغام التاء في (والصافات) [1] وجواز إظهارها، وهو الأفضل؛ لأن القراءة بنيت على التفعيل التفعيل والبيان. يقول : "تخفض التاء من (الصافات) ومن (التاليات) لأنه قَسم. وكان ابن مسعود يدغم (والصافات صفاً) وكذلك (والتاليات) و(الزاجرات) يدغم التاء منهن والتبيـان أجـود؛ لأن القراءة بنيت على التفعيل والبيان "[2].

* إدغام التاء في الذال، ويظهر ذلك واضحاً في أثناء تفسيره لقوله تعالى: (وجاء الْمعذِّرون)[3]. الْمعذِّرون)[3]. يقول :"وهم الذين لهم عذْر. وهو في المعنى المعتذرون، ولكن التاء أدغمت عنـد الذال فصارتا جميعاً (ذالا) مشددة"[4].

* إدغام التاء في الشين في (تَشَقَقُ) من قوله تعالى: (ويوم تَشَقَقُ السـماء بالغَمـام)[5]. يقـول: "ويقرأ (تَشققُ) بالتشديد وقرأها الأعمش وعاصم (تَشَقَقُ السماء) بتخفيف الشين فمن قَرأ تَشـقق أراد تتشقق بتشديد الشين والقاف فأدغم كما قال (لا يسمعون ِإلى الْملأ الأعلى) [6] ومعناه – فيما فيما ذكروا – تشقق السماء عن الغمام الأبيض ثم تنزل فيه الملائكة وعلى وعن والياء في هـذا الموضع بمعنى واحد لأن العرب تقول: رميت عن القوس وبالقوس وعلى القوس، يراد به معنى واحد "[7].

* إدغام التاء في التاء[8]، وذلك واضح في أثناء تفسيره لقوله تعالى: (فَأَنْذَرتُكُم نَاراً تَلَظى)[9].

---

[1] آية 1 سورة الصافات.

[2] الفراء : معاني القرآن 382/2.

[3] آية 90 سورة التوبة .

[4] الفراء : معاني القرآن 447/1، 448.

[5] آية 24 سورة الفرقان .

[6] آية 9 سورة الصافات.

[7] الفراء : معاني القرآن 267/2.

[8] المصدر السابق 271/3، 272.

[9] آية 14 سورة الليل.

هذه هي أهم الجوانب الخاصة بهذه الظاهرة مما جاء في كتبه، وحملته لنا كتب اللغة القديمة، كآراء منسوبة إليه، ويتضح فيها رأيه القائم على أن المتكلم للغة يجنح إلى إدغام المثلين المتشابهين من الحروف رغبة في الخفة واليسر في النطق، وهروبا من الثقل الناتج عن التكلم بحرفين فيهما خصائص وملامح صوتية مشتركة، فيلجأ إلى النطق بحرف واحد، من جهة أن ذلك أخف على المتكلم وأيسر.

الإعـــلال

هو "تغيير حرف العلة للتخفيف، ويجمعه القلب، والحذف، والإسكان. وحروفه الألف، والواو، والياء. ولا تكون الألف أصلاً في المتمكن ولا في فعلٍ، ولكن عن واو أو ياء"[1].

ويعرفه أحمد حسن حامد، ويحيى عبد الرؤوف جبر، بقولهما: "يدل اصطلاح الاعلال على أن الأحداث الصوتية والصرفية في داخل الكلمة إنما تحدث في أحرف العلة من قلب أو حذف، أو إبدال، فهي إذن أحرف أشبه بالمريض الذي تتحول صورة جسمه أو لون وجهه من حال إلى حال، وقد يصل إلى الموت (الحذف). وعليه نستطيع أن نعرف الإعلال بأنه حذف حرف العلة أو قلبه حرفا آخر أو تسكينه، ففيه تيسير نطق الكلمة"[2].

ويعرفه محمد جواد النوري تعريفاً أقرب إلى الدرس الصوتي منه إلى الدرس الصرفي، بقوله: "مصطلحاًصرفياً يتناول بالدرس، ماتتعرض الحركات VOWELS، وأنصاف الحركات SEMIVOWELS، في بعض البنى، من تغيرات تتم بحلول بعضها محل بعض، وهو ما يسمى (الإعلالَ بالقلب)، أو بسقوط بعض هذه الأصوات، أو تغير موضعها في الجملة، وهو ما

---

(1) الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب 66/3.

(2) أحمد حسن حامد، ويحيى عبد الرؤوف جبر 140.

يسمى (الإعلال بالنقل أو التسكين)، أو بسقوط هذه الأصوات بكاملها من البنية، وهو ما يسـمى (الإعلال بالحذف) [1].

وأهم نماذج الإعلال عند الفراء هي :

* **الإعـلال بالقلـب** : ونماذج هذا النوع من الإعلال كثيرة، وقد بدا رأي الفراء واضحاً في:

1- قلب الواو ياء؛ لأن الواو إذا تطرفت ولم يفصل بينها وبين الضمة إلا حاجز غير حصـين قلبت، إلا أن الفراء كان يذهب إلى أن جواز هذا القلب في نحو (مسنية) و (معدي)؛ لأنهما مبينان على (سني) و (عدي)، فكما قلبت الواو ياء في الفعل فكذلك فيما بني عليه. يقول ابن عصفور: "فإن كان الساكن موافقا للام أدغمت من غير قلب، وذلك نحو (عدو) و (ولـي). وقد حكي القلب في الواو، وهو قليل، قالوا (أرض ولي). وقد حكي القلب في الواو، وهـو قليل، قالوا (أرض مسنيةٌ) من (يسنُوها المطر). وقالوا (معدي) من (عدوت). قال :

(الطويل)

وقد علمتْ عرسي مليكةُ أنني أنَا الليثُ معدياً عليه وعاديا [2]

وإنما جاز القلب، على قلته، لكون الواو متطرفة لم يفصل بينها وبين الضمة إلا حاجز غير حصين، وهو الواو الساكنة الزائدة الخفية بالإدغام، فكما قُلبت الواو يـاء إذا تطرفـت وقبلهـا الضمة. وتقلب الضمة التي قبلها كسرة، فكذلك تقلب هنا. وزعم الفراء أنه إنما جاز في (مسنية) و (معدي) لأنهما مبنيان على (سني) و (عري) فكما قلبت الواو ياء في الفعل فكذلك فيما بنـي عليه"[3].

---

[1] محمد جواد النوري : علم أصوات العربية 320.

[2] البيت لعبد يغوث بن وقاص الحارثي . ينظر الأستراباذي : شرح شافية ابن الحاجب 172/3.

[3] ابن عصفور : الممتع في التصريف 549/2، 550.

وقد ذهب ابن عصفور إلى فساد رأي الفراء هذا وبطلانه، بقوله :"وهذا باطل، لأنهـم قـد فعلوا ذلك في غير اسم المفعول فقالوا (عتا عتياً). قال ا تعالى: (وقَد بلَغْتُ من الكبرِ عتيـاً)[1] والمصدر ليس مبنياً على فعل المفعول فدلّ ذلك على أن العلة فيه ما ذكرنا "[2].

ومن نماذج قلب الواو ياء ما جاء في (الصواغ)؛ ذلك أنهم كرهوا اجتماع الواو – لا سـيما فيما كثر استعماله- فأبدلوا الأولى من العينين ياء، نحو : (أما : أيما). يقول ابن جني : "ومنهـا أن أهل الحجاز يقولون للصواغ: الصياغ، فيما رويناه عن الفراء؛ وفي ذلك دلالة على ما نحـن بسبيله. ووجه الاستدلال منه أنهم كرهوا التقاء الواوين – لا سيما فيما كثر استعماله – فأبـدلوا الأولى من العينين ياء – كما قال في أما : (أيما) ونحو ذلك – فصار تقديره : الصيواغ، فلمـا التقت الواو والياء على هذا أبدلوا الواو للياء قبلها، فقالوا (الصياغ). فإبدالهم العين الأولى مـن الصواغ دليل على أنها هي الزائدة؛ لأن من الصواغ دليل على أنها هي الزائدة؛ لأن الإعـلال بالزائد أولى منه بالأصل"[3].

ومن ذلك (الحادي)؛ لأنه فاعل من وحد، وأصله الواحد، فنقل عن فاعـل إلـى (عـالف)، فانقلبت الواو التي هي في الأصل فاء ياء *. يقول ابن جني: "ومثله عندنا (الحادي) لأنه فاعـل من وحد، وأصله الواحد فنقل عن فاعل إلى عالف سواء، فانقلبت الواو التي هي في الأصل فاء ياء؛ لانكسار ما قبلها في الموضعين جميعا. وحكى الفراء: معـي عشـرة فَاحـدهن لـي، أي اجعلهن، فظاهر هذا يؤنس بأن (الحادي). والوجه إن كان المروي صحيحا أن يكون الفعل مقلوبا

---

[1] آية 8 سورة مريم .

[2] ابن عصفور : الممتع في التصريف 550/2، 551.

[3] ابن جني: الخصائص 65/2.

هذه القضية تبحث عند الصرفيين في باب القلب المكاني، وقد بحثتها هنا لأنني لم أعثر عنده على سواها من الموضوعات يمكن أن يصنف تحت هذا الباب.

من وحدت إلى حدوت، وذلك أنهم لما رأوا (الحادي) في ظاهر الأمر على صورة فاعل صار كأنه جارٍ على (حدوت) جريان غازٍ على غزوت"[1].

وكان يرى أن الواو تقلب ياء إذا اجتمعتا في الكلمة، وتجاورتا في موضع واحد، وكانت الأولى منهما ساكنة؛ لأن العرب يستثقلون الواو متقدمة على الياء أم متأخرة عنها، وقد استرعت هذه القضية انتباهه فاستقرأ لغة العرب، وحاول التعرف إلى صحة هذا الضابط وانطباقه على جميع الأمثلة التي تجتمع فيها الواو والياء على هذا النحو، إلا ثلاثة أمثلة، نص عليها بقوله :"يقال: يوم وأيام، والأصل: أيوام، ولكن العرب إذا اجتمعت الياء والواو في كلمة واحدة، وسبق إحداهما بالسكون، قلبوا الواو ياء، وأدغموا، وشددوا. من ذلك قولهم : كويته كيا، ولويته ليا، ولكن العرب أدغمت الواو في الياء، لأن أحدهما سبقه السكون"[2].

ومما جاء عنه من قلب الواو ياء (سيد) التي أصلها (سويد) على وزن (فَعيل) ثم قلبت الواو ياء، فأدغم، وكذلك كل ما كان على هذا النحو. يقول ابن عصفور: "وذهب الفراء إلى أن الأصل في (سيّد): (سويد) على وزن (فَعيل) ثم قُلب فأدغم. وكذلك ما كان نحوه. وحمله على ذلك عدم (فَعيِل) بكسر العين في الصحيح "[3].

وكان ابن عصفور يذهب إلى أن رأي الفراء هذا فاسد؛ "لأن القلب ليس بقياس، وأيضاً فإنه لم يجئ على الأصل في موضع. ولو كان الأمر كما ذكر لسمع (سويد) و (مويتٌ). وأيضاً فإن (فَعيلاً) لا يحفظ مما عينه ياء، ولامه حرف صحة، ليس في كلام العرب مثل (كييل)، فإذا حمل (بيّناً) و (ليناً) على أن الأصل فيهما (لَين) و (بين) فقد ادعى شيئاً لاَ يحفظ في كلام العرب مثله. وقد بينا أن المعتل ينفرد بالبناء لا يكون للصحيح، فينبغي أن يبقى في (سيّد) وبابه

---

[1] ابن جني : الخصائص 78/2.

[2] الفراء : الأيام والليالي والشهور ص275. نقلاً عن مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة 174.

[3] ابن عصفور : الممتع في التصريف 501/2.

على الظاهر من أنه (فَيعلٌ). وأيضاً فإن الفراء والبغدادين إنما راموا أن يجعلوا المعتـل علـى قياس الصحيح، ولا يفرد المعتل بما لا يكون في الصحيح، ثم حملوه على مـا لـم يثبـت فـي الصحيح، ألا ترى أن (فَيعلاً) في الصحيح لا تكسر عينه، وكذلك عين (فَعِيلٍ) في الصـحيح لا تُقلب. فدل ذلك على فساد مذهبهم "[1].

2- قلب الياء ألفاً في (آية) إذ إن وزنها (فَعلة) وأصلها (أية)، ولما اجتمعت ياءان، استثقلوا ذلك فأبدلوا من الساكنة ألفا تخفيفا، يقول ابن عصفور موضحاً رأي الفراء هذا: "ومذهب الفـراء أن وزنها (فَعلة) وأن الأصل (أية)، فاستثقلوا اجتماع ياءين، فأبدلوا من الساكنة ألفاً تخفيفـاً. قال : وإذا كانوا يفعلون ذلك بالياء الساكنة وحدها، في نحو (عيب وعـاب) و (ذَيـم وذَام)، فالأحرى أن يفعلوا ذلك إذا انضاف إليها ياء أخرى"[2]. وكعادة ابن عصفور فـي هجومـه على الفراء، فإنه يقول بفساد هذا الرأي؛ ذلك أن فيه إعلال العين، مع أن العين معتلة كمـا في مذهب الخليل، مع أن إبدال الياء الساكنة ألفا ليس بمستمر. وأما (العاب والعيب) و (الذام والذيم) فهما مما جاء على (فَعلٍ) تارة، وعلى (فَعلٍ) أُخرى[3].

3- قلب الألف همزة، وذلك واضح فيما يرويه الفراء مـن الشـعر وكـلام العـرب، نحـو (المشتَئِق)، وأصلها المشتاق، فقلبت الألف همزة، وحركها بالكسر؛ لأن الألف بدل مـن واو مكسورة[4].

4- قلب الواو ألفا، نحو (الجاه: الوجه). يقول ابن جني موضحاً رأي الفراء :"وذهب الفراء في (الجاه) إلى أنه مقلوب من الوجه. وروينا عن الفراء أنه قال: سمعت أعرابية من غطفـان،

---

[1] ابن عصفور : الممتع في التصريف 501/2، 502.

[2] المصدر السابق 583/2.

[3] المصدر السابق 583/2. وينظر الأستراباذي : شرح شافية ابن الحاجب 51/2.

[4] ينظر البغدادي شرح شواهد الشافية 175/4.

وزجرها ابنها، فقلت لها ردي عليه، فقالت: أخاف أن يجوهني – بأكثر من هذا قال: وهـو من الوجه أرادت: يواجهني"[1].

5- قلب الواو همزة، ويبدو ذلك واضحاً في (أُقتَتْ) من قوله تعالى: (وإِذَا الرسـلُ أُقتَـتْ)[2]، وسبب هذا القلب أن الواو إذا كانت أول حرف وضمت همزت. يقول: "اجتمع القراء علـى همزها، وهي في قراءة عبد اللّه : (وقتت) بالواو، وقرأها أبو جعفر المدني: (وقتتْ) بالواو خفيفة، وإنما همزت لأن الواو إذا كانت أول حرف وضمت همزت من ذلك قولك : صـلّى القوم أُحدانا" [3].

6- قلب الياء همزة، وسبب منع ذلك في (معايش). ويبدو ذلك واضحاً في تفسيره لقوله تعـالى: (وجعلْنَا لَكُم فيها معايشَ) [4].

يقول: "لا تهمز؛ لأنها – يعني الواحدة- مفعلة، الياء من الفعل، فلذلك لم تهمز، إنما يهمـز من هذا ما كانت الياء فيه زائدة؛ مثل مدينة ومدائن، قبيلة وقبائل لما كانت الياء لا يعـرف بهـا أصل ثم قارفتها ألف مجهولة أيضاً همزت، ومثل معايش من الواو مما لا يهمز لـو جمعـت، معونة قلت: (معاون) أو منارة قلت مناور. وذلك أن الواو ترجع إلى أصلها؛ لسـكون الألـف قبلها. وربما همزت العرب هذا وشبهه، يتوهمون أنها فعيلة لشبهها بوزنها فـي اللفـظ و عـدة الحروف؛ كما جمعوا مسيل الماء أمسلة، شُبه بفعيل وهو مفعل. وقد همزت العرب المصـائب وواحدتها مصيبة، شبهت بفعيلة لكثرتها في الكلام"[5].

---

[1] ابن جني : الخصائص 76/2.

[2] آية 11 سورة المرسلات .

[3] الفراء : معاني القرآن 3/ 222، 223.

[4] آية 10 سورة الأعراف.

[5] الفراء : معاني القرآن 373/1، 374.

* **الإعـــلال بالنقـــل :** ويبدو حديثه عنه في أثناء تعرضه لبناء (فيعِل) – بكسر العين– نحو جيد جويد كطويل الذي نقلت فيه الواو إلى موضع الياء، والياء إلى موضع الواو، ثم أدغمت كما في طي. يقول الأسترابازي: "وقال الفراء – تجنبا أيضاً من بناء فيعِل – بكسر العين -: أصـل نحو جيد جويد كطويل؛ فقلبت الواو إلى موضع الياء والياء إلى موضع الواو، ثم قلبت الواو ياء وأدغمت كما في طي، وقال في طويل: إنه شاذ، قال: وإنما صار هذا الإعلال قياساً في الصـفة المشبهة لكونها كالفعل وعملها عمله، فإن لم يكن صفة كعويل لم يعل هذا الإعلال"[1].

الإعـلال بالحـذف: ونماذجه كثيرة أبرزها : -

1- حذف الواو من نحو (يعد ويزن)؛ للتفريق بين الفعل المتعدي والفعل اللازم. وقد نسب ابـن عصفور هذا الرأي للفراء. يقول: "وزعم الفراء أن موجب الحذف إنما هو التعـدّي نحـو (يعد) و (يزن)، وموجب الإثبات إنما هو عدم التعدّي نحو (تَوجلُ) و (يوحلُ)" [2]. وكما هو الحال في موقف ابن عصفور من الفراء فإنه يرى أن هذا الرأي فاسد. يقول :"وهذا الـذي ذهب إليه فاسد، لأنه خارج عن القياس، ألا ترى أن الحذف إنما القياس فيه أن يكون لأجـل الثقل. وأيضاً فإنهم قالوا: (وَألَ زيد مما كان يحذره يئل) و (وبلَ المطر يبِلُ) و (وقَدت النّار تَقد) و (وحر صدره يحر) و (وغر يغُر). فحذفوا الواو في جميع ذلك. وإن كان غير متعدّ، لما وقعت بين ياء وكسرة "[3].

ومن المواطن التي تحدث فيها عن حذف الواو بالإعلال ما جاء في (يدع) التي حذفت فيهـا الواو لاستقبالها اللام الساكنة، ويبدو ذلك واضحاً في أثناء تفسيره لقوله تعالى: (ويدع الإِنْسـان)

---

(1) ينظر الأسترابازي : شرح شافية ابن الحاجب 154/3، 155.

(2) ابن عصفور : الممتع في التصريف 435/2.

(3) ابن عصفور : الممتع في التصريف 435/2.

[1]. يقول: "حذفت الواو منها في اللفظ ولم تحذف في المعنى؛ لأنها في موضع رفع، فكان حذفها باستقبالها اللام الساكنة. ومثلها (سَنَدع الزبانيةَ) [2]. وكذلك (وسوفَ يؤْت اللّه المؤْمنين) [3] وقوله (يوم ينَاد المنَاد) [4] وقوله (فَما تُغْنِ النذُر) [5] ولو كن بالياء والواو كان صوابا. وهذا من كلام العرب"[6].

كما يتحدث عن حذف الواو من نحو: "وثقَ ويثقُ، وورِم ويرِم، وولِه ويله"، وما أشبه ذلك، لوقوعها بين ياء وكسر، خلافا للفراء الذي يرى أن الواو تحذف من الفعل المتعدي وحده نحو: (وعد يعد) يقول ابن جني: "وقولهم: (وثقَ يثقُ، وورِم يرِم وولِه يله) وما أشبه ذلك مما لا يتعدى دلالة على صحة ما نذهب إليه في أن حذف الواو، إنما وجب لوقوعها بين ياء وكسرة، لا لما ذهب إليه الفراء، من أنها إنما تُحذَف من الفعل المتعدي وحده نحو: (وعد يعد)"[7].

ومن ذلك أيضاً ما جاء في حديثه عن أصل إقامة، إذ إن أصل الألف فيها واو، وقد تحركت هذه الواو بحسب أصلها ، ولما انفتح ما قبلها قلبت ألفا، فاجتمعت ألفان، فحذف إحداهما وعوض منها بالتاء، وقد اختلفوا في أيهما المحذوفة، فقد ذهب سيبويه إلى أن المحذوفة من الألفين هي الألف الزائدة، في حين ذهب الفراء والأخفش إلى أن المحذوفة هي المنقلبة عن العين. يقول ابن عقيل: "أصل إقامة مثلا : إقوام كإكرام، نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها، ثم يقال: تحركت الواو. بحسب أصلها وانفتح ما قبلها الآن، فقلبت هذه الواو ألفا، فاجتمع

---

[1] آية 11 سورة الإسراء.
[2] آية 18 سورة العلق.
[3] آية 146 سورة النساء.
[4] آية 41 سورة ق.
[5] آية 5 سورة القمر.
[6] الفراء : معاني القرآن 117/2، 118.
[7] ابن جني : المنصف 207/2.

ألفان، فحذفت إحداهما وعوض منها التاء فصار إقامة، وقد ذهب سيبويه إلى أن المحذوفة من الألفين هي الألف الزائدة، وذهب الفراء والأخفش إلى أن المحذوف هي المنقلبة عن العين "[1].

2- حذف الواو والياء في نحو (قُم، وبِع) اللتين أصلهما (اقْوم)، و(ابيع)، ثم ذهبت همزة الوصل، لأنه أُتي بها لأجل الساكن، فزالت بزواله، وكان الفراء يرى أن أصلها (اقْوم)، فاستثقلوا الضمة على الواو، فأسكنوها. يقول ابن عصفور: "وكذلك (قُم) و (بِع) أصلهما (اقْوم) و (ابيع)، ثم نقلت حركة العين إلى ما قبلهما فتحرك فذهبت همزة الوصل، لأنها إنما أُتي بها لأجل الساكن، فزالت بزواله. ثم سكنوا الآخر، وحذفوا حرفَ العلّة لالتقاء الساكنين.

ويحكى أن أبا عمر الجرمي -رحمه الله- دخل بغداد، وكان بعض كبار الكوفيين يفاتشه ويكثر عليه المسائل – ويقال هو الفراء وهو يجيبه. فقال له بعض أصحابه: إن هذا الرجل قد ألح عليه بكثرة المسائل فلم لا تسأله؟ فلما جاءه قال له: يا أبا فلان ما الأصل في (قُم) ؟ فقال له:(اقْوم). فقال له: أخطأت لأن القاف قبلها ساكنة، فلم يعد إليه الرجل بعدها "[2].

3- حذف الألف، ويبدو ذلك واضحاً عنده في (قضاة) التي أصلها (قُضى)، ثم أبدلوا من أحد المضعفين ألفاً فقالوا (قُضاا)، فالتقى ألفان: الألف التي هي لام، والألف المبدلة من أحد المضعفين، فحذفوا إحداهما، ثم أبدلوا منها التاء"[3].

وقد تحدث الفراء عن الحذف مع وجود دليل عليه، فإن كان المحذوف واوا جاء الأول مضموماً، وإن كان المحذوف ياء جاء الأول مكسورا، وإن كان المحذوف ألفاً جاء الأول مفتوحاً. يقول ابن جني: "ومن ذلك قول الفراء في نحو لُغة، وبرة، وثُبة، وكُرة، وقُلة؛ وما كان من الياء فإنه يأتي مكسور الأول؛ نحو مئة، ورئة. وهذا يفسده قولهم: سنة، فيمن قال: سنوات،

---

[1] ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك 129/3.

[2] ابن عصفور: الممتع في التصريف 449/2، 450.

[3] المصدر السابق 500/2، 501.

وهي من الواو كما ترى، وليست مضمومة الأول. وكذلك قولهم: عضة محذوفها الواو؛ لقـولهم فيها: عضوات، قال:

(الرجز)

هذا طَرِيقٌ يأْزِم المآزما   وعضوات تَقْطَع اللهازِما [(1)]

وقالوا أيضاً : ضعة، وهي من الواو مفتوحة الأول، ألا تراه قال:

(الرجز)

متخذاً من ضعوات تَولَجا [(2)]

فهذا وجه فساد العلل إذا كانت موافقة غير متعدية. وهو كثير. فطالب فيه بواجبه، وتأمل ما يرد عليك من أمثاله "[(3)].

هذه هي أهم جهود الفراء الصرفية الخاصة بهذا الجانب، وقد بدا منها أنه لا يفصل الدراسة الصوتية عن الدراسة الصرفية، كما أنه حاول أن يتميز ببعض الآراء والأفكار التي من شـأنها أن تميزه عن غيره من العلماء سواء البصريين أو الكوفيين، وقد بدا في دراستها أنـه يـدرس القضايا الصوتية الصرفية دراسة لغوية أكثر منها متخصصة بالجانب الصرفي.

---

(1) المآزم جمع المأزم، وهو المضيق بين جبلين، والمعنى الذي أراده الشاعر هو أن المضايق بالنسبة إلى ضيقه لا تذكر. ينظر اللسان مادة (أزم) والرواية (تَمشُقُ) بدل (يقْطَع) .

(2) هذا الشعر لجرير وقبله : كأنه ذيخٌ إذَا تَنَفجا .

ينظر اللسان مادة (ولج) 980/3. والذيخ : الذكر من الضباع، وتنفج : وثب وعدا، والمعج: سرعة المر، والتولج : كناس الظبي والوحش. والضعة : شجر بالبادية مثل الثمام.

(3) ابن جني : الخصائص 172/1.

الخاتمـــــة

هذه هي أهم القضايا الخاصة بجهود الفراء الصرفية، التي عرضت لها في هذه الرسالة، وقد حاولت أن تكون جامعة لكل جهوده؛ لتغدو مرجعاً سهلاً يطلع عليه الدارسون للمدرسة الكوفية.

وقد انتهت بي إلى النتائج الآتية :-

1- مصادر الدراسة الصرفية عند الفراء هي مصادر البصريين نفسها مع مد السماع عنده أكثر، ولا سيما أن ضوابطه في السماع عن العرب كانت أقل صرامة من ضوابط البصريين.

2- مصادر دراسته الصرفية توحي بأنه كان على صلة وثيقة بعلوم البصريين، إضافة إلى أنه أخذ اللغة عن قبائل أبى البصريون الاحتجاج بكلامها، وقد بدا ذلك من خلال ارتحاله إلى الأماكن التي ارتحل إليها البصريون لسماع اللغة، كما سمع عن أعراب خطأهم البصريون، إضافة إلى أنه تتلمذ على علماء البصريين، فاستفاد من ثقافتهم وعلومهم.

3- للفراء ابتكارات مختلفةعن نتائج البصريين، وابتكارات لم يهتد إليها أحد قبله من العلماء السابقين أو المعاصرين له من علماء المدرستين، ويعود ذلك لثقافته المختلفة في كثير من جوانبها عنهم -أي علماء المدرستين- .

4- جهود الفراء الصرفية مختلطة في كثير من جوانبها بالدراسة اللغوية، ويبدو ذلك واضحاً في كتبه المعنونة بعناوين صرفية، فبالرغم من أنها تستوعب القضية التي أُلفت من أجلها إلا أنها إلى الدراسة اللغوية أقرب، فلم تخلص كتب (المذكر والمؤنث، والمقصور والممدود، والمنقوص والممدود)، لدراسة الظاهرة التي حملتها عناوينها

وحسب، فقد احتوت بداخلها كثيراً من الآيات القرآنية، وقراءاتها؛ والأحاديث الشريفة، والأشعار، كما ضمنها كثيراً مما سمع عن العرب من أقوال، وحكم، وأمثال، فغدت بذلك وكأن الدراسة اللغوية العامة هي الغالبة على الدراسة الصرفية في معظم أجزاء هذه الكتب.

5- كتب الفراء مرجع غزير تحوي بداخلها كثيراً من القراءات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، والشعر، وكلام العرب. وهي مصادر الدراسة الصرفية التي اعتمد عليها الفراء في تخريج كثير من القضايا وتوجيهها.

6- الفراء من أوائل العلماء الذين درسوا القرآن الكريم دراسة لغوية أسلوبية، ولو أنه في كتابه (معاني القرآن) تعرض لجميع آيات القرآن الكريم؛ لأمكننا أن ندرج كتابه ضمن كتب التفسير اللغوي، إلا أنه كان يتناول من كل سورة عدداً من الآيات القرآنية، التي يقيم عليها الدراسة اللغوية والأسلوبية، وفي معظم ذلك يستعين بتعدد القراءات، والرواية عن العرب.

7- أراد الفراء من خلال المصطلحات التي كان يطلقها على الموضوعات الصرفية أن تكون للكوفيين مدرسة مستقلة، وقد أدى به ذلك في بعض الأحيان إلى مخالفة البصريين، والخروج عن مصطلحاتهم؛ ذلك أن التجديد في المصطلح واحد من مقومات التميز والاستقلالية التي كان يسعى إليها.

8- يدل إطلاقه عدة تسميات على المصطلح الصرفي الواحد على أنه كان يرغب في توضيح المصطلحات وتفسيرها، وهذا يتسق مع أسلوبه التعليمي الذي سار عليه في كتبه، وخصوصاً في (معاني القرآن).

9- يلاحظ على مصطلحه الصرفي أنه في بعض الأحيان يعاني من عدم الاستقرار، والبعد عن الإحكام الدقيق في التسمية، لا سيما أنه يطلق المصطلح الواحد للدلالة على أكثر من مسمى، ومن شأن ذلك أن يوقع القارئ في كثير من التخبط وعدم الفهم.

10- جهود الفراء الصرفية تنتظم فيها معظم موضوعات الصرف العربـي، فهـو بالفعـل الصورة الحقيقية للدراسة اللغوية عند الكوفيين، ومكمل بنائها.

هذه هي أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الرسالة على أنني مضـطر للقـول: إن جهود الفراء الصرفية واللغوية لا تكتمل إلا بدراسة كتابه (معاني القرآن) دراسة أسلوبية؛ ليظهر من خلالها توظيف الفراء للقواعد اللغوية في توضيح النص القرآني وتفسيره.

كما أن الفراء لم ينل حظه من الدراسة كبقية العلماء فقد بقي بحاجة للدراسة مـن عـدة جوانب أهمها :-

1. المصطلح اللغوي
2. القراءات القرآنية
3. أثره في الخلافات اللغوية
4. أثره في التشكل النهائي لمدرسة الكوفة
5. أثره في دراسة الصوت عند العرب
6. الظواهر اللغوية والأسلوبية في (معاني القرآن)
7. الشواهد الشعرية

المصـــادر والمـــراجع

أولاً : المصـــادر

- الأفغاني، سعيد:

  - في أصول النحو. ط3. دار الفكر. 1964م.

  - من تاريخ النحو. ط2. عمان: دار الفكر. 1978م.

- أمين، أحمد: ضحى الإسلام. 3مج. ط1. مطبعة الاعتماد. 1932م.

- الأنصاري، أحمد مكي: نظرية النحو القرآني نشأتها وتطورها ومقوماتهـا الأساسـية. ط1. 1405هـ.

- أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة. د.ط. القاهرة. 1964م.

- الأنطاكي، محمد : المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها. 4 مج. ط3. بيـروت: دار الشرق العربي. 1971م.

- أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية. ط3. القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية. 1969م.

- عبد التواب، رمضان: فصول في فقه اللغة. ط2. القاهرة: مكتبة الخانجي. 1973م.

- ابن الجزري، الحافظ أبو الخير: غاية النهاية في طبقات القراء. نشر برجشتر آسـر. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية . 1980م.

- أبو الجناح، صاحب: الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري. ط1. عمـان: دار الفكـر. 1999م.

- حامد، أحمد حسن،عبد الرؤوف، يحيى جبر: الواضح في علم الصرف. الطبعـة التجريبيـة. نابلس: الدار الوطنية للطباعة والنشر والتوزيع. 1994م.

- الحديثي، خديجة :

  - دراسات في كتاب سيبويه. د.ط. وكالة المطبوعات- شارع فهد السالم-. د.ت.

  - موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف. د.ط. دار الرشيد للنشر. 1981م.

- حسانين، عفاف: في أدلة النحو. ط1. القاهرة: مطبعة دار نشر الثقافة. 1977م.

- حسين، محمد الخضر:دراسات في العربية وتاريخها. ط2. دمشق: المكتب الإسلامي.1960م.

- الحملاوي، أحمد: شذا العرف في فن الصرف. ط16. 1982م .

- حمودة،عبد الوهاب:القراءات واللهجات. ط1. القاهرة: مكتبة دار النهضة المصرية. 1948م.

- الحنبلي، عبد الحي بن عماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب 80 مج. د.ط. بيروت: دار الآفاق الجديدة. د.ت.

- دمشقية، عفيفة: المنطلقات التأسيسية في النحو العربي. ط1. معهد الإنماء العربي. 1978م.

- الراجحي، شرف الدين: في المصطلح الصرفي عند الفراء في كتابه (معاني القـرآن). د.ط. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية. 1991م.

- الزبيدي، سعيد جاسم:

  - القياس في النحو العربي نشأته وتطوره. ط1. عمان: دار الشروق. 1997م.

  - مصطلحات ليست كوفية. د.ط. دار أسامة للنشر والتوزيع. 1998م.

- زلط، القصبي محمود: القرطبي ومنهجه في التفسير. د.ط. القاهرة: دار الأنصار. 1979م.

- السالم، صباح عباس: عيسى بن عمرو الثقفي نحوه من خلال قراءاته. ط1. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – دار التربية – رسالة ماجستير. 1975م.

- السامرائي، إبراهيم:

  - الفعل زمانه وأبنيته. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1980م.

- المدارس النحوية أسطورة وواقع. ط1. عمان. دار الفكر. 1987م.

– السامرائي، فاضل صالح: معاني الأبنية في العربية. ط1. ساعدت على نشره جامعة بغـداد. 1981م.

- شاهين، عبد الصبور :

- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي. ط1. القاهرة: مكتبة الخانجي. 1978م.

- تاريخ القرآن. د.ط. القاهرة. 1967م.

- المنهج الصوتي للبنية العربية (رؤية جديدة في الصرف العربي). بيروت: مؤسسة الأعلمي. 1980م.

- شلبي، عبد الفتاح: أبو علي الفارسي. د.ط. القاهرة: 1377هـ.

- ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن: مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث. د.ط. دمشق: دار الحكمة. 1972م.

- ضيف، شوقي: المدارس النحوية. ط3. القاهرة: دار المعارف. 1968م.

- الطنطاوي، محمد: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة. د.ط. دار المنار.1991م.

- عبابنة، جعفر نايف: مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي. ط1.عمان: دار الفكر للنشـر والتوزيع. 1984م.

- عيد، محمد: الرواية والاستشهاد باللغة. د.ط. 1972م.

- فك، يوهان: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب. ترجمة عبد الحليم النجار. د.ط. القاهرة: مكتبة الخانجي. 1951م.

- قباوة، فخر الدين: ابن عصفور والتصريف. ط2. بيروت: دار الآفاق الجديدة. 1981م.

- القفطي، جمال الدين علي بن يوسف: إنباه الرواة على أنباه النحاة. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. 1955م.

- الكنغراوي، صدر الدين: الموفي في النحو الكوفي. شرح وتعليق محمد بهجة البيطار. د.ط. المجمع العلمي العربي . د.ت.

- اللبدي، محمد سمير نجيب: أثر القرآن والقراءات في النحو العربي. ط1. الكويت: دار الكتب الثقافية. 1987م.

- المخزومي، مهدي: مدرسة الكوفة. ط2. القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي. 1958م.

- مكرم،عبد العال سالم: القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية. د.ط. القاهرة: دار المعارف. 1965م.

- نصار، حسين: المعجم العربي نشأته وتطوره. ط2. القاهرة: مكتبة مصر. 1968م.

- النوري، محمد جواد: علم أصوات العربية. ط1. فلسطين، القدس: جامعة القدس المفتوحة. 1996م.

- وافي، علي عبد الواحد: فقه اللغة. ط2. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية. 1944م.

- ياقوت، أحمد سليمان: ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم. د.ط. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. 1994م.

- ياقوت، محمود سليمان: أصول النحو العربي. د.ط. القاهرة: دار المعرفة الجامعية.2000م.

- النشر في القراءات العشر. أشرف على تصحيحه ومراجعته علي محمد الصباع، د.ط. بيروت: دار الكتب العلمية. د.ت.

ثانيـاً : المـراجع

- الأدنروي، أحمد بن محمد: طبقات المفسرين. تحقيق سليمان بن صالح الخزي. ط1. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. 1997م.

- الأسترابادي، رضي الدين :

شرح شافية ابن الحاجب 4مج. تحقيق محمد نور الحسن وآخرون. د.ط. دار إحيـاء الكتـب العربية. 1975م .

- شرح كافية ابن الحاجب. 5مج. تحقيق إميل بديع يعقوب. ط1. بيروت: دار الكتب العلميـة. 1998م.

- الأشموني، علي بن محمد: منهج السالك إلى ألفية ابن مالك. 3 مج. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية. 1955م.

- امرؤ القيس: الديوان. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. د.ط. القاهرة: دار المعارف 1958م.

- ابن الأنباري، كمال الدين:

  - الأضداد. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. د.ط. الكويت. 1960م.

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين. 2مج. قدم له ووضع هوامشه وفهارسه حسن حمد.بإشراف إميل بديع يعقوب. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.1998م.

- نزهة الألباء في طبقات الأدباء. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. د.ط. القاهرة: دار النهضة. 1967م.

- البخاري، أبو عبد ا   محمد بن إسماعيل : صحيح البخاري. 8 مج. د.ط. بيروت: دار الفكر. 1981م.

- البغدادي، أحمد بن علي الخطيب:

- تاريخ بغداد. 14 مج. د.ط. المدينة المنورة: دار الفكر. د.ت.

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية. 4مـج. د.ط. المطبعـة الميرية ببولاق. د.ت.

- شرح شواهد شافية ابن الحاجب. 4 مج. تحقيق محمد نور الحسـن وآخـرون. د.ط. دار إحياء الكتب العربية. 1975م.

- التبريزي، يحيي بن علي: شرح المفضليات. 3 مج. تحقيق محمد البجاوي. د.ط. دار نهضة مصر. د.ت.

- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى : الجامع الصحيح لسنن الترمذي. 5مج. تحقيق محمـد فؤاد عبد الباقي. ط3. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه. 1976م.

- التوحيدي، أبو حيان: الإمتاع والمؤانسة. صححه وضبط غريبه أحمد أمين وأحمد زين. د.ط. بيروت: دار مكتبة الحياة. د.ت.

- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى: مجالس ثعلب. 2مج. شرح وتحقيق عبـد السـلام محمـد هارون، ط2. القاهرة: دار المعارف. 1995م.

- جرير: الديوان، ضبط معانيه وشروحه وأكملها إيليا الحاوي. ط2. الشركة العالمية للكتـاب. 1983م.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان :

- التصريف الملوكي. عني به ليظهر في عالم المطبوعات محمد سعيد بن مصطفى النعسـان الحموي، ط1. القاهرة: مطبعة شركة التمدن المصرية. د.ت.

- الخصائص. 3مج. تحقيق علي النجار. ط2. بيروت: دار الهدى. د.ت

- سر صناعة الإعراب. 2مج تحقيق حسن هنداوي. ط2. دمشق: دار القلم. 1993م.

- اللمع في العربية: تحقيق حسين محمد شرف. ط1. القاهرة: عالم الكتب. 1979م.

- المحتَسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها. 2 مج. تحقيق محمد عبد القـادر عطـا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1998م.

- المنصف. 3 مج. تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد ا أمـين. ط1. شـركة مكتبـة ومطبعـة مصطفى البابي الحلبي. 1954م.

- الحموي، ياقوت بن عبد ا :

- معجم الأدباء. 20مج. نشره (مرجليوث). الطبعة الأخيرة. القاهرة: مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه. 1936م.

- معجم البلدان. 7مج. تحقيق فريد عبد العزيز الجنْدي. ط1. بيروت: دار الكتب العلميـة. 1990م.

- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. 8مـج. تحقيـق محمد محيي الدين عبد الحميد. ط1.القاهرة: مكتبة النهضة المصرية. 1949م.

- الذهبي، الحافظ: العبر في خبر من غبر. 4مج. تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلـول. د.ط. بيروت: دار الكتب العلمية. د.ت.

- الزبيدي، محمد بن الحسن: طبقات النحويين واللغويين. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط2. القاهرة: دار المعارف. 1972م.

- الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحق: مجالس العلماء. تحقيق عبد السلام محمد هـارون. ط2. القاهرة: مكتبة الخانجي. 1983م.

- الزركلي، خير الدين: الأعلام 8 مج، ط6. بيروت: دار العلم للملايين. 1984م.

- الزمخشري،جار ا محمود بن عمر: أساس البلاغة. تحقيق مزيد نعيم وشوقي المعري. ط1. بيروت: مكتبة لبنان. 1998م.

- الزوزني، الحسين بن أحمد: شرح المعلقات السبع. ط2. بيروت: دار الجيل. 1972م.

- السكري، أبو سعيد: شرح ديوان الحطيئة. د.ط. بيروت: دار صادر. 1967م.

- السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور: الأنساب. 5مج. تحقيق عبد ا عمر البارودي. ط1. بيروت: دار الجنان. 1988م.

- سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان قنبر : الكتاب. 5 مـج. تحقيـق إميـل بـديع يعقـوب. ط1بيروت: دار الكتب العلمية. 1999م.

- ابن سيدة، علي بن اسماعيل: المخصص. 5 مج. د.ط. بيروت: دار الفكر. د.ت.

- السيرافي، الحسن بن عبد ا : شرح كتاب سيبويه. مخطوطة مصورة في جامعة القاهرة.

- السيرافي، يوسف بن أبي سعيد: شرح أبيات سيبويه. 2مج. تحقيق محمد علي سلطاني. د.ط. دمشق: دار المأمون للتراث. 1979م.

- السيوطي، جلال الدين:

الإتقان في علوم القرآن. 2 مج. د.ط. بيروت: المكتبة الثقافية. 1973م.

- الأشباه والنظائر. 4 مج. حيدر آباد. رقم 140.

- الاقتراح في علم أصول النحو. تحقيق أحمد محمد قاسم. ط1. القـاهرة: مطبعـة السـعادة. 1979م.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. د.ط. بيروت: دار المعرفة. د.ت.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها. 2 مج. شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد أحمد جاد المولى وآخرون. ط4. دار إحياء الكتب العربية. 1958م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع في علم العربية. 4 مج. تصحيح السـيد محمـد بـدر النعساني. د.ط. بيروت: دار المعرفة. د.ت.
- ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات: الأمالي الشجرية. 2مج. حيـدر أبـاد الـدكن. دار المعارف الإسلامية. 1349هـ .
- الصبان، أبو العرفان: حاشية الصبان على شرح الأشموني. 4مج، د.ط. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية. د.ت.
- الصنعاني، سابق الدين محمد بن علي: التهذيب الوسيط في النحو. تحقيق فخر الدين قباوة.ط1 بيروت: دار الجيل. 1991م.
- الظبي، أبو العباس المفضل بن محمد: ديوان المفضليات. عني به (كارلوس يعقوب لايـل). د.ط. بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين. أعادت طباعته بالأوفست مكتبة المثنى بغداد.
- الطاهر أحمد الزاوي: ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغـة. 4مج. د.ط. بيروت: دار الكتب العلمية. 1979م.
- طاهر سليمان حمودة: ابن القيم الجوزية (جهوده في الدرس اللغوي). د.ط. الإسـكندرية: دار الجامعات المصرية. 1976م.
- الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان في تفسير القرآن. 30مج. ط3. بيروت: دار المعرفة. 1978م.
- طرفة بن العبد: الديوان. تحقيق فوزي عطوي. د.ط. بيروت: دار صعب. 1980م.

- أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي: مراتب النحويين. تحقيق محمد أبو الفضل إبـراهيم.
د.ط. القاهرة: مكتبة دار النهضة. 1954م.
- العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر:
تهذيب التهذيب. 14مج. ط1. بيروت: دار الفكر. 1984م.
- تقريب التهذيب. 2مج. بعناية عادل مرشد. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1966م.
- تحرير تقريب التهذيب. 4مج. تأليف بشار عواد معروف والشيخ شـعيب الأرنـؤوط. ط1.
بيروت: مؤسسة الرسالة. 1997م.
- ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن: الممتع في التصريف. 4مج. تحقيـق فخـر الـدين
قباوة. ط3. بيروت: دار الآفاق الجديدة. 1978م.
- ابن عقيل، بهاء الدين: شرح ألفية ابن مالك. 4مج. تحقيق محيي الدين عبـد الحميـد. د.ط.
بيروت: دار الفكر. 1985م.
- العكبري، أبو البقاء عبد ا بن الحسين: مسائل خلافية في النحو. تحقيق وتقديم محمد خيـر
الحلواني. د.ط. دمشق: منشورات دار المأمون للتراث. د.ت.
-ابن فارس، أحمد بن فارس: مقاييس اللغة. 6مج. تحقيق عبد السلام محمد هـارون. د.ط. دار
الفكر. 1979م.
- الفراء: يحيى بن زياد :
الأيام والليالي والشهور. تحقيق إبراهيم الأبياري. د.ط. القاهرة: المطبعة الأميرية. 1956م.
- المذكر والمؤنث. د.ط. القاهرة: مكتبة دار التراث. 1975م.
- معاني القرآن. 3مج. تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علـي النجـار. د.ط. القـاهرة: دار
السرور. 1955م.

- المقصور والممدود. تحقيق ماجد الذهبي. ط1. مؤسسة الرسالة. 1983م.
- المنقوص والممدود. تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوني. د.ط. القـاهرة: دار المعـارف. د.ت.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد: الجمل في النحو. تحقيق فخر الدين قباوة. ط5. 195م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد ا بن مسلم: تأويل مشكل القرآن. شرح وتحقيق أحمد صـقر. ط4. دار إحياء الكتب العربية. 1995م.
- القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن الكريم. 20مج. تحقيق أحمـد عبـد العلـيم البردوني. د.ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي .
- القيرواني، الحسن بن رشيق: العمدة في صناعة الشعر ونقده. 2مج. تصحيح محمد بدر الدين النعساني الحلبي. ط1. القاهرة: مطبعة السعادة. 1970م.
- ابن كمال باشا، شمس الدين أحمد بن سليمان: أسرار النحو. تحقيق أحمد حسن حامـد. د.ط. عمان. دار الفكر. د.ت.
- ابن ماجة، أبو عبد ا محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجة. 2مج. تأليف ناصـر الـدين الألباني. ط1. بيروت: المكتب الإسلامي. 1986م
- المبرد،محمد بن يزيد: المقتضب. 4مج. تحقيق محمد عبد الخالق عضـيمة. د.ط. بيـروت: عالم الكتب. د.ت.
- محمد إسماعيل عبد ا الصاوي: شرح ديوان جرير. 2مج، د.ط. بيروت: دار مكتبة الحياة. د.ت.
- المرادي، الحسن بن القاسم: الجنى الداني في حروف المعاني. تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل. ط2. بيروت: دار الآفاق الجديدة. 1983م.

- مكي بن أبي طالب حموش القيسي: الإبانة عن معاني القراءات. تحقيق عبد الفتاح إسـماعيل شلبي. د.ط. القاهرة: مكتبة نهضة مصر. 1960م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب. 3 مج. قدم له الشيخ عبـد ا العلايلـي. إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي. د.ط. بيروت: دار لسان العرب. د.ت.
- الميداني، أحمد بن محمد :
  - مجمع الأمثال. 2مج. د.ط. بيروت: دار مكتبة الحياة 1961م.
  - نزهة الطرف في علم الصرف. ط1. بيروت: دار الآفاق الجديدة. 1981م.
- ابن النديم، محمد بن إسحق: الفهرست. قدمه أحد أساتذة الجامعة المصرية. د.ط. بيروت: دار المعرفة. د.ت.
- النسائي، الحافظ أبو عبد الرحمن: سنن النسائي. 4مج. شرح الحافظ جلال الدين السـيوطي. اعتنى به ورقمه وصنع فهارسه عبد الفتاح أبو غُدة. ط2. بيروت: دار البشائر الإسلامية. 1986م.
- ابن هشام، جمال الدين عبد ا بن يوسف :
  أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. 2مج. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1997م.
- شرح قطر الندى وبل الصدى. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. د.ط. بيـروت: الـدار المصرية. 1995م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. راجعه سـعيد الأفغاني. ط3. بيروت: دار الفكر. 1972م.
- ابن يعيش، موفق الدين: شرح المفصل. 6 مج. د.ط. بيروت: عالم الكتب. د.ت.

الفهـــــــارس

فهـــــرس الآيـــــات القـــرآنية

الأعراف : 7

يونس : 10

هـــود : 11

يوسف : 12

الكهف : 18

مريم : 19

(جِئْتُم شَيًئا ِإدا)	89	78
(فَأجاءها الْمخَاض)	23	86
(فَهب ِلي من لَدنْك وِليا)	5	186
(أَيهم َأشَد علَى الرحمانِ عتيا)	69	194
(وقَربنَاه نَجِيا)	52	252
(وكَان عنْد ربه مرضيا)	55	261
(إِنه كَان وعده مأْتيا)	61	262
(وقَد بلَغْتُ من الْكبرِ عتيا)	74	338
(أَحسن َأثَاثًا ورِئْيا)	8	385

طه : 20

(لَن نَبرح علَيه عاكفين حتى يرجِع ِإلَينَا موسى)	91	23
(إِن هذَانِ لَساحرانِ)	63	39
(فَإِن لَك في الْحياة َأن تَقُولَ لاَ مساس)	97	52، 221، 230
(فَقَبضتُ قَبضةً)	96	83
(لَعلك تَرضى)	130	224
(أَن يفْرطَ علَينَا)	45	243
(في كتَابٍ لاَ يضل ربي)	52	247
(إِنا رسولاَ ربك)	47	323
(فَاضرِب لَهم طَرِيقًا)	77	360، 363

الأنبياء : 21

الحج : 22

المؤمنون : 23

(وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين)	50	267
(فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري)	110	351

النور : 24

(فمنهم من يمشي على بطنه)	45	51
(إذ تلقونه بألسنتكم)	15	63، 85، 287
(يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال)	36	74، 225
(وإقام الصلاة)	37	193، 225
(ولا تأخذكم)	2	258
(ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات)	34	63
(قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا)	63	288
(يوم تشهد)	24	307

الفرقان : 25

(لا يرجون لقاءنا)	21	53
(وعتوا عتوا كبيرا)	21	194
(فدمرناهم تدميرا)	36	226
(ثبورا واحدا)	14	254
(أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا)	24	278
(وأناسي كثيرا)	49	343
(ويوم تشقق السماء بالغمام)	24	382

الشعراء : 26

النمل : 27

القصص : 28

الصافات : 37

ص : 38

الآية	رقمها	الصفحة
(وعزني في الْخطَابِ)	23	70
(وآخَر من شَكْله أزواج)	58	85
(فنَادوا ولاَتَ حين منَاصٍ)	3	88، 180، 235
(ما لَها من فَواق)	15	103
(إن هذَا أَخي لَه تسع وتسعون نَعجةً)	23	90
(أَخْلَصنَاهم بِخَالِصة ذكْرى الدارِ)	46	263
(لَشَيء عجاب)	5	270
(بِيدي أَستَكْبرتَ)	75	324

الزمر : 39

الآية	رقمها	الصفحة
(ياعبادي الذين أَسرفُوا علَى أَنْفُسهِم)	53	179
(رجلاً سلَما لِرجلٍ)	29	250
(هلْ هن كَاشفَاتُ ضره)	38	264
(ممسكَاتُ رحمته)	38	264
(فَبشر عبادي، الذين)	17	352

غافر: 40

الآية	رقمها	الصفحة
(فَإِما نُرِينك بعض الذي نَعدهم)	77	176، 228
(ويوم تَقُوم الساعةُ أَدخلُوا آلَ فرعون)	46	364

الزخرف : 43

الهمزة : 104

(الذي جمع مالاً وعدده)	2	350

الماعون : 107

(أرأيتَ الذي يكذب بالدين)	1	217

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهـــرس الشـــواهد الشـــعرية

قافـيـة الهـــمزة

قافيـــة البـــاء

قافيـــة التـــاء

قافيـــة الجـــيم

قافيـــة الحـــاء

قافيـــة الخـــاء

قافيـــة الــدال

قافيـــة الـــراء

قافيـــة الفـــــاء

قافيـــة القـــــاف

قافيـــــة الـــــــلام

قافيـــة المـــيم

قافـــية النـــون

فهـــــرس الأمـــثال

AL Farra` Morphological Efforts

Prepared by

Ayman Abdel Fatah Abdel Hadi Asa`ad

Supervised by

Prof. Dr. Ahmad Hamid

Abstract

This research deals by means of study and analysis the grammatical efforts of one of the most famous grammarians of Alkufa school.

He took over his teacher Alkissaei to complete the formation of this school. This grammarian is called Abu Zakariya Yahya Ben Ziyad Al Ferra`a Al Daylami.

Previous researches and thesis concentrated very much on the bright side, of the lives of the ancient, whereas the less famous aspect, whose importance shrank by the great fame of the bright side, was neglected. But this study can be considered as a good step in the study of the ancients. The study of Al Farra`s grammatical effort was a good beginning for the future studies for some Arab figures in phonology, semantics, syntax and style.

To acomplish this aim I have tried to cover the subject from all its sides. So I collected all the material that is related to Al Farr`a in both ancient and modern books - I have analysed this material, divided it and put it in index. Some times I compared Al Farra`s opinions with others. In the introduction of this study I dealt with the cause and objective of the study, its importance, his previous studies and the methodology. In the preface I dealt with the life of Al Farr`a, his birth and background, the resources of his knowledge and other scientists, caliphates, political parties and readings. I talked about his students, his books, the opinion of other scientists and finally his death .

The first chapter bears the title "The Resource of Al Ferra`s Morphology". I have found that these resources include the Glorious Quran and its reading.The prophet`s teaching, Arab saying and poetry. The second chapter is "Morphology'. Here, I studied Morphology on which Al Farra" opposed the Basra school.

In chapter three. I handeld his morphological efforts which include: the definition of morphology, parts of speech, verbs, gerunds, derevation, word coin, nouns and other phono- morphological cases.

The ancient headed by Al Farra` didn't differentiate between phonology and morphology, so phonology was studied under mor phology.

By this research I intended to make it an easy reference that includes the mor pholoyical efforts of Al Ferra` so that other scholars can benefit from, especiallay the beginners.

It includes some worke reading and studying morphological cases.

Al Farra` was the brightest and the most Kufa mor phologist because all the morphological issues and subject were included under the topic "Morphology'.

An- Najah National University

Faculty of Graduate Studies

AL Farra` Morphological Efforts

Prepared by

Ayman Abdel Fatah Abdel Hadi Asa`ad

Supervised by

Prof. Dr. Ahmad Hamid

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts in Arbic Language and Literature, Faculty of Graduate Studies, at An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2003